المفصّل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف

الدكتور جواد علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الثالث

منشورات الشريف الرضي

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

٣

الفصل الرابع والثلاثون

مملكة النبط

مملكة النبط ، مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً . سداها ولحمتها النبط . وهم قوم من جبلة العرب ، وإن تبرأ العرب منهم ، وعيّروا بهم ، وأبعدوا أنفسهم عنهم ، وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، وقالوا إنهم نبط ، وان في لسان من استعرب منهم رطانةً . وسبب ذلك ، هو أنهم كانوا قد تثقفوا بثقافة بني إرم ، وكتبوا بكتابتهم ، وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرمية عليهم ، ولأنهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة وبالرعي وباحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم ، ويُعيّر من يقوم بها ويحترفها .

وتكمن عوامل ظهور النبط وغلبتهم على المنطقة التي عرفت بهم ، وتكوينهم دولة بعد أن كانوا أعراباً يعيشون عيشة ساذجة، تكمن في أسباب وأسس اقتصادية[1] فقد تمكن هؤلاء النبط الأذكياء من استغلال موقع بلادهم لمرور شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام بها ، ففرضوا ضرائب على التجار وعلى التجارة عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا أنفسهم بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشأم ومصر ومواضع من جزيرة العرب ، فدرّت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة الى غيرهم ممن يسكنون البوادي ، والمواقع المقفرة المنعزلة .

---

١ Die Araber, I, S., 288.

وقد كان ميناء (غزة) ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط . وهـو في الواقع ميناء كل التجار العرب ، إذ كان المرفأ الوحيد الذي ترفأ اليه تجارة العرب. وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط.، صاروا يشترون منه ما يرد عليـه من بضائع من موانىء البحر المتوسط ، ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب القادمين اليهم من الحجاز ومن العربية الجنوبية ومن أمـاكن أخرى من جزيرة العرب ، كما أنهم صاروا يشترون من التجار العرب ما عندهم من تجـارة ، ثم يحملونها الى ذلك الميناء لبيعه في أسواقه ، وبذلك حصلوا على أرباح من هـذه الوساطة في الاتجار .

وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العـرب ، في المكان الـذي عرف باسم (العربيـة الحجريـة) (Arabia Petraea) عند اليونان والرومان .

وأما أخبارنا عنها ، فستمدة من كتب الكلاسيكيين ، ومن مؤلفات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) (٣٧ — ١٠٠ بعد الميلاد). صاحب (Ioudaike Archaeologia) و (Periton Ioudaikon Polemon) [١] ، ومن كتابات عثر عليها في (العربية الحجرية) وفي الأخرى التي خضعت لحكمها وهي نبطية ولاتينية ويونانية . وعلى هذه الموارد يعول المؤرخ الحديث في تدوين تأريخ قوم كان لهم نفوذ وسلطان وصوت مسموع وكلمة،ثم اذا هم في الذاهبين (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[٢] .

وقد تضمن القسم الأكبر من كتابات النبط ، كتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أشير فيه الى المواضع التي عثر فيها على تلك الكتابات، والى السمات التي وسمت بها لتميز بعضها عن بعض . وأسهمت كتب أخرى بالطبـع في هذا المجهود العسير ، مجهود نشر الكتابات النبطية القديمة وغيرها ، ككتاب : (Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik) ، وكتـــاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum ، للعالم المعروف (مارك ليدزبارسكي)

---

١ Harvey, P. 228, A. R. Shilleto, The Works of Flavius Josephus in 5 Vols., (Bohn's Standard Library).

٢ سورة ال عمران : رقم ٣ ، الاية ١٤٠ .

(Mark Lidzbarski)، [1] وكتـاب : (A Text Book of North-Semitic Inscriptions) لـ (كوك) (G. A. Cooke) [2] وكتـاب (REP. EPIG) [3] ، وكتب أخرى سأشير اليها في أثناء الحديث ، يضاف اليهـا ما نشر في المجلات العلمية الاستشراقية كمجلة : (ZDMG) [4] وأمثالها .

أما لغة النصوص النبطية ، فلغة (بني إرم) [5] ، وأما خطها فبالقلم الإرمي، ولكنه (إرمي) مأخوذ من القلم الإرمي القديم ، وقد عـرف عند المستشرقـين بـ (القلم النبطي) تمييزاً له عن بقية الأقلام [6] . وأما المواضع التي عثر على هذه الكتابات فيها فهي عديدة ، منها (بطرا) و (الحجر) (Hegra) و (العلا) و (تيماء) و (خيبر) و (صيدا) (Sidon) و (دمشق) ومواضع متعددة من (حوران) ومن (اللجاة) [7] و (طور سيناء) والجوف واليمن ومصر وايطاليا وأماكن أخرى سترد أسماؤها في ثنايا هذا الفصل [8] .

وتختلف الكتابات النبطية القديمة ، من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف عن الكتابات النبطية المتأخرة المدوّنة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لا نجدها في النصوص الأخرى. وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت بمرور العصور على أشكال الحروف في مثل (التربيـع) والانفصال والاتصال وتقاربها و تباعدها من الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية ، وعلاقاتها بعضها ببعض [9] .

---

١ Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik nebst Ausgewählten Inschriften, Weimar, 1898, Ephemeris für Semitische Epigraphik, I, Giessen 1901, 11, 1903, III, 1912.

٢ G. A. Cooke, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions : Moabite, Hebrew, Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

٣ Repertoire D'Epigraphie Semitique.

٤ Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Geselschaft.

٥ (بنو ارم) ، الطبري (١/ ٢٢٠) (طبعة ليدن) .

٦ Lidzbarski Nord. Epig., I, S., 180.

٧ البلدان (٧/ ٣٢٣) .

٨ Musil, Deserta, P., 471, Lidzbarski, I, S., 121, 122.

٩ Lidzbarski, I, S., 121, 194.

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالمجموع . فهي لا تفيد المؤرخ إفادة مباشرة ، ولكنها تفيد الباحثين من غير شك في أمور أخرى ، نفيدهم في الدراسات اللغوية مثلاً ، فهي كنز لا يقدر بثمن من هذه الناحية . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وبساسة الحكومة أيام السلم أو الحرب ، فهي قليلة جداً – ويا للأسف – مع انها المادة الأساسية في كتابة التاريخ [١] .

والكتابات النبطية المؤرخة مثل الكتابات السامية الأخرى ، قليلة بالنسبة الى الكتابات الغفل من التأريخ . أما طرائق توريخ الحوادث عند النبط ، فكانت متعددة منها التوريخ بأيام الملوك كأن يذكر اسم الشهر الذي دوّن فيه النص ، ثم يذكر بعده عام التدوين ، فيقال مثلاً : (في شهر كذا من سنة كذا من حكم الملك ......) (بيرح ..... شنت ..... ملك نبطو .....) . وقد استعملت هذه الطريقة في أيام استقلال النبط خاصة . والتوريخ بسني حكم قياصرة (رومة) وذلك بذكر الشهر الذي دوّنت فيه الكتابة ، ثم السنة المصادفة من سني حكم القيصر الذي في أيامه جرى التدوين ، أو السنة المصادفة دون الاشارة الى اسم الشهر [٢] .

وقد عثر على كتابات مؤرخة بسني حكم (القناصل) ، وعلى كتابات أخرى أرخت بتقويم (بصرى) ، ومبدأه اليوم الثاني والعشرون من شهر (آذار) من سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، وقد أرخ به في كتابات (طور سيناء) كذلك [٣] . وظلت الأقسام الجنوبية من (الكورة العربية) تؤرخ به حتى بعد فصلها من هذه الكورة وإلحاقها بـ (كورة فلسطين) [٤] . وأرخ بالتقويم (السلوقي) ، وأوله

---

١ Lidzbarski, I, S., 163.

٢ Lidzbarski, I, S., 112, REP. EPIG., 128, I, II, P., 113, Euting, Sinai. Inschr., No : 457.

٣ Lidzbarski, I, S., 113, Euting 319, 457, 463, Berger, No : 1060.

٤ Provincia, III, S., 303.

اليوم الأول من شهر (تشرين الأول) (اكتوبر) من سنة (٣١٢) قبل الميلاد[1] .

وأرخ بأيام القيصر (بومبيوس) حيث اتخذت مبدأ لتقويم يبدأ بشهر (تشرين الأول) . (اكتوبر) من سنة (٦٣) قبل الميلاد ، أرّخ به في الكتابات وفي النقود[2] .

وأرخ في بعض الكتابات النبطية بتواريخ محلية كانت متعارفة عندهم مشهورة . كما فعل غيرهم في جزيرة العرب حيث أرخوا بالحوادث المحلية المهمة ، نظراً لما كان لها من شهرة بينهم . وقد تمكن العلماء من تشخيص بعض منها، ولم يتمكنوا من تشخيص بعض آخر . ومن الكتابات المؤرخة بتواريخ محلية كتابة عثر عليها في مدينة (فيليبوبولس) (Philippopolis) ، وقد أرخت بتقويم يبدأ بسنة (٢٤٨) تقريباً أو بين سنة (٢٤٧) وسنة (٢٤٩)[3] . ومدينة (شقا) (شقة) ، وقد أرخت في عدد من كتاباتها بسنة (٩٢) بعد الميلاد . ومدينة (Constantia) وهي (البراك) في (اللجاة) وفي عدد من الكتابات التي عثر عليها في موضع (شيخ مسكين) ، وهو (Maximinopolis) على رأي بعض الناس[4] .

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب، وان استعملوا الإرمية في كتاباتهم ، بدليل ان أسماءهم هي أسماء عربية خالصة، وانهم يشاركون العرب في عبادة الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز، مثل (ذي الشرى) و (اللات) و (العزى) ، وانهم رصعوا كتاباتهم الإرمية بكثير من الألفاظ العربية، وبدليل اطلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي (يوسفوس) كلمة (العرب) على النبط ، واطلاق اسم (Arabia Petraea) أي (العربية الحجرية) على أرضهم ، ولو لم يكن النبط عرباً ، لما أطلق (الكلاسيكيون) كلمة العرب عليهم ، ولما كانوا يدخلون بلادهم في ضمن العربية ويجعلونها جزءاً من أجزائها الثلاثة .

وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي الى

---

١ Berytus, Archeological Studies, Published by the Museum of Archeology of the American University of Beirut, Vol., I. American Press Beirut, 1934. P., 36.

٢ Provincia, III, S., 304.

٣ Provincia, III, S., 205.

٤ Provincia, III, S., 305, 306.

أعالي الحجاز فأقاموا بها. ثم سرعان ما استقروا وتحضروا وأقاموا يفلحون الأرض ويزرعونها ، فأقاموا لهم مستوطنات زراعية . واستقروا في المدن والقرى. محترفين بمختلف الحرف وفي طليعتها التجارة وبالاشتغال بالقوافل التجارية التي تنقل التجارة بين مختلف الأمكنة ، فجمعوا من ذلك مالاً وثراءً . وقد ذهب بعضهم الى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة[1] .

ولقد وجدنا طائفةً من العلماء تتنكر لهذا الرأي ولا تراه ، وترى في الألفاظ العربية الممزوجة في الإرمية بكثرة،وفي تشابه الأسماء واشتراكها بين النبط والعرب، أثراً من آثار الاختلاط والاتصال بحكم السكنى المشتركة والجوار ، ولا علاقة له بوحدة الجنس ، وترى لذلك أن النبط إرميون احتكوا بالعرب وتأثروا بهم ، أو أنهم إرميون استعربوا من بعد[2] .

أما ان النبط من بني (إرم) لأنهم كتبوا بلغتهم ، واستخدموا قلمهم، فهو قول مردود ، فقد كتب غير النبط ومن غير (بني إرم) بلغة (إرم) وبقلم (إرم) ، ولم يقل أحد من العلماء إن جميع من كتب بلغة الإرميين وبقلمهم هم من (بني إرم) حتماً . ولا يمكن أن يقال ذلك ، لأن الإرمية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . تغلبت على العبرانية مثلاً وزاحمتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والسواد الى نهاية القرن السابع بعد الميلاد ، فدوّنت بها كتب من (التركوم) والأدعية والشروح و (مجلة تعنيت) و (أنطيوغيوس) وغيرها من مؤلفات القرنين الثاني والأول قبل الميلاد[3] . وألفت بها فيم بعد الميلاد ، فلا عجب إذن إذا ما دوّن النبط أو غيرهم من العرب بالإرمية لغة الفكر والثقافة ، وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان[4] . وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون بألسنة أعجمية ، ويدوّنون باللسان العربي لسان العلم والفكر والقرآن .

---

١ Deities, P., 4.

٢ Kennedy, P., 34.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٨) .

٤ Ency. Bibli., P., 277, 282.

تلك هي آراء المستشرقين في أصل النبط . أما رأي أصحابنا الأخباريين فيهم فخلاصته ان النبط « جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ، سُمّوا بذلك لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء . وسُمّي أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأخلاطهم ... »[1] والعرب تنفر من النبط وتنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، واذا أراد أحدهم الاستهانة بأحد قال له « يا نبطي » . (وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر يا نبطي ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط ، يريد الجوار والدار دون الولادة)[2]. وورد في الأخبار : « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا »[3] . وضرب المثل في رطانة كلام النبط بالعربية وقبحه : « وقد قبح الكلام ، وصار على كلام النبط »[4] الى غير ذلك من كلام فيهم يشير الى ازدراء العرب بنبط العراق ، ونبط الشأم وبالنبط عامة .

وقد أشار المسعودي الى ان « من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ..» وقال في معرض حديثه عن أهل نينوى : « وكان أهل نينوى ممن سمّينا نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة » . وجعل النبط أهل بابل ، وملوك بابل هم ملوك النبط . وذكر أيضاً ان هنالك من يزعم ان النبط هم (نبيط بن ماش بن إرم ابن سام بن نوح)[5] . فيفهم من كلام (المسعودي) انه لم يكن على علم واضح بأصل أهل نينوى وبأصل أهل بابل ، فجعلهم من السريان ومن النبط. والمسعودي مثل بقية الأخباريين عني بالنبط المتكلمين بالإرمية (الآرامية) من أهل العراق . والسريانية كلمة حديثة عهد ، يراد بها لغة بني إرم ، أي (الإرمية) . ولا يرتقي اسم (السريان) (Syrians) على كل حال أكثر من خمسمئة سنة أو أربعمئة

---

١ تاج العروس (٥/٢٢٩) ، القاموس (٢/٣٨٧) ، اللسان (٩/٢٨٨ وما بعدها) ، البستان (٢/٣٥٠) .

٢ تاج العروس (٥/٢٣٠) .

٣ استعجم العرب في الموامي بعدك ، واستعرب النبيط
الاغاني (٥/٦١) ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ، القاهرة (١٩٥ م) (٢/١٨٩) .

٤ الاغاني (٥/١٦) .

٥ مروج الذهب (١/١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦) ، (طبعة المطبعة البهية) .

سنة قبل الميلاد . واما اطلاق اسم السريان علـى الإرميين الشرقيين ، اي إرميي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد . أطلق عـلى متنصرة الإرميين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين ،. فصار له مفهوم خاص ، وصارت كلمة (إرمي) (آرامي) تعني الصابىء والوثني أما كلمة (سرياني) فتعني النصراني حتى اليوم[1] .

أما (ماش) (Mash) ، فهو أحد أبناء (أرام) ذكر في (التكوين)، مع (عوص وحول وجاثر) بمعنى انهم اخوته[2] . ودعي (ماشاك) في (أخبار الأيام الأول)[3] . ويظن أنهم سكان (ماش) (ماشو) في النصوص الأشورية، أي بادية الشأم[4] . و (إرم) هو ابن (سام بن نوح) في التوراة[5] . وتتفق رواية (المسعودي) المأخوذة من أقوال أهل الكتاب ولا شك ، مع ما جاء في التوراة من أن (ماش) هو ابن (آرام) ، وهو (إرم) . وأما مـا ذكره على لسان غيره أو لسانــه من ان النبط هم (نبيط) وأن (نبيطاً) هو ابن (ماش) ، فهو قول لم يرد في التوراة . ولا يعرف العهد القديم شخصاً اسمه (نبيط بن ماش بن ارام) . ويقصد المسعودي من (نبيط) (نبـايوت) ، ولا شك و (نبايوت) هو الابن البكر لاسماعيل في التوراة[6] .

أمـا أنهم سموا نبطاً لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، أو لاستنباطهم الماء ، وإنباطهم الآبار ، وما شاكل ذلك من تفاسير وردت في معنى النبط[7] ، فهـو كلام كان يسمع في القديم . أما اليوم فلا يمكن أن يقام له وزن .

والنبط في عرف الباحثين هم (نبط) و (نبطو) في الكتابات[8] ، والكلمة

---

١ لمعرفة ما قيل في اصل لفظة (السريان) وتكونها ، راجع : (دليل الراغبين في لغة الارامبين) تأليف القس يعقوب أوجين حنا الكلداني ، طبع مطبعة ديــــر الاباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م (ص ٩ وما بعدها) .

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٠٧) الاصحاح الاول ، الاية ١٧ ،
Ency. Bibli., P., 2972

٤ Hastings, PP., 606.

٥ التكوين : الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ .

٦ التكوين : الاصحاح ٢٥ ، الاية ٣ ، اخبار الايــام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ٢٩ .

٧ ابن دريد : الاشتقاق (٢/٢٣٦) (طبعة وستنفلد) .

٨ (نبطو) ، CIS, II, I, II, P., 184, II, 157.

اسم علم ليس غير مثل سائر أسماء الأعلام ، لا علاقة له لا بالماء ولا باستنباط الماء . حار الأخباريون فيه فعالجوه على مألوف طريقتهم بإيجاد معان الأسماء ، وتعليلات وأسباب ، وظنوا انهم بهذا التعليل وجدوا سر التسمية ووقفوا عليه ، ولا سيما ان النبط زراع ، ولهم مياه غزيرة وعلم بالماء ، وان النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر اذا حفرت ، فقالوا : النبط من نبط ، فالمسألة اذن سهلة هينة . انهم سمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وهو الماء[1] .

وأشير الى النبط في حديث عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » ، أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط . وفي الحديث الآخر : « لا تنبّطوا في المدائن » أي لا تشبهوا بالنبط في سكناها واتخاذ العقار والملك . وورد ذكر النبط في خبر مرفوع الى ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ريّا ، قيل : ان ابراهيم الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها »[2] . وورد في حديث (عمرو بن معديكرب) حين سأله (عمر) عن (سعد بن أبي وقاص) ، فقال : « أعرابي في حبوته ، نبطي في جبوته » ، أراد انه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقاً بها ومهارة فيها، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها. وفي حديث أبي أوفى : « كنا نسلف نبيط أهل الشأم »[3] .

ويقال الآن في نجد للشعر العامي (الشعر النبطي) أو (شعر النبط)، ويرى الباحثون في هذا النوع من الشعر انه منسوب الى نبط العراق[4] . وعلى كل فإن لهذه التسمية علاقة باسم هذا الشعب العربي القديم الذي نتحدث عنه .

والنبط الذين قصدهم الأخباريون إذن ، هم قبط آخر لا نريدهم نحن في هذا الفصل ولا نقصدهم ، هم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم ، ومنهم مترسبات الإرميين في العراق والشأم ، وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام ، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غريبة

---

١ اللسان (٧/٤١١) (صادر) ، البستان (٢/٢٢٥٠) .
٢ اللسان (٧/٤١١) .
٣ اللسان (٧/٤١٢) .
٤ خالد بن محمد المفرج : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد . دمشق ١٩٥٢ م (ص : ط) ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي : صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ، القاهرة ، ١٩٥١ م (٢/١٨٩) .

ظاهرة . أما نبطنـــا ، فهم أصحاب كتابات مدوّنة بالإرمية ، وقد عاشوا في (العربية الحجرية) وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال ، كما عاش فرع آخر منهم في (تدمر) ، وسيأتي الحديث عنهم .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب الى قريش والى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بـ (العرب الجنوبيين) . والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام . وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وقد قلت إن من العلـماء من يرى أن قلمنا هذا مأخوذ من قلم النبط . يضاف الى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدوّنة بالإرمية ، هي عربية خالصة من نوع عربيـة القرآن الكريم . لهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب الى قريش والى العدنانيين على حدّ تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تبتعد أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين . أضف الى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن (نبايوت) وهو (نابت) أهل الأخبـار ، هو الابن الأكبر لأسماعيل ، واسماعيل في عرف النسّابين هو جدّ العرب العدنانيين .

وقد سبب تدوين النبط كتـاباتهم بالإرمية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن ، لأنه حرمنا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن في أشد الحاجة اليها ، لما لها من فائده في دراســة تطوّر اللهجات العربية واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والمراحل التي مرّت بها . وخاصة أننا لا نملك من النصوص العربية المدوّنة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

ويعد (ديودورس الصقلي) أقدم كاتب (كلاسيكي) تحدّث عن النبط . يليه (سترابون) ، فبقيــة (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعدهما . وفي تأريخ (يوسفوس) اليهودي المتوفى حوالي سنة (٩٥) بعد الميلاد ، أخبـار مفيدة عن النبط ، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار .

وقد تطرق (سترابون) الى أمور لم يتطرق لها (ديودورس) ، أخذها من صديق له اسمه (أثينودورس) (Athenodrous) ، وكان فيلسوفاً ولد بين النبط وعاش بينهم . وقد حدّثه هذا الفيلسوف ان عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء

من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا في نزاع وخصام بينهم. أما النبط فكانوا على صفاء ووئام ، يعيشون عيشة سلام وراحة[1] . ويتبين أثر اختلاط الغرباء بالنبط ، في الآثار الباقية وفي الكتابات اليونانية والرومانية التي عثر عليها في أرض النبط وعلى النقود .

وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت (دمشق) و (سهل البقاع) (بقأث هـ — لبنون) (Biq'ath Ha-Lebanon) (Coele Syria) ، والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران و (أدوم) (Idumaea) ، ومدين الى (ددن) (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً ان جماعة من النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلتا) النيل ، وقد تركت لنا عدداً من الكتابات[2] .

ولا يعرف الموطن الأصلي الذي جاء منه النبط على وجه التحقيق ، ولا الزمان الذي هاجروا فيه منه . ويظن بوجه عام انهم كانوا بدواً في الأصل من سكان البادية الواقعة شرق شرقي الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فنزلوا أرض (أدوم) وضايقوا الأدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختياراً أو كرهاً ، فسكنوا في المناطق الخصبة المشرفة على البحر المتوسط . وكان ذلك حوالي (٥٨٧) قبل الميلاد . ولا يعرف على وجه العموم في الزمن الحاضر شيء ما عن مبدأ تأريخ النبط[3].

ويرى بعض العلماء أن النبط هم (نبياطي) المذكورون في أخبار الملك (أشور بنبال) (Aschurbanipal) ، وهم أيضاً (نبايوت) (Nebojot) = (Nabatene) أولاد اسماعيل في التوراة[4] . وهم سكان أرض (Nabatene) [5] .

---

١ Sir Alexander B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London, 1925, P., 33.
وسيكون رمزه : Kennedy

٢ Ency., Vol. III, P. 801, Clermont Ganneau, Les Nabatiens en Egypte, in Recueil d'Arch. Or., VIII, 1924, PP. 229.

٣ Kennedy, P., 29.

٤ J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., IX, P. 121.
وسيكون رمزها : ENCY. RELIG.

٥ Iosephus Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, Col., I, P., 103, A. R. Shilleta. London, 1911, (Bell and Sons).

ويعارض هذا الرأي بعض آخر ، ولا يرى وجود صلة ما بين النبط و (نبياطي) أو (نبايوت)[1] . وأما النبط المذكورون في (المكابيين) ، فهم النبط جماعتنا الذين نتحدث عنهم الآن[2] .

وقد أطلق (يوسفوس) اسم (النبطية) (Nebaioth) على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتصل بحدود الشأم الى البحر الأحمر ، وهي من مناطق أولاد اسماعيل[3] . ويظهر من تأريخ (يوسفوس) أن مؤلف هذا التأريخ كان يرى وجود صلة بين اسم (نبايوت) وهو اسم ابن (يشمعيل) (اسماعيل) وبين اسم النبط ، والى هذا الرأي ذهب أيضاً (جيروم) (Jerome)[4] .

ومن أخبار (ديودورس) عنهم أن معظم بلادهم قفرة قليلة الماء والقسم المنبت منها قليل ، لذلك عاش سكانها عيشة أعرابية ، على الغزو ، وعلى التحرش بحدود جيرانهم ، لعلمهم أن من الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والالتحام بهم في البادية لقلة الماء ، وإلا تعرضت للتهلكة والموت عطشاً .

أما هم ، فلهم آبار مخفية ، وكهاريس أغلقت فتحاتها ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هي ؟ يشربون منها متى شاءوا ، ويأخذون منها ما يحتاجون اليه . وهم قوم يحبون الحرية ويقدسونها ، ويأبون الخضوع لحكم الغرباء . ولهذا لم يخضعوا لحكم الأشوريين أو الميديين أو الفرس أو لحكم ملوك المقدونيين ، مع ان هذه الدول أرادت استعبادهم فأرسلت عليهم جيوشاً قوية ، ولكنها لم تنجح في تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط[5] .

وقد ذكر عنهم انهم كانوا يجمعون المطر ويخزنونه في الصهاريج،التي لا يعرف مواقعها أحد غيرهم ، وانهم كانوا لا يذيقون ماشيتهم الماء الا في كل ثلاثة أيام ، حتى تتحمل عطش البادية وقلة مائها ، وبذلك تتعود هذه البوادي القاسية.

---

١ E. Schrader, K.L.T., S., 151.

٢ المكابيون الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ٢٥ ، الاصحاح التاسع ، الاية ٣٥ ، Hastings, P., 649.

٣ Josephus, Antiqu., I, 12, 4.

٤ Ency. Bibli., P., 3254.

٥ Diodorua, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I, S. 31, 284, J. Cantineau, Nabatéen et Arabe, I, in L'Inst. des Etudes Orient d'Alger, 1934-1935, 4.

أما الناس ، فكانوا يعيشون على اللحوم والحليب ، يضاف الى ذلك نوع من (الفلفل) ولب بعض الشجر ، حيث تخلط بالماء[1] .

وقد أخذ (ديودورس) أخباره عن النبط من مؤرخ قبله هو (Hieronymos of Cardia) = (Hieronymos of Kardia) ، ويعود خبره الى حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد ، اذ تحدث هذا المؤلف عن حملة (انطيغونس) (انتيكونس) (Antigonos) على القبائل العربية،فذكر (النبط) (Nabataioi) = (Nabatoioi) وأشار الى الحملة التي أرسلت عليهم[2] .

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط أنهم كانوا في بادىء أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل يتعاطون التجارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون (الاسفلت) من سواحله الشرقية فيحملونه الى مصر لبيعه الى المصريين[3] . وكانت لهم أماكن محصنة تحصيناً طبيعياً يلتجئون اليها فيصعب على العدوّ مباغتتهم ومهاجمتهم في هذه الحصون ، كما أن لهم علماً بصحاريهم وبمواضع الماء فيها ، يحتمون بها عند الحاجة ، ويتخلصون بذلك من تعقيب الجيوش . ويذكر أنهم جنوا أرباحاً كثيرةً من اتجارهم بالاسفلت ، إذ كان المصريون يشترونه منهم لاستعماله في (المومياء) ، ولهذا أقبلوا عليه اقبالاً كبيراً ، درّ على النبط ربحاً طيباً[4] .

وقد وصفوا بأنهم كانوا يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يزدرون السكنى في بيوت مستقرة ، وكانوا رعاة يربون الأغنام وبقية الماشية . إذا وجدوا غريباً بينهم قتلوه ، لأنهم كانوا يخشون أن يقعوا تحت حكم الأجانب فيفقدوا حريتهم[5] . ووصف (سترابو) النبط ، فقال : إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشتغل قوم منهم بالزراعة[6] .

لقد أظهر هؤلاء الرعاة مقدرة فائقة وكفاية لا تقدر في تكييف أنفسهم وفي

---

١ Diodorus, 19, 49, Die Araber, I, S., 32.

٢ Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, 1, 31.

٣ Ency., Vol., III, P., 801, Deities, P. 4.

٤ Die Araber, I, S., 34.

٥ Die Araber, I, S., 283.

٦ Dieties, P., 4.

أخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة . تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيهـا من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في (أدوم) ، واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشؤون الحيـاة . وأخذوا من (الهللينية) تنظيم المدن وأصول الادارة والفن وحولوا مدينتهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابلياتهم للمدنية . كما اقتبسوا من (الفرث) (Parthian) ما يلائمهم ويوائم حياتهم وحاجاتهم[١] . وضربوا النقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا وأثبتوا أن العربي كيفما كان أمره قابل للتطور والابداع والأخذ والاقتباس ، وأنه إذا هيئت له الظروف وأرشده المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً ، أفاد نفسه وقومه والبشرية خير افادة .

ومن النبط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشأم أو في بطرا الى اليمن ، وقد كانوا واسطة لنقل (الهيللينيـة) الى العرب الجنوبيين . وقد عثر في (خولان) من اليمن على رأس مصنوع من النحاس ، محفوظ الآن في المتحف البريطاني ، يشبه وجهه الوجوه المطبوعة على النقود النبطية المضروبة في القرن الأخير قبل الميلاد ، لذلك يرى الباحثون أنه من صادرات مملكة النبط الى اليمن ، وأنه من المصنوعات المتأثرة بالطابع (الهيلليني)[٢] .

ويحدثنا (ديودورس) ان (انطيغونس) (Antigonus) الذى خلف الاسكندر في سورية ، جرّد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندي من المشاة وستمئة فارس جعلها في قيادة صديقه (أثينيوس) (Athenaeus) ليجبرهم على التحالف معه وتأييد مصالحه . وأمره بمباغتتهم وسلب كل ما يمتلكون من ماشيـة . فسار القائد من مقاطعة (أدوم) (Idumaea) بكل حذر وتكتم لكيلا يعلم أحد من النبط به . وباغت الصخرة في منتصف الليـل ، فقتل من حاول المقاومـة وأسر خلقاً منهم ، وترك الجرحى ، واستولى عـلى ما وقعت عليـه يده من البخور والتوابل والطيب والفضة . ثم أمر قوته بالاسراع بالرجوع ، فلما قطعت مسافـة مئتي (اسطاديون) أضناها التعب ، ونهكها قطع الطريق ، فاضطرت الى قطع

---

١ M. Rostovtzeff, II, PP. 853.

٢ Rostovtzeff, II, P., 855, R. P. Hings, in British Museum Quarterly, XI, 1937, PP., 153, H. Shlobies, Forschungen und Fortschritte X, 1934, S., 242.

السير للاستراحة في معسكر أقامته . وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف ، فلم ينج من رجال الحملة الا خمسون فارساً هربوا بسلام بعد أن أثخن أكثرهم بالجراح . وكان ذلك كما يزعم (ديودورس) بسبب تهاون رجال الحملة بأمر الحراسة وعدم تصورهم ملاحقة النبط لهم ، وتمكنهم من الوصول الى هذا الموضع في خلال يومين أو ثلاث[1] .

وذكر (ديودورس) ان اليونان تخيّروا الوقت المناسب حينما باغتوا (الصخرة) فقد كان من عادة أهلها الذهاب الى أسواق مجاوريهم للامتيار ولمبادلة سلعهم بسلع يحتاجون اليها من جيرانهم، تاركين في صخرتهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم وعجزتهم وشيوخهم . ولم تكن الصخرة مع حصانتها ، مسوّرة ، فانتهز رجال الحملة هذه الفرصة ، وباغتوا الحصن على نحو ما ذكرت . فلما بلغ الخبر النبط، تركوا السوق وتراكضوا الى الصخرة ، وأسرعوا يتعقبون أثـــر اليونان حتى أدركوهم في ذلك الموضع ، فانتقموا منهم شر انتقام ، وعلموهم درساً لا ينسى ولا شك في وجوب اتخاذ الحذر والحيطة وتقدير كل أمر حقّ قدره مهما صغر وتفه، وقد تأتي التوافه بنتائج لا تأتي من عظائم الأمور . أما تأريخ ارسال هذه الحملة ، فكان في سنة (٣١٢) قبل الميلاد[2] .

وبعد انتقام النبط ممن حاول استرقاقهم ، عادوا الى الصخرة راضين مطمئنين، فنظموا أمورهم ، ثم كتبـوا الى الملك (انطيغونس) كتابــاً كتب بالأبجديــة السريانية يلومـون فيه (أثينيوس) (Athenaeus) على ما فعل بهم، ويعتذرون فيه عما بدر منهم ، ويحمّلون صاحبه وزر صنعه . وقـد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن بعلمه ورضاه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ولـذلك فهو يحمله وزره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبينه ، وأن ينسى مـا حدث ، وكان غرضه من هذا الكلام التأثير عليهم ، وجلبهم اليه ولو الى حين حتى يرى أمره ، فان أبوا ضرب ضربته . ونال ما أراد .

وبعد مدة هيأ قوة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعـة آلاف من الفرسان جعل قيادتها تحت إمرة ابنه (ديمتريوس) (Demetrius) ، للانتقــام

---

١ Die Araber, I, S., 33, J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 1932, II.

٢ Booth, P., Book, XIX, VI, Kennedy, PP., 30, Deities, P., Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P., 801, Die Araber, I, S., 33.

من النبط بأية طريقة كانت . فلما سمع النبط بقدومها ، أمنوا أموالهم في مواضع حصينة يصعب الوصول اليها ، ووضعوا عليها حراسة كافية ، وسلكوا طرقاً متعددة تؤدي بهم الى البادية . فلما وصل (ديمتريوس) الى (الصخرة) ، هاجمها بعنف وشدة ، غير أنه لم يفلح في اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجع بجيوشه قانعاً بالهدايا التي قدمت اليه[1] .

ويذكر (ديودورس) أن النبط كانوا قد لجأوا الى اتخاذ أماكن حراسة وضعوا فيها ُحرّاساً ، واجبهم تنبيه النبط حين تبدو ظاهرة خطر عليهم ، بإيقاد نيران في مواضع مرتفعة من تلك الأماكن ، تكون علامة على وجود الخطر . فلما ظهر (ديمتريوس) متجهاً نحو الصخرة ، أوقد الحُرّاس النار ، فهرب النبط الى مواضع أمينة من البادية ، وتخلصوا مع أموالهم منه ، لأنه خاف من ملاحقتهم لعدم تمكن جيشه من تعقب آثارهم ولخوفهم من ولوج البادية . وقد كان (المقدونيون) يخشون من دخولها[2] .

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة، واكتنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عمادطرق القوافل في ذلك الزمن اليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق الى مصر والشأم وغزة والمدن الفينيقية على البحر المتوسط ، واليها يصل طريق تجاري آخر مهم يصل الخليج بمدينة (بطرا). ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها في التجارة أقل من شأن عاصمة النبط ، وأعني بها مدينة جرها Gerrha على الخليج . فتحمل اليها تجارة الهند وما وراء الهند ، وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشأم ومصر وموانىء البحر المتوسط . وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم[3] . وقد اقتضى ذلك بالطبع وضع حرس قوي لحماية القوافل واجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور (الترانزيت) .

---

١ Booth, PP., 650, Book, XIX, VI, Kennedy, P., 31, Die Araber, I, S., 32.

٢ Diodorus, 19, 94, 6, 19, 2, Die Araber, I, S., 284.

٣ M. Rostovtzeff, The Social, II, P., 841.

وقد أدت سياسة البطالمة الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية الى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون في البحر الأحمر . فاضطر النبط الى التحرش بسفن البطالمة ومهاجمة السفن التي تتجه نحو مصر وبأخذ ما فيها ، فاضطر (بطلميوس الثاني) (٢٨٥ — ٢٤٦ قبل الميلاد) الى انشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية ، وقد ألحقت بهذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط[١] ، منعت النبط أمداً من التعرض لقوافل البطالمة ، غير ان النبط كانوا ينتهزون الفرص ، فلما انشغل (بطلميوس) بالحرب مع (سلوقيي) سورية عادوا الى مهاجمة سفن البطالمة والسفن الذاهبة أو الآيبة من مصر[٢] .

وألحقت سياسة (بطلميوس فيلادلفيوس) ومشروعاته الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارة البلاد الحارة، أضراراً خطيرة بالتجارة العربية ، أثرت تأثيراً سيئاً جداً في الوضع السياسي في جزيرة العرب . إذ أفقدت العرب السيطرة على البحر الأحمر وأوجدت لهم منافسين خطيرين نافسوهم في أسواق إفريقية والهند ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم ، بفضل ما أدخلوا على سفنهم من تحسينات فنية وابتكارات ، وما خصصوا بها من قوات لحمايتها من تعرض سفن العرب لها . وقد ابتنى (بطلميوس فيلادلفوس) مدينة (Berenice) على خليج العقبة (Atlantic Gulf) لحماية التجار والسفن من تعرض النبط . ولعلّ ميناء (امبلونه) (Ampelone) الذي أسسه تجار الروم في جزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر تجاه (العلا) على رأي بعضهم ، هو من المواضع التي أنشئت لهذه الغاية في هذا الزمن[٣] . وبإنشاء هذه المواضع سيطر اليونان على البحر والطريق التجاري القريب منه ، كما تمكّنوا من ضمان الحصول على حاجاتهم بشراء ما يريدون من حاصلات الجزيرة ومن بيع ما يريدون بيعه في هذه الموانىء أيضاً .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اقتفي أثرها من جاء بعد (بطلميوس فيلادلفوس) من الملوك والقياصرة ، مشاطرة تجار العرب أرباحهم العظيمة التي

---

١ Strabo, III, P., 204.

٢ Murry, The Rock City Petra, P., 80, Die Araber, I, S., 285.

٣ M. Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

كانوا يجنونها من الاتجار مع مصر والشأم . فلم يدخل في امكانهم وضع الأسعار كما يريدون ويشتهون كما كان ذلك سابقاً . إذ وضع سادة بلاد الشأم ومصر الجدد أسعاراً ثابتةً للبضائع العربية والهندية التي تصل الى بلادهم ، كما فرضوا عليها ضرائب معينة بحسب قوائم جديدة . وبذلك تحكموا في الأسعار التجارية العالمية ، وحرموا تجارة جزيرة العرب وسادتها من ملوك متاجرين وأسر غنية متنفذة ربحاً عظيماً ، وألحقوا بخزانتهم خسائر كبيرة . وكان من أثر هذه السياسة الصارمة هبوط الأسعار هبوطاً بيناً في الأسواق[1] .

وقد تمكن الباحثون في تأريخ النبط من ضبط أسماء جملة ملوك حكموا النبط. ولا نستطيع اليوم ذكر اسم أول من أسس مملكة النبط، ولا الزمن الذي أسست فيه تلك المملكة ولا الأسرة التي نسلت اولئك الملوك . وكل ما نستطيع قوله هو ان استقلال النبط كان قبل الميلاد ، واننا نعرف أسماء بضعة ملوك حكموا قبل الميلاد ، بصورة أكيدة لا مجال فيها لأي شك ، كما نعرف أسماء ملوك كان حكمهم بعد الميلاد .

ويكثر اسم (الحارث) (أرتاس) (ارتياس) (Aretas) = (Arethas) بين أسماء الملوك ، حتى لقد ذهب الظن ببعض الباحثين الى ان هذا الاسم هو لقب ، وانه في معنى (فرعون) بالنسبة الى ملوك مصر ، و (قيصر) بالنسبة الى ملوك الرومان والروم ، و (النجاشي) بالنسبة الى ملوك الحبشة، و(كسرى) بالنسبة الى ملوك الفرس ، و (تبع) بالنسبة الى ملوك اليمن[2] . أما الاسم الذي يليه في المرتبة فهو (عبادة) و (مالك) و (رب ال) (رب ايل) . وذهب بعض آخر الى ان لفظة (Aretas) هي اسم الأسرة الحاكمة التي حكمت النبط ، وانها من أصل (آرامي) هو (حرتت) (Charethath) [3] .

وفي الفصل الخامس من أسفار (المكابيين الثاني) ان (أرتاس) زعيم العرب طرد (ياسون) (Jason) من أرضه (فجعل يفر من مدينة الى مدينة والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتّال لأهل

---

١ Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

٢ The Bible Dictionary, Vol., I, P. 107.

٣ Hastings, P. 48.

وطنه حتى دحر الى مصر)[1] . ويظهر من هذه الآية ان الحارث كان قد طرد (ياسون) من أرضه ، وتغلب عليه ، وصار يتعقبه حتى هرب الى مصر . وكان (ياسون) قد اختلف مع أخيه (أونياس الثالث) (Onias III) في يهوذا على الكهانة العظمى . وقد حكم (أرتاس) أي (الحارث) المعروف بـ (حرثت) (حرتت) (حارثة) (Harithat) في الكتابة النبطية في حوالي سنة (١٦٩) قبل الميلاد . ونظراً الى انه أول ملك وصل اسمه الينا في الأخبار ، أطلق الباحثون عليه لقب (الأول) تمييزاً له عن بقية من جاء بعده حاملاً هذا الاسم[2] .

ويلاحظ أن الآية المذكورة لم تلقب (الحارث) بلقب (ملك) ، وإنما نعتته بـ (زعيم) ، أو بما شابه ذلك من معان ، هي دون درجة (ملك) . أما الموارد التأريخية ، فقد لقبته بلقب (ملك)[3] .

وقد وردت كلمة (النباطين) ، وهم النبط ، في موضع من الفصل الخامس من سفر المكابيين الأول ، وذكرت بعدها بجملة آيات كلمة (العرب) . وكان هؤلاء العرب يشدون أزر (تيموتاوس) الذي حارب (يهوذا المكابي) (يهوذا مكابيوس) (Judas Maccabaeus) (١٦١ ق. م.)[4] أما النبط فكانوا على وئام مع المكابيين: (يهوذا المكابي) وأخوه (يوناتان) وكانت صلاتهم بجيرانهم المكابيين حسنة . ويظهر من الآية التي ذكر فيها اسم (العرب) أن (تيموتاوس) وأنصاره كانوا قد استأجروا العرب للقتال معهم[5] . وأغلب الظن أن المراد بـ (العرب) . في هذه الآية هم جماعة من الأعراب .

وطلب (يوناثان) (المتوفى سنة ١٤٣ ق. م.) — الذي انتخب مكان أخيه يهوذا المكابي بعد مقتله — من النبط مساعدتهم ، أن يعيروه عدة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب (بكيديس) قتله . وأرسل (يوحنا أخاه في جماعة

---

١ المكابيون الثاني ، الفصل الخامس ، الاية ٨ .

٢ Ency. Bibli., Vol., 9, P. 121, 296.

٣ Die Araber, I, S. 290.

٤ Ency.. Vol., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, E. Schrader, KLT, S., 152, Ency. Bibli., P. 2853.

٥ المكابيون الاول ، الفصل الخامس ، الاية ٢٤ وما بعدها .

بقيادته يسأل النباطين أولياءه . أن يعيروهم عدتهم الوافرة)[1] ، فلما كان يوحنا في (ميدبا) (مأدبا) ، خرج عليه (بنو يمرى) وقبضوا عليـه وعلى كل من كان معه وذهبوا بالجميع[2] . ويظهر من ارسال (يوناثان) أخاه النبط ومن جملة (يسأل النباطين أولياءه) الواردة في (المكابين) أن علاقة المكابيين بالنبط كانت حسنة جداً ، وأن النبط كانوا إذ ذاك أقوياء أصحاب عدة وعتاد .

وأما (بنو يمري) Bene-Amri/Jambri الذين قتلـوا (يوحنا) شقيق (يوناثان) ، وهو المعروف بـ (يوحنا المكابي)[3] ، فقبيلة عربيـة يظهر ان منازلها كانت في (ميدبا) (مادبا) من أقدم مدن (مؤاب)[4] ، وهي تبعد ثمانية أميال الى الجنوب الشرقي من (حسبان) (Heshbon) و (١٤) ميلاً شرقي بحر (لوط)[5] ، وهي مدينة (Mydava) التي ذكرها (بطلميوس) وذكر أنها تقع في (العربية النبطيـة) (Arabia Petraea) و (اندبه)(Undaba) و (Ueddaba) لدى (أويسبيوس) و (Medaba) لدى (جيروم)[6] . وصارت في العصور المسيحيـة مركزاً لأسقف المقاطعة المعروفة باسم (المقاطعة العربيـة) (Provincia Arabia) . ولا نعرف في الزمن الحاضر شيئاً من أمـر هذه القبيلة (Bene Amri) . التي لا يستبعد أن يكون اسمها الصحيح (بنو عمرو) .

وذكر (يوسفوس) ان (يوناثان) وشقيقه (سمعان) (Simon) سمعا ان (بني عمرى) (Bene Amri) (Amaraeus) سيقيمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من مدينة (Gabatha) = (Gabbatha) ، وهي من أشراف العرب ؛ فقررا الانتقام من قتلة شقيقهما ، فذهبا مع قوة كبيرة ووضعا كميناً في (ميدابا) (مادبا) . فلما وصل الموكب ، خرج الكمين ، فسقط قتلى كثيرون ، وهرب من تمكن من النجاة الى الجبل[7] .

---

١ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الاية ٣٥ .
٢ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الاية ٣٦ ،
Dubnow, II, S., 79, Josephus, Antiqu., XIII, I, II.
٣ (يوحنا مكابيوس) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) .
٤ (مادبـا) ، Dubnow, II, S., 79.
٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) ، Ency. Bibli., P. 3002.
٦ Ency. Bibli., P. 3003.
٧ Josephus, Antiq., XIII, I, IV.

وحكم بعد (الحارث الأول) الملك (زيد ال) (زيد ايل) ، وذلك في حوالي السنة (١٤٦) قبل الميلاد . ثم الملك (الحارث الثاني) (حرتت) (حرثت)، الذي حكم حوالى سنة (١١٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى حوالي عام (٩٦) قبل الميلاد[١] .

ويرى (شرادر) أنه حكم حوالى سنة (١٣٩) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩٧) قبل الميلاد[٢] . ويرى بعض آخر أنه حكم حوالي سنة (١٢٠ ق.م.[٣]) ويظهر أنه كان يعرف بـ (ايروتيموس) (Erotimus) = (Herotimus) [٤] ويظن (شرادر) أنه هو الذي قصده (يوسفوس) حين ذكره في حوادث سنة (٩٧) قبل الميلاد[٥] .

وتوقف بعض آخر في تثبيت اسم من حكم بعد الحارث الأول ، فوضع فراغاً قدره بنحو نصف قرن ، ذكر أنه لا يدري من حكم فيه ، ثم وضع بعده اسم (الحارث) الثاني المعروف بـ (Erotimus II) ، وقد قدر حكمه فيما بين السنة (١٢٠) والسنة (٩٦) قبل الميلاد[٦] .

ولم تصل الينا أخبار واضحة أكيدة عن هذا (الحارث) . ويذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أهل (غزة) طلبوا منه العون والمساعدة ليتمكنوا من الثبات أمام محاصرة (اسكندر جنيوس) (Alexander Jannaeus) لمدينتهم ، غير أنه خيّب آمالهم ، فلم يساعدهم . وقد نعته هذا المؤرخ بـ (ملك) ، مما يدل على أن هذا اللقب صار لقباً رسمياً لحكام النبط في هذا العهد[٧] .

وذكر أن (ايروتيمس) (Erotimus = (Herotimus) (الحارث الثاني)، كان قد اهتبل فرصة ضعف الأوضاع في مصر وبلاد الشأم ، فهاجم بأولاده وبجنوده تلك الأرضين ، وغنم منها غنائم كثيرة ، فكوّن بذلك لنفسه وللعرب

١ Ency., III, P. 801, Ency. Relig. ,Vol., 9, P. 121.

٢ Schrader, KLT, S. 153.

٣ Die Araber, I, S., 290.

٤ Ency., III, P., 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٥ Schrader, KLT, S., 153.

٦ Deities, P. 540.

٧ Josephos, Ant., 13, 360, Die Araber, I, S., 290.

صيتاً بعيداً [1] .

وتبين للنبط على ما يظهر انهم اذا استمروا في تأييدهم ومساعداتهم للحسمونيين (Hasmoneans) المناضلين للخلاص من حكم السلوقيين السوريين ، ألحقوا أضراراً بمصالحهم الخاصة وبحكومتهم نفسها ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن والتوغل في مناطق النبط نفسها ، وانشاء حكومة قوية قد تزاحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فرأوا ان من الخير لهم ان يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا ان احتاج الأمر الى المقاومة . وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الملك المكابي (اسكندر جنيوس) (اسكندر ينيوس) (Alexander Jannaeus) (١٠٣ – ٧٦ قبل الميلاد) حيث وقعت حرب بينه وبين النبط بسبب الأردن [2] .

فلما تمكن الملك المكابي مستعيناً بجنود مرتزقة من اليونان ومن أهل آسية الصغرى ومن (المؤابيين) ومن (الجلعاديين) أهل (جلعاد) ، وهم من العرب كما يقول المؤرخ اليهودي (يوسفوس) [3] ، وأجبرهم على دفع الجزية اصطدم بمعارضة الملك (عبادة) (Obedas) الذي أعلن حرباً عليه ، كاد (اسكندر) يهلك فيها لولا الأقدار التي احتضنته ففر مسرعاً هارباً بنفسه الى القدس ، وبذلك كتب لنفسه السلامة والنجاة [4] .

إن (عبادة) (Obedas) = (Obodas) = (Obadath) هـذا الذي ذكره (يوسفوس) ، هو (عبادة) المعروف عند المؤرخين بـ (عبـادة الأول) تمييزاً له عن ملوك آخرين عرفوا بـ Obedas ، وقد حكم حوالي سنة تسعين قبل الميلاد [5] . وجعل (شرادر) حكمه في عام (٩٣) قبل الميلاد . وقـد ورد اسمه مضروباً على النقود [6] .

---

١ Die Araber, I, S. 290.

٢ The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 8, P. 79.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIII, 5, The Jewish War, Book, 1, IV, 3-4.

٤ Dubnow, II, S., 160, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, PP. 399.

٥ Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P. 801, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 409.

٦ Die Araber, I, S., 291, Schrader, KLT., S. 153.

لم ينعم (اسكندر جنيوس) (اسكندر يانيوس) بعد عودته الى القدس بأيام طيبة هادئة ، فلقد جوبـه بمعارضة قوية وبجماعة شديدة أخذت تعارض سياستـه وتقاومه ، ودبت الفتنة في كل مكان من مملكته وبلغ من حقد الجماعة عليه انها استدعت (ديمتريوس أويكروس) (Demetrius Eukarus III) المعروف بالثالث من بقايا حكام مملكة السلوقيين السوريين المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً [١] . وهكذا نجد الشعب اليهودي الذي استعاد استقلاله يعود الى طبيعته الأولى ، فينقسم على نفسه ، ويشعل نار حرب أهلية في مملكته ، ويفضل حكم الغرباء على حـكم أبنائه . ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً وخصمه قوياً وانه قد يتغلب عليه، وأن له في الجنوب خصماً آخر طموحاً أقوى من خصمه (ديمتريوس) وأعنف، رأى التودد الى العرب والتحبب اليهم ، فنزل لهم عن (موآب) و (جلعاد) وعن أماكن أخرى كان يخشى من احتمال انضمامها الى خصومه ، وقدمهـا إلى ملك النبط وتساهل في أمور أخرى ليأمن على ما تبقى من مملكته على الأقل[٢] .

وأما (ديمتريوس) الذي ترك (يهوذا) (Judaea) وارتحل عنهـا ، فقد ذهب الى (حلب) (Boroea) ، وانتصر على أخيه (فيليب) (Philip) [٣]. غير أن (ستراتو) (Strato) حليف (فيليب) وأحد حكّامه،أسرع فاستنجد في (Zizus) بسادات القبائل العربية وبالفرث (Parthians) ، فأنجدوه وساروا بقوّات كبيرة على (ديمتريوس) فانتصروا عليه[٤] .

وحكم بعد (عبادة الأول) ملك اسمه (رب ال) (Rabb'il) = (Rabilus)· يظهر أن حكمه كان حوالي السنة (٨٧) أو (٨٦) قبل الميـلاد . ويعرف عند المؤرخين بـ (رب ايل الأول) تمييزاً له عن عدد من الملوك حكموا بعده عرفوا باسم (رب ايل)[٥] . وقد عثر على كتابة وسمت بـ (CIS II, 349) [٦] ، مؤرخة في شهر (كسلو) وشهر (شمادا) (Schemada) في قراءة [٧] و (شمارة)

---

١ Dubnow, II, 160.

٢ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

٤ المصدر نفسه ·

٥ Ency., III, P. 801, Ency. Reli., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., 153.

٦ CIS, Pars, Secunda, Tomus, I, Fasculus Tertius, P. 306.

وسيكون رمزه : CIS

٧ Provincia Arabia, I, S., 312.

(شمرة) (Schamara) في قراءة أخرى[1] من سنــة (١٨) على قراءة[2] أو سنة (١٦) على قراءة أخرى من سني ملك اسمه (حرتت ملك) ، أي (حارث الملك) ، أو (الملك الحارث) بتعبير أصح . وقد دُوّنت هذه الكتابــة على قاعدة تمثال عثر عليه سنة (١٨٩٨م) عند (بطرا) (Petra) [3] دوّنت عليها :

« هذا تمثال رب ايـل ملك النبط بن .... ت ملك النبط عملها .... ب رحــيم (حيم) (نبى) (مجنى) الأقدم »[4] . فيظهر من هذه الكتابة ان تمثالاً أقيم للملك (رب ايل) عمل في السنة الثامنـة عشرة أو السادسة عشرة من سني ملك اسمه (حرتت) ، أي (الحارث) ، وان الذي عمل التمثال شخص لعب القدر ببعض حروف اسمه الأول ، فلم يبق منه الا الحرف الأخير ، وهو (ب) ، كما لعب في طمس معالم بعض الحروف الأخرى من الاسم، حمل الباحثين على الاختلاف في قراءتها .

أما اسم الملك وهو (رب ال ملك نبطو) ، فهو ظاهر واضح . وأما اسم أبيه الذي هو (ملك نبطو) أي ملك النبط ، فقد سقطت حروفه ولم يبق منه الا الحرف الأخير وهو (ت) ، لذلك اختلف فيه الباحثون ، فمنهم من قرأه (عبــدت) ، أي (عبادة) ، فجعــل لذلك (رب ايـل) ابناً له ، أي لـ (عبادة الأول) ، ومنهم من قرأه (حرتت) ، أي (الحارث) ، فجعل أباه ملكاً اسمه (الحارث)[5] .

ولا نعرف شيئاً يذكر من أعمال (رب ايل) . ولعل ما ذكره (اصطيفان البيزنطي) (Stephanos of Byzanz) نقــلاً عن (أورانيوس) من أن ملك العــرب المسمى (ربليوس) (Rabilus) = (Rabilos) قتــل (انتيغونس) (Antigonos) المقدوني في موضع يقال له (Matho) ، وهو قرية عربية ، أريد به الملك (رب ايل) الذي نتحدث عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان المراد

---

١ CIS, II, I, III, P. 306.

٢ Provincia Arabia, I, S., 312.

٣ Provincia Arabia, I, S., 312, Nr. 405, J. Cantineau, 2, I.

٤ CIS, II, I, III, P. 306, Provincia Arabia, I, S., 312, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archéol. Orientale, II, PP. 221, Syria, Tome, IV, 1923, P. 152.

٥ Die Araber, I, S., 295, Deities, P. 540.

من لفظة (موثو) (موتو) الموت ، وان المقصود موضع الموت أو قرية الموت، لما وقع فيها من موت ، فعرفت به[1] .

ولا نعلم من أمر (رب ايل) شيئاً يذكر ، والظاهر ان حكمه كان قصيراً، جعله بعضهم نحو سنة ، أي سنة (٨٧) قبل الميلاد ، ثم وضع بعده حكم (الحارث) المعروف بالثالث[2] . وهو من أشهر الملوك المتقدمين من النبط ، وأخباره أوضح من أخبار من تقدمه ممن ذكرت . وقد ذهب بعضهم الى احتمال كونه هو (اروتيموس) (Erotimus) المذكور في التواريخ اليونانية[3] . وذهب بعض الباحثين الى أن حكم الحارث كان من سنة (٨٥) حتى سنة (٦٠) قبل الميلاد ، أو من سنة (٨٧) حتى سنة (٦٢) قبل الميلاد[4] . وإذ صح أنه أدرك سنة (٦٢) أو (٦٠) قبل الميلاد ، يكون الرومان قد استعادوا مدينة دمشق في أيام هذا الملك ، إذ يرى كثير من المؤرخين أن (اللجيونات) الرومانية العاملة بإمرة القائدين (لوليوس) (Lollius) و (ميتيلوس) (Metellus) قد احتلت المدينة عام (٦٥) قبل الميلاد، ثم دخلها (بومبيوس) في سنة (٦٤) قبل الميلاد[5] . وذهب بعض الباحثين إلى أنه اضطر الى اخلاء (دمشق) سنة (٧٠) قبل الميلاد، إذ لم تستطع جيوشه الوقوف أمام جيش الملك الأرمني (تيكرانس) (Tigranes) التي زحفت على بلاد الشأم[6] .

وقد عرف الحارث الثالث بـ (فيلهيلن) (Philhellen) ، وهو لقب يوناني (Aretas Philhellene) ، معناه محب اليونان . وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملك النبط . فلما هاجمه (أنطيوخس الثاني عشر) (أنطيخس) (Antiochus XII) وأخذ يتوغل في أرض النبط ، أسرع (الحارث) فجمع قواته ووقف بحزم أمام القوات المهاجمة ، ثم اصطدم به عند موضع (Kana) (Cana) ، حيث قضى على معظم جيش (أنطيوخس) وألحقه مع من قتل بالعالم الآخر . وقد

---

١ Die Araber, I, S., 294.
٢ Die Araber, I, S., 291.
٣ Die Araber, I, S., 292.
٤ Schrader, KLT, S., Deities, P. 540.
٥ Ency. Bibli., P. 991, Deities, P. 540.
٦ Deities, P. 541.

وقعت هذه المعركة في سنة (٨٦) أو (٨٤ – ٨٣) قبل الميلاد[١] .

ويرى بعض الباحثين استناداً الى النقود التي ضربت باسم (أنطيوخس) ، بسنة (٨٧ – ٨٦) قبل الميلاد ، والتي استمر ضربها ثلاث أو أربع سنين ثم انقطعت أن نهاية هـذا الملك كانت بسنة (٨٥ – ٨٤) أو (٨٤ – ٨٣) ، وهي السنة التي قتل فيها ، وانتهت بانتصار (الحارث) عليه[٢] .

وقد مكن سقوط (أنطيوخس) في تلك المعركة النبط من تقوية أنفسهم ومن شد عزمهم ، فلما مات الملك (رب ايل) الأول سنة (٨٧) قبل الميلاد على بعض الآراء ، وتولى (الحارث) الثالث (حارثة) (Aretas) الحكم من بعده انتهز تلك الفرصة فاستولى سنة (٨٥ ق. م.) على دمشق ، وتوسعت بذلك رقعة مملكته وأحاطت بمملكة المكابيين من الشرق والجنوب[٣] .

وقد افتتح عهد (الحارث الثالث) باستيلائه على (دمشق) وعلى (سهل البقاع) (Koile-Syria) = (Coile-Syria) ، فقد استدعاه أهلها لانقاذهم من مهاجمة (اليطوريين) (Ituräer) لهم ، بقيادة ملكهم (بطلميوس بن منيوس) (Ptolemaios Mennaios) ، أي (بطلميوس بن معن) . وهو من أصل عربي أيضاً ، فأسرع اليها ، وكانت يومئذ قصبة (السلوقيين) ، فاستولى عليها ، ودخلت في جملة أملاكه[٤] ، ولقبه أهلها (محب اليونان وحاميهم) (Philhellen) ، لأنه أنقذهم من (غزو الأعراب) لهم[٥] .

الآن وقد أصبح (الحارث) ملكاً على مملكة واسعة الأطراف ، وتشرف على مملكة (يهوذا) المتداعية ، وبإمرته جيش قوي ، كان لا بد له من التداخل في

---

١ (Kana) (Cana) على ساحل البحر المتوسط عند (يافا) ، The Cambridge Ancient History, Vol., 9, P. 400, Josephus, Antiq., XIII, XV, I, Vol., 2, P. 428, The Jewish War, Book, I, IV, 7-8, Die Araber, I, S., 294, Dubnow, II, S., 163, Hastings, P. 147, Deities, P. 540.

٢ Die Araber, I, S., 294.

٣ Bernhard Stade, Geschichte des Volkes Israel, II, S., 504, Berlin, 1888, Deities, P. 540.

٤ Die Araber, I, S., 294, B. Stade, II, S., 405.

٥ Die Araber, I, S., 298, R. Dussaud, Penetration, 55, A. Kammerer, Petra et La Nabatene, 1929, I, 515, A. R. Bellinger, 78.

شؤون هذه الجماعات المتخاصمة المتنافرة التي تكوّن مملكة ، ولكنها لا تخضع لملك ولا لسلطان . واذا لم يتدخل هو بنفسه فإن الأحزاب اليهودية نفسها لا تتركه على الحياد . وهذا ما حدث . فغزا (الحارث) أرض يهوذا ، وفي معركة واحدة وقعت عند موضع (اديدا) (Addida) = (Adida) انهار الجيش اليهودي ، وتشتت شمله ، فلم يبق أمام (اسكندر ينيس) (Alexander Jannaeus) = Alexandros Iannaios) غير طلب الصلح ، فعقد الصالح ، وعاد النبط الى ديارهم الى حين[1] . ولم يشر المؤرخ (يوسفوس) الى محتويات معاهدة الصلح[2].

أما (Adida) = (Addida) المكان الذي وقعت فيه المعركة ، فهو (الحديثة) على مقربة من (اللد) (Ludda) ، المسماة أيضاً باسم (Diospolis)[3] ، وقد عرفت (Adida) باسم (حاديد) (Hadid) و (حديد) (Hadid) و (Aditha) [4].

لقد تمكن (الحارث) من بناء جيش يعتمد عليه في المعارك ، فبعد أن كان جيش النبط في بادىء أمره جماعات غزو غير منظمة ولا منسقة تهاجم عدوها وتباغته على طريقة الأعراب ثم تتراجع ، يسيّرها العُرف القبلي ، تحسّن جيش النبط بعض التحسن ، وأدخلت على القوات الراكبة بعض الاصلاحات ، غير انها بقيت مع ذلك متأثرة بروح البداوة ، التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر ، والتي لا تهتم الا بالغنائم ، فاذا حصلت عليها رجعت الى مواطنها دون تفكير في العاقبة . فلما استولى (الحارث) على دمشق ، وفيها عدد كبير من اليونان ، انضم بعضهم اليه ، فعملوا على تحسين جيشه وتدريبه ، وعلى تكوين جيش مدرب نظامي ، استعان به في تقوية مركزه حتى صار به من أقوى ملوك النبط الذين حكموا حتى أيامه ، مما حمله على التدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ثم على مجابهة الرومان ، وهم أصحاب جيوش منظمة مدربة ، بجيش لم يتعود دخول الحروب النظامية ، فتغلب الرومان من ثمّ عليه .

---

١ Josephus, XIII, XV, 2, Vol., II, P. 428, Dubnow, II, S., 163, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 400.

٢ Die Araber, I, S., 298.

٣ Hastings, P. 12, 324, Ency. Bibli., P. 1932.

٤ المكابيون الاول ، الفصل الثاني عشر ، الاية ٣٨ ، الفصل الثالث عشر ، الاية ١٣، Ency. Bibli., P. 65, 1932, Jerome, Onom., 93, Die Araber. I, S., 298.

فلما دبّ الخلاف بين الأخوين (أرسطوبولس) (Aristobolus) و(هركانوس) (Hyrcanus) ، ابني (اسكنـــدرة) (Alexandra) على الملك ، وانقسمت (يهوذا) إلى أحزاب وجماعـــات أبرزها جماعـــة (الفريسيين) (Pharisées) يؤيدون (هركانوس) وجماعة(الصدوقيين) (Sadducées) أنصار (أرسطوبولس)، وجمع (أرسطو بولس) حوله أنصاره وجيشاً من العرب ومن جنـود مرتزقة ، وتفوق على أخيه ، طلب (هركانوس) مساعدة النبط ، وبعث صديقه (انتيبطر) (انتيباطر) (Antipater) الى (بطرا) ليتوسط لدى (الحـارث) ، وكان صديقاً له ، في أمر مساعدة (هركانوس) وفي أمر الالتجاء اليـه . فلما نجحت الوساطة ، هرب من القدس ليلاً متجهاً الى النبط ، وطلب من الملك بإلحاح أن يعيده الى (يهوذا) ، وأن يأخذ له التاج من أخيه ، ويهبته في ملكه ، ويتعهد في مقابل هذه المساعدة بإعادة المدن الاثنتي عشرة التي أخـذها أبوه (اسكندر) من العرب ، وهي : (مادبا) (مأدبا) (Medaba) و (نبالو) (Naballo) و (ليبياس) (Libias) و (ثربسة) (Tharabasa و (اكله) (Agalla) و (اتونه) (Athone) و (زوره) (Zoara) و (اورونه) (Oronae) و (ريده) (Rydda) و (لوسه) (Lusa) و (اوريبه) (Oryba) و(مريسه) (Marissa) الى النبط . فوافق (الحارث) على هذه الشروط ، وهجم عـــلى (يهوذا) (٦٦ — ٦٥ ق. م.) بجيش قوامه خمسون ألف جندي راجل وفارس شتت شمـــل أصحاب (أرسطو بولس) وتركه وحده ، فهرب الى القـــدس . فتعقبه الحارث على رأس جيش عربي يهودي كبـــير ، وأحـكم عليه الحصار ، وكادت العاصمة تسقط في بديه لولا حدوث تطور سياسي عسكري خطـــير قلب الوضع ، ذلك هو هجوم الرومان فجأة في أيام (بومبيوس) على دمشق وسورية وهجوم قائدهم (سكورس) (Scaurus) على (يهوذا) وتدخله في هذا النزاع[1] .

لقد كان تقدم الرومان هذا في بلاد الشأم تهديداً صريحاً لليهود وللنبط ، أدى بعـــد قرون الى الاستيلاء التام على كـــل فلسطين والأردن وإلحاقها بالمستعمرات الرومانية . وقد كانت فاتحة ذلك تدخل الرومان في شؤون يهوذا ، وتوجيه انذار

---

١ Josephus, XIV, I, 4, II, 1-3, Dubnow, II, S., 172, Josephus, The Jewish War, 302.

تاريخ يوسفوس اليهودي ، المطبعة العلمية ، بيروت (ص ١١٥) .

الى (الحارث) بوجوب فك الحصار عن (القدس) والتراجع عن يهوذا مع جميع جيشه فوراً ان أراد أن تكون علاقاته بـ (رومة) حسنة ، والا عُدّ عدواً لها ومشاكساً . وقد أدرك (الحارث) ان جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة المنظمة المسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة الى أسلحة النبط . ففك الحصار ، وتراجع ومعه (هركانوس) ، فاغتنم (أرسطوبولس) الفرصة ، وكان قد اكتسب ثقة (سكوروس) قائد الرومان ، وتعقب المتراجعين في طريقهم الى (ربت — عمان) (فيلادلفيا) (عمان) ، فالتحم بهم في معركة عند موضع اسمه (بابيرون) (Papyron) ، فانتصر على (الحارث) وقتل ستة آلاف من أتباعه[1] .

وتعقدت الأمور ثانية بين الرومان والنبط ، وهدد (سكوروس) النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم ، وقرر الحارث في بادىء الأمر تحدّيه ، ثم وجد ان من المستحيل عليه الثبات له ، وتوسط (انتيباتر) فيما بينه وبين (سكوروس) بأن يدفع الحارث جعالة للرومان ، وتصالح بذلك معهم . وقد سرّ (بومبيوس) من هــذه النتيجة حتى انــه أمر بوضع صورة (الحارث) في موكب نصره ، كما سرّ (سكوروس) بذلك اذ أمر بضرب نقد ، صوّر الحارث عليه وقد أحنى رأسه راكعاً وحاملاً سعفة تعبيراً عن استسلامه له[2] .

لقد وقع كل ذلك في حوالي السنة (٦٢) قبل الميلاد ، السنة التي هلك فيها هذا الملك ، وذهبت بوفاته معه كل آماله وأحلامه في أن يكون وريث مملكــة السلوقيين في بلاد الشأم . ولعل النكسة التي وقعت له قد أثرت فيه فعجلت منيته.

وقد ورد اسم (الحارث) في كتابة عثر عليها في القسم المعروف بـ (المدراس) (المدرس) (Elmadras) من (بطـرا)[3] . و (المدراس) معبــد خصص بعبادة الإلـه (ذو الشرى) (Duschara) إلـه النبط الكبير . وقد دوّنها أحـد قواد الملك في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من حكم (حرتت) (Haritat)

---

١ Josephus, XIV, II, 1-3, Vol., 3, PP. 4, Dubnow, II, S., 176, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 382, Die Araber, I, S., 302.

٢ Die Araber, I, S., 303, J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient., 2, 1924, 237.

٣ Provincia Arabia, I, S., 209.

في مناسبة تقربه الى الإلـه (ذو الشرى) بصنم لخيره ولخير ملكه[1] .

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثاني)، حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو من سنة (٦٢) حتى سنة (٦٠) على رأي آخر[2] . ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد عثر على نقد من الفضة ضرب بأمره وهو من فئة الـ (دراخما) (Dirakhma) ، ضرب في السنة الثانيـة أو الثالثة من سني حكمه . وقد صوّر عليه وجه الملك حليقاً ، وشعر رأسه قصيراً[3] .

ويظهر من رواية أوردها المؤرخ (يوسفوس) أن القائد (A. Gabinius) ، انتصر على النبط في إحدى المعارك ، وأن النبط قد هزموا هزيمـةً منكرة . ولم يذكر اسم الملك الذي انتصر عليه هذا القائد . وإذا أخذنا برواية من يجعل هذا الانتصار في السنة (٥٥) قبل الميلاد[4] ، فمعنى هذا أن الملك المغلوب هو (عبادة الثاني) على رأي من يرى أنه حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو في أيام (مالك الأول) على رأي من يجعل ابتداء حكم هذا الملك من سنـة (٦٠) قبل الميلاد .

وحكم الملك (مالك) (Malichus) = (Malchus) المعروف بـ (الأول) بعد (عبادة الثاني) ، وهو ابنه ، من سنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) على رأي . ومن سنة (٥٠) أو حوالي السنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) قبل الميلاد على رأي آخر[5] وذهب بعض المؤرخين الى أن (مالكاً) كان قد حكم بعد (الحارث الثالث) ، وأن حكمه كان فيما بين السنة (٦٢) والسنة (٣٠) قبل الميلاد[6] .

وقد انجد النبط في أيام ملكهم (ملكوس) (مالكوس) (Malichus) ،

---

١ Provincia Arabia, I, S., 210, CIS, II, 442, Euting 16, Lagrange 56, Lagrange, Revue Biblique, VII, 1898, P. 165, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archeol. Orient., II, P. 379.

٢ اختلف في تاريخ حكمه ولبعض الباحثين رأي اخر ، راجع :
Ency., III, P. 801, Dillmann, Neue Petra-Forschungen, 1912, S., 99.

٣ Hill, P. XII, 3, PL., XLIX, 2, 3.

٤ Josephus, Antiqu., 14, 103, Jud., I, 178, Die Araber, I, S., 306.

٥ Hill. P. XIII, Ency. Relig. Vol., 9, P. 121, Ency., Vol., III, P. Schrader, KLT., S., 153.

٦ Deities, P. 541.

أي (مالك الأول) ، (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) سنة (٤٧) أو (٤٨) قبل الميلاد في حصاره لمدينة الاسكندرية ، فأمده بقوة من جيشه[1] . كما ساعده أيضاً عدد من سادات القبائل توسط في ارسالهم اليه (أنتيباطر) (Antipater) ، لعلهم من سادات قبائل طور سيناء[2] .

وكان (انتيباتر) قد تزوج امرأة عربية من أسرة كبيرة معروفة ، نجلت له أربعة أولاد وبنتاً ، وتمكن بهذا الزواج من تكوين صداقة متينة مع ملك العرب (النبط) كما يقول ذلك (يوسفوس) . ولما وقعت الحرب بينه وبين (ارسطوبولس) (Aristobulus) ، أرسل أولاده الى جدهم ملك العرب ليكونوا في مأمن هناك[3].

وكان لـ (بطرا) أثر مهم في الخصومات الشخصية التي وقعت في مملكة (يهوذا) أيام الملك (هركانوس بن اسكندر) ، هذه الخصومات التي أدت الى تدخل (الفرث) (Parthians) من جهة ، والى تدخل الرومان من جهة أخرى في شؤون مملكة يهوذا ، ولكل دولة مصلحة في هذا الجزء المهم من الشرق الأدنى ومطمع . وللدولتين أنصار وأعوان ، وطامعون في الملك يريدون المساعدة والمعونة للحصول على العرش.والطامعون في العرش والراغبون في الفتن والخصومات في (يهوذا) كثيرون . فلما بلغت جيوش الفرث حدود (القدس) ، بتحريض من (انطيغونس) ابن أخ (هركانوس)[4]،أسرع (هيرودوس) (Herodus) ابن القتيل (انتيباتر) الذي كان الحاكم الحقيقي في (يهوذا) ، وصاحب النفوذ في المملكة ، وصاحب الحظوة عند الرومان ، فهرب الى النبط ، الى ملكهم (مالك) (Malchus) في عاصمة (بطرا) ، يلتمس منه العون والمساعدة والمال على سبيل الهبة أو الدين لما كان لوالده القتيل من صداقة به ، ليرشو به من ينقذ حياة أخيه . فلما كان في طريقه الى بطرا وصلت رسل الملك تخبره أن الملك لن يتمكن من مقابلته ، وذلك بناءً على طلب ورجاء تقدم به الفرث اليه ، واتصل عندئذ بسادات قبائل عربية كانت لهم صلات وصداقة بوالده ، فلما رأى ذلك آثر

---

١ Deities, P. 541, Die Araber, I, S., 306.

٢ Josephus, Antiq., XIV, VIII, I, Vol., 3, P. 22.

٣ Josephus, The Jewish War, Book, I, VIII, 8.

٤ تأريخ يوسفوس (ص ١٤٦) (Antigonus)
Josephus, Antiqu., XIV, XIII, 3, Dubnow, II, S., 250.

الذهاب الى مصر ومنها الى ايطالية حيث كان له فيها أصدقاء ليساعدوه في الانتقام من قتلة أبيه[1] . والى هذا الملك ، أي ملك النبط (مالك) هرب (يوسف) (Joseph) شقيق (هيرودس) مع مئتي رجل من رجاله ، على أثر هجوم (انطيغونس) ، وحينما بلغه تغير رأيه بالنسبة الى (هيرودس) أخيه[2] .

وعاد (هيرودس) من (رومة) ملكاً ، لقد تفضل (أغسطس) و (أنطونيوس) ومشايخ الرومان عليه فنصبوه ملكاً على اليهود ، على مملكة يعين ملوكها الرومان أو الفرث . عاد بفضل الرومان ، فصار بالطبع آلة في أيدي سادة (رومة) . ولما نشبت الحرب بين (انطونيوس) و (أوكتافيوس) سنة (٣٢) قبل الميلاد انضم الى حزب (أنطونيوس) صاحب الفضل عليه . أما واجبه الذي كُلِّفَهُ ، فقد كان محاربة النبط ، الذين رفضوا دفع الجزية للرومان ، وأبوا الخضوع لهم ، واللذين أيدوا الفرث . ولما تمكن القائد (فنتديوس باسوس (Ventidus Bassus) من ضرب الفرث ومن انزال هزيمة بهم ، أصاب الضرر الملك (مالك) حليف (الفرث) فانتزعت منه بعض أملاكه . لذلك فرح (هيرودس) بهذا التكليف ، وشجعته على ذلك (كليوبطرة) ملكة مصر وصاحبة (أنطونيوس)، التي طلبت منه الاسراع في محاربة (ملك العرب) الذي أبى دفع الجزية لها ، وكانت تكره (هيرودس) وتريد هلاكه ان أمكن ، فأرادت بعملها هذا أن تقضي عليه ، أو أن تضعف من مركزه ومن مركز ملك العرب، بمحاربتهما بعضهما بعضاً فتتمكن من الملكين فيخضعان لها وتكون سيدة (العربية) . وبادر (هيرودس) بمحاربة النبط ، فالتقى بهم عند (اللد) (Diospolis) وانتصر عليهم ، ثم التحم بهم في (قنا) (Cana) (قنوات) (Canatha) في البقاع (Coele Syria) وكاد يتغلب عليهم لولا هجوم (أثنياوس) (Atheniaus) فتغيرت الحال ، وهاجمه النبط أيضاً فسقط عدد كبير من جيشه في ساحات القتال وأسروا من فرّ منهم الى (Ormiza) فاضطر عندئذ الى الرجوع الى (القدس)[3] .

---

١ Josephus, Antiq., XIV, XIV, 1-3, The Jewish War, I, XIII, 8, Book,, I, XIV, 1-2,

٢ Josephus, The Jewish War, Book, I, XV, I.

٣ تاريخ يوسفوس ص ١٦٨ وما بعدها) ،
Josephus, Antiq., XV, 110, 119, The Jewish War, I, XVIII, 4, 1-4, Die Araber, I, S., 306, 307.

وفي القدس أخذ (هيرودس) يحرض قومه على الانتقام من العرب ، والأخذ بالثأر ، ولا سيما بعد هجوم العرب على مملكته ومباغتة مدنه . فنشبت سلسلة من الحروب كلفت اليهود والعرب خسائر كبيرة ، اذ طالت الحروب ، ولم تنته الا بعد مشقة . ويدعي المؤرخ (يوسفوس) ان النصر كان في الخاتمة في جانب اليهود . فقد جمع (هيرودس) كل قواته وأعاد تنظيمها ، ثم عبر الأردن . ولما بلغ (عمان) (Philadelphia) التحم بالنبط ، فأنزل بهم خسائر كبيرة : إذ سقط منهم خمسة آلاف قتيل ، واستسلم منهم أربعة آلاف رجل كانوا قد تحصنوا في معسكر حصين ، ولكن أجبرهم العطش في الأخير على الاستسلام . كما قتل سبعة آلاف آخرون كانوا حاولوا الفرار من الحصار ، فتعقبهم اليهود وقتلوهم[1] . واضطر النبط عندئذ الى دفع الجزية الى (هيرودس) ، وعقدوا صلحاً معه ، ولم تخالفه العرب بعد ذلك[2] .

يقول (يوسفوس) : إن العرب كانوا يكرهون (هيرودس) وحاولوا الثورة عليه والانتقام منه حتى بعد عقد هذا الصلح . وقد كان في جملة من دفع الجزية اليه العرب الساكنون في (حوران) (Aurantitis) ، بحكم تبرع القيصر (أغسطس) بأرضهم له ، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية اليه أحياناً ، وكانوا يمتنعون من دفعها أحياناً ، أخرى ، ويحاولون التخلص منه . ولم تكن قوة (هيرودس) في الحقيقة هي التي جعلت هؤلاء الأعراب يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم ، إنما كانت قوة الرومان التي تسخرها أيد إدارية قوية تحسن التوجيه للبطش في القبائل المتعادية وفي سادات القبائل المتنافسين على الزعامة المتباغضين ، وفي العساكر المسخرين الذين أكرهوا على القتال ، ولم يكن لديهم علم بأسلوب القتال ولا بكيفية استخدام الأسلحة ، ولا عزم على الوقوف في وجه الخصم ، وليس لهم ضباط وقادة مجربون محنكون ، لهم هدف وطني وخبرة بأساليب القتال ، ولم يكونوا يرون في الفرار ما لا يتفق مع واجبهم العسكري .

ولا ندري متى كانت نهاية الملك (مالك) بعد هذه الخسائر التي حلت بالنبط . والظاهر انه لم يعمر بعدها طويلاً ، أو انه مات في أثنائها ، فإن المؤرخ (يوسفوس)

---

١ Josephus, Antiq., 15, 153, 157-158, Jewish War, I, 383, Die Araber, I, S. 306.

٢ تاريخ يوسفوس (ص ١٦٨ وما بعدها) ، Josephus, Antiq., XV, V, 1-5, The Jewish War, Book. I, XIX, 1-6.

الذي هو مرجعنا في أخبار هذه الحروب لم يشر اليه ولم يذكره في الغارة الانتقامية التي أغارها النبط على أسطول (كليوبطرة) عند موضع (Actium) التي أدت الى احراق السفن المتجمعة هناك[1] .

وقد خلف (عبادة) (Obodas) المعروف بالثاني عند بعض المؤرخين وبالثالث عند بعض آخر الملك (مالك الأول) . خلفه على الحكم سنة (٣٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩) قبل الميلاد . ويظن انه مات مسموماً سنة (٩ ق. م.) سمه وزيره ومستشاره (صالح) (Syllaeus) الذي قطع رأسه في (رومة) سنة (٥) قبل الميلاد[2] .

وفي أيام هذا الملك كانت حملة الرومان التي أرسلها (أغسطس) بقيادة (أوليوس غالوس) لفتح بلاد اليمن . وهي حملة أسهم فيها النبط بتقديم قوات لمساعدة الرومان ، كما أسهم فيها (هيرودس) ملك (يهوذا) بخمسمئة رجل يهودي ، ضمهم الرومان وسار بهم الى اليمن ، كما تحدثت عنها في كلامي على السبئيين .

ويصف (يوسفوس) (عبادة) بالضعف وفتور الهمة والكسل ، ووصف وزيره (صالح) (Syllaeus) بالقدرة والكفاية على صغر سنه . وانه لذلك كان هو المتصرف في الأمر والمدير لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي . وكان صديقاً لـ (هيرودس) يزوره وينزل عليه . وكاد يتزوج أخته لولا اختلاف الدين ، ورفض (Syllaeus) الدخول في الديانة اليهودية ليسمح له بالزواج[3] .

وقد انقلبت المودة التي كانت بين (هيرودس) و (صالح) (Syllaeus) عداوة شديدة ، فسعى (صالح) حين ذهب الى (رومة) لاثارة حفيظة (أغسطس) على (هيرودس) بسبب الحملات العسكرية التي قام بها على أرض (اللجاة) (Trachonites)[4] ، وعلى العرب الذين آووا أهل (اللجاة) وساعدوهم . فلما

---

١ Dio., 51, 7, I, Zon., 10, 30, Plutarch, Anti., 69, Die Araber, I, S., 307.

٢ Deities, P. 541, Ency., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Die Araber, I, S., 286.

٣ Josephus, Antiq., XVI, VII. 6, The Jewish War, Book, I, XXVII, I, XXIII, 6.

٤ واللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة يشملها هذا الاسم ، البلدان (٣/٣٢٣) ، Josephus, Vol., 3, P. 186, Note : I, The Jewish War, Book, I, XXIV, 6, Antiq., XVI, IX, I-4.

ذهب (هيرودس) الى (رومة) ليرفع شكايته عن ابنه (اسكندر) الى القيصر، والتماسه من القيصر شمول ابنه الآخر (انتيباتر) بالعطف والحماية ، انتهز أهل اللجاة (Trachonites) فرصة غيابه فأعلنوا الثورة وهاجموا الحدود ، وعادوا الى الغزو ، وكان (هيرودس) قد منعهم منه ، وضرب على أيديهم بشدة . فلما تعقبهم وكلاء (هيرودس) وقتلوا خلقاً منهم ، هرب عدد من رؤسائهم الى النبط واحتموا بهم . ولما عاد (هيرودس) أراد الانتقام منهم، فطلب الاذن من حكام سورية الرومان بتأديبهم والموافقة على ارسال قواته الى المقاطعة لمقاتلتهم. ورجا من (عبادة) ومن وزيره (صالح) اجلاء رؤساء أهل (اللجاة) عن أرض النبط وعدم حمايتهم . فلما رفضا ذلك ، طلب من (صالح) اعادة المال الذي اقترضه منه (عبادة) بوساطته . ولما لم تثمر المفاوضات شيئاً ، هجمت قوات (هيرودس) على المناطق التي التجأ اليها الهاربون من أهل (اللجاة) ، فاستولت على (Raipta) معقلهم وهدمته . فلما سمع النبط بذلك ، بادرت جماعة منهم برئاسة قائد يدعى (Nacebus) لمساعدتهم ، فاصطدمت بجنود (هيرودس) وسقط (Nacebus) مع زهاء عشرين رجلاً من أتباعه قتلى في هذه المعركة . ثم أمر (هيرودس) بإسكان الأدوميين في (اللجاة) ، وكتب بذلك الى حاكم (فينيقية) يبين له الأسباب التي حملته على ارسال هذه الحملة على (التراخونيين) أهل اللجاة . ويدعي (يوسفوس) ان (Syllaeus) استغل فرصة وجوده في (رومة) وذهب الى القيصر شاكياً من العمل الذي قام به (هيرودس) ووشى به كثيراً ، فغضب عليه (أغسطس)[1] . غير ان القيصر بدّل رأيه في (صالح) حين اطلع على الخبر الصحيح ، ولما بلغته أخبار وفاة الملك (عبادة) وانتقال العرش الى (Aeneas) الذي غيّر اسمه حينما تولى الملك ودعا نفسه (Aretas) على عادة أكثر ملوك النبط دون أن يكتب ملك النبط اليه ويخبره بالحدث ، فغضب على (صالح) وأمر بمعاقبته[2] . ويدعي (يوسفوس) ان الملك الجديد كان مبغضاً لـ (صالح) ، لأنه كان يعتقد انه كان نفسه يطمع في الملك لما كان له من نفوذ ومال ، وانه كتب الى (أغسطس) يخبره بأنه سمّ (عبادة) الملك

---

١ Josephus, Antiqu., XVI, IX, 1-4.

٢ Josephus, Antiq., XVI, IX, 4, X, 8.

السابق ، وانه قتل عددا من أشراف المملكة في (بطرا)، من بينهم (Sohemus) السيد النبيل ، الذي يحترمه قومه ويجلونه،وانه قتل (Fabatus) خادم (أغسطس) وفعل أموراً أخرى منكرة تستوجب العقاب[1] .

أما (Nacebus) الذي قتل في معركة (Raipta) ،وهو في موضع في العربية ، فكان صديقاً لـ (Syllaeus) ومن أبناء عشيرته . ويخيل إليّ أن كلمة (Nacebus) ليست علماً لقائد الحملة ، وإنما هي درجة ومنزلة ، وأن معناها (نقيب) ، وهي درجة من درجات الجيش ؛ ولكني لا استبعد كونها إسماً حرف في اليونانية حتى صار على الشكل المذكور ، وأن الأصل هو (نقيب) أو (نسيب) أو (نجيب) أو ما شاكل ذلك من أسماء . وأما (Sohemus) ، فهو اسم علم قد يكون (سخيماً) أو (سحيماً) أو (سهيماً) ، وكلها أسماء معروفة في الجاهلية .

وقد أشار (موسل) الى رواية ذكرها (أورانيوس) (Uranius) و(اصطيفان البيزنطي) عن تأسيس مدينة (Auara) في أيام الملك (عبادة) ، خلاصتها أن (حارثة) (Aretas) ابن الملك حلم أن والده سينشيء مدينة ، وأن هذه المدينة هي (Auara) من كلمة (حوراء) أي (البيضاء) . فلما قص (حارثة) حلمه على والده ، أخذ يفتش عن موضع أبيض ينشيء عليه المدينة ، وبينما كان يفتش عن هذا الموضع تراءى له شبح رجل أبيض على جمل أبيض استخفى فجأة. فلما دنا من مكان الشبح ، وجد بقايا شجرة ذات عروق ممتدة ، فأمر أن يكون موضع (حوراء) (Auara)[2] .

ويرى (موسل) ان هذه المدينة هي (الحميمة)[3] ، وهي أيضاً (Auara) التي ذكرها (بطلميوس) وتقع في (العربيــة الحجرية) (Arabia Petraea) على الطريق بين (أيلة) و (بطرا)[4]،وأن الملك المقصود هو (عبادة الأول). وأما الوقت ، فكان في حوالي سنة (٩٣) قبل الميلاد . وقد ذكرت أنه حكم على

---

١ Josephus, Antiq., XVII, IV, 2.

٢ Musil, Hegaz, P. 59, Note 20, Uranius, Arabica, (Müller, Fragmenta), Vol., 4, P. 523, Stephen of Byzantium, Ethnica, (Meineke), Vol., 1, P. 144.

٣ البلدان (٣/٣٤٦) .

٤ Musil, Hegaz, P. 60, Tabula Paulingeriana, Sheet, 8 (Vienna), 1888.

رأي أكثر الباحثين حوالي سنة (٩٠) قبل الميلاد . وأرى أن (Obadas) الذي ذكر (أورانيوس) و (اصطيفانوس البيزنطي) أنــه كان صاحب ولد اسمه (حارثة) (Areta) ، هو (عبادة) الثالث ، فقد كان صاحب ولد اسمــه (حارثة) وهو المعروف عندنا بـ (Aretas) الرابع . أمـا (عبادة) ، فالذي خلفه هو (رب ايل) ، لذلك يكون (عبادة) الثالث الذي نتحدث عنه أكثر ملاءمة لرواية المؤرخين من (عبادة الأول) .

وحكم بعد (عبادة الثالث) الملك (الحارث) (حرتت) (Aretas) المعروف بـ (الرابع) والملقب بـ (راحم عمه) (Philopatris) وبـ (ملك النبط)[١]. وقد حكم من حوالي سنة (٩) قبل الميلاد حتى حوالي سنة (٤٠) بعــد الميلاد . وورد اسمه في عدد من الكتـابات ، منهـا النصوص المرقة بـ (CIS 11, 160) و (CIS II, 197-217) و (CIS II, 354) . أما الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 160) فقد أرخت بالعام الخامس من حكمه ، أي سنة (٤) قبل الميلاد[٢] ، وقــد ورد فيها اسم الإلـه (دوشرا) أي (ذو الشرى)[٣] .

وأما النص الموسوم بـ (CIS 11, 197) ، فأرخ بشهر نيسان من السنة التاسعة من حكم (حرتت) (الحارث) ، (بيرح نيسن شتت تشع لحرثت ملك نبطو)[٤]، أي في السنة الأولى للميلاد ، وورد فيه أسماء الآلهة : (دو شرا) (ذو الشرى)، و (منوتو) (مناة) (Manutu) و (قيشح)[٥]. وقد ذكرت في هذا النص بعد جملة : (لحرثت ملك نبطو .....) جملة (رحم عمـه) ، أي (محب شعبه) ، وهي من النعوت التي ظهرت في الكتابات في هذا العهد .

وأرخ بأيام صاحبنا (حرثت) (الحارث) النص المعروف بـ (CIS 11, 198) وهو أيضاً من النصوص التي عثر عليها في (الحجر)[٦] . ويعود عهده الى شهر

---

١ Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٢ Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., Provincia Arabia, I, S., 152, Die Araber, I, S., 304.

٣ CIS II, 160, M. A. Levy, In ZDMG., 1869, XXIII, P. 435.

٤ CIS II, I, II, PP. 223, CIS Il, P. 194, 4, 197.

٥ CIS II, 197, 5, Huber, 29, Euting 2.

٦ CIS II, I, II, P. 224. Douthy 2, Euting 3.

(طبت) من السنة التاسعة من حكم هذا الملك ، أي الى السنة الأولى للميلاد[1] .
وقد وردت فيه بعض الأسماء ، مثل (كمكم) (كمكام) و (ودلت) و (ودّلات) و (حرم) (حرام) و (كلبت) (كلبة) (كليبت) (كليبة) و (وهب اللات) و (عبد عبادة) . وأسماء الآلهة : (دوشرا) و (هبلو) و (هبل) و (منوتو) (مناة) و (اللت) (اللات) .

أما النص (CIS 11, 199) ، فقد كتب في شهر (شباط) من السنة الثالثة عشرة من سني حكم (الحارث) (حرثت) وهي السنة الرابعة بعد الميلاد[2] . وقد أرخت بقية النصوص من (CIS 11,200) حتى (CIS 11, 217) بسني (الحارث) كذلك ، وهي تفيد مثل غيرها فائدة كبيرة من حيث تتبع تأريخ الأسماء،فوردت فيها أسماء كثيرة مثل (كهلن) (كهلان) و (وعلن) (وعلان) و(سعد الله) و (مرت) (مرة) و (سكينت) (سكينه) و (حميد) و (حوشب) و (خلف) و (قين) و (جلهمة) و (تيم الله) و (عميرت) (عميرة) و (وهب) وأمثالها مما كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام[3] .

وذكرت في الكتابة (CIS 11, 354) مع اسم (الحارث) أسماء (شقيلت) (شقيلة) ملكة النبط و (مالك) و (عبادت) (عبادة) و (رب ال) (رب ايل). وقد دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك ، وهي سنة عشرين بعد الميلاد ، وذلك عند صنع صنم يوضع في معبد (بطمون) . ويلاحظ ان معظم المقابر الكبيرة التي عثر عليها في (الحجر) هي من السنين الأخيرة من حكم (الحارث)[4] .

والى هذا الملك يرجع النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 54) ويرجع تأريخه الى السنة الثالثة والأربعين من حكم (الحارث) ، وقد دعي فيه بـ (محب شعبه) (رحم عمه) (رحيم عمه) كما ذكر فيه اسم زوجته (شقيلة)[5] . وكذلك

---

١ CIS II, I, II, P. 226.

٢ CIS II, 199, Huber 30, Euting 4, CIS II, I, 11, P. 227.

٣ CIS II, I, II, P. 229.

٤ CIS II, 354, Euting 47, Cooke, North-Semitic Inscriptions, PP. 244, Provincia Arabia, I, S., 283.

٥ REP. EPIG., I, II, P. 44.

النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 1103) المكتوب في سنة (٤٠) من حكم (الحارث) ، أي سنة (٣١) للميلاد ، وهو من النصوص التي عثر عليها في (مدائن صالح)[١] .

وأرخ بحكم هذا الملك النص (REP. EPIG. 674) ، وهو شاهد قبر من مدينة (مأدبا) يرجع تأريخه الى سنة (٣٧) بعد الميلاد[٢] .

و (الحارث) (Aretas) الذي أمد القائد الروماني (واروس) (فاروس) (Varus) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على (يهوذا) ، هو (الحارث) الرابع الذي نتحدث عنه ، فعل ذلك كما يقول (يوسفوس) انتقاماً من (هيرودس) وتقرباً الى الرومان . وبعد أن استولى (فاروس) على مدن عدة وهو ذاهب الى القدس ، منها مدينة (عكا) (Ptolemais)[٣] (Acco) ، اتجه نحو (الجليل) (Galilée) ثم السامرة فالقدس . أما القوات العربية ، فقد سارت الى مدينة (Arus) فأحرقتها ثم سارت الى مدينة (Sampho) وهي مدينة محصنة جداً فاستولت عليها وأحرقتها ، واستولت على أماكن أخرى . حدث ذلك حوالي سنة (٤) قبل الميلاد[٤] .

واصطدم النبط باليهود في أيام القيصر (طيباريوس)[٥] و (هيرودس) ملك (يهوذا) المعروف بـ (هيرود انتيباس) (Herodes Antipas)[٦] ، وذلك في سنة (٣٦) بعد الميلاد[٧] ، بسبب زواج (هيرودس) من زوج أخيه على زوجه الأولى ، وهي ابنة (الحارث) (حرثت) . وبسبب اختلافهما على حدود منطقة (Gamalites) ، فجرت حروب بين الطرفين انتهت بانتصار (الحارث) على خصمه انتصاراً كبيراً في (جلعاد) (Gilead) وبتشتيت شمل جيوشه ، فاستنجد (هيرودس) بسيده وحاميه القيصر (طيباريوس) ، فغضب القيصر وكتب الى

---

١ REP. EPIG., II, III, P. 377.

٢ REP. EPIG., II, I, P. 101, CIS, II, 196.

٣ Josephus, Antiq., Vol., 3, P. 253, (Bohn's Standard) Library), XVII, X, 9.

٤ Dubnow, II, S., 302.

٥ (طيباريوس بن اغوسطوس) ، الطبري (١/ ٧٤١ ، ٧٤٤) ، (طبعة ليدن) .

٦ Dubnow, II, S., 381, Josephus, 3, P. 283.

٧ Dubnow, II, S., 384, The Bible Dictionary, I, P 107.

عامله على سورية (فيتليوس) (Vitellius) ان يسير فوراً بجيشه لمحاربة (الحارث) والقبض عليه حياً وارساله مكبلاً بالسلاسل الى (رومة) أو ارسال رأسه اليه إن قتل[1] . وبينما كان العامل يهم بالزحف على مملكة النبط وتنفيذ أمر القيصر ، جاءته الأخبار بوفاة (طيباريوس) سنة (٣٧) بعد الميلاد فتوقف عن الحرب ، وقرر الرجوع الى مكانه . وساء موقف (هيرودس) ثم نحّاه الرومان عن عرشه ونفوه الى (اسبانية) ، حيث مات هناك[2] .

ويظهر من رسالة (بولس) الرسول الثانية الى أهل (كورنتوس) ان (دمشق) كانت في أيدي ملك اسمه (الحارث) ، وانه همّ بالقبض عليه ، غير انه هرب ونجا منه . قال : « في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينـــة الدمشقيين يريد أن يمسكني ، فتدليت من طاقة في زنبيـل من السور ونجوت من يديه »[3] . ونرى (بولس الرسول) أيضاً في رسالته الى أهـل (غلاطية) وفي حديثه عن نفسه وعن كيفية اهتدائه الى ديانة المسيح ، يقول : « ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت الى العربيـة ، ثم رجعت أيضاً الى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً »[4] . فهو يذكر هنا العربية وبعدها دمشق . فهل أراد بالعربية البادية ؟ أو أراد بها عربية النبط ، وانه من عربية النبط أو البادية عاد الى دمشق ؟.

والرأي الراجح بين علماء العهد الجديـــد ، هو أن (الحارث) الـذي قصده (بولس الرسول) هو هذا (الحارث) ، أي (الحارث) الرابع ، وأما الوقت الذي استولى فيه (الحارث) على دمشق ، فقد كان في حوالي سنة (٣٧) بعـد الميلاد ، وذلك عـــلى أثر الحرب التي شنها على (هيرود انتيباس) ، وتدخل

---

١ انجيل مرقس ، الاصحاح السادس ، الاية ١٧ ومـــا بعدها تاريـــخ يوسيفوس (ص ٢١٣) ، .Josephus, Antiq., XVIII, V, I, 4

٢ Josephus, Antiq., XVIII, V, I, Dubnow, II, S., 384.
Josephus, Antiq., V, 3.
تاريخ يوسيفوس ص (٢١٤ وما بعدها) .

٣ رسالة بولس الرسول الثانية الى اهل كورنتوس ، الاصحاح الحادي عشـــر ، الاية ٣٢ وما بعدها .

٤ رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ وما بعدها ، N. Gluck, Deities and Dolphins, P. 542, The Story of the Nabataeans, New York, 1965.

(طيباريوس) في الموضوع[1] . ويظهر أن تدخل الرومان هذا أثار غضب (الحارث) عليهم ، فسار بعد انتصاره على (يهوذا) الى (دمشق) فاستولى عليها وأعادها بذلك مدة لا نعلم طولها الى مملكة النبط . ويتخذ هؤلاء من وجود فجوة في النقود الرومانية الدمشقية ، تبدأ بسنة (٣٤) بعـد الميلاد وتنتهي بسنة (٦٢ — ٦٣) بعد الميلاد دليلاً على صحة نظريتهم في أن المدينة تحررت في خلال هذه الفجوة من حكم الرومان ودخلت في حكم النبط ، ولهذا السبب حدثت هذه الفترة في ضرب النقود الرومانية في الشأم[2] .

وفي أيام هذا الملك دُوِّنت الكتابة المعروفة بـ (REP. EPIG. 1108) ، وهي من الكتابات المدوَّنة في (الحجر) (Hegra) ، أي (مدائن صالح) ، دوِّنت في السنة (٣٨) للميلاد.وفي جملة الأسماء المذكورة في هذا النص اسم (غبدعدلون) أي (عبد عدنان)[3] .

وقد عثر على كتابة قبرية مؤرخة بالتقويم السلوقي من سنة (٤ — ٥) قبل الميلاد ، وهي أيام حـكم (الحارث) الرابع ، صاحبها رجل اسمه (قصي بن تعجلة) ، ولم يشر في الكتابة الى حـكم ملك النبط الذي في أيامه دونت هذه الكتابة . ويرى (ليتمان) أن الذي حمل (قصيّ) على إغفال الاشارة الى اسم الملك هـو أن القيصر (أغسطس) كان قـد فوّض أمر (Trachonitis) و (Batanaea) (Auranitis) في عـام (٢٣) قبل الميلاد الى ملك (يهوذا) (هيرودس) (Herodes) ، وقد كان صاحب الكتابة من سكان هذه الأرضين، فلم يؤرخ بسني حكم ملك النبط الذي في أيامه أنشأ ذلك القبر[4] .

لقد كان الحارث الرابع من المتأثرين بالثقافة الهيللينية وبالحياة الهيللينية . ويظهر هذا الأثر في المباني العامة التي أقيمت في أيامه[5] وفي الكتابات اليونانية من عهده . ولا يستبعد أن يكون قد أتقن اللغـة اليونانية وأخذ يتكلم بها مع اللسان الإرمي والنبطي ، إذ كانت تلك اللغة هي لغة القوة والثقافة في تلك الأيام .

---

١ Hastings, P. 48, Ency. Bibli., PP. 206.

٢ Hastings, P. 48.

٣ REP. EPIG., II, III, P. 381.

٤ Ephemeris, II. S., 259.

٥ N. Glueck, Rivers, P. 195.

وحكم بعد (الحارث الرابع) ابنه الملك (ملكو) (مالك) المعروف بالثاني، وذلك من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) أو (٧٥) بعد الميلاد[١] . ويظهر أن النص المعروف بـ (CIS 11, 195) لصاحبه (عبدْ ملكو بن عبيشو) ، أي (عبد الملك ابن عبيش) والمؤرخ بالسنة الأولى من حكم (ملكوْ) (مالك)، قصد بـ (ملكو) (مالك الثاني) هذا[٢] ، ويرجع تأريخه الى سنة (٤١) بعد الميلاد . أمـا ناشر النص في (CIS 11) ، فقد ذهب الى أنه (مالك الثالث) ، وانـه كتب في حوالي سنة (٣٩) بعد الميلاد. ومعنى هذا ان (مالك الثالث) حكم في سنة(٣٨) بعد الميلاد ، وهو وهم . وقد عثر على هذا النص في موضع (أم الرصاص)[٣].

وفي السنة الأولى من حـكم (ملكو) (مالك) دوّنت الكتابة الموسومـة بـ (CIS 11, 218)[٤] . وقد ذكر ناشرها ان (ملكو) المقصود هـو (ملكو) الثالث ، وأن تأريخها يرجع الى سنة (٣٩) بعد الميلاد[٥] ، وهو وهم . وأما النص (CIS 11, 182)[٦] ، فقد أرخ كذلك بأيامْ (ملكو) ، أرخ بشهر (اب) (آب) من السنة السابعة عشرة من حكم (ملكو ملك نبطو برحرثت)[٧] ، أي من حكم الملك (مالك النبط بن حارثة) . ويصادف هذا التأريخ عام (٥٧) بعد الميلاد . أما ناشر النص ، فقد جعله أيضاً (ملكو) (مالك) ، وجعل تأريخ التدوين في حوالي سنة (٥٠) بعد الميلاد[٨] . وهو يناقض ما ذهب اليه كثير من الباحثين من أن حكم الملك (مالك الثاني) كان من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) بعد الميلاد. ثم إن ما ذهب اليه ناشر النص من أن تأريخه يوافق سنة (٥٠) بعد الميلاد ، هو وهم أيضاً ، اذ يجب أن يكون سنة (٥٧) للميلاد ، لأن ابتداء حكم هذا الملك

---

١ Ency., Vol., III; P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Hill, P. XIX, Littmann, in Princeton University Archaelogical Expedition to Syria in 1904-1905, Div., IV, Sect., A, P. 21, W. Glueck, Deities, P. 542.

٢ CIS II, 195, CIS, II, I, II, P. 217.

٣ CIS, II, I, II, P. 218.

٤ CIS, II, 218, Euting 21, Doughty, I.

٥ CIS, II, I, II, P. 256.

٦ CIS, II, 182, Vogue, N. 6.

٧ CIS, II, I, II, PP. 206.

٨ CIS, II, I, II, P. 207.

كان سنة (٤٠) . ولما كان النص قد أرخ بالسنة السابعة عشرة من حكمه تكون السنة إذن سنة (٥٧) للميلاد .

لقد انتزعت (دمشق) من حكم (مالك الثاني) ، في زمن لا نعرفه ، الا أن الأرضين في شرقها وفي جنوب شرقيها بقيت جزءاً من مملكة النبط[1] .

وانتقل الحكم الى (رب ال) (رب ايل) (ربئيل) الثاني المعروف بـ (سوتر) (سوطر) (Soter) بعد وفاة (ملكو) (مالك) الثاني . وقد حكم من حوالي سنة (٧٠) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على رأي،ومن سنة (٧٥) حتى سنة (١٠١) على رأي آخر ، أو شيئاً آخر قريباً من ذلك أو بعيداً بعداً قليلاً ، بحسب تعدد أنظار الباحثين[2] ، لعدم وجود تقاويم ثابتة لدينا أو كتابات تنص على تواريخ حكم كل ملك من هؤلاء الملوك .

والى عهد هذا الملك تعود الكتابة المعروفة بـ (CIS 11, 183) المؤرخة في السنة الخامسة والعشرين من سني حكم (رب ال) (رب ايل) . وصاحبها رجل اسمه (قصي بن ادينت) ، أي (قصي بن أذينة)[3] . وتكون سنة تدوين هذه الكتابة اذن في سنة (٩٥) أو (١٠٠) بعد الميلاد . أما الكتابة (CIS 11, 161) ، فتعود الى أيامه كذلك ، وقد دونت في شهر (أيار) من السنة الرابعة والعشرين من حكم (رب ايل) ، وقد دوّن مع التأريخ النبطي ما يقابله بالتقويم المستعمل عند الرومان آنئذ وهو سنة (٤٠٥)[4] .

والتقويم الروماني هو تقويم السلوقيين . وتقابل هذه السنة سنة (٩٤) للميلاد ويكون مبدأ حكم (رب ايل) اذن في سنـة (٣٨١) من التقويم السلوقي ، أي سنة (٧٠) بعد الميلاد . ووردت في هذه الكتابة بعض الأسماء ، مثل : (هنى) (هانىء) و (جدلت) (جدلة) و (بجرت) (بجرة) (بجيرة) و (ادرم) و (عبد الملك) ، وهي من الأسماء المعروفة أيضاً عند عرب الحجاز ونجد[5] .

---

١ Deities, P. 542.

٢ Ency., III, P. 801, Ency. Religi., Vol., 9, P. 121.

٣ CIS II, I, II, PP. 208, Levy, In ZDMG., 1868, I, XXII, S., 262, Vogue, Syrie Centr., Inscr. Semit., P. 112.

٤ CIS II, I, II, P. 191, CIS 11, 161.

٥ CIS II, I, II, P. 192.

والى عهد الملك (رب ايل) الثاني تعود كذلك الكتابة التي دوّنها (منعت بن جديو) (منعة بن جديّ) (ببصرابشنت ٢٣ لرب ايل ملكا ملك نبطو)، أي بمدينة (بصرى) ، وذلك في السنة الثالثة والعشرين لحكم (رب ايل) ملك النبط . وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة تقرب صاحبها الى الإلّه (دوشرى واعرى) بتقديمه مذبحاً الى معبده في مدينة (بصرى)[١] . ويكون تأريخ تدوين هذه الكتابة سنة (٩٣) للميلاد . وكذلك الكتابة القبرية المؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكم (رب ايل) ، أي في سنة (٩٣) للميلاد[٢] . ولدينا كتابة أخرى سجلت في أيام هذا الملك صاحبها رجل اسمه (عذرو برجشمو) ، أي (عاذر بن جشم) (عذره بن جشم) (عذير بن جشم) (عذر بن جشم)، ورد فيها اسم الإلّه (شيع القوم) دوّنها في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك ، أي في حوالي سنة (٩٦) بعد الميلاد[٣] .

وترينا الكتابة الموسومة بـ (REP. EPIG. 1434) أن للملك شقيقتين هما : (جميلت) أي (جميلة) و (هجرو) أي (هاجر)،وقد نعتتا فيها بـ (ملكتي النبط) . ويظهر ان هنالك شقيقة ثالثة اسمها (فصائل) ، وربما كانت له شقيقة رابعة سقط اسمها من النص[٤] .

وقد ذكرت (شقيلت) (شقيلة) أم الملك (رب ايل) الثاني مع ابنها في نقد ، وذلك في أثناء عهد وصايتها عليه حين انتقل العرش اليه ، وكان على ما يظهر صغيراً . وكان للملك شقيق ساعدها في تحمل أعباء الحكم اسمه (انيشو) (Oneishu) لعله (أنيس) . ولما تزوّج (رب ايل) من زوجه (جميلت) (جميلة) (Gamilath) أمر بضرب اسمها مع اسمه على النقود[٥] .

وقد ذكر بعض الباحثين ان بعض ملوك النبط ولا سيما المتأخرين منهم ، أقاموا في أكثر أوقاتهم في (بصرى) (Bostra) ، مما أدى الى اضعاف شأن

---

١ Mark Lidzbarski, Ephemeris Semitische Epigraphik, S., 330, (Giessen 1902), Clermont-Ganneau, Recueil, P. 170, Rep. Epig. 83.

٢ REP. EPIG. 83, I, II, P. 67.

٣ Ephemeris, II, I, S., 252, REP. EPIG. 468.
Ephemeris, S., 332, Receuil, P. 173, REP. EPIG. 886.

٤ REP. EPIG., III, I, P. 141.
Hill, P. XX, 12-13, PL., II, 18-23.

عاصمتهم القديمة (بترا) والى اضعاف ادارة أمور النبط[1] .

وآخر ملك نعرفه من ملوك النبط ، هو الملك (ملكو) (مالك) الثالث ، الذي حكم من سنة (١٠١) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على بعض الآراء . وفي أيامه قضى (تراجان) في سنة (١٠٦) بعد الميلاد على استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم (سورية) (كورنليوس بالما) (Cornelius Palma) (٩٨ — ١١٧ م) ، وأطلق عليها اسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia)[2] . وقد نقل مقر الحكم من (بترا) الى (بصرى) ، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت (بترا) مجرد موضع قليل الشأن[3] .

لقد قضى الرومان على استقلال النبط في العربية الحجرية ، فأضافوا بلادهم الى جملة الأرضين التي استولوا عليها . وخسر النبط ملكهم ودولتهم ، ثم خسروا أرضهم فيما بعد . واضطرهم ضغط القبائل العربية الأخرى عليها الى الرحيل الى أماكن أخرى ، والهجرة الى مواطن جديدة طلباً للرزق . كما هاجر من قبلهم سكان الأرضين التي استولى النبط عليها في أيام عزهم وملكهم واندمج أكثرهم في القبائل الجديدة الفتية التي سادت على أرض النبط ، وتسموا باسمهم وانتسبوا اليهم حتى نسوا أصلهم القديم فزال النبط بزوال دولتهم ، وبقي اسمهم ، وبعض رسومهم التي يعود الفضل في إحيائها الى المستشرقين .

وقد بقي النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما يتبين من بعض الكتابات النبطية المؤرخة التي عثر عليها في (طور سيناء) وفي مصر . ومنها كتابة مؤرخة بسنة (١٦٠) من تقويم (بصرى) المقابلة لسنة (٢٦٦) بعد الميلاد . وقد تبين ان أكثر الكتابات التي عثر عليها في الأماكن المذكورة وفي أماكن أخرى هي كتابات وجدها العلماء والباحثون والسياح على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الأحمر ، وفي وجودها في هذه الأماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون بين مصر وجزيرة العرب

---

١ Deities, P. 543.

٢ Die Araber, I, S., 304, Groag Stein, Prosopographia, 2, 346, NR : 1412, 1936, Schrader, KLT, S., 153.

٣ N. Glueck, The Story of the Nabataeans, P. 543.

وموانيء ساحل البحر الأحمر ولا سيا ساحل النبط المقابل لبر مصر[١] .

ويظن جماعة من المستشرقين ان عرب (الحويطات) الساكنين في منطقة (حسمى) في الأقسام الشمالية من الحجاز ، في المنطقة التي كانت تسكنها (جذام) ، هم من بقايا النبط[٢] .

وتنسب (الحويطات) الى جدّ أعلى لهم اسمه (حويط) ، وهو على زعمهم من أهل مصر ، جاء بيت الله الحرام حاجاً فمات في (العقبة) ودفن في (حسمى). وهم عشائر يتراوح عددها من عشر عشائر الى اثنتي عشرة عشيرة تسكن في طور سيناء وفلسطين والحجاز[٣] ، وتجاور قبيلتي (بلى) و (جهينة)[٤] . وهم في الجملة ميالون الى الحرب والغزو ، ولذلك كانوا يغزون العشائر المجاورة لهم ، ويأخذون الأتاوة من القرى والمدن الواقعة في مناطق نفوذهم في أيام العثمانيين[٥] .

وتتألف (الحويطات) من ثلاثة بطون هي : (حويطات التهمة) و (حويطات العلويون) (العلاوين) ويعرفون أيضاً بـ (حويطات ابن جاد) (حويطات ابن جازى)[٦] . وتتألف (حويطات التهمة) (حويطات التهم) التي تقع منازلها على ساحل البحر الأحمر حتى (الوجه) في الجنوب ، من عشائر عديدة هي : (العمران)[٧] و (العميرات) و (المساعيد) والذبابين والزماهرة والطقيقات والسليمانيين والجرافين والعبيّات والمواسة والمشاهير والفرعان والجواهرة والقبيضات والفحامين . وأما (حويطات العلويون) ، فتتألف من : (الصويلحين) و (المقابلة)

---

١ Winkler, Rock Drawing of South Upper Egypt, (1938), L.A. Tregena and Dr. John Walker, Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad University, Vol., XI, Part II, December, 1949, Enno Littmann, Nabataean Inscriptions from Egypt, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, 1953, PP. 1.

٢ Ency., Vol., I, P. 368, III, P. 802.

٣ Ency., II, P. 349, Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, London, 1831, P. 29, Doughty, Travels in Arabia Deserta, I, 16, 29, 45, 46, 137, 233, 390, II, 24, 323.

٤ Ency., II, P. 349, Musil, Arabia Petraea, III, P. 48.

٥ Euting, Tabuch einer Reise in Inner-Arabien, II, S. 103, Ency., 11, P. 349.

٦ قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،
Musil, Hegaz, P. 6, Petraea, BD., BD. 3, S., 48, 51.

٧ (حويطات التهم) قلب جزيرة العرب (ص ٧٢ ، ١٣١ ، ٤٢٥) ، (حويطات التهامة) ، (عمران) . Ency., II, P. 349.

و (المحاميد) و (الخضيرات) و (السلامين) و (العزاجين) و (القديمان) و (العواجة) و (السلامات) . ومن (حويطات ابن جازى) (المطالقة) و (الدراوشة) و (العمامرة) و (المرابع) و (الدمانيــة) و (العطون) و (التوايهة)[1] .

لقد عثر على كتابات مدوّنة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغــات هي النبطية والإرمية واليونانية ، بعضها من بعد ضم مملكة النبط الى (الكورة العربية)، أي بعد سقوطها في أيدي الرومان ، وقد تبين منها أن النبط بقوا أمــداً يكتبون ويدوّنون بلغتهم ، وان كانوا يستعملون معها اليونانية أو الإرمية أو كلتا اللغتين في بعض الأحيان ، كما تبين أن اليهود دوّنوا بالنبطية أيضاً ، أولئك اليهود الذين كانوا على اتصال بالنبط ، وكانت لهم صلات تجارية بهم . وقد دونوا بهــذه اللغة حتى بعد سقوط دولة النبط . وقد وصلت كتابات أصحابها يهود فيها عقود بيع وشراء مع النبط ، كما وصلت كتابات نجد فيها خلاصات من عقود ومكاتبات دوّنت باليونانية أو بالإرمية ، على حين دوّنت الخلاصات بالنبطية وبالعكس[2] .

ولا نعرف شيئاً يذكر عن أصول تنظيم الدولة وكيفيتها عند النبط . والملك بالطبع هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومة . وهو الذي يختار من يوكل اليهم ادارة الأعمال وتسيير أمور الرعية . وللملك حاشية القربة عنده، وُكل اليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة الى الملك ، ويقال للواحد منها (اخ ملكا) ، أي (أخو الملك) . ويظهر انها كانت طبقة خاصة من الطبقات الأرستقراطية انحصرت فيها هذه الوظائف انحصار الملكية في الأسر المالكة[3] .

ومما يلاحظ على النبط ان ملوكهم كانوا ينعتون أنفسهم بنعوت لا نجدها في الكتابات العربية الأخرى ، فجملة : (ملك رحم عمه) ، أي (الملك الرحيم بشعبه) ، أو (الملك المحب لشعبه) لا نجد لها مثيــلاً في الكتابات الأخرى من كتابات ما قبل الاسلام . لكنهم لم يتركوا الجمل التي تنعتهم أيضاً بـ (ملوك

---

١ وأسماء أخرى ، راجع : قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،
Ency., II, P. 349, Musil, Petraea, III, 48, 51, 407.

٢ Deities, P. 8.

٣ REP. EPIG. 675, 1100, M. Lidzbarski, In Ephemeris, 3, (1909-1915), 89, 297, Die Araber, I, S., 287.

النبط) ، اذ نجدهم يكتبون بعد اسمهم : (ملك ملك نبطو) ، أي (الملك : ملك النبط).

ويلاحظ انه قد كان للمرأة منزلة رفيعة عند النبط ، بدليل ما نجده في كتاباتهم وفي نقودهم من ذكر اسم الملكات مع الملوك . فقد كان من عادتهم ورسومهم ذكر الملكات مع الملوك رسمياً ، فقد ورد مثلاً : (شقيلت أخته، ملكت نبطو). أي (شقيلة أخته ، ملكة النبط) . وورد : (شقيلت امه ، ملكت نبطو)، أي : (شقيلة أمه : ملكة النبط) ، وهكذا . ونجد النقود النبطية وقد أشارت الى اسم الملك الذي أمر بضرب ذلك النقد ، كما نجد اسم زوجته أو أمه معه . وقد ضربت صورة رأس الملك ورأس الملكة معه في النقود المضروبة باليونانية[1] .

وبالرغم من ظفر العلماء بنقود نبطية ويونانية ، لم يتمكنوا حتى الآن من الاتفاق على تثبيت أسماء ملوك النبط تثبيتاً زمنياً ، ولم يتمكنوا أيضاً من تعيين مدة حكم كل واحد منهم تعييناً مضبوطاً قاطعاً،فما سنذكره عنهم لا يعني إذن انه شيء ثابت وأكيد[2] .

وقد تأثر النبط بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً . ويظهر هذا الأثر في نقودهم ، إذ قلدوا في ضربها النقود اليونانية ، بل ضربوها بكتابة يونانية في الغالب . وقد نعت (عبادة) الثالث نفسه بـ (الها) في نقد ضربه باسمه ، محاكاة للسلوقيين الذين لقبوا أنفسهم بـ (ديوس) (Deos) ، أي (الإله) . كما يظهر هذا الأثر في ادارة الدولة وفي الحجارة المكتوبة ، إذ نجد أصحابها يكتبون بالنبطية وباليونانية ، بل نجد هذا الأثر على شواهد القبور وغير ذلك[3] . ولعلهم كانوا قد أخذوا من مناهل العلم اليوناني ، وتعلموا العلوم الشائعة في ذلك العهد من اليونان الذين سكنوا بين النبط ، ومن بلاد الشأم حيث كانوا على اتصال دائم بها ، وفي بلاد الشأم جاليات قوية من الرومان واليونان . ولهذا ظهر أثر اللاتينية واليونانية في الأنباط[4] .

---

١ Deities, P. 11.

٢ J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 6, R. Dussaud, Pénétration, 51, Die Araber, I, S., 289.

٣ Le Nabatéen, 2, (1932), P. 5, 6, 152, Die Araber, I, S., 288.

٤ N. Glueck, Rivers, P. 194.

ويظهر أن النبط كانوا مولعين بالشراب وبالخمور ، ونجد لصور الكروم مكانة بارزة في فن النحت والنقش عندهم . وقد أظهروا براعة فائقـــة في حفر صور الكروم وعناقيدها على الألواح ، كما يظهر ذلك من آثارهم التي درسها الباحثون في النبطيات[1] .

مدن النبط :

و (بترا) (البتراء) (بطرا) (Petra) ، هي عاصمة النبط القديمـــة . ومعنى (Petra) (بطرا) في العربية (الصخر) . أما اسمها القديم فـ(هـ ــ سلع) (هــا ــ سلع) ، (Sela) = (Selah) ، ويعــني أيضاً (الصخر) لغة الأدوميين . وهي على خمسين ميلاً تقريباً الى الجنوب من البحر الميت . ولما افتتحها (أمصيا) (٨٣٧ ــ ٨٠٩ ق. م.)، سمّاها (يقتئيل) أي (الخاضع لله)[2]. وكانت عاصمة (أدوم) . وكانت من أشهر المدن في العـالم القديم ، ثم صارت لمؤاب[3] . وقد ذكرها (ياقوت الحموي) في مادة (سلع) ، فقال : « وسلع أيضاً حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »[4] . وتقع آثار المدينة وبقاياهـا اليوم في وادي موسى ، ويسمى أيضاً (وادي السيق) [5]. وقد عرف هذا الوادي بوادي موسى ، لما زعم ان موسى ضرب الصخر بعصاه فشقه فجرى الماء من موضع العين الى النهر ، فسميت لذلك بعين موسى . وكان السيق مبلطاً، ولا تزال آثار التبليط باقية في بعض المواضع . وتجاه نهاية السيق هيكـل منحوت في الصخر ، يسمى : (خزنة فرعون) ، وداخل باب الهيكل دار ، وعــلى بعد (٦٠٠) قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لزهاء أربعة آلاف انسان .

---

١ Deities, P. 4.

٢ قاموس الكتاب المقدس ، (١/٥٢٨) ، Die Araber, I, S., 283, Kennedy, PP. 78, Hasting, P. 835.

٣ قاموس الكتاب المقدس ، (١/٥٢٨) ،

٤ البلدان (٥/١٠٧) Ency. Bibli., P. 4344, Nöldeke, IN ZDMG., 55, S., 259

٥ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٢٩ وما بعدها) ، (باب السيق) . Provincia, I, S., 195, 215.

ومن آثارها المهمة ، الأثر المعروف باسم (خزنة فرعون)[1] ، وقوس النصر وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطي القديم ، وبعضها متأثرة بالفن المصري الآشوري أو اليوناني أو الروماني[2] .

وتشاهد في (بطرا) كتابات كثيرة ، منهـا ما هو مؤرخ يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التي توضع على القبور ، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية . ووجدت كتابة باليونانية دونها أسقف سكن معبداً من معابد المدينة القديمة التي تعود الى ما قبل الميلاد في حوالي سنة (٤٤٧) للميلاد. كما وجدت كتابة لاتينية على قبر بني على النمط (الروماني) صاحبهـا ضابط روماني اسمه (سكستيوس فلورنتينوس) (Sextius Florentinus) لا يعلم زمانه على وجه الصحة ، ويرى بعضهم انه من أيام (هدريانوس) (Hadrianus) أو (أنطونيوس بيوس) (Antoninus Pius) [3] .

وقد منحت (بطرا) درجة (Colonia) رومانية في أيام حكم الرومان كما يظهر ذلك من بعض النقود الرومانية التي عثر عليهـا . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في أيام حكم (Elagabalus) (٢١٨ — ٢٢٢) للميلاد[4] . ولكن هنالك من يعارض هذا الرأي من الباحثين في علم النميات[5] .

وقد وصف (سترابو) (بطرا) (بترا) بقوله : كانت (بطرا) عاصمة النبط ومقر حكمهم ودولتهم وهي لا تبعد الا أربعة أيام عن (أريحا)(Jericho) وخمسة أيام عن غابة النخيل (بوسيديون) (Poseidion) . وهـي موضع غني بالماء كثير البساتين بالنسبة الى من يأتي اليها من البوادي القاحلة الجرد . وقد زارها (أثينودور) (Athenodor) صديق (سترابو) ، فوصفها له ، وذكر له انه وجد بها أجانب ، بينهم جمع من الروم . ويظهر من أخبار (سترابو) أن النبط

---

١ راجع وصف (خزنة فرعون) في الجزء الـ (٢١) من السنة الثامنة من مجلـة المشرق الصادر في ١ تشرين الثاني من سنة (١٩٠٥) (ص ٩٦٥ وما بعدها) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٢٩ وما بعدها) .

٣ Kennedy, P. 76.

٤ Provincia, III, S., 291.

٥ Berytus, Vol., IX, Fasc., I, 1918, P. 40, « Petra, Colonia », By Stella Ben-Dor, De Saulcy, Numisme de La Terre Sainte, 1874, PP. 292, 353.

كانوا قد بنوا بيوتاً لهم في هذه المدينة كذلك . وقد أيدت التنقيبات التي أجريت عند مدخل المدينة هذا الرأي[1] .

الحجر :

أما (الحجر) ، فمدينة من مدن النبط القديمة المهمة ، تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي (Egra) = (Hegra) التي أشار اليها (سترابو) في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس غالوس) و (Haegra) = (Hagra) التي ذكرها (بلينيوس) على أنها مقر القبيلة المسماة (ليانيته) (Laenitae)[2] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها (مدائن صالح)[3] ، وذهب بعض آخر الى أن (مدائن صالح) ، هي (العلا) لا (الحجر)[4] . وفرق بعض آخر بين موضع مدائن صالح و (العلا)[5] .

وقد ذكر (بطلميوس) المدينة أيضاً ، وذكرها المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) كذلك[6] . وقد كانت من مواضع النبط المهمة ، وقد عثر على خمس كتابات في (مدائن صالح) خرج بعض الباحثين من دراستها إلى أن (الحجر) هي من الأماكن التي أنشأها (المعينيون) . وقد كان اسمها القديم (حجرا) (هجرا) او (حجرو) (هجرو) و (الـ — حجر) في الكتابات[7] .

و (حجرو) و (الـ — حجرو) هي (الحجر) في العربية . وقد ذكر هذا الموضع في المؤلفات العربية . وذكر (ابن حبيب) أن قوم ثمود نزلوا الحجر[8] . وذكر علماء اللغة أن (الحجر) ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى ،

---

١ Die Araber, I, S., 285, Strabo, 16, 779, A. Kramer, Petra et la Nabatene, 1929, P. 510.

٢ Musil, Hegaz, P. 291, 299.

٣ Arabien, S., 55, 59.

٤ Arabien, 4, 15.

٥ Arabien, S., 39, 40.

٦ Ptolemäus, VI, 7, 29, Stephanus Byzantius, I, 260, Arabien, S., 44.

٧ Jaussen-Savignac, I, 157, NR. 9, Arabien, S., 39.

٨ المحبر (ص ٣٨٤) .

وهم قوم صالح النبي،وقد جاء ذكر الموضع في القرآن : (وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)[1] ، كما جاء ذكره في كتب الحديث[2] . وقد تضاءل شأنها في الإسلام ، حتى صارت قرية صغيرة في القرن العاشر للميلاد ، ثم تركها أهلها ، وتقع خرائبها اليوم بين (جبل اثلت) و (قصر البنت) وخط سكة حديد الحجاز ، حيث تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة شمسية ، وعلى نقود يرجع عهدها الى (الحارث الرابع) . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة . أما الجدران ، فقد بني أكثرها باللبن . وتقع خرائب (العلا) الى الجنوب من (الحجر)[3] .

وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور الحجر القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حذق ومهارة ، ولا سيما المقبرة التي هي من القرن الأول للميلاد ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) . وقد تألفت من غرف نحتت في الصخور ، ولبعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . وهي قبور لأسر ، ومن هذه المقابر الموضع المعروف بـ (قصر البنت) ، وقد نحت في داخل تل ، ويعد من أغنى تلك المقابر من الناحية الفنية ، وله مدخل خارجي ، ارتفاعه عشرون متراً . وقد زين بالزخارف والنقوش[4] .

ويعدّ الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) . وقد عمل في (جبل اثلب) . وهو معبد يذكرنا بمعابد (بطرا) . وهو على قاعة ذات زوايا مربعة ، عرضها عشرة أمتار ، وعمقها اثنا عشر متراً،وارتفاعها ثمانية أمتار ، ولها مدخل عرضه ثمانية أمتار و (٣٥) سنتمتراً،وارتفاعه سبعة أمتار وزهاء خمسة سنتيمترات ، على كل جانب منه عمود من حجر ، جعلت زواياه مربعة . أما الباب ، فقد تلف . ويوصل الى هذا المدخل مدرج . وهناك معبد آخر صغير يقع على مسافة (١٥٠) متراً الى الجنوب من (جبل اثلب)[5] .

---

١ الحجر ، الرقم ١٥ ، الاية ٨٠ ، المفردات (١٠٧) ، تفسير القرطبي (١٠/٤٥ وما بعدها) .
٢ اللسان (٤/١٧٠) .
٣ Arabien, S., 44.
٤ Arabien, S., 60, Jaussen-Savignac, Mission, I, 316.
٥ Arabien, S., 66, Jaussen-Savignac, Mission, I, 118, 405, Doughty, I, 118, Musil, Arabia Petraea, (1907) 133, 146.

وقد وجدت في (القرية) بالحجاز وهي أطلال ، مدينة قديمة على خمسة وأربعين ميلاً الى الشمال الغربي من (تبوك) في أرض (حسمى) كتابات نبطية ويونانية ، كما عثر على معبد قريب منها في البادية دعاه (موسل) (غوافة) و (روافة) ، وجدت عليه كتابة نبطية يونانية طويلة ورد فيها اسم (ماركوس أوريليوس انطونينوس) (Marcus Aurelius Antoninus) و (لوقيوس أوريليوس فيروس (Lucius Aurelius Verus)[١] . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في أيام النبط ، ولا سيما في أواخر أيام مملكتهم ، وان هذا المعبد كان قد ابتناه قوم ثمود في أوائل منتصف القرن الثاني للميلاد[٢] .

الكورة العربية :

ضمت (العربية النبطية) سنة (١٠٥) أو (١٠٦) بعد الميلاد الى الأملاك الرومانية وكوّن منها ومن أرضين أخرى ضمت اليها مقاطعة جديدة عرفت باسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia) (المقاطعة العربية) وجعلت تحت حكم حاكم بلاد الشأم المدعو (كورنليوس بالما) (A. Cornelius Palma)[٣] . ولا يعلم على وجه التحقيق أعيّن الرومان والياً على هذه الكورة حال تكوينها ، أم انها جعلت تحت ادارة حاكم (سورية) المباشرة ثم عيّن لها حاكم خاص . والمعروف ان أول والٍ (Legat) عيّن عليها انما عيّن في سنة (١١١) بعد الميلاد[٤] .

ولم تكن حدود (الكورة العربية) (المقاطعة العربية) ثابتة،بل كانت تتغير وتتبدل ، وتتقلص وتتوسع تبعاً لمراكز الحكام ومنازلهم . ففي سنة (١٩٥) بعد الميلاد مثلاً أضيف اليها بعض الأرضين الجنوبية من مقاطعة (سورية الفينيقية) (Syria Phonice) ، ولكن هذه الحدود تغيرت مراراً قبل هذا التاريخ وبعده . وتساعدنا (السكة الرومانية) التي أنشأها (تراجان) ثم وسعت فيما بعد مساعدة

---

١ Musil, Hegaz, P. 185, 258.

٢ Musil, Hegaz, P. 185, 258, The Geographical Journal, Vol., CXVII, Part, 4, 1951, PP. 448, « The Ruins of Quraiya », By H. ST. J. B. Philby.

٣ Provincia, III, S., 250.

٤ Provincia, III, S., 250.

كبيرة في تعيين حدود ومساحة هذه المقاطعة . وقد أنشئت هذه السكة لأغراض عسكرية لتيسر للجيوش الرومانية الوصول بسرعة الى المواضع المهمة من الوجهة العربية ، ولتتمكن بواسطتها من السيطرة على الوطنين وضبط الأمن[1] .

ويمكن الاستدلال من أنصاب الأميال ، التي وضعها الحاكم (قلوديوس سويروس) (قلوديوس سفيروس) (Claudius Severus) على هذه الطرق للوقوف بواسطتها على الأبعاد والمسافات والاتجاه ، على معرفة طريقين مهمين : أولها طريق جديد انتهى منه في سنة (١١١) للميلاد ، يمتد من الحدود الشمالية للمقاطعة العربية أي من بلاد الشأم الى (بصرى) (Bostra) ثم الى (فيلادلفيا) (عمان) (Philadelphia) ، ومنها في اتجاه الجنوب ثم الغرب على طريق (بطرا) حتى البحر الأحمر . وثانيها الطريق الممتد من (فيلادلفيا) ماراً بـ (جرش) (Gerasa) وربما بـ (أذرح) (Adra) نحو (بصرى) (Bostra) . وقد كان هذا الطريق معروفاً قبل سنة (١٠٥) للميلاد ، غير انه أصلح وعمّر ، وربما حوّل الى طريق عسكري في سنة (١١٢) للميلاد ، أي في أيام (تراجان)[2].

وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حاكم المقاطعة العربية من رومان وبيزنطيين،وردت أسماؤهم مدونة على أنصاب الأميال وفي الكتابات الأخرى التي عثر عليها في مواضع متعددة من هذه المقاطعة . وأولهم (كورنليوس بالما) . وقد تبين أن الألقاب الرسمية التي كان يتلقب بها حكام هذه المقاطعة في القرن الثاني بعد الميلاد كانت من درجة الألقاب الرفيعة التي تمنح عادة لحكام مقاطعة (قيصرية) مثل لقب: (Legatus Augusti Pro Praetore) أو (Augustorum) تضاف اليه جملة : (Consul Designatus) متى يكون الحاكم في درجة (قنصل) (Consul) ، وذلك يكون عادة بالنسبة الى حكام المقاطعات من درجة (Legatus Pro Praetore) وقد يقتصر اللقب على كلمة (Consulares) إذا كان صاحبه قنصلاً . غير أن هذه الألقاب الرسمية لم تكن ثابتة ، بل كانت تتغير بحسب أهمية الحاكم ومنزلته ، والوظيفه التي يشغلها ، والزمان الذي حكم فيه[3] .

---

١ Provincia, III, S., 250, 264.
المشرق : السنة الثامنة ، العدد ١٠ ، ١٥ ايار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ وما بعدها .
٢ Provincia, III, S., 264.
٣ Provincia, III, S., 281.

وتفيدنا وثائق المجامع الكنسية التي انعقدت في أوقات مختلفة لمعالجة المشكلات التي جابهت الكنيسة ، وحضرها ممثلون عن كنائس (الكورة العربية) فائدة كبيرة في تعيين أسماء مدن هذه الكورة وتأريخها . ومن هذه المجالس مجلس (نيقية) (Nicaea) الذي انعقد في سنة (٣٢٥) بعد الميلاد[١]، ومجمع (انطاكية) (Antiochia) المعقود في سنة (٣٤١) بعد الميلاد[٢] ، ومجمع (Sardica) الملتئم عام (٣٤٧) للميلاد[٣]، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) بعد الميلاد ، ومجمع (أفسوس) (Ephesus) المجتمع عام (٤٣١) ، ومجمع (خلقدونية) (Chalcedon) الذي انعقد في عام (٤٥١) ، للميلاد ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد سنة (٥٣٦) للميلاد ، ومجمع (القدس) الملتئم عام (٥٣٦) بعد الميلاد ، وغيرها من المجالس والمجامع الدينية[٤] .

وقد عثر على نقود ضربت في أيام الرومان والبيزنطيين في عدد من مدن (الكورة العربية)[٥] . مثل (Adra) (أذرعات) و(بصرى) (Charachmoba) و (ديوم) (Dium) و (Eboda) و (Esbu) و (جرش) (ومأدبا) (Medaba) و (Moca) و (بطرا) و (فيلادلفيا) (Philadelphia) و (فيليب بوليس) (Philippolis) و (Rabbathmoba)[٦] .

أما (Adra) ، فهي (أذرعات) المشهورة عند العرب في الجاهلية والإسلام[٧]. وتعرف في الزمن الحاضر بـ (درعة) و (درعا) كذلك ، وهي (أذرعى) (Edrei) في التوراة ، بمعنى قوة أو حصن[٨] . وهي من مدن (باشان)

---

١ Provincia, III, S., 253, Gelzer, Geographische Bemerkungen zu dem Verzeichnis der Väter von Nikaea, In der Festschrift für Heinrich Kalpert. Berlin, 1898, S., 47-61.

٢ Provincia, III, S., 253, Ency., I, P. 359.

٣ Provincia, III, S., 253.

٤ Provincia, III, S., 255.

٥ Hill, P. XXII, Journal of Roman Studies, Vol., VI, (1961).

٦ Hill, P. XXII — XXIV.

٧ البلدان (١٦٢/١ وما بعدها) ، البكري (٨٣/١) ، المقدس (ص ١٦٢) ، الاب ا· س· مرمرجي الدومنكي : بلدانية فلسطين العربية ، مطبعة (جان دارك) ، بيروت ، ١٩٤٨ م (ص ٤) ·

٨ Ency. Bibli., PP. 118, Hastings, P. 203.

العظيمة[١] . وقد اشتهرت (آدرعات) بخمرها عند العرب ، وقال عنها علماء اللغة إنها موضع بالشأم تنسب اليه الخمور[٢] .

و (أذرعات) موطن (عوج) (Og) ملك (باشان) ، وكان جباراً قامة وبأساً[٣] ، من سلالة الرفائيين ، حاول أن يمنع مرور بني اسرائيل بأرضه ، فاصطدم بهم بأذرعات ، وتغلبوا عليه ، فقتل هو وبنوه ، وانقسمت مدنه الستون المحصنة بين (الرأوبنيين) و (الجاديين) ونصف سبط (منى)[٤] . وتقع (أذرعات) في واد يكون القسم الجنوبي من وادي (حوران) وعلى مسافة ستة أميال الى الشرق من طريق الحج ، وفيها كهوف عديدة وصهاريج كبيرة ، وبها خرائب وآثار يقرب محيطها من ميلين يظهر أنها من عهد الرومان[٥] . ومن بقاياها (قناة فرعون) ، وهي تأخذ مياهها من بحيرة صغيرة قرب موضع (يابس) في حوران . ومسجد يشبه بناؤه (كاتدرائية) بصرى ، وآثار الشوارع والحوانيت التي كانت عليها ، وموضع سوق . وعثر في خرائبها على كتابات باليونانية كما عثر فيها على نقود ضربت فيها من سنة (٨٣) قبل الميلاد . وقد ألحقها (بومبيوس) (Pompeius) بمقاطعة سورية الرومانية،وألحقها (تراجان) بالمقاطعة العربية ، وذكر (أويسبيوس) (Eusebius) و (جيروم) انها من أشهر مدن (العربية) ، وكان بها أسقف حضر مع من حضر من الأساقفة في المجالس الكنسية التي انعقدت في (سلوقية) (Seleucia) و (القسطنطينية) و (خلقدونية) (Chalcedon) (٤٥ م)[٦] .

وفي المتحف البريطاني قطع من النقد المضروب في هذه المدينة ، وقد أشير في

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٦) ، التثنية ، الاصحاح الاول ، الاية (٤) ، Ency. Bibli., PP. 1188, Hill, P. XXIII.

٢ اللسان (٨/٩٧) .

٣ التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ ، يشوع ، الاصحاح الثالث عشر ، الاية ١٢

٤ العدد ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، تثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ وما بعدها ، و ١٢ – ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٤) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٦) و Ency. Bibli., P. 1189.

٦ Ency. Bibli., P. 1189, Wetzstein, Ausgewäste Griechische und Lateinische Inschriften, gesammelt auf Reisen in den Trachonen des Haurangebirges, Reiseberichte über Hauran und Trachonen, 47, on Mast., 118, 4, 213, 379, Hastings, P. 203.

بعضها الى (دو شرى) (ذي الشرى) إلـه النبط . كما صوّر على بعضها صور القياصرة الذين في أيامهم ضرب ذلك النقد[1] .

و (باشان) ، ومعناها (التربة الخفيفة) ، مقاطعة من أرض كنعان واقعة شرقي الأردن بين جبلي حرمون و (جلعاد) ، وسميت (باشان) من جبل في البلاد[2] . وسكانها القدماء هم (الرفائيون) (Rephalite) ، ولهم مملكة ذكر في التوراة من ملوكهم اسم الملك (عوج) الذي قتله الاسرائيليون ، وهو المعروف بـ (عوج بن عوق) عند أهل الأخبار ، والمعروف بـ (عوج بن عنق) عند العوام . وقد ذكر الأخباريون انه رجل (ذكر من عظم خلقه شناعة) ، وانه كان ولد في منزل آدم فعاش الى زمن موسى ، وقد قتله موسى[3] . وقد أخذوا أخبارهم هذه عنه عن أهل الكتاب ، أو من وقوفهم على ما جاء في أسفار (التثنية) و (يشوع) و (العدد) عنه . وكان قد حاول منع الاسرائيليين من المرور بأرضه ، فقتلوه ، وجاء انه كان ينام على سرير من حديد طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع[4]،وذلك لبيان ضخامة جسمه . ونجد في الأسفار المذكورة أخباره مع بني اسرائيل ومقاومته لهم[5] .

وكانت باشان تشمل حوران والجولان واللجاة ، وكلها مؤلفة من صخور وأتربة بركانية ، وتربتها مخصبة ، وماؤها غزير ، ويحدها شمالاً أرض دمشق ، وشرقاً بادية الشأم ، وجنوباً أرض (جلعاد) ، وغرباً (غور الأردن) ، ويخترق جانبها الشرقي جبل الدروز ، وهو جبل (باشان) القديم . ويمر بالجولان سلسلة تلال من الشمال الى الجنوب . أما مقاطعة (اللجاة) ، فهي حقل من (اللافا) أي الصخر البركاني ، سالت من (تل شيحان) ، وهو فم بركان

---

١ Hill, P. XXIII, Dussaud, Notes de Mythologie Syrienne, PP. 167, De Sauley, Terre Sainte, PP. 373.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) ، المزامير ، ٦٨ ، الاية ١٥ .

٣ اللسان (٢/٣٣٥) ، (١٠/٢٨١) .

٤ التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ وما بعدها .

٥ التثنية ، الاية ١ وما بعدها ، والاصحاح ٣ ، الاية ١ وما بعدها ، ويشوع ، الاصحاح ١٣ ، الاية ١١ وما بعدها ، والعدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٣٤ ، و ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٤) .

قديم بقرب شحبة [1] .

ومن أشهر مدن (باشان) (الجولان) (Golan) ، وهي من منطقة(الجولان) (Gaulanitis) ، وتعني الكلمة (الدائرة) ، وأصلها مدينة (جولان) ، وبها سميت المقاطعة . وتقع في (باشان)[2] و (عشتاروت) (عشتروت) (بعشترة) (Be-Eshterah) = (Ashtoreth) = (Aschtaroth) ،ويظهر انها (تل عشترة) (تل أشعرى) في الجولان[3] . ومدينة (عشتاروت قرنايم) (Asther Karnaim) وهي (قرنيون) (Carnion) أو (قرنين) (Carnain) التي استولى عليها (يهوذا المكابي) (Judas Maccabaeus) سنة (١٦٤) قبل الميلاد على ما يظن. وهي من مدن (الرفائيين) في (باشان)[4] . وقد اختلف الباحثون في مكانها في هذا اليوم ، فذهب بعضهم الى انها (الصنمان) وذهب بعض آخر الى انها (قنوات) وذهب آخرون الى انها (تل عشترة)[5] .

ويظهر أن كثيراً من (الباشانيين) كانوا يعيشون عيشة سكان المغاور والكهوف (Troglodytes) ، إذ تبين أن قسماً منهم سكن الكهوف والمغاور ، وسكن بعض منهم في أنفاق وكهوف تحت الأرض يبلغ طولها (١٥٠!) قدماً ، وتتفرع منها أزقة تحت الأرض بجانبها بيوت تنفتح كواها في سقوفها ، فهي في الواقع مدن تحت الأرض . وفضل نفر آخر السكنى في بيوت منقورة في الصخر . وسكن بعض منهم في بيوت منفردة مبنية من الحجر[6] .

وأما (بصرى) وتعرف بـ (Bostra) ، فقصبة (حوران) ، ومن أشهر مدنها[7] . وقد عرفت في أيام الرومان بـ (Nova Trajana Bostra)[8] . وقد ألحقت بالمقاطعة العربية في مبدأ تأسيس هذه المقاطعة ، أي في أيام (تراجان)،

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٣٤٥) ، Hastings, P. 303, Schumacher, Across the Jordan, 92.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) ، Hastings, P. 57.

٤ التكوين ، الاصحاح الرابع عشر ، الاية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) ، Hastings, P. 57.

٦ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) ، Ency. Bibl., P. 4976.

٧ البلدان (٢/٢٠٨) ، المشترك (طبعة وستنفلد) (٥٧) ، بلدانية فلسطين (ص ٢٣ وما بعدها) ، عيون الاخبار (٢/٣٣١) .

٨ Ency., I, P. 765, Hill, P. XXIV.

وصارت عاصمتهـا وقصبتها العظمى بعـد أيام (ديوقليتيان) (Diocletian) (٢٨٦ – ٣٣٧) بعـد الميلاد[١] ، ومركزاً من مراكز النصرانية المهمة . وفي القرن السادس للميلاد كانت أسقفيـة (Avara) ، وهي (الحميمة) على رأي (موسل) تراجع (بصرى)[٢] . ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة ، وإنما كانت في ادارة البيزنطيين . وقد تضررت مثل (أذرعات) في أثناء غزو الفرس لديار الشأم عام (٦١٤) للميلاد ضرراً بالغاً ، وفقدت مكانتها المهمة من ذلك الحين[٣] .

وقد ورد اسم (بصرى) في السيرة في قصة (بحيرا) الراهب ، كما ورد اسمها في خـبر فتوح الشأم . وكان أهلها من (قيس) من (بني مُرّة) . وذكر (أبو الفداء) انها من ديار (بني فزارة) و (بـني مرة)[٤] . وقـد اشتهرت بصنع السيوف المعروفة بـ (السيوف البُصْرية)[٥] .

وعثر على نقود ضربت في مدينة (بصرى) ، منها ما يعود تأريخها الى أيام (انطونيوس بيوس) (Antonius Pius) ، ومنها ما يعود الى أيام (هدريانوس) (Hadrianus) ؛ وهي النقود التي ضرب على أحد أوجهها النصف الأعلى لانسان يظهر أنه يرمز الى (العربية) (Arabia) حاملاً جسمين يشيران ، على رأي بعض الباحثين ، الى كورة (Auranitis) أي (حوران) و (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) ومنها ما يعود الى آخرين ، وهم : (ديفـا فاوسطينا) الأول (Diva Faustina) ، وقد صور النصف الأعلى من الجسم على أحد وجهي النقد ، (ومارقوس أورليوس قيصر) (Marcus Aurelius Caesar) و (كومودوس قيصر) (Commodus Caesar) و (كومودوس أوغسطس) (Commodus Augustus) و (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) و (يوليـة دومنـا) (Julia Domina) و (ايلاغبالوس) (Elagabalus)[٦] .

ودعيت (بصرى) في النقود التي ضربت بـاسم (سويروس اسكندروس)

---

١ History of the World, Vol., VI, P. X, Ency., I, P. 765.

٢ Musil, Hegaz, P. 60.

٣ Ency., I, P. 765.

٤ بلدانية فلسطين (ص ٢٣) ، Ency., I, P. 765.

٥ اللسان (٦٨/٤) ، (صادر) ، (بصر) .

٦ Hill, P. XXIV.

(Severus Alexanderus) ، بـ (مستعمرة بصرى) (Colonia Bostra)[1] .
ويعني هذا حدوث تغير في النظام الاداري لهذه المدينة في هذا العهد . ويرى بعض الباحثين أنها جعلت في درجة مستعمرة ، أي (Colonia) قبل أيام (سويروس)، وبقيت في هذه المرتبة حتى عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) غير أن (هل) وآخرين يعارضون هذا الرأي ويرفضونـه ، ويرون أن ذلك كـان في أيام (سويروس اسكندروس) ، لا قبلـه ، وانهـا لم تعرف بـ (Colonia Bostra Nova Traiana Alexandriana) إلا في أيامه[2] . وأما في نقود (يولية مامية) (Julia Mamaea) ، فقد دعيت بـ (Colonia Bostra) كذلك[3] .

وآعيـد النظـر في مرتبتهـا في أيام (فيليب سنيور) (فيليب الأقـدم) (Philip Senior) على ما يظهر،فجعلت في درجة (متروبوليس) (Metropolis) ، فدعيت (Colonia Metropolis Bostra) . وحافظت على درجتها هذه في أيام (غيليب الأصغر) (Philip Junior)[4] . ولم يعثر على نقود ضربت في (بصرى) بعد أيام (تراجان دسيوس) (Trajan Decius) أو (تويبونيانوس غالوس) (طريبونيانوس غالوس) (Trebonianus Gallus)[5] .

وأما (Charachmoba) ، فإنها (قـير موآب) (Kir Moab) في التوراة والتركوم . و (قير حاراش) (قير حراشات) (قير حارسة) من (موآب) وهي (الكرك)[6] . وقد عثر على نقد يعود الى عهد (Elagabalus) يظن انـه من نقود هذه المدينة،وان الصورة المضروبة في الوجه المقابل لصورة (Elagabalus) ترمز الى الإلـه (دو شرى)[7] .

---

١ Hill, PP. XXIV, Morey, In REV. Numes., P. 81, 1911, Berytus, Vol., IX, Fasc., I, (1948), P. 43.

٢ Hill, P. XXV-XXVI.

٣ Hill, P. 22.

٤ Hill., P. 24, The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine Vol., No. 3, 1931, P. 135.

٥ Hill, P. XXVI.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) ، Hill, P. XXX, XXXI, Ency., II, P. 855, Musil, Petraea, S., 45-62.

٧ Hill, XXX, XXXI, 27.

وتختلف وجهات نظر الباحثين في موضع مدينة (ديوم) (Dium) (ديون) (Dion) ، فمنهم يرى انها (الحصن) (قلعة الحصن) على مقربة من (اربد) وانها (Dia) عند (بطلميوس)[١] ومنهم من يرى انها (كفر أبيل) ، وآخرون يرون انها (تل الأشعري) ، وهكذا[٢] . وهي من مــدن (Decapolis) ، ثم ألحقت بـ (المقاطعة العربية) في عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) على ما يظن[٣] . وقد عثر فيها على نقد ضرب باسم (Geta)[٤] ، وأرخ تأريخ الضرب بتقويم (بومبيوس) ، وأشير في أحد وجهي النقد الى الإلـه (هدد) الذي صوّرته بعض النقود المضروبة في بعض المـدن السورية . وهو يقابـل الإلـه (زيوس) (Zeus) عند اليونان[٥] .

ويراد بـ (Decapolis) الحلف المؤلف من عشر مدن ، تحالفت لـدفع غزو القبائل لها . ويظهر أنه ظهر الى الوجود في القرن الأول للميلاد . والمدن المذكورة هي : (Pella) و (Scythopolis) و (Dion) و (Gerasa) و (Philodelphia) و (Gadara) و (Raphana) و (Kanatha) و(Hippos) و (دمشق) . وقد انضمت اليه مدن أخرى بين حين وآخر . فلكون أرض هذا الحلف ممتـدة من دمشق الى الجنوب الشرقي لبحر الجليل (Sea of Galilee)[٦] .

ومدينة (Eboda) ، هي (عبـدة) (العبدة) في (العربيـة الحجرية) (Arabia Petraea)[٧] . وقد أشار (بطلميوس) الى أن (Eboda) = (Oboda) و (Gerasa) و (Gypsaria) و (Lysa) هي من مدن (العربية الحجرية) ، وجعلها بعضهم من (النقب)[٨] . وتقع خرائب (عبدة) في جنوب (بئر السبع) (Beerscheba) وفي غرب (بطرا) وفي جنوبها سباخ ، غـير أن من المشكوك

---

١ عن (اربد) ، البلدان ، (١/ ١٧٠) ، بلدانية فلسطين (ص ٥) ، Provincia, III, S., 265, Hill, P. XXXI.

٢ Hill, P. XXXI.

٣ Hill, P. XXXI, Provincia, III, S., 264.

٤ Hill, P. 28.

٥ Hill, P. XXXI-XXXII, 28.

٦ Hastings, P. 183.

٧ Provincia, III, S., 268, Hill, P. XXXII.

٨ Provincia, III. S., 268, REV. Bibl., 1904, PP. 403, 1905. PP. 74.

فيه أن تكون هذه السباخ موضع (Ge'ham Maleh) ، أي وادي الملح[1] . وأما صنم (Eboda) ، فقد عرف باسم (زيوس عبّودة) (Zeus Oboda)[2] .

وأما (Esbus) ، فإنها (حشبون) (Heshbon) في التــوراة ، وتعرف اليوم بـ (حسبان) ، وتقع بين (فيلادلفيا) (عمان) و(مأدبا)،وعلى مسافة (٢٦) كيلومتراً من شرق النهاية الشماليــة للبحر الميت في صعيد (موآب)[3] . وهي من مدن العربية القديمة الشهيرة[4] . وفي التوراة انها كانت من مدن (الموآبين) ثم استولى عليها الملك (سيحون) ملك (الأموريين) وجعلهــا عاصمة له ، ثم تغلب عليها الاسرائيليون ، ثم استعادها (الموآبيون)[5] . والظاهر انها كانت من مدن النبط ، ثم دخلت أخيراً في أملاك الرومان فالبيزنطيين . ولا تزال آثار المدينة القديمة باقية حتى الآن . وأما النقود التي ضربت فيها،فهي من أيام (Elagabalus) وبعضها من عهد (كركلا) (كاركلا) (Caracalla) . ويظهـر من بعض النقود انها كانت تعرف أيضاً بـ (Aurelia)[6] . و (Gerasa) هي (جرش) في الزمن الحاضر ، ونسبهــا (ياقوت الحموي) الى رجل زعم أن اسمــه هو (جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبـل بن عبد الله بن كنانـة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيـدة بن ثور بن كلب بن وبرة)[7] . وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة (عجلون) ، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق . ولم يرد اسمها في التوراة[8] . وقد أشير اليها في كتب (الحديث)[9] .

---

١ Musil, Hegaz, P. 253, 255.

٢ Hill, P. XXXII.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٣٧٤) ،
Hill, P. XXXII, Reallexikon, VI, S., 613, Musil, Petraea, I, P. 383.

٤ Ency., Bibli., P. 2044.

٥ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢٥ وما بعدها ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٣٧ ، اشعيا ، الاصحاح ١٥ ، الاية ٤ ، والاصحاح ١٦ ، الاية ٨ وما بعدها ، وارميا ، الاصحاح ٤٨ ، الاية ٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، والاصحاح ٤٩ الاية ٣ .

٦ Hill, P. XXXIII, Hastings, P. 346.

٧ البلدان (٣/٨٥) ، بلدانية فلسطين (٥٢) .

٨ Ency., I, P. 1017, Hastings, P. 290.

٩ اللسان (٦/٢٧٢) .

وبظن بعض الباحثين انها (راموت جلعاد) (Ramoth-Gilead) المذكورة في العهد العتيق[1] . ويظهر انها من المدن التي عرفت بعد عهد (اسكندر الكبير)، وقد استولى عليها (اسكندر ينيوس) (اسكنـدر جنيوس) ملك (يهوذا) ، ثم تحررت من اليهود في عهد (بومبيوس) ، وألحقت بكورة (سورية الرومانية)، ثم أضافها (تراجان) في عام (١٠٦) بعد الميلاد الى (الكورة العربية)،وضمت بعد ذلك الى كورة (فلسطين الثانيـة) (Palestina Secunda) أي الأردن[2] .

وكانت (جرش) مركزاً لعبادة الإلـه (ارتيمس) (Artemis) ، وهـو (ديانا) (Diana) عند الرومان، وابنة (زيوس) (Zeus) و (ليتو) (ليطو) (Leto) عند الإغريق[3] ، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام ، وتشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية لا تزال باقية حتى اليوم[4] .

وأما (Medaba) = (Medeba) ، فهي (مأدبا) وهي (ميدبا) في التوراة. وهي من أقدم مدن (موآب) ، وقد ذكرت في سفر (العدد) مع (حشبون) و (ديبون)[5] . وكانت في أيدي (العمونيين) في ملك (داود) . وفي أيام (أشعيا) عادت الى يد (موآب)[6] . وفيها قتل (يوحنا مكابيوس) (يوحنا المكابـي)[7] . وسبق أن ذكرت أن (بني يمرى) (Bne-Imri) = (Bne-Amri) قتلة (يوحنا) كانوا من سكان (ميدبا) (مأدبا) ، وهم من العرب . وقد جعلها (بطلميوس) في جملة مدن (العربية الحجرية)[8] . أما (أويسبيوس) (Eusebius) و (جيروم) ، فذكراها في جملة مدن (العربية)[9] . وتقـع خرائب تلك المدينة القديمة على مسافة (١٤) ميلاً شرقي (بحر لوط) ، وهـي مبنية على رأس تل وحوله ، وفيه آثار المدينة القديمة . والى الجهة الجنوبيـة منها

---

١ Hastings, P. 290.
٢ Ency., I, 1017, Schürer: Geschichte des jüdischen Volkes, II, S., 182.
٣ Hastings, P. 290, Harvey, P. 52.
٤ Ency., I, P. 1017.
٥ عدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٣٠ .
٦ اشعيا ، الاصحاح الخامس عشر ، الاية ٢ .
٧ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) .
٨ Ptolemy, V, 17, 6, VIII, 20, 20, Ency. Bibli., P. 3003.
٩ Eusebius, 138, 32, 279, 13, Ency. Bibli., P. 3003.

بركة ، والى الشرق والشمال برك أخرى . وتوجد آثار هيكل كبير بينها عمودان واقفان[2] . ومن أنفس ما عثر عليه في هذه المدينة القديمة خارطة من (الموزاييك) الفسيفساء (Mosaic) لفلسطين النصرانية ومصر[2] ، كما عثر فيها على نقود من أيام الرومان واليونان[3] . وقد ازدهرت بعـــد الميلاد : فصارت مركز (أسقف) ، ومثلث في مجمع (خلقيدون) (Chalcedon) [4] .

وأما (فيلادلفيا) (Philadelphia) ، فهي (ربة) و (ربة بني عمون) (Rabbath — Bene — Ammon) في التوراة . وهي في (جلعاد) بالقرب من مخرج نهر (يبوق) وعاصمة (بني عمون)[5] . وذكر (اصطيفانوس البيزنطي) انها كانت تعرف بـ (Astarty) . وقد يكون لهذا القول أصل ، فقد ورد في بعض الكتب ان من مدن (سورية) مدينة عرفت بـ (Asteria) ، وللتسميتين علاقة بالصنم (عشتروت) (Asteria) [6] . وعلى أنقاض هذه المدينة القديمة تقع (عمان) عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وأما سبب تسميتها بـ (فيلادلفيا) ، فلتجديد بنائها واعادة تعميرها في عهـــد (بطلميوس فيلادلفوس) (Ptolemy Philadelphus) (٢٨٥ — ٢٤٧) قبل الميلاد فعرفت به[7] . وصارت من أشهر مدن (Decapolis) [8]. وقد انتزعها (أنطيوخس أبيفانوس) (Antiochus Epiphanes) من (بطلميوس فيلوباتر) (بطلميوس فيلوباطر) (Ptolemy Philopater) في سنة (٢١٨) قبل الميلاد[9] ، وكان يحكمها في أيام (هركانوس) ملك (يهوذا) (١٣٥ — ١٠٧) قبل الميلاد ، حاكم اسمه (زينو كوتيلوس) (Zeno Cotyles) [10] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٨) .

٢ Ency. Bibli., P. 3003, Hastings, P. 596, Clermont Ganneau, in: Recueil D'Archeol. Orient., XI, P. 161, 1897), A. Jacoby, Das geogr. Mosaik von Medaba, 1905, Musil, Petraea, I, PP. 113.

٣ Hill, I, XXXV, 33.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) ، Hastings, P. 596.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٧٣) .

٦ N. Glueck: The River Jordan, 1946, P. 839, 93, 189, Hill, P. XXXIX.

٧ Hastings. P. 780, Ency., Bibli., P. 3998.

٨ N. Glueck, P. 48, 89, 175, 189, Ency. Bibli. P. 3998.

٩ Polybius. (Polubios), 5, 17, Ency. Bibli., P. 3998

١٠ Josephus. Antiq., XIII, 8, I, 15, 3, Ency. Bibli., P. 3998.

وكانت بأيدي النبط في سنة (٦٥) قبل الميلاد[١] .

وتنسب (فيليب بولس) (Philippopolis) ، وهي (شهبة) (شحبة) في الزمن الحاضر[٢] ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات شمال (القنوات) الى (فيليب) (فيلفوس)[٣] المعروف بالعربي (M. Julius Philippus Arabus) (٢٤٤ – ٢٤٩ م)[٤] . وقد عرف بالعربي لأنه كان عربي المولد[٥] . وكان قد نشأ وترعرع في (بصرى) ، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه ، وأصبحت له مكانة كبيرة أوصلته الى أعلى مراتب الدولة ، وهي (قيصر)[٦] .

ويرى بعض الباحثين انه أنشأ هذه المدينة في سنة (٢٤٨) بعد الميلاد أو بين (٢٤٧) و (٢٤٨) بعد الميلاد . ويرى (كوبيجك) (Kubitschek) انه أسسها في عام (٢٤٤) ، أي قبل ذهابه الى (رومة)[٧] . وجعلها في درجة (مستعمرة) (Kolonia) = (Colonia) رومانية . ولا تزال أنقاض هذه المدينة باقية حيث تشاهد آثار معابدها وشوارعها وبعض أبنيتها ومسرح وغير ذلك مما جاء وصفه في كتاب : (Die Provincia Arabia) [٨] ، كما عثر فيها على كتابات ورد فيها اسم (القيصر) (فيليب)[٩] ، كما عثر فيها على نقود [١٠] .

وأما (Rabbathmoba) ، وتعرف في اليونانية باسم (Areopolis) ، فإنها (ربة) (ربا) ، وهي مدينة بنيت في عهود الرومان المتأخرة على رأي بعض الباحثين[١١] . وقد عثر فيها على نقود ضرب عليها اسم (سبتيميوس سويروس) وأسرته . ويظن أن الصورة الرمزية المضروبة على عدد من نقود (ربة) تشير إلى

---

١ Ency. Bibli., P. 3998.

٢ (شحبة) ، Provincia, III, S., 145, 147.

٣ (فيلفوس) الطبري (١/٦٩٤ ، ٧١٩) ، فهرست تأريخ الطبري ، عمل (دي غويه) (ص ٤٥٤) .

٤ Hill, P. XXXIX, Die Araber, II, 4.

٥ The Historians' History of the World, Vol., VI, P. 412.

٦ Leopold von Ranke: Weltgeschichte, BD., 5, S., 163,

٧ Hill, P. XIII, Provincia, III, S., 305.

٨ Hill, P. XII, Provincia, III, S., 305.

٩ Hill, P. XIII.

١٠ Provincia, III, S., 145.

١١ Hill, XIII, Provincia, I, S., 55, Burckhardt, 377, H.B. Tristram: The Land of Israel, 110.

إلـه لعله الإلـه (Kemosh) أو الى معبده الخاص به ، على نحو ما رأينا في بعض النقود من ذكر (متاب) ، وهو معبد (دوشرى) ليرمز إلى الإلـه[1] . ويرى بعض الباحثين أن (Kemosh) هو إلـه الحرب[2] .

ومن مدن الكورة العربية الأخرى : (Sodoma) ، ولعلها (الزوراء)[3] ، و (السويداء) (Dionysias) ، و (Beretana) ، وقد وردت أسماؤهـا في مجمع (نيقية) . وقد ألحقت (السويداء) بالكورة العربية في أيام (سويروس) و (Adrama) و (Constantine) و (Neapolis) ، وقد وردت أسماؤها في جملة الأسماء المدوّنة في أعمال مجمع (القسطنطنية) المنعقد عام (٣٨١) للميلاد[4] . و (Ziza) و (Dia-fenis) و (Tricomia) و (Areopolis) و (Canotha) و (Nela) و (Zerabena) و (Anitha) و (Eutymia) و (Chrysopolis) و (Erra) و (Neve) و (Maximianopolis) و (Phaena) و (Aena) ، وقـد وردت أسماؤها في سجلات أعمـال مجمع (خلقدون) (خلقيدون) (Chalcedon) (٤٥١ م)[5] .

وذكر (بطلميوس) أسماء مواضع أخرى يقع بعضها في النقب (Negeb) = (Negev) غرب (العربـة)[6] . وسجلت في (Notitia Dignitatum) أسماء (Motha) ، وهي : (أمنان) (Speluncae) ، وهـي (دير الكهف) ، (Mefa) و (Gadda) وهي (خو) ، و (Betthoro) و (Dia-Fenis) و (Auatha) و (Gomotha) و (Libona) و (Naarsafari) و (Thainatha) و (Aditha) وهي (الحديد) و (Asabaia) و (Ultha) و (Uade Afar) و (Castra) (Arnonensia)[7] ، على انها من مواضع الكورة العربية . وهناك أماكن أخرى ذكرت أسماؤها في كتاب : (Die Provincia Arabia) ، قد يخرجنا تعدادها عن

١ Hill., P. XIII.

٢ Hill, XIII, Baethgen: Beiträge zur Semit. Religiongeschichte, S., 14.

٣ Provincia. III, S., 253.

٤ Provincia, III, S., 252, 353.

٥ Provincia, III. S., 263, Harduin, Kritische Angabe der Unterschriften von Geltzer, Leipzig, 1893.

٦ Provincia, III, S., 256, Ptolmey, V, 16.

٧ Provincia, III, S., 256, Notitia Dignitatum. Ori., 37.

أصل الموضوع[1] .

وقد أوكلت مهمة المحافظة على الأمن في (الكورة العربيـة) الى الكردوس (اللجيون) (Legion VI Ferrata) الروماني الذي كان معسكـراً منذ أمد في (سورية) ، فصدر الأمر اليه في سنة (١٠٦) للميلاد على ما يظهر بنقل مقره من شمال سورية الى هذه الكورة الجديدة التي أنشأها (تراجان)[2] . ثم نقل مقره في أيام (هدريانوس) (Hadrianus) الى (اللجون) (Caparconta) في (الجليل) (Galilee)[3] . وفي أيام(هدريانوس)أيضاً وفي سنة(١٣٥)للميلاد وهي سنة استيلائه على القدس واخماده الثورة التي قامت في (اليهودية) أمر بانشاء (Aelia Capitolina) . لأغراض عسكرية على ما يظهر[4] .

ويرى بعض الباحثين أن الكورة العربية قد قسمت في القرن الثالث للميلاد وفي (ديوقليطيـان) (ديوقلطيـانوس) (Diocletianus) = (Diocletian) الى كورتين : كورة شماليـة عاصمتها (بصرى) وعرفت بـ (كـورة بصرى) (Provincia Bostron) ، وكورة جنوبية وعاصمتهـا (بطرا) وعرفـت باسم (كورة بطرا) ، وبعبارة أصح (الكورة الحجرية) (Provincia Petrae) ، وتعرف بـ (العربية) أيضاً[5] .

أما في القرن الرابع وفي حوالي سنة (٣٠٧) للميلاد تقريباً ، فقد اقتطعت منها بعض المدن ، مثل (أيلة) و (Phainon) ، وألحقت بفلسطين ، وبذلك تقلصت (Praeses Arabiae) وتوسعت رقعة فلسطين (Praeses Palestinae) كثيراً . ويظهر أن الضرورات العسكرية هي التي دفعت الى احداث هذه التغيرات[6] .

وحدثت تغيرات أخرى في (الكورة العربية) في القرنين الخـامس والسادس

---

١ Provincia, III, S., 253.

٢ The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol., II, III, 121, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, I, 251, I, II, Plate 59.

٣ The Quarterly, II, III, P. 121, 1933.

٤ The Quarterly, II, III, P. 120.

٥ Provincia, III, 271, Mommsen: Verzeichnis der Römischen Provizen, S., 501.

٦ Provincia, III, S., 275.

للميلاد، فانتزعت منها مدن أخرى ألحقت بـ (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) وتعرف أيضاً بـ (Palestina Salutaris)[1] .

أهل الكهف والرقيم :

ولا بد لي وقد انتهيت من الحديث عن النبط وعن (الكورة العربية) من الكلام عن أهل الكهف والرقيم ، الـذين ذكروا في القرآن الكريم : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً »[2] . إذ ذهب بعض علماء التفسير الى أن الرقيم وادٍ دون فلسطين فيه الكهف ، وهو قريب من (أيلة) . كان اليهود قد أوحوا الى المشركين من أهل مكة، أن يسألوا الرسول عنهم ، امتحاناً له . وكانوا يتداولون أخبارهم ، ويروون قصصاً عنهم ، كان شائعاً فاشياً اذ ذاك بين النصارى أيضاً ، فجاء الجواب عنهم في سورة (الكهف)[3] .

وهناك من زعم أن (الرقيم) على فرسخ من (عمّان) ، أو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت ، أو أنها (البتراء) : وذلك بالإضافة الى روايات أخرى رَجّحَت مكان (الكهـف) الى (أفسس) (أفسوس) ، بالأناضول ، أو الى أماكن أخرى لا داعي الى ذكرها في هذا المكان ، لعدم وجود علاقة لها بهذا البحث . وقد بحث عنها المتخصصون ، كما قامت بعثات آثارية بالبحث عن كهف (أهل الكهف) في الأماكن المذكورة ، للتأكد عمّا جاء عنه في الموارد النصرانية والاسلامية ، فإليها أحيل من يريد التبسط في الكلام عنه[4] .

---

١ Provincia, III, S., 280.

٢ سورة الكهف ، الاية ٩ .

٣ تفسير الطبري (١٥/١٢٦ وما بعدها) ، (طبعة بولاق) ، تفسير النيسابوري (١٥/١١٦ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري ، طبعـة بـولاق) ، تفسير القرطبي (١٠/٣٥٦ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٣/٧٣) .

٤ راجع دائرة المعارف الاسلامية ، Encyclopedia of Islam ، ومجلـة : Review de Qumran, Vol. 5, No. 18, 1965. وما كتبـه (ماسنيون) و (بارنيوس) Baronius و (تاليمونت) Tallmont عن الكهف . واشكر دائرة الاثار بعمان في المملكة الاردنية الهاشمية لتفضلها علي بارسـال صورة كتابة (بئر ام الرجوم) ، ومقال يقع في (٣) صفحات للسيد رفيق وفا الدجاني عنوانه : كهف ، اهل الكهف في الرجيب ، وذلك بكتابها المرقم د ٢ـ١٤ ـ٤ـ١٩٥٨ والمؤرخ لـ (١٨ـ٨ـ١٩٦٦ م) .

ولقد تبين الآن ان الكتابات المدونة عند مدخل (الشق) في (البتراء) ، لا صلة لها بأهل الكهف ، وانما كتبت تخليداً لذكرى جماعة من اليونان البارزين جاءوا من (جرش) فوافاهم أجلهم بـ (البتراء) ، ماتوا قبل (أصحاب الكهف) بأمد . وقد شرح تلك الكتابات (ستاركي) (Starkey)[1] . وذهب الباحثون في (دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية) الى أن كهف (أهل الكهف) ، هو (كهف الرجيب) ، وهو على مقربة من قرية صغيرة تدعى (الرجيب)،وجدت بداخله مدافن يرجع عهدها الى زمان القيصر (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosius II) (٤٠٨ — ٤٥٠ م) ، الذي في زمانه كان بعث أهل الكهف . وذهبوا الى ان اسم هذا الموضع في القديم هو (الرقيم) ، تحوّل الى (الرجيب) فيما بعد . وأيد هذا الرأي الأستاذ (هج نيلي) (Hugh Nilley) الذي زار الموضع ودرسه ، وكتب مقالاً عنه[2] .

وذهب من رأى ان كهف الرجيب هو (كهف أهل الكهف) ، الى أن دخول الفتية الكهف ، كان في أيام الطاغية (تراجان) (٩١ — ١١٧م) المشهور ، فاتح (الكورة العربية) ومؤسسها والآمر بانشاء الممر الحربي المعروف باسم (طريق تراجان) وباني مدينة (أيلة) الرومانية وصاحب الملعب الروماني والآثار العديدة للمباني التي أقامها بعمان ومدن أخرى من الأردن . وقد كان شديداً عاتياً قاسياً على النصارى ، عدّهم خونة مرقة خارجون على الدولة والقانون لذلك أصدر أمره سنة (١١٢م) بقتلْ كل نصراني لا يخلص للقيصر والدولة ، فخاف منه النصارى وتكتموا ، وكان من جملة من تكتّم وانزوى (أصحاب الكهف)[3] .

ووجدت البعثة الأميركية لمدرسة الأبحاث الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية في موضع (أم الرجوم) الواقع على بعد (١٥) كيلومتراً شمال (عمان)،

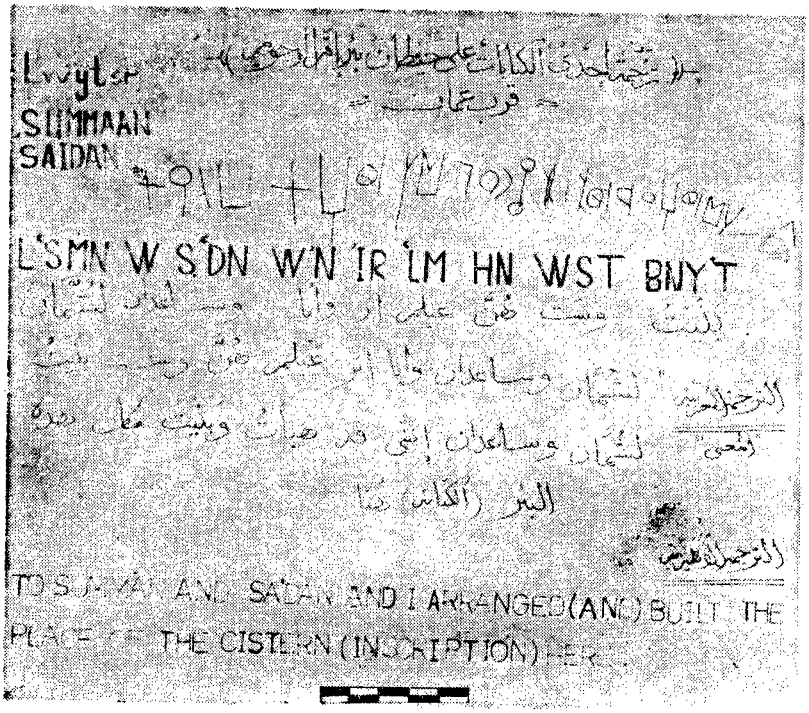
---

١ (ص ٢) من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل الي ، وهو يشير الى الجزء العاشر من حوليات دائرة الآثار .

٢ من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل لي بكتاب دائرة الاثار الاردنية المشار اليه ، وقد اشار الى مجلة Revlew de Qumran, Vol., 5, No : 18, 1965.

٣ المصدر المذكور .

آثار بئر قديمة استدل من كتابة عثر عليها مدوّنة على جدارها انها تعود الى ما قبل الميلاد . وأن الموضع المذكور هو حصن من الحصون الّتي كانت تدافع عن مدينة (ربّة عمون) ، عاصمة مملكة (عمون) ، التي عاشت بين القرن الثالث عشر والقرن السادس قبل الميلاد . و (ربة عمون) ، هي (عمان) العاصمة



هذه صورة الكتابة التي دونها الباحثون لكتابة بئر ام الرجوم
أهدتها لي دائرة الآثار الأردنية بعمان ، فلها شكري

الآن . وقد كتبت الكتابة بخط مشتق من القلم العربي الجنوبي ، يظن البعض أنها من كتابات القرن السابع قبل الميلاد .

ويظهر من هذه الكتابة المهمة ، أن أصحابها كانوا يكتبون بقلم قريب من

القلم المسند ، وقريب من القلم اللحياني والثمودي والصفوي ، وأن لهجتهم كانت لهجة عربية ، أي أن أصحابها من العرب . وقد كتبوها لمناسبة إقامـــة تلك البئر التي حفرها وهيأها (شمّان) و (سمّان) و (ساعدن) (سعد) (ساعد) وهما أصحاب هذه الكتابة والبئر[1] .

---

١ كتاب دائرة الاثار الاردنية المؤرخ لـ ١٨ـ٨ـ١٩٦٦ م والمرقم بـ (٢ـ١٤ـ٤ـ ١٩٥٨) .

الفصل الخامس والثلاثون

مملكة تدمر

ويتصل الحديث عن النبط بالحديث عن مكان آخر له علاقة بهم أيضاً ، هو (تدمر) المعروف بـ (Palmyra) عند الغربيين الذين ورثوا هـــذه التسمية عن الرومان واليونان . وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglat-Pileser I) = (Tiglath-Piles) (١١١٧—١٠٨٠ق.م.)[١] على رأي بعض الباحثين . وقد ورد اسم المدينة وهو (تدمر) في عدد من الكتابات كما ورد اسم علم للأشخاص .

وقد رأى بعض الباحثين ان (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخل) (نخلة) ، وان الاسكندر ذا القرنـــين لما تغلب عليها أطلق عليهـــا (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة ، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم[٢] . غير ان هذا رأي يحتاج الى اثبات ، فليس لدينا دليل من عهد الاسكندر يؤيد هذا القول . وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخـــل في هذه المدينة اثباتاً يستوجب تسميـــة الموضع

---

١ Ency., Vol., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XIIV, 547, Syria, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, Tome, VII, Paris, 1926. P. 77, Dhorme: Palmyre dans les Textes Assyriens, Revue Biblique, 1924, PP. 106, Ency. Brita., Vol., 17, P. 161, Reallex., I, IV, S., 280.

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢٨٢/١) ، Ency., III, P. 1020.

ب- (Palmyra) أي مدينة النخل[1] .

وهناك آراء متباينة في سبب تسمية (تدمر) بهذا الاسم ، هي موضع جدل ، وليس فيها رأي يمكن الاطمئنان الى صحته وترجيحه على غيره، لذلك أترك البحث عنه الى المراجع التي بحثته[2] .

ويظن بعض الباحثين أن (Palmyra) هي ترجمة لكلمة (تمار) (تامار) (تمر) (Tamar) العبرانية ومعناهـا (نخلة) (Date — Palm) ، وهي في الأصل اسم موضع الى الجنوب الشرقي من يهوذا ورد ذكره في (حزقيـال) ، لا يعرف موضعه اليوم على وجه التحقيق[3] . ويرى علماء التوراة أنه الموضع الذي بناه سليمان والمذكور في (الملوك الأول) وان خطأً وقع قديماً في تعيين الموضع فجعل (تدمر) ، سببه أن كتبة أسفار (أخبار الأيام) أو الكتبة قبلهم أخطأوا في معرفة موضع (تامار) (Tamar) الواقع في الصحراء اليهودية جنوب البحر الميت ، فظنوا انه (تدمر) المدينة الشهيرة المعروفة ، وكتبوه (تدمر) في محل (تامار)[4] . فالأصل اذن هو (تامار) . وصارت (تدمر) نتيجة لهذا التغير في جملة المدن التي بناهـا (سليمان) . وقد كتبت (أسفار أخبـار الأيام) (Chronicles) في حوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٠٠) قبل الميلاد ، لذلك يكون هذا التبديل والتغير قد ظهر في حوالي هذا الوقت[5] . ومنه صارت (تامار) (تدمر) ومنه أصبح معنى (تدمر) مدينة النخل ، أي (Palmyra) عند اللاتين واليونان وقد ظهرت هذه الترجمة بعد تدوين أخبار الأيام بالطبع . ومنها جاءت أسطورة بناء سليمان لمدينة (تدمر) في هذه المنطقة البعيدة عن حدود مملكة اسرائيل[6] .

---

١ Hasting, P. 889, Johannes Oberdick: Die Römerfeindlichen Bewegungen im Orient, Berlin, 1869, S., 44.

٢ Ency., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, M. Hartmann, in ZDMG., XXLII, 128.

٣ حزقيال ، السفر ٤٧ ، الايـــة ١٩ ، والسفر ٢٨ ، قاموس الكتـــاب المقدس (١/٣٠٠) .

٤ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الاية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس (١/٢٨٢ وما بعدها) ، Hastings, P. 892, Ency., III, P. 1020, The Universal Jewish Encyclopedia. Vol., 8, P. 381.

٥ Ency. Brita. Vol. 17, P. 161, Hastings, P. 369.

٦ Ency. Bibli., P. 4886. Hastings. P. 889.

وعلى كل حال ، فإن الذي نستنبطه من قصة إضافة (تدمر) الى المباني التي نسب بناؤها الى سليمان ، هو أن هذه المدينة كانت قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين أسفار (أخبار الأيام) وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين السنة (٣٠٠) و (٢٠٠) قبل الميلاد[1] .

ويجوز أن تكون الشهرة التي اكتسبتها مدينة (تدمر) (تذمر) في أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هي التي حملتهم على إضافتها الى أعمال (سليمان)، لأنها (بمباني سليمان) أليق وأنسب من موضع صغير هو (تامار) ، فأضافوا هذه المدينة الشهيرة اليه ، لتدل على شهرته وعلى مدى بلوغ ملكه في أيامه . وقد أضيف الى ملك سليمان على هذا النحو من الإضافات ما لا تصح إضافته اليه ، وبولغ في ملكه وحكمه في الأيام القديمة التي تلت أيامه ، لأنه كان من أشهر ملوك (بني اسرائيل) ، حتى صارت أخباره من قبيل الأساطير .

وذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) هذا المذهب أيضاً،فنسب بناء (تدمر) الى (سليمان)[2] . أخذ رأيه هذا من هذا الموضع من التوراة بالطبع ، ومن الروايات التي وصلت اليه وكانت قد ظهرت قبله ، للسبب المذكور .

أما الروايات العربية ، فهي لا تفيد علماً ولا تصلح أن تكون دليلاً ، فهي روايات متأخرة دخلت الى المسلمين من أهل الكتاب ، أشاعها وروّجها أمثال (ابن الكلبي) بين الأخباريين ، فأخذوها بغير تحقيق ولا تدقيق . وقد ذكر (ياقوت الحموي) ان قوماً يزعمون انها مما بنته جنّ سليمان ، وان أهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل سليمان بزمان[3] .

ولدينا أبيات نسبت الى (النابغة الذبياني) تتضمن أسطورة بناء جنّ سليمان لتدمر ، امتثالاً لأمره الذي أصدره اليها ، فقد نسب اليه قوله :

---

١ Hastings, P. 889, Die Araber, I, S., 344.

٢ Hommel, in ZDMG., XIIV, 547, Ency., III, P. 1020, P. Dhorme. Palmyre dans les Textes Assyriens, in: Revue Biblique, 1924, PP. 106.

٣ البلدان (٢/٣٦٩) ، (ثم عاد الى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه) . (ملك سليمان) ، الاخبار الطوال (٢٠) .

إلاّ سليمانَ إذ قال الإلـه له ،   قم في البريّة فاحْددها عن الفنَد
وجيِّش الجنَّ اني قد أمرتهمُ   يبنون تدمرَ بالصُّفاح والعَمَد[1]

ولا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء (سليمان) لتدمر . فمن الجائز أن يكون النابغة أوْ غيره ، قد أخذ فكرته هذه من أهل الكتاب ، ومن الجائز أن يكون هذا الشعر من وضع الوضّاعين نسبوه اليه . وقد وضعت أشعار في الاسلام ونسبت الى الجاهليين ، والى آدم وهابيل وقابيل والجن وابليس .

وبين الأخباريين من ينسب بناء (تدمر) الى (تدمر بنت حسان بن أذينة ابن السميدع بن يزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح) . وذكروا قصة تفيد عثورهم على قبر (تدمر بنت حسان)[2] . وقد أعجبوا ببنائها ووصف الشعراء صورتين جميلتين من بقية صور كانت فيها . وقد حاصرها خالد بن الوليد ثم ارتحل عنها فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضي به[3] . أما قصة العثور على قبر في تدمر ووجود جثة فيه ، فأمر ليس ببعيد ولا بغريب . وأما قصة (تدمر بنت حسان) ونسبها والكتابة التي على قبرها ، فهي من وضع الأخباريين والقصاص ولا شك[4] .

وقد أشار (بلنيوس) (بلينيوس) الى مدينة (Palmyra) ، وهو أول كاتب (كلاسيكي) عرض لها ، فذكر أنها مدينة شهيرة ، ولها موقع ممتاز ، أرضها خصبة ، وبها ينابيع وعيون ، تحيط بحدائقها الرمال . وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف ، بعيدة المسافات ، وتقع بين انبراطوريتين عظيمتين انبراطورية (رومة) ، وانبراطورية (الفرث) (Parthia) ، ولهذا

---

١ (وخيس الجن . اني قد أذنت لهم) ، اللسان (خ/ي/س) ، معجم ما استعجم (١/١٩٤) ، (وستنفلد) ، البلدان (٢/٣٦٩) ، المشرق ، السنة الاولى العدد ١١ ، حزيران ، ١٨٩٨ م (ص ٤٩٦) ، مروج الذهب (٢/٢٤٤) ، (دار الاندلس) ، (ذكر الاخبار عن بيوت النيران ، وغيرها) .
٢ البلدان (٢/٣٦٩) ، معجم ما استعجم (١/١٩٤) .
٣ البلدان (٢/٣٧١) .
٤ Lidzbarski, Ephemeris, I. S., 207.

استرعت أنظار الدولتين[١] . وورد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعد (بلينيوس) مما يدل على ازدياد شهرة هذه المدينة بعد الميلاد[٢] .

ويعود الفضل في حصولنا على معارفنا التأريخية عن تدمر الى الكتابات التدمرية التي درسها المستشرقون وترجموها الى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهي بالإرمية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية ، نشرت في كتب خاصة وفي كتب الكتابات السامية وفي ثنايا المجلات[٣] ، والى كتب المؤلفين اليونان واللاتين والسريان . من هذه الموارد الرئيسية استقى المؤرخون معارفهم عن تأريخ هذه المدينة ، تضاف اليها موارد ثانوية ذكرت (تدمر) عرضاً لوجود مناسبة دعت الى ذلك مثل سجلات المجامع الكنيسية والتلمود .

أما تأريخ المدينة فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر يعود الى ما قبل الميلاد . وأكثر ما كتب عن مدينة (تدمر) يعود الى ما بعد الميلاد .

وكان غالبية أهل (تدمر) برغم كتابة أمورهم بالإرمية وبالقلم الإرمي من العرب على رأي أكثر الباحثين ، شأنهم في ذلك شأن نبط (بطرا)[٥] . وهم يرون ان القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الخصبة الواقعة في شرقي أرض (كنعان) ، بعد سقوط الدولة البابلية ، كتبوا بالإرمية، لأنها كانت لغة الكتابة

١ Pliny, Nat. Histo., V, XXI, 88, William Wright, An Account of Palmyra and Zenibia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, London, 1896, P. 110. وسيكون رمزه : Wright :

٢ Ency. Bibli. P. 4886.

٣ راجع الموارد الاتية فيما يتعلق بكتابات تدمر :
Répertoire d'Epigraphie Sémitique, Corpus Inscriptionum Latinarum, Corpus Inscriptionum Graecarum; Cantineau. Inventaire des Inscriptions de Palmyre, Beyrouth 1930; Littmann: Semitic Inscriptions, Part IV of «The Publications of an American Archeological Expedition to Syria in 1899-1900»; Sabernheim: Palmyrenische Inschriften, in: Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1905; De Vogue: Syrie Centrale — Inscriptions Sémitiques, 1868; J.B. Chabot: Notes d'Epigraphie d'Archéologie Orientales, in: Journal Asiatique, 1897-1901; Cooke: Textbook of North Semitic Inscriptions; Syria, Tome XIV, 1933, PP. 158, 169; Cantineau: Inscriptions Palmyrennes, Damas 1930; Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palmyrenischen Inschriffen.
Fr. Rosenthal, Das Sprache der Palmyren Inschriftten.

والثقافة في المنطقة الواسعة الواقعة غربي الفرات[١] . وتظهر في بعض الكتابات بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصيلة ، كما نجد فيها أسماء أصنام عربية مع أصنام إرمية[٢] . وبالجملة فإن في (تدمر) ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات : عربية وإرمية ويونانية ولاتينية،وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تأريخها سنة (٣٠٤) من التأريخ السلوقي ، أي سنة (٩) قبل الميلاد[٣] .

كانت تدمر عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد تمر بها القوافل تحمل أثمن البضائع في ذلك الوقت . كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في ايران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط ولا سيما ديار الشأم ومصر ، كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال افريقية والعربية الجنوبية والهند . ان هذه التجارة هي التي أحيت تلك المدينة . كما ان تغيّر طرق المواصلات بسبب تغيّر الأوضاع السياسية هو الذي شلّ جسم تلك المدينة فأقعدها عن الحركة بالتدريج .

لقد كانت القوافل الذاهبة من العراق الى بلاد الشأم ، أو القادمة من بلاد الشأم الى العراق ، تمر بمدينة (تدمر) . وكان الموضع الذي تحط فيه قوافل (تدمر) هو موضع (Vologesias) = (Vologesokerta) على نهر الفرات . ومن هذا المكان تنقل التجارة الى الجهات المقصودة في العراق ، ومنه تحمل تجارة العراق بالبر الى (تدمر) فدمشق[٤] .

ويظهر من كتابة عثر عليها في احدى المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر في حوالي سنة مئة قبل الميلاد بمدينة (تدمر) في أثناء أسفارها بين مدينة (دورا) (Doura) والشأم . وبين الطريق القديم وهذا الطريق ، تسكن قبائل عربية من سكان الخيام ، أي من النوع المعروف باسم (سكينيته) (Skenita) عند (الكلاسيكيين)[٥] .

---

١ Ency. Brita, 17, P. 161.

٢ Syria, XIV, 1933, Nöldeke: Uber Orthographie und Sprache des Palmyrener, in ZDMG., XXIV, 1870, S., 85.

٣ Cooke: Northsemitic Inscriptions, No. 141, Vögue: Syrie Centrale, No. 30a, Ency., Brita., 17, P. 162.

٤ Die Araber, II, S., 61.

٥ The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 599.

وقد اقتضت هذه الأعمال التجارية الواسعة تكوين علاقات سياسيـــة واقتصادية مع الفرس والرومان والروم والقبائل العربية في البادية التي لم يكن من الممكن مرور قوافلها في أرضها بسلام ما لم يتفق مع سادتها على دفع إتاوة سنوية ، أو جُعْل معلوم . ولضمان سلامة قوافلها ، اضطرت كما اضطر غيرها إلى إرسال حرّاس معها وإلى انشاء مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة من البادية . ونجد في الأخبار أن التدمريين جمعوا فاول أهل المدينة الذين سرّحوا من الجيش الروماني أو الذين أجبرهم الاضطراب أو ضعف قادة الجيش الروماني أو عنجهيتهم على ترك الخدمة في جيش الرومان ، وألفوا منهم جيشاً درب تدريباً حسناً ، وصار قوة مقاتلة متفوقة على قوات الأعراب بما توفر عندها من حسن التدريب والطاعة والنظام ، واستطاعوا بهذه القوات من الهيمنة على أبناء البادية الجيـاع الى الغزو والسلب ونهب القوافل ، ووضعوا لهم حاميات في المراكز الضرورية الحساســة . فقد ورد في الكتابات أنه كان لهذه المدينة حامية (Militia) في (عانة)(عاناتا) (Anatha) = (Anath) في عام (١٣٢) و (٢٢٥) بعد الميلاد ، وفي (الحيرة) (Hirtha) في سنة (١٣٢) بعد الميلاد وفي (دورا) (Doura) في سنة (١٦٨) و (١٧٠) للميلاد[1] .

وقد عثر على مدافن بمقربة من القدس وجدت فيها كتابات تدمريـــة دوّنت عليها أسماء أصحاب تلك القبور ، ويظهر أنهم من جنود (تدمر) الذين التحقوا بالجيش الروماني ، وخدموا فيه ، وقد اشتركوا مع الرومان في محاصرة القدس . ويجوز أن يكون بعضهم من التجار جاؤوا الى هذه المدينة ، فأقاموا بها للاتجار .

وقد كوّن الرومان فرقاً من الجنود التدمريين المرتزقــة الذين التحقوا بالجيش الروماني ، فاستفادوا منهم في قتال القبائل الغازية بصورة خاصــة وفي القتال في البوادي لخبرتهم بهـا ولقدرتهم على القتال في هذه المواضع وتمكنهم منها ، كما استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب . واشتهر التدمريون في فن الرماية ، فكانوا في أيامهم من خيرة الرماة بالسهام ، ولذلك استعان بهم الرومان وألفوا كتائب منهم اشتهرت في الحروب . ولما سقطت (تدمر) احتفظ

---

١ Byrtus, Vol., III, Fasc., I, 1943, P. 25, 55, CIS. II. 3973. A. Cantineau: Syria. XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

الرومان بهم في جيوشهم ، فاستخدموهم في حروبهم في شمال إفريقية . وقد عثر على كتابات أثبتت انهم كانوا في جملة القوات الرومانية التي كانت في بريطانية[1].

واشتهر التدمريون بفرسانهم كذلك ، فقد ألف (أذينة) قوة من القوات الراكبة لمحاربة أعدائه ، جهزها بأسلحة واقية من دروع ومن صفائح من المعدن يلبسها الفارس من أعلى رأسه الى أسفل قدمه ، فلا يستطيع عدوّه أن يناله بأذى، كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية ، على نحو ما كان يفعله الفرس في قوافلهم الراكبة في أثناء القتال . وقد اكتسبت هذه القوّات شهرة واسعة في حروبها مع الفرس والرومان[2] .

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين . أما أطرافها وحواليها ، فكانوا أعراباً ورعاةً . وكانت مدينة يونانية ولكنها لم تكن مثل المدن الأخرى المتأثرة بالهيلينية في الشرق ، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية (Greek Polis) ، وكانت خاضعة للرومان وبها حامية رومانية ، ولكن خضوعها كان في الواقع صورياً ، كما أن الحامية لم تكن شيئاً تجاه أهل المدينة والقبائل المحيطة بها . كانت المدينة بالرغم من الطابع الهليني – الروماني الذي يبدو عليها ، مدينة شرقية ، الحكم فيها في يد الأسر ذات السلطان في البلدة تحكمها في السلم والحرب . لقد خلقت الاضطرابات السياسية التي حدثت في الشرق لضعف الحكومات الكبرى وانحلالها وانقسامها الى (ملوك طوائف) جماعة من الحكام السادات (Tyrannies) تزعموا القبائل أو المدن ، وشاركوا الحكومات في الحكم . ومن هؤلاء الأسرة التي حكمت (تدمر) . والأسرة التي حكمت (حمص) (Emesa) = (Hemesa) [3] .

وكانت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ، أقامت فيها وفضلت السكنى فيها على المواضع الأخرى . أقامت بين أهل المدينة حتى صارت من سكان المدينة ، كما كانت فيها جاليات يهودية نزحت اليها في زمن لا نستطيع تعيينه بالضبط ، قد يكون قبل سقوط القدس في أيدي الرومان بأمد للاتجار ، قامت بأعمال التبشير بين

---

١ Enc. Brit. 17, P. 163, Cooke, NSI, PP. 250 312, Lidzbarski, Ephemeris. II, S., 92.

٢ Die Araber, II, S., 259.

٣ Byrtus, Vol., III, I, 1943, P., 54, M. Rostovtzeff: Social and Economic History of the Hellenistic World, Ch., VI, PP., 842, 852.

السكان ، فتهوّد أناس منهم ، ورحل قسم من هـؤلاء المتهودين الى القدس ، وأقاموا فيها قبل خراب الهيكل بأمد[1] .

تمكنت هذه المدينة الصحراوية من رفع منزلتها من منزل منعزل في البادية تنزل به القوافل الى مكانة مدينة من الدرجة الأولى ، ومركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج اليه أعراب البادية،وسوق للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها وتجمعت فيه رؤوس الأموال والذهب والفضة والجواهر ولا سيا بعد سقوط (بطرا) بأيدي الرومان ، وذهاب ملكهم ، فانتقلت أسواقهم الى أيدي التدمريين . وتولت قوافل (تدمر) نقل البضائع بين العراق والشأم مخترقة البادية الى المرافىء العراقيـة على الفرات . وقد عادت هذه القوافل على المدينة بخير عميم من أجور الوساطة في البيع والشراء ومن الضرائب التي تجبيها عن البضائع التي تمر بها أو تباع فيها ، والتي يحددها مجلس سادات المدينة . وتتبين مظاهر هذه الثروة في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا الهياكل والأعمدة المرتفعة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصفوفة على جانب الشارع الكبـير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير الى نهايته في مسافة لا تقل عن (١٢٤٠) ياردة[2] .

ولما كانت (تدمر) مدينة حياتها الأساسية بالتجارة ، صار للتجـار وأرباب القوافل ولزعماء القوافل شأن خطير في الحياة الاجتماعية للمدينة ، حتى أشير اليهم في الكتابات ، حيث كثر فيها ورود ذكر (زعيم القافلة) و (زعيم السوق)[3] .

ومدينة مهمة لها مال وثروة وليس لها جيش ضخم قوي ولا مجـال لتكوين هذا الجيش فيها ، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين . ولو كانت في بقعة منعزلة وفي بادية بعيدة . فقد كان لعاب الدول القوية يسيل عنـد سماعها بوجود شعوب صغيرة أو حكومات مـدن أو مواضع ذات ثراء ومال ، فتكتب اليها إما باعطاء ما عندها اليها ، وإما بدفع جزية ترضيها،راضية مرضية، وإما أن تمتنع فتزحف جيوشها عليها عندئذ فيكون كل ما يصل اليه يدها حلالاً طيباً ، ويكون الناس لها عبيداً وخولاً ، لا نستثني (تدمر) من هذا الولـع

---

١ The Universal Jewish Encyclopedia, 8, P., 381.

٢ Ency. Brita., 17, P., 162, Syria, XXIV, 1933, P., 396, «Premières Restaurations à l'Arc Monumental de Palmyre», by Robert Amy;

٣ Cooke: North-Semitic, PP., 274, 279.

الانساني بالحصول على الثراء السهل بالطبع . لذلك طمع فيها الطامعون من شرقيين وغربيين . طمع فيها أهل العراق ، وطمع فيها الفرس ، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون . وكان أول طامع فيها وصل خبره الينا من الفاتحين الأقوياء هو الملك (تغلت فلاصر) (تغلات بليزر) (Tiglath — Pilezer) الأول ، تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك والتسلط في أرض الشرق الأدنى .

واذا عرفنا ان (تغلت فلاصر الأول) (١١١٧ — ١٠٨٠ ق. م.)، كان قد استولى عليها ، فإن ذلك ينفي ما ورد في أخبار اليهود من بناء سليمان لتلك المدينة على نحو ما ذكرت . فقد جاء حكم (سليمان) بعد حكم هذا الملك الآشوري بنحو قرن ، وقد كانت المدينة قائمة قبل ذلك الملك بالطبع .

وقد صارت (تدمر) في جملة الأرضين التي أخضعها (الاسكندر) الكبير لحكمه . لحكم تلك الامبراطورية التي أراد أن يكوّنها في ذلك العالم ، ليوحد فيها الأجناس والأديان ، وليقيم مملكة واحدة على هذه الأرض . ومن عهد الاسكندر ظهر اسم (تدمر) الأجنبي ، أي (بالميرا) (Palmyra) بين اليونان واللاتين[١] .

ولما انقسمت دولة (الاسكندر) قسمين ، صارت (تدمر) من نصيب (السلوقيين) على ما يظهر . ولكننا لا نعلم شيئاً عن عهد استيلائهم عليها ، ولا عن مدة بقائهم فيها . وقد حاولت (تدمر) أن تقف موقف الحياد بين (الفرث) والرومان ، وتمكنت من ذلك أمداً ، اذ كان من مصلحة الدولتين المتنافستين وجود محل منعزل محايد، كي يتمكن تجار الدولتين من الاتجار فيه ومن التسوق منه[٢].

وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم اليه الجنود المقدونيين في مدينة (تدمر) . فعل ذلك سنة (٢٨٠) قبل الميلاد . ولعلّ هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع المهمة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السياسية والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها[٣] .

ولا يعرف تأريخ خضوع تدمر للرومان معرفة أكيدة . وقد ورد في تأريخ (أفيفانوس) أن (مرقس أنطونيوس) القائد الروماني بعد أن حارب الملوك

---

١ Agnes Carr Vaughan, P., 7, New York, 1967.
وسيكون رمزه : Vaughan

٢ Vaughan, P., 8.

٣ Freya Sterk: Rome on the Euphrates, P., 242, New York, 1967.

(الأرشكيين) ، ودارت عليه الدوائر. توجه الى الشأم عائداً من ثم الى (رومة). فلما قرب من (تدمر) أوفد الى أهلها رسلاً يخبرونهم أنه قاصد مدينتهم ليريح فيها جنوده من أتعاب الحرب ومشقة الطريق . وكان يريد في نفسه الاستيلاء على المدينة وأخذ ما فيها من أموال ونفائس .. فأحس التدمريون بالمكيـدة ، وبادروا الى نقل أموالهم وما يملكون من أشياء ثمينـة ، فتعقبهم الرومان حتى أدركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين[1] . أما المدينة نفسها فقـد حل بها الخراب وأصبحت ركاماً ، وكان ذلك في حوالي سنة (٤١) قبل الميلاد[2] .

وفي أيام القيصر (طيباريوس) (طبريوس) (Tiberius) (١٤ — ١٧ م) كانت (تدمر) في جملة الأرضين التابعة لحكم الرومان[3] .

ونجد بين الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة قوائم (كمركية) تبين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية يعود تأريخها الى سنة (١٧) بعد الميلاد[4] .

ويظهر من قائمة الضرائب التي وضعت في أيام (جرمانيكوس) (Germanicus) (١٧ — ١٩ م) لجبايتها عن البضائع التي ترد دوائر (كمارك) المدينة ، وفي أيام (دوميطيوس كوربولـو) (Domitius Corbulo) (٥٧ — ٦٦ م) أن مدينة (تدمر) كانت في نفوذ وحكم (رومة) في العصر الأول للميلاد . وقد كانت تابعة للرومان في أيام الأنبراطور (فيسبسيان) (Vespasian) (٦٠—٧٩م). غير أن هذا لا يعني انها كانت خاضعة للرومان خضوعاً تامـاً ، وأن الاشراف على شؤون المدينة كان كله بأيدي موظفي (رومة) ، بل كان ذلك اشرافاً عاماً ، أما الادارة، فكانت بأيدي أهل المدينة[5] . وأن الحكم الروماني لم يتدخل في أمورها تدخلاً فعلياً . حتى ان الرومان سمحوا للمدينة الاحتفاظ بحاميتها (Militia) التي

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، ١ تموز ١٨٩٨ (ص ٥٨٨) ،
Appian: De Bello Civili, V, 9, Wright, P., 110.

٢ Oberdick: Syria, Tome, VII, S., 46, 1926, P., 77, Mommsen: Römische Geschichte, 1894, V.S., 243, Ency. Brita., 17, P., 162, Syria. XXII, 1941, PP., 170.

٣ Vaughan, P., 8.

٤ Cooke, PP., 313-332, J. A. Chabot, II, 301.

٥ Ency. Brita., 17, P., 162, Jean Starcky: Palmyre, Paris, 1952, PP., 27.

كانت لها في الخارج في مثل موضع (Vologasia) وفي مواضع أخرى[1] .

وقد زارها الانبراطور (هدريانوس) (Hadrianus) (١١٧ – ١٣٨ م) سنة (١٣٠) بعد الميلاد،ومنحها لقب (هدريانا بالميرا) (Hadriana Palmyra) و (هدريا نوبوليس) (Hadrianopolis)[2] ، وعثر فيها على كتابة مدونة بالإرمية واليونانية يرتقي تأريخها الى سنة (١٣٧) بعد الميلاد ، أي الى أيام هذا الانبراطور ، جاء فيها أشياء تخص الأحوال التجارية في هذه المدينة أصدرها مجلس سادات المدينة لتنظيم التجارة ، وتثبيت الضرائب ، وكيفية الجباية وما الى ذلك من أمور . وهي من الكتابات المهمة الطويلة التي ترينا ناحية خطيرة من نواحي حياة تدمر[3] .

وقد بذل (هدريانوس) عناية كبيرة بـ (تدمر) ، حتى قيل فيه انه مؤسس المدينة الثاني . واعتنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر (الفرات) الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد . فقد كان يقوم بالمهمة التي عهدت الى (قناة السويس) ، فيما بعد . ولأهمية هذا النهر الذي هو الممر المائي الذي يوصل تجارة ذلك المحيط الغالية الى الموانىء الواقعة عليه ، سعى لتحسين صلاته بالفرس وبالمحافظة على الأمن في البادية ، لتتمكن القوافل من المرور منها بأمن وسلام . وأوصل حامياته الى شواطىء الفرات الغربية ، بل يقال انه أنشأ أسطولاً فيه،وان التجار التدمريين أقاموا في مدينة (Vologasia) وأقاموا لهم معبداً هناك ، ليتعبدوا فيه لإلهيهم الذي منحهم الخير والرفاه[4] .

وقد منحت (تدمر) درجة مستعمرة رومانية عليا ، فاكتسبت بذلك حق الامتلاك التام والاعفاء من الخراج ، والحرية الكاملة في ادارة سياسة المدينة . ونالت الحقوق الايطالية (Colonia Juris Italici) (Italici Juris) (Jus Italicum) .

---

١ Freya Stark: Rome on the Euphrates, P., 244.

٢ (هدريانوس) ، الطبري (١/٧٤٢) ، (طبعة ليدن) ، (٢/٢٥) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ حزيران ، ١٨٩٨ ، (ص ٥٣٨) ، Ency. Brita., 17, P., 162, Cooke, P., 322, Mommsen: Römische Geschichte, V., S., 423, Wright, P., III.

٤ Mommsen: Provinces of the Roman Empire, II, P. 236, Rostovtzeff: Caravan Cities, Oxford, 1932, P., 144, Leon Homo: Le Siècle d'Or de l'Empire Romain, Paris, 1947, P., 224 Fr. Stark: Rome, P., 253.

منحت هذه الدرجة في ايام (هدريانوس) على رأي ، أو في أيام (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) (١٩٣ – ٢١١ م) على رأي آخر[١]. وكانت تتمتع بهذه المنزلة في أيام (كراكلا) (Caracalla) (٢١١ – ٢١٧ م) كذلك[٢] . ولكن منحها درجة (مستعمرة) لا يعني انها صارت مقاطعة رومانية مئة بالمئة ، بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في ادارة شؤونها خاضعة خضوعاً شكلياً لحكم الرومان[٣] .

وقد استفادت (تدمر) من سياسة (هدريانوس) المنطوية على الميل الى السلم ومجانبة الحرب ، ومن سياسة (انطونينوس بيوس) (Antoninus Pius) (١٣٨ – ١٦١ م) الذي نشر ألوية السلم والطمأنينة ، فوسعت تجارتها، وزادت في عدد قوافلها ، وحصلت على ثروة طائلة . وتعدّ المدة المنصرمة بين سنة (١٣٠) و (٢٧٠) بعد الميلاد من أحسن أيام هذه المدينة . فالى هـذه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التي ما برحت تشاهد بقاياها في جملة ما يشاهد من أشلاء المدينة وجدثها المهشم بين الأتربة والصخور .

وقد كانت في تدمر حامية رومانية أيامَ (ماركوس أوريليوس) (مارقوس أوريليوس) (Marcus Aurelius) (١٦١ – ١٨٠ م) ، على طريقة من سبقه من الحكّام في وضع حامية رومانية في هذه المدينة .

ولسلطان (رومة) على تدمر ، استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فرقاً وكراديس لحماية الطرق ومصالحهم الممتدة في البوادي ، فأودعوا أمر

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٢ ، ١ تموز (ص ٥٨٩) ، Wright, P., 112. Syria, Tome, XIV, 1933, P., 32, The Cambridge Ancient History, XII, 1, 2, P., 18.

٢ المشرق ، الجزء المذكور ، Syria, XIV, 1933, P., 32, Rowell: Inscriptions Grecques de Doura Europos, 1929-1930, PP., 265.

٣ Rostovtzeff: Social and Economic History of the Roman Empire, P., 532, Syme: Cambridge Ancient History, XI, P., XI, P., 139, Dessau: Geschichte der Römischen Kaiserzeit, II, S., 627; Kornemann - Volker: Staaten; Ency. Brit., 17, P., 163; Cooke, NSI, PP., 250, 312, Lidzbarski: Ephemeris; Manner, S., 99, III, Jonnes: Cities of the Eastern Roman Empire, P. 267, Février: Essai sur l'Histoire de Palmyre, P. 14.

الدفـــاع عن (دورا) (Doura) الى الكـــردوس التـــدمري العشرين (XXth Cohore Palmyrenorum)[1] . وتركوا مهمـــة حراسة (الفنـــادق) (Funduq) التي أقامها الرومان على الطريق الى كراديس الرماة التدمريين لحمايـة القوافل من لصوص الطرق والسالبين[2] .

وقد تأثرت (تدمر) بأصول اليونان والرومان وطرقهم في ادارة الحكم، فكان للمدينة مجلس (شيوخ) (Senatus) له سلطة سن القوانين والتشريع ، ولـه رئيس وكاتب وجملة أعضاء.ويشرف على السلطة الاجرائية شيخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية فينظر فيهـا بعض الوكلاء (Syndices) وغيرهم من العمال[3] .

ويحمل موظفو المدينة عناوين يونانية تشير الى أثر التنظيم اليوناني فيها ، والى انها كانت تنفذ النظم الادارية اليونانية في أعمال الشعب.فالرئيس هو (Proedros) والكاتب أي (السكرتير) هـو (Grammateus) ، وهنالك عناوين وظائف أخرى هي : (Archontes) و (Syndicus) و (Dekaprotoi) ، وهي المجالس المحلية التي يتألف كل مجلس منها من عشرة أعضاء . جرى هذا التنظيم عـلى وفق نظام المدن اليونانية في حماية (الانبراطورية) الرومانية[4] .

ودعيت السلطة التنفيذية ، المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ ، وكذلك الشعب بـ (Strategoi) وهي تعادل (Duumviri) (Dumviri) عند الرومان[5] .

وتجمل التدمريون الذين حصلوا على حقوق (مواطن روماني) بأسماء رومانية مثل (سبتيميوس) (Septimius) و (يوليوس أوريليوس) (Julius Aurelius) وضعوها في مقدمة أسمائهم النبطية أو العربية[6] . وقـد فعل ذلك قبلهم العبرانيون ونبط (بطرا) وسكان بلاد الشأم وغيرهم من الضعفاء الذين يظنون انهم سيكتسبون بهذه المحاكاة الاحترام والتقدير . والضعيف انما يتشبه بالأقوياء ليخفي ضعفه .

---

١ Ancient Cambridge History, XI, 3, 4, P. 116.

٢ R. Dussaud: Pénétration des Arabes en Syrie, 73.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ـ ١٥ ، حزيران ، ١٩٦٨ م (ص ٥٤٢) .

٤ Ency. Brita., 17, P. 161.

٥ Ency. Brita., 17, P. 162.

٦ Ency. Brita., 17, P. 162.

أسرة (أذينة) :

كان للانقلاب الذي وقع في مملكة الفرث أثر كبير في حياة مدينة تدمر ، وأعني بهذا الانقلاب ثورة (أردشير بن بابك بن ساسان) على الملك (أرطبان) الخامس ملك الفرث ، وتأسيسه حكومة جديدة هي دولة (الساسانيين) (٢٢٦م)[١] . فكان من نتائج ظهور الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس ووقوع معارك بين الدولتين .

وقد أحسنت أسرة عريقة من أسر (تدمر) الاستفادة من هذه الحروب ، وجر المغانم اليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان . وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) من (بني السميدع) ، ينسبه (الطبري) الى (هوبر العمليقي) (العملقي) من عاملة العماليق ، فهي من بقايا (العماليق) على رأي الأخباريين[٢] .

و (أذينة) من أسرة قديمة معروفة ، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها اليهم أن تكتسب ودّ القياصرة وعطفهم عليها والانعام على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيان ، وبالقوة والمعونة وهي غاية كل سيد قبيلة وأمنية كل رئيس في مجتمع قبلي يقوم النظام السياسي والاجتماعي فيه على مفهوم الحكم القبلي في كل زمان ومكان . ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة اذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام (رومة) ولا تصطدم بها . فتركوهم يديرون شؤونها على وفق السياسة الرومانية وارادة القياصرة وأوامرهم التي يصدرونها الى (المشيخة) ،فكانوا يعدّونهم (Procuratores) لدى قياصرة الرومان[٣] .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال هذه الأسرة،منهم (نصور) (Naswar) (Nasores) (نصر) (ناصور) ، وهو جدّ (أذينة) . واسمه يشير الى اسم عربي الأصل هو (نصور) أو (ناصر) أو (نصر) تحوّل

---

١ الطبري (١/٣٥٤ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ ـ ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ ـ ٨٢٥ ، ٨٣١ ـ ٨٣٣ ومواضع أخرى) ، (طبعة ليدن) ، مروج الذهب (١/٢٠٦) (طبعة دار الرجاء) .

٢ (أذينة بن السميدع بن هوبر) ، مروج الذهب (٢/١٦) ، الطبري (٢/٣١) .

٣ Zosim, I, 39, Oberdick, S. 22.

الى (نصرو) ليلائم النطق النبطي . وهو والد (وهبلات) (وهب اللات) (Vahballatat) (Vaballathus) ، و (وهب اللات) ، هو والد ولد اسمه (خيران) (حيران) (Airanes) . و (حيران) (خيران) ، هو والد (أذينة)[1] .

و (نصور) اذن هو أقدم من وصل الينا اسمه من أسماء الأسرة التي حكمت مدينة (تدمر) . وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً ما . وقد يكون مِنْ سادات القبائل في الأصل مَنْ جاء الى هذا المكان فاستقر فيه ، وتولى نسله أو هو الحكم فيه . وقد يكون لهذا الاسم صلة بـ (نصر) الذي ينسب أهـــل الأخبار ملوك الحيرة اليه ، فيقولون انهم من (آل نصر) .

وكان (سبتيميوس خيران) ، على رأس مجلس المدينة ، ولقبه الرسمي الذي عرف به عند أهل مدينته (رأس تدمر) (رش تلمور) إضافة الى لقبه الذي لقبه به الرومان[2] . وقد تمكن من تثبيت حكم أسرته ومن الهيمنة على شؤون المدينة ومن توسيع تجارتها ، فاكتسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمر ، وعند الرومان. ورافق (سبتيميوس بسويروس) (١٩٣ — ٢١١ م) في حروبه مع الفرث وتقرب اليــه ، ولقب نفسه بـ (سبتيميوس) ، فصار اسمــه (سبتيميوس خيران) (سبتيميوس حيران)[3] .

وقد عثر على كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها الى حوالي السنة (٢٣٥) للميلاد، أو بعد ذلك بشيء قليل ، وورد فيهـــا اسم (أذينة بن خـيران بن وهب اللات ابن نصور) . وقد لقب (أذينة) فيها بلقب (سقلطيق) (Skiltyk) . وقد كان يحمل لقب عضو في مجلس (الشيوخ) الروماني[4] .

وقد نعت (سبتيميوس أذينة) بـ (سقلطيقا) (Skiltyka) في الكتابة التي دونت لتكون شاخصاً لأحد القبور . وقد حصل على لقب عضو مجلس الشيوخ ، ثم لقب نفسه بلقب (ملك) (Rex) ، وذلك في حوالي سنة (٢٥٠) للميلاد[5] .

---

١ J. Cantinau: Inventaire des Inscriptions de Palmyra, 8, 1936, No. 55, Die Araber, II, S., 252; Oberdick, S., 152, Syria, Tome XII, 1931, J. Cantineau: Palmyrenien Provenant de Temple de Bel, PP. 138.

٢ Cooke, NSI, No. 125, Die Araber II, S. 252.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م (ص ٥٩٠) .

٤ Die Araber, II, S., 252.

٥ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م ، (ص ٥٩٢) .

وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر الى (روفينوس) (Rufinus) باغتياله، فقتل وتخلص الرومان منه[1].

ومن ولد (أذينة) ، (سبتيميوس خيران) (حيران) (Septimius Hairan) تولى رئاسة تدمر بعد مقتل أبيه[2] . وقد ذكر اسمه في كتابة دونت سنة (٢٥١) للميلاد ، ولم يصطدم بالرومان . وقد كان مثل أبيه بدرجة (Senator) كما لقب أيضاً بلقب (رش تدمور) ، أي (رأس تدمر) (رئيس تدمر)[3] . ولقب بلقب (Exarkus) (Exarchus)[4] .

ولما مات (سبتيميوس خيران) ، خلفه (أذينة) (Odenatus) على شؤون المدينة . ولم يرد نسبه في النصوص،فلا ندري أكان ابناً أم شقيقاً لـ (سبتيميوس خيران)[5] . وقد ذهب بعضهم الى انه كان أخاه[6] . وكان شجاعاً فارساً ألِفَ حياة البداوة جريئاً ، محباً للصيد ولا سيما صيد الذئاب والفهود والأسود[7] . تولى قبل انتقال الحكم اليه قيادة الجيش والقوافل ورئاسة قبائل البادية،فكانت له مؤهلات خاصة وكفايات حسنة مكّنته من رفع شأن (تدمر) في أعين الرومان ، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتزاحمتين .

وقد تبين من كتابه دونت سنة (٢٥٨) للميلاد ومن كتابتين أخريين انه كان يحمل درجة قنصل (Vir Consularis) في عهد القيصر(فاليريانوس) (Valerianus)[8] كما كان يحمل لقب (مرن) ، أي (سيدنا) ، وهو اللقب الذي يستعمله أهل (تدمر) ، وهو يعادل لقب (Exarkos) (Exarchos) في اليونانية[9] .

---

١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.

٢ يرى (Oberdick) أن (روفينوس) قتل (سبتيميوس خيران) الابن الأكبر لـ (أذينة) مع والده ، لذلك تولى (أذينة) الثاني الحكم بعد مقتل أبيه فورا Oberdick S. 22.

٣ Die Araber II, S. 252.

٤ Die Araber, II, S., 252, Cantineau, 3, No. 16.

٥ Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, No. 16.

٦ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) . Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, 22.

٧ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .

٨ ie Araber, II S., 253, H. Seyrg, in: Annales Archéol. de la Syrie, 13, 1963, 9, 162, J. Cantineau, 3, No. 17, Ency. Brita., 17, P. 162, Cooke, NSI, No. 126.

٩ Die Araber, II, S. 253.

وقد ذكر بعض المؤرخين ان (أذينة) الذي نتحدث عنه كان ابناً لـ (أذينة) ابن (خيران) ووالد (سبتيميوس خيران) ، وانه كان قد هرب الى الجبال وألف حياة البداوة والربى منذ صغره لينتقم من الرومان الذين اغتال قائدهم (روفينوس) (Rufinus) أباه[1] . فلما انتقل الحكم اليه ، عمل جهده على الأخذ بثأر أبيه ، فراجع (فاليريانوس) (والريانوس) شاكياً اليه ما فعله (روفينوس) بأبيه ، طالباً منه انزال العقاب به . أما القيصر ، فلم يأبه لهذه الشكوى ، ولم يحسب لها حساباً ، فغاظ ذلك (أذينة) وأزعجه وحمله على التفكير في الاتصال بأعداء الرومان،وهم الفرس[2] . فلما بلغه نبأ زحف(فاليريانوس) على الفرس في عام (٢٥٩) بعد الميلاد وخيانة قائده (مكريانوس) وسقوط القيصر أسيراً في أيدي الفرس على مقربة من (الرها)،أرسل رسلاً الى (سابور) حملهم هدايا كثيرة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومحالفته . فلما بلغ الرسل معسكر الملك ، وطلبوا ملاقاته لابلاغه الرسالة ، استكبر عليهم وتجبر، وأظهر عجبه من تجاسر (شيخ) على الكتابة اليه ، ومخاطبته مع أنه (ملك الملوك)، وهو رئيس مدينة في بيداء قفرة لا قيمة لها ولا أهمية ! ومن يكون أذينة ؟ هذا الرجل الذي دفعته حماقته الى التجاسر على سيده بالكتابة اليه ؟ فإن كان له أمل في عقوبة خفيفة ، فليأت إليّ ويداه مغلولتان الى ظهره ! وإن لم يفعل ، فليعلم بأني سأهلكه وأهلك أسرته وأنزل الدمار بمدينته ؟ ثم مزّق الرسالة ، ورمى بالهدايا تحت قدميه[3] . فعاد الوفد كاسف البال خائفاً مما قد يقوم به هذا الملك المغرور الطائش من عمل تجاه مدينة خسرت الرومان ، ولم تحظ بالاتفاق مع الساسانيين .

ولما رجع الرسل الى تدمر وأعلموه بما جرى ، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغطرس الطائش ، فجمع القبائل بظاهر تدمر وجعلها تحت امرة ابنه (هروديس) ، وضم اليها فرسان تدمر بقيادة (زبدا) كبير قواده، وقوّاسيها

---

١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.

٢ (والريانوس) ، (والريبانوس) ، الطبري (١/٧٤٣) ، (ليدن) .

٣ أمر سابور برمي الهدايا في النهر ، Oberdick, S., 23, Wright, P. 118 Gibbon: The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol., I, P. 236.

بعيادة (زبّاي) ، وهما من (آل سبتيميوس) أي من أقرباه أذينة ، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية وفلول جند (والريانوس) وسار على رأس هـذا الجيش قاصداً المدائن للانتقام من (سابور) الذي كان قد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية ، ولانقاذ القيصر من الأسر[1]

وفي أثناء زحف (أذينة) على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القائد الروماني (كاليستوس) على الفرس ، وتشتت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع اليهم لملاقاتهم ، وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات،فالتحم بهـم وتغلب عليهم،وولى (سابور) مع فلول جيشه مذعوراً تاركاً أمواله وحرمه غنيمة في أيدي التدمريين.ولم يتمكن الفرس من عبور نهر الفرات الا بعد تعب.ولما عبروه هنأ بعضهم بعضاً على السلامة والنجاح[2] . اما أذينة، المنتصر الظافر ، فكتب الى (غاليانوس ابن والريانوس) (كاليانوس بن والريانوس) يخبره بهزيمة الفرس ، وباخلاصه للامبراطورية ، ففرح القيصر بالطبع بخبر النصر فرحاً عظيماً ، وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع عساكر المشرق (Dux Romanorum) ، وحثه على مواصلة الحرب لانقاذ (والريانوس) والده من الأسر[3] .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) (ملالس) الى ملك دعاه (Enath) ، ذكر انه كان ملك العرب (السرسين) (Saracens) الأجلاف الغلاظ وحاكم (العربية) وحليف الرومان ، وذكر انه هاجم ملك الفرس (سابور) في ايام (والريانوس) وكان قد سار الى حدود الامبراطورية الساسانية،وتوغل فيها وأوقع خسائر بالفرس[4]. وقد قصد به الملك (أذينة) هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويظهر أن (أذينة) كان يتحبب الى الرومان ، فأنعموا عليـه بالألقاب ،، ومن ذلك لقب (Vir Consularis) الذي كان يحمله في عـام (٢٥٨) للميلاد . وقد منح قبل هذه السنة على ما يظهر . ولعلّ ضغطه المتزايد على الفرس هـو

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) ·
Oberdick, S., 23, Wright, P. 118.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) ، ويروى (بالستا) ، Wright, P. 118, 119, 120, Oberdick, S., 23, 24.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، (ص ٦٣٩) ، ١٨٩٨ م ،
Wright, P. 120, Ency. Brita., 23, P. 944.

٤ Malalas, XXIII, 5, 2, Musil, Palmyrena, P. 247.

الذي حملهم على ترك (دورا) (Dura) (Doura) ففسح بذلك المجـال لعودة الحامية الرومانية الى هذه المدينة ، فرفع ذلك من شأنه في أعين الرومان[1] .

وتمكن (أذينة) من تحرير الجزيرة من الفرس،وفتح (نصيبين) (Nicibis) (Nisibis) و (حرّان) فاستقبل هو وجنوده استقبالاً عظيماً . وكـان الناس يذكرون بازدراء (غاليانوس) الذي تركهم فريسة للفرس[2] . ثم سار بجيوشه الى (طيسفون) (Ktesiphon) [3] (٢٦٤ م) ، فخاف (سابور) وأمـر بجمع كل ما عنده من قوات للدفاع عن عاصمته ، غير انها لم تتمكن من وقف زحف التدمريين فوصل (أذينة) الى (المدائن) وحاصرها ، ونصب المجانيق وآلات الحصار لفتحها ، وكاد (سابور) يلتمس منه الأمان لولا حدوث حادث أكره أذينة على ترك الحصار والتراجع ، هو خروج (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) القائد الـذي كان السبب في وقوع (والريانوس) في الأسر على القيصر (غاليانوس) وتنصيبه نفسه قيصراً على آسية الصغرى ومصر وفلسطـين والشأم . فاضطر هذا الانقلاب (أذينة) الى الرجوع الى مدينته بسرعة ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسي الجديد[4] .

لم يكن (أذينة) مطمئناً الى (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) كان يكرهه ويخشى أن يستولي على ملكه ان تمكن واستأثر في الحكم ، فقرر منازلتـه قبل منازلة (مكريانوس) له . وبينـما كان يهم بالزحف عـلى (حمص) (Emisa) (Emissa) جاء نبأ مقتل (مكريانوس) ، فأعلن السوريون ولاءهم لأذينة وخروجهم على (كياثوس بن مكريانوس) وساروا مع التدمريين لمحاصرة (كياثوس) في مدينة (حمص) . ولما اشتد الحصار على المدينـة وطال ، قتل

---

١ Berytus, VIII, Fascl., I, P. 56.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، سنة (١٨٩٨ م) (ص ٦٤١) ، Oberdick, S., 25. Berytus, Vol., VIII, Fasc., I. 1934, P. 34, Zosim, I, 39, Trebell, Poll. Valer, VII, Rostovtzeff : Res Gestae divi Saporis; Dura, by Michael, I.

٣ (طيسفون) ، بفتح أوله وسكون ثانية وسين مهملة وفاء وآخره نون ، هـي مدينة كسرى التي فيها الايوان . البلدان (٦/٨٠) .

٤ Syria, XVIII, 1937, P. 2, « Note sur Hérodien, Prince de Palmyre », by Henri Seyric, Oberdick, S., 25.

(كاليستوس) سيده (كيـاثوس) ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمـي (أذينة) ثم فتح له أبواب المدينة والتمس منه الأمان ، فمنحه اياه ودخل المدينة في سنة (٢٦٢) للميلاد[1] .

ولم يكن استسلام أهل (حمص) للتدمريين أمراً سهلاً عليهم فقد كانت بين الفريقين شحناء وبغضاء . نظر أهل حمص الى أهل تدمر نظرة ازدراء وغضاضة، إذ كانوا يرونهم ناساً أجلافاً، ليس لهم حظ من حضارة وثقافة، أهل بادية حفاة جفاة . وقد يكون لاتصال حدود (تدمر) بحدود حكومة (حمص) وغارات أعراب تدمر على أرض حمص يد في خلق هـذا النزاع . وقد لاقت حمص من استيلاء أهل تدمر عليها عنتاً شديداً إذ حل بها دمار وخراب لرفضها الاستسلام لـ (برابرة تدمر)[2].

لقد سقطت حمص في أيدي التدمريين، بالرغم من تضرع أهلها وتوسلهم بالإلهة (الشمس) لتنصرهم على أعدائهم وتنزل بهم خسائر فادحة . وقـد كانوا من عُبّادها المخلصين . ولكن أهل تدمر كانوا يتعبدون للشمس كذلك ، وقد توسلوا وتضرعوا اليها لتنصرهم على أعدائهم أهل حمص . لقد كان موقف (الشمس) موقفاً حرجاً . فالطرفان المتخاصمان ، من عبادها . وقد أقام كل منهما معبداً ضخماً فخماً لعبادتها ، زوقت أبوابه وذهبت قبابه ، وكل منهما يتوسل اليها ، فأي طرف تؤيد إذن ؟ والظاهر ان اختيارها وقع على تدمر إذ انتصروا على أهـل حمص ، ودخلوا المدينة ظافرين[3] .

وسرّ (أذينة) ولا شك من هذه النتيجة ، فقرر بعد استراحة جنوده بضعة أيام أن يسير نحو الشمال للقضاء على المنشقين . وبينا هو في طريقـه ، تلقى أنباء تمرد (كاليستوس) وخروجه عليه واعلان نفسه ملكاً ، فأمر نفراً من رجالـه بالذهاب الى معسكر (كاليستوس) لاغتياله ، فذهبوا اليه ، وتمكن فارس من الدخول الى خيمته وقتله[4] . عندئذ تحسن موقفه، فسار الى الجزيرة ، وتعقب الفرس فقبض على عدد من (المرازبة) (Satrapen) وأرسلهم الى (رومة) ، وأظهر

---

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، آب ١٨٩٨ م (ص ٦٨٧) .

٢ Petr. Patr. Fra., 167, Dio, Ed: Boiss, 3, 744, A. Alfoldi in : Berytus, 5, 84, Die Araber, III, S., 251.

٣ Die Araber II, S., 250.

٤ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٧) . Trebellius, Trig. Tyr., 17,

اخلاصه وطاعته لقيصر ، فرضي عنه واطمأن اليه ، وأعطاه منزلة رفيعة هي : (Imperator Totius) (Dux Orientis) ودعاه انبراطوراً على جميع أنحاء المشرق، أي على الشأم والجزيرة وآسية الصغرى عدا (بتينية) وبضع نواح شمالية ، (٢٦٤ م)[١] . وضربت نقود باسمه صور عليها أذينة ووراءه بعض أسرى الفرس . وجعل تحت امرته جميع القوات الرومانية المعسكرة في المشرق . وكلفه القضاء على فلول جيش (مكريانوس) وتطهير المقاطعات الرومانية منهم[٢] .

واختار أذينة لنفسه لقباً آخر حبيباً الى نفوس الشرقيين هو لقب (ملك الملوك) (ملك ملكا)[٣] ، لعله فعل ذلك محاكاة للملوك الفرس . ومنح لقباً آخر هو (أغسطس) (Augustus) لقب قياصرة الرومان[٤] . والانسان متى أبطرته النعمة مال الى اتخاذ أمثال هذه الألقاب ! وفي رواية أن مجلس الشيوخ الروماني منحه لقب (أغسطس) ، فصار مساوياً للقيصر ، وأنه أمر بوضع صورته مع صورة الانبراطور على النقود التي أخذت غنيمة من الفرس[٥] .

وعرف (أذينة) بـ (متقنا دي مدنحا كله) ، (متقنا متقنانوتا) ، وتقابل معنى (Reparator Totius Orientis) أو (Correctores Italiae) (Utriusque Italiae, Italiae Regionis Transpadanae)[٦] ، وتقابل درجة (Correctores) منزلة (رئيس) (Praesides)[٧] ، أي رئيس مقاطعة من المقاطعات .

وقام (أذينة) باصلاحات جمة أظهر فيها أنه لم يكن قائداً قديراً فقط ، بل كان الى ذلك رجل ادارة وسياسة وتسامح أيضاً . فمنع تعصب الوثنيين على النصارى واضطهادهم لهم ، ومنح كل طائفة حريتها في ممارسة شعائر دينها ، وخوّل

---

١ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31, Ency. Brita., 17 P. 162.

٢ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31.

٣ Die Araber, II, S., 253.

٤ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، السنة (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٨٨) ، Gibbon, I, P. 241.

٥ Wright, P. 121.

٦ Die Araber, II, S., 253, Cambridge Ancient History, 12, 175.

٧ Die Araber, II, S. 253.

النصارى حق بناء الكنائس حيثما شاؤوا [1] . وتعقب اللصوص وقطـاع الطرق من الجنود الهاربين والمسرحين من الخدمة والصعاليك الذين وجدوا في الاعتداء عـلى الآمنين ومهاجمة القوافل والقرى والمدن خير مصدر للحصول على الكسب والمغانم والمال ، وقتل (كاليستوس) زعيم الصعاليك الـذي اسمال من لا عمل له إلاّ الفتنة والاعتداء على الناس ، وبذلك أراح أذينة نفسه وأراح المقاطعات الرومانيـة من شر هؤلاء ، واطمأن الناس على أنفسهم ، وعادوا الى أماكنهم التي اضطروا الى تركهم لها بسبب تلك الاعتداءات التي قام بها من أطلق عليهم الكتـاب اسم (الظالمون)[2] .

وصمم (انبراطور الشرق) و (ملك الملوك) بعد هذه الأعمـال على انتزاع القيصر (والريانوس) من أيدي الفرس ، ومحاربة خصمه المتغطرس المتلقب بلقب (ملك الملوك) كذلك . قد يكون حباً في اذلال من استهان به فمزق رسالته أمام أعين رسله ، وقد يكون تقرباً للرومان وتودداً الى القيصر (غاليانوس). والشرقيون مبالغون ويا للأسف في اكرام الغرباء ، متزلفون الى القوي منهم ، ولو كان في ذلك هلاك الوطن والرعية . عيّن ابنه البكر (سبتيميوس هيرودس) (Septimius Herodes) من زوجته الأولى نائباً عنه في ادارة شؤون الملك ، وأخذ هو جيشه وسار به لمحاربة الفرس في أوائل عام (٢٦٥) بعد الميلاد . سار به الى(طيسفون) عاصمة (سابور) فحاصرها أمـداً ، ويظهر ان (سابور) أظهر استعداده لعقد صلح لولا اشتراط (أذينة) فك أسر (والريانوس) ، وهو شرط كان في نظر الفرس جدّ عظيم[3] .

ووقع حادث مهم اضطر (أذينة) الى تبديـل خططه العسكرية وترك حصار (طيسفون) . ذلك هو انتهـاز (القوط) فرصة محاصرة (أذينـة) للمدائن وابتعاده عن آسية الصغرى وبلاد الشأم ، فعبروا بحر (بنطس) (Pontus) أي البحر الأسود[4] ونزلوا بميناء (هرقلية) (Heraclea) ثم زحفوا عـلى (بتينية)

١ المشرق ، العدد المذكور (ص ٦٨٩) .

٢ (الظالمون الثلاثون) ، المشرق (ص ٦٨٩) ، Tribellius : Trig. Tyr., 14.

٣ Oberdick, S., 35, Hieronym. Chron. XII, Gallieni : « Odenatum Persas ita Cecidisse, ut Castra a Ctesiphontem Poneret », Zosim, I, 39, Trebellius, Poll., 2, Gall 10 « Ctesiphon ».

٤ (بنطس) ، البلدان (٢/٦٦ ، ٢٩٣) ، ويعرف أيضا ببحر (طرابزندة) ، البلدان (٢/٦٦) .

و (فريجية) و (غلاطية) و (قيادوقية) ، وكانوا يقصدون من وراء زحفهم هذا التوسع والاستيلاء على آسية الصغرى وبلاد الشأم وكل ما يمكن الاستيلاء عليه من بلاد الشرق . فلما علم (القوط) بمجيء (أذينة) هربوا الى ميناء (هرقلية) مسرعين ، ومنه ركبوا الى بلادهم التي جاءوا منها[1] . فقرر عندئذ الرجوع الى العراق لفتح (طيسفون) . وبينما كان (أذينة) في (حمص) لاراحة الجند ، أعد وليمة كبيرة تذكاراً ليوم ميلاده حضرها قواده وكبار القوم . فانتهز (معنى) ابن اخيه (خيران) (Maeonius) هذه الفرصة ، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) (Herodus) ، لاغتصاب عمه منه ملكه الذي ورثه من أبيه . ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التي أنشأها وكونها (أذينة) القتيل ، وبذلك استرجع حقه من المقتول . ولكن حياة القاتل كما يقول المثل الشرقي لا تطول ، وذلك قولهم : « بشّر القاتل بالقتل » ، فما كاد يتربع على العرش اياماً حتى انتقمت منه سيوف (حمص) ، وألحقته بالعالم الواسع الذي ذهب اليه القتيلان (٢٦٦ — ٢٦٧ م)[2] .

ما أعجب الحياة . في مدة قصيرة طفر فيها رجل (تدمر) من رئيس في مدينة صحراوية الى ملك على عرش مملكة ، فقائد كبير في أعظم انبراطورية في عالم ذلك الزمن ، ومنافس للقيصر وملك على الشرق ، وفي لحظة واحدة انتقل فيها هذا القائد الملك من هذا العالم الى عالم القبر . انها الحياة لا بد لها من نهاية مهما بلغ الانسان من منزلة ومكانة ، لا تعرف قوة وصولة ولا فقراً وضعفاً ، الجميع الى هذه النهاية منتهون ، وللفيلسوف أن يستخرج منها حكمة الحياة .

هل قتل (معنى) عمه لاغتصابه حقه الطبيعي في الملك ؟ أو قتله لأسباب أخرى ؟ وهل كان لأحد مثل الملكة (الزباء) ضلع في الحادث ؟ وهل كان للرومان يد في هذه الجريمة ؟ وهل كان للحزب الوطني التدمري الذي كان يكره اليونان والرومان وكل سيطرة غريبة يد في هذا الاغتيال ؟ لما عرف عن (أذينة)

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١) .
٢ راجع خبر مقتل (أذينة) والعداء الذي كان بينه وبين (معنى) والنزاع الذي حدث بينهما حين كانا في الصيد في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١ وما بعدها) ،
Oberdick, S., 38, Zosim, I, 39, Treb. Poll., 30, Tyr. 15, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

من دفاعه عن الانبراطورية الرومانية وحماسته في الدفاع عنها ؟ هذه أسئلة سألها المتعمقون في تأريخ (تدمر) والباحثون فيه ، وأجابوا عنها أجوبة مختلفة . فمنهم من رأى ان الجريمة هي انتقام شخصي بسبب اغتصاب (أذينة) حق القاتل الذي ورثه من أبيه ، ومنهم من رأى انها مسألة مدبرة مدروسة وان للزباء يداً فيها . ومنهم من رأى انها بتدبير الرومان وعلمهم ، فعلوها للتخلص من رجل أخذوا يشكّون في اخلاصه ، ويرتابون منه . ومنهم من رأى عكس ذلك : رأى انها فاجعة للرومان وخسارة كبيرة لسياستهم في الشرق ، وانها من أعمال الوطنيين الذين رأوا في ملك تدمر أداة طيعة مسخرة في أيدي سادة(رومة)فقرروا لذلك الانتقام منه.

أما نحن فنرى أن من الصعب البت في سرّ قتل (أذينة) وابنه ، فالأخبار الواردة في هذا الموضوع غامضة ، والأدلة غير متوفرة ، ومبايعة الجيش وقوّاده للقاتل في سرعة ومن غير كلام أو قتال ، ثم قيام أهل حمص بقتل القاتل بعد أيام ، وتولى الملكة (الزباء) الحكم بعده وبسرعة هي قضايا فيها نظر . ولهذا تعددت الآراء ، ولن تتفق ما دامت الروايات المقدمة الينا على هذا النحو من التعقد والأمور[1] .

أظهر (أذينة) مقدرة فائقة جديرة بالاعجاب ، استطاع أن يكوّن جيشاً قوياً يخيف الفرس ويلحق بهم الخسائر ويكتسب تقدير الرومان واحترامهم في مدة قصيرة ، واستطاع أن يكوّن من القلعة الصغيرة المبنية في البادية مملكة كان لها أثر خطير في النزاع السياسي العسكري بين الرومان والفرس . لقد قام بعمل عسكري عظيم في محاولاته الحربية لانقاذ القيصر (والريانوس) محاولات لم يقم بها سيد (رومة) وابن القيصر الأسير ولا أتباعه الرومان . لقد (أرسلته الشمس أسداً مخيفاً مرعباً)[2] .

لقد وقعت في أيام (أذينة) أحداث خطيرة عظيمة في الشرق الأدنى بين المعسكرين : المعسكر الشرقي وهو معسكر الفرس ، والمعسكر الغربي وهو معسكر الرومان يساعدهم التدمريون . كانت انتصارات الفرس في سنة (٢٦٠) بعد الميلاد،

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩٣) ،
Oberdick, S., 40, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P .60.

٢ Oracula : Sibyllinus, VV, 169, Berytua, Vol., VIII, Fasc., I, 1943.

ثم أسر القيصر (والريانوس) ، وغزو بلاد الشأم ، وقيام (أذينة) بالهجوم على الفرس ، وطردهم من الأرضين التي احتلوها من الأمور الخطيرة التي وقعت في ذلك العهد ، أفادت الرومان ولا شك كثيراً ، ولكنها لفتت أنظارهم في الوقت نفسه الى الخطر الجديد الذي أخذ يتهددهم من ظهور قوة (تدمر) ، وتدمر في بلاد الشأم . وقد تتزعم الحركات الوطنية المعادية للرومان في الشرق ، فتكون كارثة على (رومة) . ونجد أخبار (أذينة) وأعماله خاصة بعد معركة (الرها) (Edessa) في تأريخ (سوزيموس) (Zosimus) [1] .

ولا بد لي في هذا الموضع ، وقد انتهيت من الحديث عن أذينة ، من الإشارة الى رجل كان له شأن وذكر في أيام (أذينة) ، وكان أقوى شخصية في تدمر الا وهو (ورود) (Worod) الذي ورد ذكره في عدد من الكتابات ، أقدمها الكتابة المدونة بشهر نيسان من سنة (٢٦٢) للميلاد وقد لقب فيها بـ (Procurator Ducenarius) [2] . كما لقب بلقب (مرن) الذي تلقب به (أذينة) أيضاً ، أي (سيدنا) و (أميرنا) ، وبألقاب أخرى مثل (Cursus Honorum) و (قائد القافلة) و (شريف المستوطنة) وغير ذلك من نعوت حملها (أذينة) نفسه ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كان الرجل الثاني في تدمر بعد (أذينة) ، ومن الغريب ان اسمه اختفى مع اسم أذينة في السنة التي قتل فيها الملك نفسها ، فلم نعد نقرأه في الكتابات[3] .

وكان (ورود) يقوم مقام (أذينة) بأعباء الحكم عند غياب (أذينة) عن عاصمته . ويرى بعض الباحثين ان اسمه الكامل هو (يوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (جوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (Julius Aurelius Septimius Worod) وانه كان من الطبقة (الأرستقراطية) ، وهو من أصل فارسي روماني. وقد نال أعلى الألقاب المعروفة في أيامه ، حتى ضاهت الألقاب التي لقب بها (أذينة) . والظاهر انه كان شخصاً كفؤاً حازماً لذلك نال مركزاً لم يبلغه أحد غير (أذينة) ، اذ كان الرجل الثاني في تدمر بعد الملك[4] .

---

١ Oracula : Sibyllinus, XVIII, Zosimus, I, 27, I, 36, I, 39.

٢ J. Cantineau, 3n. II, Die Araber, II, S., 255.

٣ Die Araber, II, S., 255.

٤ Vaughan, P. 58.

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن المكانة التي حصل عليها بعد مقتل (أذينة) وتولى (الزباء) أعباء الحكم نيابة عن ابنها (وهبلات) . والظاهر انه لم ينل عند الملكة المنزلة التي بلغها عند (أذينة) ، وان عينته الملكة نائباً عنها في بعض الأوقات ، وكل ما وصل اليه عندها هو منصب (مستشار) ، فقد كانت تستدعيه عند الحاجة لاستشارته في بعض الأمور الخطيرة . وقد كان لها جماعة مستشارين تستعين بآرائهم في ادارة الحكم وفي تنظيم الأمور المالية،ولا سيما الجباية من التجارة والتجار .

ولم يشر (الطبري) ولا غيره من المؤرخين المسلمين الى حروب (أذينة) مع (سابور) على أهميتها وبلوغ ملك (تدمر) فيها العاصمة (طيسفون) . وهذا أمر يدعو الى العجب، حقاً اذ كيف يهمل المؤرخون والأخباريون هذا الحدث الخطير ؟ فلا بد أن يكون هنالك سبب . ورأيي ان سببه الموارد الأصلية التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون واخذوا منها ، وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس، أو موارد عراقية ميالة اليهم .

وقد أخذ المؤرخون المسلمون تأريخ الفرس من موارد فارسية ، أما تأريخ الرومان واليونان ، فقد أخذوه من موارد نصرانية سريانية في الغالب ، ولكنهم أخذوه بقدر ، ولم يتوسعوا في الطلب ، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس الى ما دوّن عن تأريخ الفرس . عبارة عن جريدة بأسماء القياصرة جافة في الغالب ، ونتف وقطع مبثوثة هنا وهناك في الفصول المدوّنة عن تأريخ الدول الفارسية ذكرت في المواضع التي تكون لها صلات بتأريخ الفرس ، ولذلك أيضاً أدمج أكثر ما دوّن عن تأريخ الغساسنة وعرب الشأم في الأوراق التي دوّنت عن تأريخ الحيرة وعرب العراق . وقد انتزعت من موارد فارسية — عراقية ، ففيها تعصب للفرس وللعراق على الروم والرومان وبلاد الشأم[1] .

واظن ان الموارد الأولى التي نقل منها الأخباريون والمؤرخون كلامهم عن تأريخ الفرس لم ترقها الاشارة الى انتصارات ملك كوّن مملكة في البادية بنفسه ، على (سابور) صاحب انبراطورية واسعة تتباهى بنفسها على الرومان ، فأهملت الكلام عنها بدافع العاطفة والنزعات القومية . فلما ترجمت تلك الموارد الى العربية أو نقل

---

١ مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول والجزء الثاني .

منها ، لم يجد الأخباريون والمؤرخون شيئاً يقولونه عن انتصارت (أذينة) على (سابور) ، وإلا ذكروه كما ذكروا حادث أسر (سابور) للقيصر (والريانوس) في أثناء كلامهم عن سابور . وقد ذكره الطبري فقال : (وانه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور)[1] .

الزباء :

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) الى (وهبلت) و (هبلات) (وهب اللاث) ، وهو ابن (أذينة) من زوجه (الزّباء) ويعرف في اليونانية بـ (اتينودورس) (Athenodorus) . وكان لوهبلات اخوة هم : (حيران) (خيران) و (تيم الله) من أذينة (أذينة) وامه (الزباء) . وكان قاصراً، لذلك تولت الوصاية عليه وتأديبه بأدب الملوك حتى يبلغ سن الرشد ، فعلّمته (اللاتينة) والفروسية ، وهيأته ليكون ملكاً كبيراً كقياصرة الرومان أو أكاسرة الفرس وسعت هي لتهذيب الدولة وتوسيعها وبسط نفوذها على أماكن واسعة لم تكن خاضعة لتدمر ، لذلك كان لا بد من حدوث احتكاك وتصادم بينها وبين الرومان .

وللأخباريين احاديث واقاصيص عن الزباء ، واسمها عندهم (نائلة بنت عمرو ابن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العميلقي (العملقي) من العماليق[2] . و (الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) على زعم[3] ، و (ليلى) في زعم آخر . وزعموا ان لها اختاً اسمها (زبيبة) بنت (الزباء) لها قصر حصين على شاطىء الفرات الغربي ، فكانت تشتو عند اختها وتربع ببطن النجار ، وتصير الى تدمر . كما كان لها جنود هم في نظرهم بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابن (حلوان بن عمران

---

١ الطبري (٢/٦١) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٢ الطبري (٢/٣١) ، ابن خلدون (٢/٢٦١) ، حمزة (٦٥) .

٣ مروج (٢/١٦) .

ابن الحاف بن قضاعة) ومن كان معهم من قبائل قضاعة [1] . وذكر (ابن خلدون) ان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشأم كان لعمرو بن الظرب،وكان جنود الزباء من بقايا العمالقة من عاد الأولى ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاعة ، وكانت تسكن على شاطىء الفرات وقد بنت هنالك قصراً ، وتربع عند بطن المجاز ، وتصيف بتدمر ، أخذ قوله هذا من تأريخ الطبري وتصرّف فيه بعض التصرف[2] . أما الأصل ، فخبر من اخبار الأخباريين ، واما النقل فحكمه حكم الأصل بالطبع . وأما ان جنود (الزباء) من بقايا (العمالقة) ، فهو أمر مقبول في نظر اصحابنا الأخباريين ، ولِمَ لا ؟ إن (الزباء) في رأيهم من بقايا العمالقة ، اي من العرب الأولى فلِمَ لا يكون جنودها اذن من اولئك القوم ؟

وزعم بعض الأخباريين ان (الزباء) من ذرية (السميدع بن هوثر) من (بني قطورا) اهل مكة ، وهي بنت (عمرو بن أذينة بن الظرب بن حسان). وبين (حسان) و (السميدع) آباء . وزعم آخرون ان (عمرو بن الظرب) كان على مشارف الشأم والجزيرة ، وكان منزله بين (الخابور) و (قرقيساء) ، فوقعت بينه وبين (مالك بن فهم) حروب هلك (عمرو) في بعضها ، فقامت بملكه من بعده ابنته (الزباء) . وقد استمرت الحرب بين (مالك) و (الزباء) الى ان الجأها الى اطراف مملكتها . وكان (مالك) على ما يصفه الأخباريون رجلاً قديراً يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في ايديهم[3] . وهو في نظرهم اول من ملك من (عرب الضاحية) . وكان منزله مما يلي (الأنبار) ، ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) . فلما هلك تولى من بعده (جذيمة الأبرش) الشهير في تأريخ الحيرة [4] .

والذي حارب (عمرو بن الظرب) على رواية منسوبة الى (ابن الكلبي) ذكرها (الطبري) هو (جذيمة الأبرش) . وكان جذيمة على هذه الرواية قد جمع جموعاً من العرب سار بها يريد غزاة (عمرو) ، وأقبل (عمرو) بمجموعة

---

١ الطبري (٢/٣٢) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٦١) .
٣ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .
٤ الطبري (٢/٢٨) .

من الشأم فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل (عمرو بن الظرب) وانفضت جموعه. فأجمعت الزباء رأيها لغزو (جذيمة) للأخذ بثأر أبيها ، واستعدت لذلك . غير ان اختاً لها هي (زبيبة) ، وكانت ذات رأي ودهاء وأدب ، نصحتها بترك الحرب ، فإن عواقبها غير مضمونة ، فاستجابت لنصيحتها ، وعمدت الى طرق المكر والحيل فراسلته واستدرجته الى عاصمتها في قصة معروفة مشهورة لا حاجة بي الى اعادتها ، فغدرت به وقتلته[1] . وطلب (قصير بن سعد بن عمرو ابن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لخم) ، وكان اريباً حازماً أثيراً عند (جذيمة بن الأبرش) من (عمرو بن عدي) خليفة (جذيمة) على الحيرة الخروج لقتال (الزباء) ، فأحجم فلما رأى ذلك منه ، صمم على أن يأخذ هو بالثأر ، فذهب اليها مدعياً انه مضطهد ممقوت لتهمة نسبت اليه هي انه ساهم في قتل (جذيمة) فوثقت به واطمأنت اليه وهي لا تعلم ما يخفي لها ، ثم طلب منها أن يعود الى بلده ليعود بأمواله ونفائس ما لديه فسمحت له وأعطته تجارةً لتصريفها هناك ، فباعها وعاد بأرباح طائلة وبأموال كثيرة ، فزادت ثقتها به وتكرر الحال ، حتى اذا ما وثق من اطمئنانها اليه عاد في المرة الأخيرة برجال أشداء من بني قومه ومعهم (عمرو بن عدي) ، وضعهم في جوالق كبيرة فلما توسطوا في المدينة ، أنزلت الجوالق وخرج الرجال منها ، فوضعوا سيوفهم في رقاب أهلها ، فلما رأت الزبّاء ذلك ، أرادت الهرب من نفق حفرته لمثل هذه الأيام ، اطلع قصير عليه ، فوضع (عمرو بن عدي) على بابه . فلما رأته الزباء مصت خاتمها ، وكان فيه سم ، قائلة : (بيدي لا بيدك يا عمرو) ، وتلقاها عمرو بن عدي بالسيف فجللها به وقتلها ، وغنم كثيراً ، وانكفأ راجعاً الى العراق[2] .

وهي قصة محشوة بالأمثال المنسوبة الى أبطالها : جذيمة وقصير والزباء وعمرو

---

١ حمزة (٦٥) .

٢ الطبري (٣٤/٢ وما بعدها) ، مروج (١٩/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٦١/٢ وما بعدها ،) البلدان (٣٧٩/٣) ، مروج الذهب (٦٩/٢ وما بعدها) ، (قصة جذيمة) . فلما نظرت الزباء الى مشي الجمال ، قالت :

ما للجمال مشيها وئيدا	أجندلا يحملن أم حديدا ؟
أم صرفانا باردا شديدا	أم الرجال جثما قعودا ؟

مروج (٧٢/٢) ، (دار الاندلس) .

ابن عدي ، وفيها على عادة الأخباريين في رواية أمثال هـذا القصص شعر نسب بعضه الى هؤلاء الأبطال ، ونسب بعضه الآخر الى شعراء أقحمت أسمـاؤهم في القصة ليؤكد واضعوها ولا شك صدق حديثهم،وليلوّنوا كلامهم بعض التلوين .

ونجد قصة الزبّاء وجذيمة وقصير المطالب بالثأر في شعر ينسب الى (عديّ بن زيد العبادي) ، جاء فيه :

ألا أيهـا الملك المـرجّى ... ألم تسمع بخطب الأولينـا
دعا بالبقّة الأمراء يومـاً ... جذيمة عصر ينجوهم ثبينـا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً ... وكان يقول لو تبع اليقينـا

ثم يستمر في نظم القصة شعراً حتى تنتهي . وقد ختمت بنصح الإنسان ليتعظ بالحوادث والمنايا ، التي لا تعرف أحداً مهما كانت درجته ومنزلته ، إلا أخذته، ثم صيرته أثراً بعد عين[1] .

وذكر أهل الأخبار ان (الزبّاء) كانت تأتي الحصون ، فتنزل بهـا ، فلما نزلت بـ (مارد) ، حصن دومة الجنـدل ، وبالأبلق ، حصن تيماء ، قالت تمرد مارد وعز الأبلق ، فذهبت مثلاً[2] .

ولم يبخل الأخباريون على الزباء ، فمنحوها ابياتاً زعموا انها قالتها ، وجعلوها أديبة في العربية بليغة الى اعلى درجات البلاغة . لها حكم وامثال بهذه العربيـة ، عربية القرآن الكريم . ولا غرابة في ذلك ، فالذي ينسب شعراً عربيـاً الى آدم وابليس ويرويه مشكّلاً مضبوطاً على وفق قواعد النحو والصرف ، لا يعجز عن رواية شعر ينسب الى (عمرو بن الظرب) والى ابنته الزباء .

وذكر ان معاوية ذكر في أحد مجالسه (الزباء) وابنة (عفزر) ، فقال : « اني لأحب ان أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا امير المؤمنين ؟ فقال : بلى ، فقال : إن ماوية بنت عفزر ، كانت ملكـة وكانت تتزوج من أرادت »[3] .

---

١ الشعر والشعراء (١١٢ وما بعدها) ، (عدي بن زيد العبادي) ، وفي الكتب الاخرى اختلاف في الالفاظ والعبارات ، مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٢ مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٣ البيان والتبيين (٩/٣) .

ويذكر اهل الأخبار ان (ابنة عفزر) قينة كانت في الدهر الأول، لا تدوم على عهد ، فصارت مثلاً . وقيل : قينة كانت في الحيرة ، وكان وفدُ النعمان اذا اتوه لهوا بها . وذكر ان (عفزر) اسم اعجمي ، ولذلك لم يصرفه (امرؤ القيس) في قوله :

أشيمُ بروق المُزنِ أين مَصابُهُ ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا[1]

ولم تشأ الكتابات التدمرية الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها على هذه الصورة : (بت زباي) اي (بنت زباي)[2] . و (زباي) هو اسم والد الملكة ، حذفت كلمة (بت) وهي (بنت) في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الياء من كلمة (زباي) وصُيِّر همزة ، فصار (زباء) ، وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم (الزباء) .

وقد ذكر المؤرخ (فلافيوس فوبسكوس) (Flavius Vopiscus) ان والد (الزباء) رجل من تدمر اسمه (اخليو) (Achilleo)[3] ، و (Achilleo) هو (انطيوخس) (Antiochus) في رواية اخرى[4] .

وقد أثنى عليها المؤرخ (تريبليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ووصفها وصفاً جميلاً ، واشار الى مقدرتها وقابليتها ، وذكر انها كانت تتكلم اليونانية وتحسن (اللاتينية) ، وتتقن اللغة المصرية وتتحدث بها بكل طلاقة ، وتهتم بشؤون المملكة ، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها ، الى غير ذلك من كلام فيه ثناء واطراء على هذه الملكة[5] .

وقد بلغتنا روايات تفيد ان الملكة ادعت انها من مصر ، من سلالات الملوك وانها من صلب الملكة الشهيرة (قلبطرة)[6] (كليوبطرة) (Cleopatra) ، وانها كانت نفسها تتكلم المصرية بطلاقة ، وانها ألفت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت

---

١ اللسان (٥٩١/٤) .
٢ المشرق ، السنة الأولى ، (١٨٩٨ م) ، آب ، الجزء ١٥ ، (ص ٦٩٣) .
٣ Flavius Vopiscus Aur., 31, Oberdick, S., 143.
٤ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 143.
٥ Trebellius Pollio : Hist. August., P. 192, 199, XXX, Tyranni., C., 14.
٦ مروج (٢٥٩/١) (طبعة دار الرجاء) ، Oberdick, S., 47, Gibbon, I, P. 202.

فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية ولا سيما تأريخ مصر[1] ، وانها استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها ، مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) (Cassius Longinus) (٢٢٠ – ٢٧٣ م) بعد الميلاد . وكان فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة ومن أصدقاء الفيلسوف (فرفوريس) (Phorphyrios) ، استقدمته الملكة الى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها ، فأخلص لها في مشورته،فكان ذلك سبباً في قتله . فقتله القيصر (أوريليانوس) (Aurelianus) ، لاتهامه انه كان يحرض الملكة على الرومان[2] .

ومثل الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) ، و (لوبوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف ، و (بوسانياس) الدمشقي المؤرخ ، و (نيوكوماخس) (Nicomachus) من زمرة الكتّاب المؤرخين،المتضلعين بالإغريقية،ومن الفلاسفة ، وقد تولى الكتابة باللغة الإغريقية ، وصار من مستشاريها كذلك[3] . ولذلك أمر به القيصر (أورليانوس) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص، في الوقت الذي حوكمت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) ، الذي قطع رأسه بعد ان مثّل به[4] . وفي حشد هذا النوع من الرجال دلالة على ميول الملكة الفلسفية الأدبية وثقافتها العالية ولا شك .

وملكة شأنها هذا ، لا بد ان تكون حرة الفكر، متساهلة مع اصحاب العقائد والآراء . وهذا ما كان . ففي مدينة (تدمر) الوثنية عاشت جالية كبيرة من اليهود تمتعت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التي كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت الى المدينة مهاجرة من فلسطين خاصة،بعد خراب القدس على ايدي القيصر (طيطوس) (تيتوس) (Titus) في سنة (٧٠) بعد الميلاد[5] . فاشتغلت فيها بالتجارة ، فحصلت على ارباح طائلة جداً ، وصار لها في المدينة اسم وشأن حتى ان مجلس المدينة والشعب اقام تمثالاً في سنة (٥٦٩)

---

١ Oberdick, S., 47, Vaughan, P. 79.

٢ فقدت مؤلفات هذا الفيلسوف ولم يبق منها غير : (Le Sublime) أي كتاب الايغال ، المشرق، السنة الاولى الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨م ، (ص٩٢١)، Hervey, P. 245.

٣ المشرق ،الجزء نفسه (٩٢١) ، Vaughan, P. 192.

٤ Vaughan, P. 192.

٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٢٤) .

السلوقية المقابلة لسنة (٢٥٧) الميلادية ليهودي يدعى (يوليوس أورليوس شلميط) (Julius Aurelius Schalmath) قائد القافلة ، لأنه ترأس القافلة ، وأنفق عليها من ماله[١] .

وقد بالغ بعض المؤرخين في عدد اليهود الذين كانوا في (تدمر) ايام حكم الزباء فزعم انه بلغ نصف عدد سكان المدينة ، وهو زعم يحتاج الى اثبات . وزعم القديس (أثناسيوس) (St. Athanasius) ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية[٢] ولكنها مع تهودها لم تهب أبناء دينها الكنائس لتكون لهم مجامع ومحافل[٣] . وذهب الى هذا الرأي المؤرخ (فوتيوس) (Photius)[٤] . وذكــر (فيلاستريوس) (Philastrius) ان الذي هوّد الملكةهو (بولس السميساطي) (Paulus Samosatius)[٥] وهو أسقف كان مقرباً الى الزباء ، وله منزلة عالية لديها . ونسبت اليه آراء في المسيح وفي بعض الأمور الدينية الأخرى دعت الى محاكمته في مجمع (انطاكية) الذي انعقد في سنــة (٢٦٤) للميلاد ، فوجد المجمع ان تعاليمه تشبه تعاليم (أرتاماس) (أرتامون) الذي حكم عليه قبــلاً ، فحرّموا آراءه كذلك ، ثم حكم عليه في (انطاكية) سنة (٢٦٩) بعزله عن الأسقفية ، ولم تتدخل (الزباء) في القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة تجاه بولس ، كما انها لم تنفــذ قراراتهم بحقه ، بل أبقته في مركزه وتركته على ما كان عليه[٦] .

ويرى بعض المؤرخين أن خبر تهود الملكة خبر مختلق ، وضعه آباء الكنيســة للإساءة الى سمعة (بولس السميساطي) والطعن فيه والحط من تعاليمه وللتأثير في نفوس أتباعه[٧] . وقد لاقى (بولس) من خصومه عنتاً شديداً . ولا يعقل بالطبع أن يعمد رجل كنيسة الى تهويــد شخص مهما كان مذهبه ورأيه في طبيعة المسيح

---

١ Oberdick, S., 65, Corpus, Insc. Grea., III, NR. 4486, Levy: Palmyr. Inschr. in ZDMG., VII, 1864, S. 88.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ ، (١٨٩٨ م) (ص ٩٢٤) ، Oberdick, S., 71, Milman: History of the Jews, III, P. 175.

٣ المشرق ، الجزء ٢١ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٩٥) .

٤ Oberdick, S., 71, G. Moss: Jews and Judaism in Palmyra, in : Palestine Exploration Fund QJuarterly, Vol., 60, 1928, 100-107.

٥ المصدر نفسه .

٦ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢١ ، ١٨٩٨ م (ص ٩٩١ وما بعدها) .

٧ Oberdick, S., 72.

واللاهوت ، بل المعقول أن يعمد للتأثير فيه وادخاله الى مذهبه . ولدينا خبر آخر أراه من جنس خبر (فيلاستريوس) ذكره (تيودوريت) (Theodoret) ، خلاصته : أن الأسقف (بولس) أخذ رأيه في (الثالوث) من آراء الملكة المتأثرة باليهودية ، وأنه كان قد تأثر بالمرأة حتى سقط الى الحضيض[1] . ولا يخفى ما في هذا الخبر من طعن في عقيدة الرجل الذي أبدى رأياً في (الثالوث) سبب غضب الآباء عليه .

ولم نجد في الآثار اليهودية التي بين أيدينا ما يفيد تهود (الزباء) ، نعم ورد في التلمود خبر يفيد حماية (الزباء) للأحبار[2] ، غير أنه وردت أخبار أخرى تفيد أن اليهود كانوا ناقمين على (تدمر) حاقدين عليها يرجون من الله أن يطيل في عمرهم ليروا نهايتها . هذا الحبر الكبير (يوحانان) (يوخانان) (Johanan) (Jochanan) رئيس (أكاديمية) (طبرية) والمعاصر لأذينة والزباء ، يقول : (مخلد وسعيد من يدرك نهاية أيام تدمر) . ولو كانت الملكة على دين يهود ، لما صدرت هذه الجملة من فم ذلك الحبر ولا شك . ونفهم من بعض الروايات المروية عن فقهاء اليهود وأحبارهم في فلسطين في ذلك العهد ، أن الملكة اضطهدت اليهود وعذبتهم . وهي روايات لا يمكن التسليم بصحتها أيضاً ، ويجوز انها ظهرت على أثر توسع الملكة في الأرضين التي كانت تحت سيطرة الرومان ومنها (اليهودية) غير أن هذا الاستيلاء لم يكن أمده طويلاً[3] .

ووردت روايات أخرى تشير الى كراهية يهود منطقة الفرات لتدمر ، ورد ان الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تحدث عن تدمر ، فقال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، انه عيد هلاك ترمود (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت تمود (Tamud) . وقد هلكت » . وورد ان الحبر (آشة) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انهما شيئان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الثاني مقامه »

---

١ Oberdick, S., 73.

٢ Talmud Jeru. Ter., VIII, 46b, Ency. Brita., 23, P. 945.

٣ Simon Dubnow: Weltgeschichte des jüdischen Volkes, III, S., 179, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 10, P. 639, Graetz: History of the Jews, Vol., 2, PP. 528, 1927, Yer. Taan., VIII, 465.

ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)[1] . وقد اشترك عدد كبير من اليهود في صفوف أعداء الزباء ، واشتركوا مع الفرس في حروبهم مع تدمر كما اشتركوا مع الرومان . وقبض على عدد من الأحبار أحضروا الى الملكة كانوا يحرضون الناس على التدمريين[2] .

أما (ثمود) ، الذين هلكوا قبل هلاك (ترمود) ، فهم قوم ثمود. ويظهر انهم حلت بهم نكبة أدت الى هلاكهم حتى صار هلاكهم مضرب الأمثال . ولم يشر الى زمن حلول تلك النكبة . ولكن ذلك كان قبل سقوط (تدمر) في أيدي الرومان على كل حال ، كما يفهم من كلام الحبر (يهودا) المتوفى سنة (٢٥٧) للميلاد[3] .

أما أسباب هذا البغض ، فلم تذكر . ويظهر ان هنالك جملة عوامل دعت الى ظهوره ، منها آراء الملكة الفلسفية وآراء الفلاسفة والكتّاب الذين كانوا يحيطون بها ، وكانوا يبثونها في تدمر وفي البقاع التي استولى عليها التدمريون ، فنفقت نفاقاً كبيراً بين يهود (تدمر) ويهود (الكالوتات) على نهر الفرات ، فأثارت هذه الآراء (الالحادية) عند اليهود حقد الأحبار والمتدينين . ومنها الزواج المختلط الذي انتشر في تدمر بين اليهود وغير اليهود ، ونشوء جيل جديد من هذا الزواج أضاع الدين وتقاليد الإسرائيليين . وهو أمر نهى عنه اليهود . ومنها الحالة السياسية التي نشأت من أسر الفرس للقيصر (والريانوس) ، وهجوم أذينة على الفرس وما أعقب ذلك من حروب ألحقت ضرراً كبيراً بالجاليات اليهودية الكبيرة التي كانت تسكن شواطىء الفرات ، ومعظمها من التجار الذين كانوا يتاجرون مع الفرس والروم ، وبين العراق وديار الشأم ، فأصيبت هذه (الكالوتات) اليهودية التي كانت تتمتع بشبه استقلال بأضرار كبيرة ، وفقدت استقلالها خلال مدة استيلاء التدمريين على شواطى الفرات . فلهذه الأسباب كانت نقمة اليهود على التدمريين[4] .

---

١ Oberdick, S., 80, Jebam 17b.

٢ ذكر (Oberdick) أمثلة عديدة على ذلك في (ص ٨٠) وما بعدها من كتابه . راجع أيضا :
Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336, Levy, in ZDMG., XVIII, S., 97.
Jost: Geschichte des Judenthums und seiner Sekten, II, S., 156.

٣ Oberdick, S., 79.

٤ Jost: Geschichte der Juden, 4. 14, 7. Oberdick, S., 78.

وحرص بعض المؤرخين على ادخال الملكة في زمرة النصارى فزعموا انها كانت على دين المسيح . وتساهل آخرون بعض التساهل فقالوا انها لم تكن نصرانية أصيلة ولكنها كانت قريبة منها ميالة اليها ، وجحد حجج من قال بتهود الملكة وسخفها. وتوسط آخرون فقالوا انها لم تكن يهودية محضة ، ولا نصرانية خالصة ، إنما كان دينها وسطاً بين الدينين : كانت تعتقد بوجود الله ، وترى التوحيد، ولكنها لم تكن على اليهودية وعلى النصرانية ، بل رأت الخالق كما يراه الفيلسوف[١] .

وللمؤرخين آراء في أصل (الزباء) ونسبها وأسرتها ، فمنهم من ذهب الى أنها مصرية ، ومنهم من ذهب الى أنها من العماليق ومن هؤلاء المؤرخ (آيشهورن) (Eichhorn)[٢] . وقد أخذ هؤلاء آراءهم من الكتب العربية على ما يظهر . وذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz) (Grätz) الى أنها (ادومية) من نسل (هيرودس) وانها يهودية الدين[٣] . ورأى (رايت) (Wright) و(أوبردك) (Oberdick) وآخرون انها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم . والذي عليه أكثرهم أنها عربية الأصل[٤] .

وقد ذكر (المسعودي) ان بعض المؤرخين كانوا يزعمون انها (رومية) تتكلم العربية[٥] .

أظهرت (الزباء) مقدرة فائقة في ادارة شؤون الملك ، فخاف منها الرومان، وعزم (غاليانوس) بتحريض من شيوخ (رومة) على القضاء عليها قبل استفحال أمرها ، فأرسل جيشاً الى الشرق تظاهر انه يريد من ارساله محاربة (سابور) غير انه كان يريد في الواقع مهاجمة تدمر واخضاع الملكة . فبلغ خبره مسامع (الزباء) فاستعدت لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلاً بكتائب الرومان، وانتصرت عليها انتصاراً باهراً ، وولت هاربة تاركة قائدها (هرقليانوس) (Heraclianus) قتيلاً في ساحة الحرب[٦] .

---

١ Oberdick, S., 72, 73.

٢ Eichhorn, Fundgr. des Orients, II, S., 365, Oberdick, S., 47.

٣ Graetz, Geschichte der Juden, IV, S., 335.

٤ Wright, P. 131, Oberdick, S., 47.

٥ مروج (١ : ٢٥٩) .

٦ المشرق ، السنة الاولى ، ايلول ١٨٩٨ م ، ١٨ (ص ٨٢٤ وما بعدها) ، Zosimus, I, 40, Oberdick, S., 43, Trebellius Pollio, Gall. 31, Trig. Tyr., 29, Hist. August., P. 180, 181, Gibbon, I, P. 263.

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بتقوية حدود مملكتها ، فأمرت بانشاء حصن (زنوبيا) (Zenobia) على نهر الفرات ، ليقف أمام الهجمات التي قد يوجهها الساسانيون عليها من الشرق[1] . ويقول (بروكوبيوس) انه سمي بهذا الاسم نسبة الى الملكة مؤسسته[2] .

وقد اتبعت (الزباء) بعد مقتل زوجها سياسة عربية ، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد اليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب . وذلك بعد أن رأت ان الرومان هم أعداء تدمر ، وانهم لا يفكرون الا في مصالح الرومان الخاصة . وبهذه السياسة تقربت أيضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها ، وخاصة بعد أن أدركت ان الأعراب قوة لا يستهان بها ، وانهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً ، صاروا قوة يحسب لها كل حساب ، فأخذت تعمل لتكوين هذه القوة ، ولكن الرومان كانوا أسرع منها ، فقضوا على مآربها قبل أن تتحقق ، فاستولوا على تدمر وأزالوا مملكة ملكة الشرق[3] .

وجهت (الزباء) أنظارها الى مصر ، ووضعت الخطط للاستيلاء على هذا القطر ، بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه باعلانها انها مصرية وانها من نسل الملكة (كليوبطرة) (قلبطرة) فلها إذن فيه ما يسمح لها بالتدخل في شؤونه ، وأخذت تترقب الفرص وتتحين الأسباب ، فلما قتل القيصر (غاليانس) سنة (٢٦٨) للميلاد ، وانتقل الحكم الى (أوريليوس فلوديوس) (Marcus Aurelius Claudius) (٢٦٨ — ٢٧٠ م) ، وجدت الجو صالحاً للتدخل ، كان الألمان (Alemannen) قد هاجموا حدود الإنبراطورية في مطلع هذا العام ، وكان (الغوط) (القوط) (Goths) (Gothen) قد أربكوا الدولة . وكان أثر الخسارة التي ألحقتها الملكة في الجيش الروماني ، ومقتل (هرقليانوس) بالغاً في نفوس الرومان ، يتجلى في صياح أعضاء مجلس الشيوخ بصوت واحد سبع مرات في أثناء مبايعة القيصر الجديد : (ياقلوديوس أغسطس نجنا من فكتوريا ومن زنوبيا ، ياقلوديوس

---

١ Oberdick, S., 43.

٢ Procopius, History of the Wars, II, V, IV-VI, P. 295.

٣ Die Araber, II, S., 270, VI, S., 270.

أغسطس أغثنا من التدمريين)[1] . وفي الرسالة المؤثرة التي وجهها القيصر الى مجلس الشيوخ ومدينة (رومة) وهو في طريقه لتأديب المهاجمين ، وفيها (ان جبيني ليندى خجلاً كلما تذكرت أن جميع الرمـــاة بالقسي هم في خدمة زنوبية)[2] . فانتهزت الملكة هذه الفرصة المؤاتية وأرسلت جيشها لاحتلال مصر .

كان القيصر قد أمر عامله على مصر المدعو (بروبوس) (Probus) بالخروج على رأس اسطول الاسكندرية الى عرض البحر : لمطاردة (الغوط) (القوط) (Goths) ولمنعهم من الهرب عبر المضايق ، فخرج على رأس قـــوة كبيرة من الرومان لمطاردتهم ؛ فانتهز الوطنيون والمعارضون لحكم الرومان – وعـــلى رأسهم (تيماجينيس) (Timagenes) ، وهو رجل يوناني الأصل مبغض للرومـــان – هذه الفرصة ، فكتبوا الى الملكـــة يحضونها على تحرير مصر من حكم (رومة) وتولي الحكم فيها . وأظهر (فيرموس) (Firmus) ، وهو رجل ثري جداً ، استعداده لمساعدة الملكة بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت الاستيلاء عـــلى مصر . فأمرت (الزباء) قائدها (زبدا) بقصد مصر عـــلى رأس جيش قوامه سبعون الف رجل . وقد قاتل الجيش الروماني الذي كان مؤلفاً من خمسين الف مقاتـــل وتغلب عليه ، ثم قرر العودة الى تدمر تاركاً في مصر حاميـــة صغيرة من خمسة آلاف رجل ، ويظهر انه تركها تحت إمرة (تيماجينيس) الذي عيّن نائباً عن الملكة على مصر . فلما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان ، أسرع عائداً الى مصر ، فألف جيشاً من المصريين الموالين للرومان ، وزحف على الاسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين ، وأعمل فيهم السيف . فلما سمعت (الزباء) بذلك ، أمرت قائدها بالعودة ثانية الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أي (الفسطاط) ، وكتب النصر لجيش الملكة في مصر[3] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٥) ،
Oberdick, 53, Trebellius Pollius, Claud., 4, Triq. Tyr., Vaughan, P. 83.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٦) ،
Oberdick, S., 54, Trebellius Pollius, Claud., 7.

٣ (بروباتوس) ، المشرق ، السنة الاولى ، أيلول ١٨٩٨ م ، الجزء ١٨ (ص٨٢٦)،
Zosimus, I, 39, 44, Hist. August., P. 198, (Pollius, XXX, Tyrani, G. 29), Oberdick, S., 54, Vaughan, P. 84, 122, 130.

وقد ساعد عرب مصر من سكان الأقسام الشرقيــة من مصر ، جيش تدمر مساعدة كبيرة ، ولا سيا فيا جرى من قتال حول حصن (بابلون) (Babylon) الذي عرف بـ (الفسطاط) فيا بعد . ويظن بعض الباحثين ان (تيماجينس) (Timagenes) الذي وصفه المؤرخ (زوسيموس) (Zosimos) (Zosimus) بأنه مصري ، كان في الحقيقة عربياً ، واسمه عربي أخذ من (تيم اللات) ، أو من (تيم جن)[1] . وكان من المبغضين للرومان .

ولم تتحدث الموارد التأريخية عن الحوادث التي جرت في مصر بعد هذا النصر ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذي وقع في منطقة خطــيرة من مناطق الانبراطورية . ويظهر ان الملكة تراضت مع (رومة) وعقدت اتفاقية معها، وافقت (رومة) فيها على بقاء جيوش تدمر في مصر،مع اعتراف (تدمر) بسيادة الرومان على وادي النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية في أواخر ايام حكم (قلوديوس) . كما يتبين ذلك من خبر ذكره (تريبليوس بوليو) (Trebellius Pollio) مــآله حلف المصريين يمين الولاء والاخلاص للقيصر . وقد دام هذا الاتفاق في أوائــل سني حكم القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) (٢٧٠ — ٢٧٥ م) أيضــاً كالذي يتبين من نقد ضرب في الإسكندرية في سنتي (٢٧٠) و (٢٧١) للميلاد، وقد ضربت على أحد وجهي النقد صورة مزدوجة لوجـه القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) حاملاً لقب (أغسطس) (Augustus) مع وجه (وهبلات)، وقد نعت بـ: (Vir Consularis Romanorum Imperator Dux Romanorum) (~~Vir~~ Clarissimus Rex Imperator Dux Romanorum) ، ويشـير الى اللقب الذي تلقب به أيام حكمه . وأما ازدواج صورة القيصر مع صورة (وهبلات) ، فيشير الى الحكم المزدوج على مصر[2] .

ولم يدم هــذا الاتفاق بين الرومان وبين الملكة طويلاً ، فقد ضغط سادات

---

١ Die Araber, II, S., 272, G. Ryckmans: Les Noms Propres sud-sémitiques, 62, H. Wuthnow: Die Semitischen Menschennamen in griech. Inschriften und Papyri, 1930, 39.

٢ Mattingly-Sydenham, V, I, 308, No : 381, H. Mattingly, in CAH, 12, 301, Ency. Brita., 17, P. 163, Oberdick, S., 61, Wright, P. 137, Die Araber, II, S., 254.

(رومة) على الإنبراطور بأن ينقذ الامبراطورية مما حاق بها من تصدع في أوروبة وفي الشرق . وفي جملة هذا التصدع ظهور ملكة (تدمر) وأطماعهـا في مصر وفي الأرضين الأخرى من بلاد الشأم وآسية الصغرى . واضطر القيصر (أوريليانوس) بعد الانتهاء من فتنة (رومة) ومن تأديب الجرمان الى التدخل والعمـل للقضاء على عصيان العصاة وطمع الطامعين . وبلغ سمع الملكة من أصدقائها ومخبريهـا في (رومة) عزمُ الانبراطور على القضاء عليها ، فقررت القيام بعمل سريع قبـل مباغتة القيصر لها ، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومـان في أيام (قلوديوس) ، وأمرت بمحو صورة (اوريليانوس) من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر ، وعدم اعترافها بسيادة (رومة) الاسمية عليها ، وأمرت بضرب صورة (وهبلات) وحده ، مع اللقب (الانبراطوري) المخصص بقياصرة (رومة) وذلك في السنة الخامسة من حكمه . وقد تلقبت الزباء نفسها بهذ اللقب في النقـود التي ضربت باسمها في الخارج . أما نقود (تدمر) ، فقد لقبت فيها بلقب (ملكـة)[1] ، ولقبت في مصر هي وابنها بلقب (أغسطس) . وهو لقب القيصر (أوريليانوس). وفي هذا التحدي الصريح ، دليل واضح على ما حدث من نزاع شديد في العلاقات السياسية بين تدمر ورومة[2] .

وتفاوضت الملكة (الزبّاء) على رواية مع الملكة (فيكتوريا) (فيكتورية) (Victoria) عاهلة إقليم (الغال) ، لتوحيد الخطط في مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير الى (بيتينية) (Bithynia) فاستولت عليها ، وظلت تتقدم دون ملاقاة معارضة تذكر حتّى بلغت (خلقيدون) بازاء (القسطنطينية)[3]. ويقال ان الملكة كانت قد أمرت بصنع عجلة فاخرة للدخول بها في موكب الظفر الى عاصمة الرومان[4] .

واضطرت الملكة لتنفيذ خطتها هذه الى سحب القسم الأعظم من جيشها المعسكر في مصر معتمدة عـلى دفاع المصريين انفسهم اذا هجم عليهم الرومان . فانتهز

---

١ Cooke, NSI, No : 131, Wadd., 2628.

٢ Ency. Brita., 17, P. 163.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٣) ، Oberdick, S., 84, Vaughan, P. 117, 130, 133.

٤ Oberdick, S., 83.

(اوريليانوس) هذه الفرصة فأرسل مدداً الى (بروبس) ، وكان القائد (زبدا) قد وصل الى مصر لمساعدة (فيرموس) نائب الملكة على صد الرومان . فوقعت معارك بين الفريقين كاد يكون النصر فيها للتدمريين لولا استمالة (بروبس) جماعة من المصريين ، فآزروه ودحروا جيش (زبدا) في سنة (٢٧١) للميلاد . واضطر التدمريون الى ترك مصر الى أعدائهم ، فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزبّاء[1] . ومنذ (٢٩) أغسطس من سنة (٢٧١ م) انقطع في الاسكندرية ضرب النقود التي تحمل صورة الزباء ووهبلات[2] .

ولا نعرف اليوم شيئاً من الموارد التأريخية عن الأثر الذي تركه انتصار (بروبس) في مصر على التدمريين . ولكننا نستطيع أن نقول انه وقع وقعاً عظيماً على الملكة (الزباء) . فخسارة مصر على هذه الصورة ، كانت خسارة كبيرة عليها ، ولا بد أن تكون قد أثرت فيها ، فقد مكنت الرومان من القضاء على سلطان الملكة في تلك البقعة المهمة وجعلت في امكانهم تهديدها من الجنوب ، كما ان توقف جيشها عند (خلقيدون) ، وعدم تمكنها من الاستيلاء على (نيقية) وتوقف خططها العسكرية الهجومية ، ثم اتخاذها خطة الدفاع ثم التراجع ومجيء (أورليانوس) بقوات كبيرة نحو الشرق ، كل ذلك قد يكون نتيجة من نتائج هذا الانحدار الذي مني به جيش الملكة وأحزابها الموالية لها بمصر ، فأضعف معنويات التدمريين ومن كان يواليهم وشدّ من أزر الرومان ومن كان يناصرهم .

قاوم أهل (خلقيدون) التدمريين ، وأبوا التسليم لهم ، وأرسلوا الى القيصر لينجدهم ، ويظهر ان الملكة عرفت حراجة وضعها العسكري ، وعدم استطاعتها التقدم ، فقررت التراجع الى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها اذا هاجمها الرومان . وقد هاجمها الرومان فعلاً ، اذ عبر القيصر مضيق (البسفور) وفاجأ التدمريين في (بيثينية) في أواخر سنة (٢٧١ م) أو أوائل السنة التالية، وأجلاهم عنها ، ثم سار الى (غلاطية) (Galatia) و (قفادوقية) (Cappadocia) حتى بلغ (أنقرة) (Ancyra) ، فسلمت له . وأخذ الرومان يتقدمون بسرعة الى بلاد الشأم[3] .

---

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٤) .

٢ Oberdick, S., 84.

٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٤) ، Oberdick, S., 87.

أفزع تقدم الرومان السريع الزباء ورجالها ولا شك ، وأخذت المدن التي كانت تساندها تشكّ في تمكن الملكة من الدفاع عن نفسها ، وشاعت بين الناس قصص عن نهاية تدمر وخرابها بأيدي الرومان وعن سقوطها لا محالة ، أثيرت مع وصول أنباء اعتزام القيصر القضاء على حكم الملكة واخضاع (تدمر) لحكم الرومان . ومن يدري ؟ فلعل الرومان وأنصارهم وأعوانهم وجواسيسهم هم الذين صنعوها وأذاعوها بين الناس لإماتة همة جيش الملكة وأعوانها ، والايحاء اليه انه مغلوب لا محالة وان ارادة الآلهة قد قضت بذلك ولا رادّ لها . فكان من بين ما أشيع ان معبد (الزهرة) في (أفقة) (Aphaca) أنبأ الحجاج التدمريين الذين حجّوا قبل سنة من سقوط مدينتهم ، يستفتون (الزهرة) فيما سيحل بهم في السنة المقبلة بمصير سيء سيلحق بتدمر ، وان كارثة ستنزل بهم ، أنبأهم بذلك على عادة المعبد في موسم الحج الذي يلي الموسم الذي سئل فيه السؤال[1] .

وكان من بين ما أشيع تخرّصات زعم أنها صدرت من معبد (أبولو) (Apollo) تنبىء بزوال دولة التدمريين ومشيئة الآلهة بانتصار (أورليانوس) على الزباء ، وتخرصات تزعم أن الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تنبأ بها عن تدمر ، إذ كان قد قال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، إنه عيد هلال (ترمود) (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت (تمود) (Tamud) وقد هلكت » . وورد ان الحبر (أشه) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انهما شيئان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الآخر مقامه » . ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)[2] .

الى غير ذلك من تخرصات أوحت بها دعاية الرومان ، وأعداء الملكة من يهود ومن قوميات أخرى قهرتها (الزباء) فأذاعتها بين الناس ، لافهامهم أن من العبث مقاومة القيصر وجنوده ، وان من الخير ترك المقاومة والاستسلام ، وأن اليوم الذي ستحرر فيه تلك الشعوب من حكم الملكة آت قريب ، لأن ارادة الآلهة قضت ان يكون ذلك ، ولا رادّ لأمر الآلهة : نعم ، لم تصدق الملكة العاقلة

---

١ Zosimus, I, 54, 57, 58.

٢ Oberdick, S., 80, Jebam, 17b.

الحكيمه بهذه الخرافات ، فحاربت . ولكن عقول العامة لم تكن على شاكلة عقل الملكة ، لقد أثرت فيها هذه الدعاية ، وقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها ، وما زال من طرازهم خلق كثير في القرن العشرين الميلادي هذا .

تهيأت الملكة (الزباء) لملاقاة (أورليانوس) عند مدينة (أنطاكية) (Antiochia) ، وكانت هي على رأس الجيش فارسة تحارب في الطليعة . أما القيادة ، فكانت لقائدها (زبدا) . وفي الوقعة الأولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية فشتتوا شملها ، فأمر القيصر جنوده بالرجوع الى مسافات بعيدة ، ليوهم التدمريين أنه قد فرّ ،فإذا ساروا في أثرهم وابتعدوا عن قواعدهم باغتهم بالهجوم ، فلا يتمكن فرسان تدمر من الهزيمة لثقل أسلحة الفرسان ومعداتهم وبطء خيلهم بالقياس الى خيل الرومان . وهو ما حدث . فقد خُدِع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة ، فتعقبوهم الى مسافات بعيدة ، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين ، وأطبقوا عليهم ، وأعملوا فيهم السيوف وانهزموا هزيمة منكرة الى مدينة (انطاكية) . وفي هذه المدينة قرّ رأي الملكة على ترك أنطاكية والارتحال عنها بسرعة لأسباب ، منها وجود جالية يونانية كبيرة فيها كانت تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين عليهم ، وقد كان لها النفوذ والكلمة في المدينة . ومنها نفرة النصارى من الملكة بسبب موقفها من (بولس السميساطي) الذي قرر مجمع (انطاكية) عزله من وظيفته ، فلم تنفذ الملكة قرار المجمع ، وتركته يتصرف في أموال الكنيسة ،ولم تكتف بذلك بل عينته (Procurator Decenarius) على المدينة ، أي انها جعلته الرئيس الروحي والدنيوي على الانطاكيين . أضف الى ذلك كره اليهود الذين في المدينة للتدمريين . وقد نفذت الملكة هذا القرار في اليوم الذي دخلت فيه جيوشها المدينة ، فأمرت قائدها بتركها والسير الى (حمص) فوراً . وفي اليوم الثاني دخل (أورليانوس) تلك المدينة وأعطاها الأمان[1] .

وتعقب القيصر أثر الملكة ففتح جملة مدن حتى بلغ (حمص) (Emisa) ، وهناك وجدها على رأس جيش قوامه سبعون ألفاً في مفازة عريضة تقع شمالي المدينة.

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٥) ،
Oberdick, S., 92, Ritter, Erdkunde, 17, 2, S., 1160, 8, Zosimus, I, II; 50; 51; PP. 44.

فاشتبك الرومان والتدمريون في معركة حامية ربح فيها التدمريون الجولة الأولى ، فولى الرومان مدبرين مذعورين تفتك فيهم سيوف تدمر . غير ان القيصر حزم رأيه ، وأدرك وجود ضعف في خطة قتال الملكة ، سببه ابتعاد فرسان تدمر عن مشاتهم في أثناء تعقب فرسان الروم ، فأمر جنوده بالهجوم على مشاة التدمريين ، ولم يكونوا في التدريب والقابلية مثل مشاة الرومان ، فمزقوا مشاة الملكة كل ممزق وحلت هزيمة منكرة عامة بجيش الزباء اضطرتها الى ترك (حمص) وتفضيل الرجوع الى عاصمتها تدمر للدفاع عنها ، فلعل البادية تعصمها منه وتمنعه من الوصول اليها. ودخل القيصر مدينة (حمص) ، فتوجه بالشكر والحمد الى إلـه (حمص) (الشمس) قاطعاً على نفسه عهداً ان يوسع المعبد ويجمّله ويزينه أحسن زينة، مقدماً له نذوراً هي أكثر ما غنمه من الغنائم من التدمريين[1] .

أدرك القيصر ان النصر الحقيقي لن يتم له الا بالقبض على (الزباء) وفتح (تدمر) ، وانه لن يدرك هذا الا اذا سار هو بنفسه على رأس جيشه لفتح تلك المدينة . لذلك قرر الزحف اليها بكل سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس وبالقبائل العربية الضاربة في البادية ، فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها . فسار مسرعاً حتى بلغ المدينة برغم الصعوبات والمشقات التي جابهت الكتائب (اللجيونات) الرومانية في أثناء قطعها الصحراء ، وألقى الحصار على (تدمر) القلعة الصحراوية الحصينة ، غير ان المدافعين عنها قابلوه بشدة وصرامة برمي الحجارة والسهام والنيران على جيشه وبالشتائم والسخرية والهزء ترسل اليه من أعالي السور . ويظهر ان (رومة) سمعت بذلك فسخرت من عجز القيصر عن احتلال مدينة صحراوية ، ومن التغلب على امرأة ، فساء (أورليانوس) ذلك كثيراً ، فكتب الى مجلس الشيوخ يقول : « .... قد يستضحك مني بعض الناس لمحاربتي امرأة .... فاعلموا ان الزباء (Zenobia) اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال .... »[2] . وبعثت سخرية أهل تدمر وهزؤ أهل (رومة) منه في القيصر عزماً جديداً على فتح المدينة ودكها دكاً مهما كلفه الأمر ، ليمحو عنه هذه الوصمة

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) ،
Oberdick, S., 102, Zosimus, I, 53, Flav. Vop. Aur., 25, Gibbon, I, P. 256.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،
Oberdick, S., 108, Flav. Vospicus Aur., 26-27, Hist. August., P. 218, Wright, P. 167, Gibbon, I, P. 266.

المخجلة التي لحقت به . فكاتب الملكة طالباً منها[1] التسليم والخضوع للرومان لتنال السلامــة وتستحق العفو ، فيسمح لها بالاقامة مع أسرتها في مدينة يعينها مجلس الشيوخ لها . أما جواب الملكة ، فكان: « انّ ما التمسته مني في كتابك لم يتجاسر أحد من قبلك أن يطلبه مني برسالة . أنسيت ان الغلبــة بالشجاعة ، لا بتسويد الصفحات . إنك تريد أن أستسلم لك . أتجهل أن كليوبترة (كليوبطرة) قــد آثرت الموت عــلى حياة سبقها عار الدّبرة . فها أنا ذي منتظرة عضد الفرس والأرمن والعرب (Saracens) لفل شباتك وكسر شوكتك . واذا كان لصوص الشأم قد تغلبوا عليك وهم منفردون ، فما يكون حالك إذا اجتمعتُ بحلفائي على مقاتلتك . لا شك أنك ستذل وتخنع لي فتجرد نفسك من كبريائها التي حملتك على طلب المحال كأنك مظفر منصور في كل أين وآن »[1] .

لم ينجد الفرسُ ملكــة الشرق ، ولم يرسلوا اليها مدداً ما . فقد كانوا هم أنفسهم في شغل شاغل عنها . توفي (سابور) الأول في عام (٢٧١) للميلاد ، فتولى (هرمز) (Ormidus) الملك من بعده ، وكان رجلاً ضعيفاً خائر القوى ، فعزل بعد سنة قضاها ملكاً . وظهرت فتن داخليــة بسبب ذلك لم تسمح للفرس وهم في هذه الحال أن يرسلوا قوة لمساعدة ملكة البادية عــدوّة (أورليانوس) قيصر الروم . وأما القبائل ، فأمرها معروف ، إنها مع القوي ما دام قوياً ، فإذا ظهرت عليه علائم الضعف ، صارت مع غيره . تحرش قسمٌ منها بجيوش الرومان المحاصرة للمدينة وهاجمتها ، غير أنهــا منيت بخسائر فادحة ، فتركت التحرش بالمحاصرين . ورأى قسم منها الاتفاق مع القيصر ، ففي الاتفاق الربح والسلامة. وما الذي يجنيه سادات القبائل من ملكة محاصرة ، لم يبق من ملكها غير مدينــة في بادية وثروة سيستولي عليها الرومان . وإن بقيت لها فلن يصيبها منها ما يصيبهم من القيصر من مال كثير . ومن لقب وجاه يأتيهم من حاكم مدني قوي . وقد عرف القيصر فيهم هذه الخصلة فاشترى أنفس الرؤساء بالمال . فــأمن بذلك شر القبائل ، وسلم من عدو يحسب لعداوته ألف حساب[2] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،
Oberdick, S., 109, Flav. Vop. Aur., 26, 27, Wright, P. 157, Vaughan, P. 173.

٢ Oberdick, S., 108, III.

ولما رات الزباء ان ما كانت تأمله من مساعدة الفرس والقبائل والأرمن لم يتحقق ، وان ما كانت ترجوه من مساعدة الحظ لها بإطالة أمد الدفاع لاكراه عدوها على فك الحصار والرجوع لم يتحقق كذلك ، وان وضع القيصر قد تحسن بوصول مدد عظيم اليه من الشأم وبوصول مواد غذائية اليه كافية لاطالة مدة الحصار ، قررت ترك عاصمتها للأقدار ، والتسلل منها ليلاً للوصول بنفسها الى الفرس علهم يرسلون لها نجدة تغيّر الموقف وتبدّل الحال . ودبرت أمر خطتها بكل تكتّم وهربت من مدينتها من غير ان يشعر بخروجها الرومان ، وامتطت ناقة راتجهت نحو الفرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول الى حصنها (زنوبية) ومنه الى الفرس[1] . على كل حال ، فقد حالفها الحظ في أول الأمر ، فأوصلها سالمة الى شاطىء النهر ، عند (الدير) (دير الزور) قريب من (زليبية)[2] (Halebiya) ثم خانها خيانة فظيعة . فلما علم (أورليانوس) بنبأ هرب الملكة ، أيقن ان أتعابه ستذهب كلها سدى ان لم يتمكن من القبض عليها حية . لهذا أوعز الى خيرة فرسانه وأسرع رجاله باقتفاء أثر الملكة والقبض عليها مهما كلفهم الأمر . وقال الحظ كلمته . انه سيكون في جانب القوي ما دام الناس في جانبه . نقل فرسان القيصر الى موضع وجود الملكة على الشاطىء ، في اللحظة الدقيقة الفاصلة الحاسمة بين الموت والهلاك والدمار وبين العز والسلطان واسترجاع ما ذهب من ملك . كانت الملكة تهم بوضع نفسها في زورق لينقلها الى الشاطىء الثاني من نهر الفرات. ولو عبرت لتغير اذن كل شيء . واذا بالفرسان ينقضون عليها ويأخذون (ملكة الشرق) معهم مسرعين الى معيد الشرق للرومان : (Recepto Orientis) ، وهو على رأس جنوده يحاصر هذه المدينة العنيدة التي أبت الخضوع لحكمه والتسليم له[3].

من الباحثين من يرى ان الملكة هربت من نفق سري يصل معبد المدينة بالخارج يمر من تحت السور له باب سري خارج الأسوار أعدّ لمثل هذه المناسبات ، أو من أنفاق أخرى ، اذ يصعب تصور خروج الملكة ليلاً من مدينتها ولو بحفر نفق في السور دون أن يشعر بذلك الرومان . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا

---

١ Oberdick, S., III.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨) م ،
Wright, P. 160, Freya Stark, Rome, P. 367.

٣ « Recepto Igitur Orientis », Flav. Vop. Aur., 25.

بالسراديب والقنوات التي ترى بقاياها تحت أسوار تدمر وقلاعها الى اليوم[1] .

أحضرت الزبّاء أمام القيصر ، فقال لها : « صرت في قبضتنا يا زينب ، ألست أنت التي أدت بك الجسارة الى أن تستصغري شأن قيصر روماني » . فأجابت : « نعم ، إني أقر لك الآن بكونك قيصراً ، وقد تغلبت عليّ . وأما غاليانوس وأورليوس وغيرهما ، فلست أنظمهم في سلك القياصرة . وإنما بارتني فيكتورية في السلطنة والعز ، فلولا بعد الأوطان لعرضت عليها أن تشاركني في الملك »[2] . فأثرت كلمات الملكة في نفس (اوريليانوس) ، فنحها الأمان . وقد أثر أسرها في نفوس التدمريين المتحصنين في بلدتهم ، فرأى قسم منهم الاستمرار في الدفاع وعدم تسليم المدينة مهما كلف الأمر ، ورأى قسم آخر فتح الأبواب والتسليم ، وصاحوا من أعلى الأسوار في طلب الأمان ، وفتحوا له أبواب المدينة في بدء السنة (٢٧٣) للميلاد[3] . فدخلها دخول الظافرين ، فقبض على حاشية الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يحرض على معارضة الرومان ، واستصفى أموال الملكة وجميع كنوزها ، وأخذ الزبّاء ومن قبض عليهم معه وتوجه بهم الى (حمص)[4] .

وتذكر بعض الروايات أن القيصر كان اول ما فعله عند دخوله الى المدينة أن توجه الى معبد الإلـه (بعل) (Bel) ، فشكر الإلـه وحمده على توفيقه له ونصره له على أهل تدمر . ثم اختار له قائداً نصبه على (تدمر) اسمه (Sandarion) على رواية و (Apsaeus) على رواية أخرى ، ليحافظ على الأمن ويحكم المدينة . وجعل في إمرته حامية فيها ستمائة من الرماة ، ثم غادر تدمر تاركاً أمرها الى هذا القائد[5] .

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter: Erdunde, XVIII, 2, S., 1521.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick. S.. 112. Ritter. Erdunde, XVII, 2 Hist. August., P. 199, 218, Wright, PP. 160, Vospicus Aurel.. C. 28, Zosimus, I, I, C. 55, P. 50, Gibbon, I, P. 267, Trebellius Poll., 30, Tyr., 29.

٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) ، Leopold Von Ranke: BD., 5, S.. 189.

٤ Zosimus, I, 56.

٥ Vaughan, P. 187.

في حمص كما زعم المؤرخ زوسيموس) (Zosimus) حاكم القيصر الملكة وأصحابها (استحضر القيصر سلطانة تدمر وأشياعها فلما مثلت بين يديه ، جعلت تعتذر اليه وتتنصل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرفت كثيرين من أصحابها بأنهم أضلوها بسوء نصائحهم وورطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشت بهم عند القيصر (لونجينوس) .... فحكم عليه القيصر من ساعته بالموت بعد أن مثّل به . فكابد لونجينوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى انه عند وفاته كان يعزى أصدقاءه وأقاربه . وكذلك نكّل بكل من تجرمت زينب عليه)[1] .

وقد اختلف الباحثون في صحة رواية هذا المؤرخ ، فمنهم من شك فيها ومن هؤلاء (الأب سبستيان رتزفال) الذي نقلت ترجمته العربية لرواية (زوسيموس) فقد استبعد صدور الوشاية والخيانة من ملكة كانت على جانب عظيم من سمو الأخلاق والثقافة[2] . ومنهم من اعتقد بصحتها وسلّم بها ولام الزباء على صدور مثل هذا العمل الشائن منها، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني (مومزن) (Mommsen) الشهير في تأريخ الرومان[3] .

وغادر (أورليانوس) مدينة حمص الى (رومة) ومعه (الزباء) وأبناؤها وعدد من الأسرى أراد إلحاقهم بموكب النصر الذي سيقيمه عند دخوله العاصمة ليتفرج عليهم الناس . وفي أثناء عبور (البسفور) غرق عدة من أصحاب (الزباء) في جملتهم (وهبلات) على رواية المؤرخ (زوسيموس)[4] . وبينما كان القيصر في (تراقية) (Thrazien) اذ جاءته الأخبار تنبيء بثورة أهل تدمر على قائد المدينة (سنداريون) (Sandarion) الذي عيّنه القيصر حاكماً على تدمر[5] ، وبظهور ثورة أخرى في مصر بطلها (فيرموس) (Firmus) الثري الشهير . وكان هدف الثورتين واحداً، هو التحرر من حكم الرومان والحصول على الاستقلال،

---

١ أخذت ترجمة رواية (زوسيموس) من مجلة المشرق السنة الاولى ، الجزء ٢٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ١٠٥٩) ، راجع الاصل في :
Zosimus, I, I, C. 56, P. 49, 51, Vopiscus: Hist. August., P 219, (Aurel. C. 30)

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) .

٣ Oberdick, S., 113, Georg Finaly: Griechenland unter Römern, 1861, Leipzig, S., 104. Mommsen, The Provinces of the Roman Empire, Vol., II, P. 748.

٤ Zosimus, I, 58, ZDMG., 1864, S., 748.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

فأنفق (فيرموس) وهو من كبار رجال المال في العالم في ذلك الحين أموالاً كبيرة على الجمعيات الوطنية المناهضة لرومة ، وألّف جيشاً تمكن به من الاستيلاء على الاسكندرية ، وجمع حوله أشياع (الزباء) في مصر ، ولقّب نفسه بألقاب القياصرة ، وأخذ يتفاوض مع التدمريين في توحيد الخطط والعمل بجد في تقويض الانبراطورية الرومانية في الشرق[1] .

وقرر القيصر الاسراع في العودة الى الشرق لمعالجة الحالة قبل فوات الوقت ، فوصل الى (تدمر) بسرعة كبيرة أذهلت المدينة الثائرة ، فلم تدرِ ما تصنع . كانت قد قتلت القائد (سنداريون) (سوداريون) (Sandarion) [2]، وفتكت بالحامية الرومانية، ورفعت راية العصيان في الشرق وتزعمت الحركة الوطنية المعادية للدخلاء وتبنتها ، فبأي وجه ستقابل (أورليانوس) القيصر المتغطرس الجبار ؟ وماذا سيكون موقفه منها ؟ وهي في وضع حرج لا تأمل الحصول على مساعدة لا من الفرس ولا من المصريين . وتداعت المدينة بسرعة حينما مثل أمامها الرومان وسلّمت نفسها للقيصر ، فسلّمها هو غنيمة الى جنده يفعلون بها ما يشاءون بغير حساب .

عفا القيصر (أنطيوخس) عن أقارب الزباء ، وكان التدمريون أقاموه ملكاً عليهم . ولم يعف عن الرعيـة فتناولتهم سيوف الرعـاع من جنود (رومة) وخناجرهم من غير تمييز في العمر أو تفـريق في الجنس[3] . وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدُكّت الأسوار وهدمت الأبراج وقوضت الأبنية[4] ، حتى ان القيصر نفسه رق قلبـه على من تبقى حياً من المدينة ، فكتـب الى (Cerronius Bassus) قائد المدينة أن يصفح عنهم ، وأن يعيد بناء هيكل الشمس الى ما كان عليه ، وكان جنود (اللجيون) الثالث قد نهبوه وخربـوه ، وأمر بالانفاق عليه وبتزيينه وتجميله من الأموال التي استصفيت من خزائن (الزبّاء). وطلب من مجلس الشيوخ في (رومة) ارسال كاهن ليدشن المعبـد[5] . وأرسل

١ Oberdick, S., 115.

٢ (سوداريون) : المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

٣ Oberdick, S., 116, Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) . Vaughan, PP. 208.

٥ Flavius Vopiscus Aur., C. 31, « Cerronius Bassus », Wright, P. 163, Flavius Vopiscus: Hist. August., P. 21, Vaughan, P. 209.

بعض نفائس الهيكل الى عاصمته لتوضع في معبد الشمس الذي أقامه هناك ، ومنها أعمدة مصورة[1] . غير أن ما أفسده الدهر لا يصلحه العطّار . ولم يتمكن القيصر من اصلاح ما أفسده الدهر على يديه . فلم يعد المعبد معبداً كما كان ، ولم تعد (تدمر) تدمر الزباء .

وقبل أن يرحل (اوريليانوس) عن أرض تدمر ، غزا الفرس . ويظهر أنه غزا قوة كانت قد أرسلت لمساعدة (تدمر) ، فأرجعها على أعقابها . ثم عيّن قائده المحنك (ساترنينوس) (Saturninus) بدرجة (Dux) قائداً على الحدود لحمايتها من الفرس[2] ، وتوجه الى مصر للقضاء على ثورة (فيرموس) ، فكان الحظ فيها حليفه . احتل الإسكندرية وقبض على التاجر الحاكم ، الذي لقب نفسه قيصراً ، فأمر بمعاقبته بعقاب السرّاق واللصوص ، أي بصلبه على الصليب[3] . وبذلك أعاد معيد الشرق الى الرومان الشرق المنفتل منهم مرة أخرى الى الرومان .

بعد هذه الانتصارات وانتصارات أخرى أحرزها في غالية ، عاد الى عاصمته في سنة (٢٧٤) للميلاد في موكب قيصري عظيم وصفه المؤرخ (Flavius Vopiscus) وصفاً رائعاً ، اشترك فيه (١٦٠٠) مصارع وعدد غفير من الأسرى من مختلف الأقوام ، ومن بينهم الملكة الزباء ومعها أحد أبنائها ، وقيل كلاهما ، وبعض رعاياها ، وثلاثة عجلات ملكية : عجلة (أذينة) زوج الزباء وهي مزينة بالذهب والجواهر ، وعجلة أهداها (هرمز بن سابور) الى القيصر ، وعجلة (الزباء) الخاصة التي أعدتها لتدخل فوقها منتصرة عاصمة الرومان . وتقدم الموكب عشرون فيلاً وعدة وحوش وحيوانات جيء بها من فلسطين وليبيا ومصر وأماكن أخرى. سار الى (الكابيتول) ثم الى قصر (الانبراطور) . واحتفل الشعب في اليوم الثاني احتفالاً خاصاً كانت فيه ألعاب مختلفة وكان فيه تمثيل وسباق مختلف الأنواع[4] .

كان هذا الاحتفال نهاية فصل وبداية فصل جديد ، قضى على الملكة أن تقبع

---

١ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 116.

٢ Oberdick, S., 118.

٣ Flavius Vopiscus, Aur., C. 32, 45, Firmus, C. 2, Hist. August., P. 219, Oberdick, S., 118, Gibbon, I, P. 268.

٤ Oberdick, S., 119, Flavius Vopiscus Aur., C. 33, Hist. August., P. 220, Gibbon, I, P. 269.

منذ نهايته في بيت خصص بها في (تيبور) (Tibur) مع أولادها ، وأن تعتزل السياسة والشرق . عاشت في عزلة في هذه البقعة من ايطاليـة ، ولم يتحدث عنها مؤرخو عصر (أورليانوس) شيئاً بعد أن صارت من سواد الناس . ويظهر ان ما ذكره بعض المؤرخين اليونان عن زواج الزباء بعضو من أعضاء مجلس الشيوخ هو أسطورة من الأساطير العديدة التي راجت بعد ذلك عن حياة ملكة الشرق[1] .

وأما أولاد الملكة، فقد ذكرتُ قريباً ان بعض المؤرخين أشار الى غرق (وهبلات) في أثناء عبور القيصر مضيق (البسفور) . وأشار آخرون الى انه نقل مع أمه الى (رومة) . وأما (تيم الله) (Timolaus) ، فأسكن مع أمه أيضاً في (تيبور). وزعم في رواية انه مات مع أخيه (خيران) ،(حيران) (Herennianus) في أثناء الاحتفال بموكب النصر . وزُعم أيضاً انه عاش وصار خطيبـاً مصقعاً من خطباء (اللاتين)[2] . وروي أيضاً انها زوجت بناتها بأعيان من الرومان . وروى المؤرخ (تربيليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ، وهو من رجال القـرن الرابع للميلاد (حوالي سنة ٣٠٤ م) ، ان ذرية الزباء كانت في ايامه[3] . وذكر ان الأسقف الشهير القديس (زنوبيوس) (Zenobius) أسقف مدينة (فلورنسة) ومعاصر القديس (أنبروسيوس) (Ambrosius) كان من نسلها أيضاً[4] .

ولم تكن تدمر في عهد (ديوقليطيانوس) (ديوكليتيانوس) (Diocletian) (Diocletian) (٢٨٥ – ٣٠٥ م) سوى قرية صغيرة وقلعة من قلاع الحدود لحمايتها من هجمات القبائل وغزوها للمدن القريبة من البادية[5] . ويخـبرنا المؤرخ (ملالا) أن (ديوقليطيانوس) ابتنى (Castra) فيها ، وذلك بعد عقده الصلح مع الفرس[6] ، ورمم بعض ابنيتها . ويرى (الأب سبستيان رتزفال) أنه اضطهد نصارى تدمر كما فعل في سائر الأقاليم[7] .

---

١ Oberdick, S., 120.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) .

٣ Oberdick, S., 120, Trebellius Pollio, 20.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، Oberdick, S., 120, Eutrop. 9, 13, Hieron. Chron., P. 758. Vol., Baronius, Ann., III, P. 146.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، Oberdick, S., 116

٦ Oberdick, S., 117, Malalas, S., 308

٧ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

وفي حوالي القرن الخامس للميلاد (٤٠٠ م) كانت تدمر مقاطعة تابعة لولاية (فينيقية) وقد عين (تاودوسيوس) (تيودوسيوس) (ثيودوسيوس) الثاني (٤٠٨ – ٤٥٠ م) فرقة من الجند لحراسة (تدمر)[١] . والظاهر أن وظيفتها كانت حماية الحدود من هجمات رجال البادية . أما الكتيبة الرومانية التي عسكرت فيها في حوالي سنة (٤٠٠) بعد الميلاد ، فهي (اللجيون الأليري) (Illyrian) الأول[٢] .

وذكر الراهب (إسكندر) (Alexander the Acoemete) المتوفى في حوالي سنة (٤٣٠) للميلاد أنه في أثناء سفره من الفرات الى مصر قابله الجنود الرومان المعسكرون في القلاع بكل ترحاب وقدّموا له ولمرافقيه كل المساعدات الممكنة ، وانه وجد قلاعاً مقامة على طول حدود الفرس والروم على مسافات تتراوح من عشرة أميال الى عشرين ميلاً رومانياً . وقد قطع الحدود هذه حتى بلغ مدينة (سليمان) ، ويقصد بها مدينة تدمر[٣] .

وأمر القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ – ٥٦٥ م) في أوائل تبوئه الحكم (٥٢٧ م) (أرمينيوس) (Armenius) بالذهاب الى (تدمر) لترميم ما تهدم من المباني واعادة المدينة الى ما كانت عليه . وأمده بالأموال اللازمة لهذا المشروع[٤] ، كما أمر بتقوية حامية المدينة ، وان تكون مقر حاكم (Dux) مقاطعة (فينيقية لبنان) (Phoenice Libanesia) وذلك لحماية الحدود خاصة حدود الأرض المقدسة[٥]،وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان القيصر المذكور قوى أسوار المدينة وقلاعها وحصنها تحصيناً قوياً ، وحسن موارد

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117, Wright, P. 169, Notitia Dign Orien., P. 84, 380, (Ed. Bocking).

٢ Ency. Brita., 17, P. 163, Notitia Dign., I, 85.

٣ Musil: Palmyrena, P. 248, De S. Alexandra Fundatore Acoemetorum, Constantinopli, in: Bolland «Acta Sanctorum» P. 1025, Edition, E. De Stoop: Vil d'Alexandre Acémété, in: Patrologia Orientalis, P. 683.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

٥ Oberdick, S., 117, Procoptus: De Aedif. Just., II, II, De Bello Persico, 2, I, P. 88, Theophanus, Chro., I, P. 267, (Ed. Bonn), Malalas, P. 426, Syria, VII, 1926, P. 77.

مياهها . ولا تزال آثار هذا العهد باقية حتى الآن[1] .

وقد كانت مدينة (تدمر) على الحدود الداخلية (Limes Interior) للانبراطورية في أيام (يوسطينيانوس)[2] . ويسكن في المناطق التي بين هذه الحدود وبين الحدود الخارجية (Limes Exterior) القبائل المحالفة للرومان . ومن هـذه المنطقة تغزو القبائل الحدود[3] . وقد كان سلطان الروم وقواتهم العسكرية أقوى في الحدود الداخلية منها على الحدود الخارجية التي كان يقوم بالدفاع عنها رجال القبائل الحليفة بالدرجة الأولى بأجور ومخصصات تدفعها الحكومة الى رؤسائها لضمان حماية تلك الحدود .

وقد كانت القبائل العربية قبل الميلاد وبعده تقلق راحة سكان الحدود وتزعج الحاميات الموكول اليها أمر سلامتها ، وتكون مصدر خطر دائم للحكومات . وكان من الصعب الاطمئنان اليها. ثم ان البادية كانت تصدّر لهم بين حين وآخر بضاعة جديدة منها ، وموجة عنيفة تزعج القبائل القديمة والحدود معاً ، فكان على تلك الحكومات مداراتها واكتساب ود القوية منها،ويقال ان القيصر(دقيوس) (Decius) (٢٤٩ — ٢٥١ م) سئم في زمانه من هذا الوضع وبرم به ، ففكر في ادخال الرعب في نفوس هذه القبائل وقهرها ، فجاء بأسود اصطادها من افريقية في البادية لتتناسل وتتوالد ولتكون مصدر خطر ورعب للأعراب[4] .

وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمرَ منزلاً لهم ومحل اقامـة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة (٦٣٤ م)[5] . غير انها منذ تركتها الزباء لم ترجع الى ما كانت عليه . وقد أثر تحول الطرق التجارية في مركز هذه المدينة كثيراً ولا شك .

وانتهت الينا أسماء عدد من أساقفة مدينة (تدمر) مدونة في سجلات الأعمال الكنسية ، منهم : الأسقف (مارينوس) (Marinus) وقد حضر المجمع النيقاوي (Nicaea) (Nicaa) الذي انعقد سنة (٣٢٥) للميلاد[6] ، والأسقف (يوحنا) (٣٥٧ م) وقد ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)

---

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .
٢ Musil, Palmyrena, P. 248, Theophanes, Chronographia (Migne), Col : 404.
٣ Musil, Palmyrena, P. 248.
٤ Musil, Palmyrena, P. 247, The Chronicon Paschale, (Migne), Col : 669
٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٦٣) .
٦ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

المنعقد عام (٤٥١ م)[١] ، و (يوحنا) الثانـي المشهور في أيام (انستاس) (أنسطاس) (نسطاس) القيصر (٤٩١ — ٥٨١ م) . وكان نفي في عهـد (يوسطينوس) خليفته لدفاعه عن (المجمع الخلقيدوني) ولقوله بطبيعتـين في المسيح سنة (٥١٨ م)[٢] . ويستدل من وجود أساقفة في تدمر على انتشار النصرانية في هذه المدينة .

وفي (تدمر) في الزمن الحاضر ثروة تأريخية مطمورة تحت الأنقاض ستفيدنا ولا شك فائدة كبيرة في تدوين تأريخ المدينة وتأريخ صلاتها بالخارج . لقد عثر فيها على كتابات أفادتنا كثيراً في تدوين تأريخ المدينة . ولكن ما سيعثر عليه منها مما هو مطمور سيفيدنا أيضاً ، وقد يفيدنا أكثر في كتابة تأريخها . وقد قام علماء بالتنقيب في مواضع منها ، للكشف عن المواقع المهمة منها ، وكتبوا عنها[٣] . غير ان المدينة لا تزال في انتظار من يكشف عنها .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء اصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها زهاء اثنين وعشرين صنماً ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، وأسماؤها أسماء عربية . ومنها ما هو إرمي ، وعلى رأس آلهة تدمر الإلـه (شمش) (شمس). وقد اتصفت دياناتهم بمزايا النظام الشمسي الذي تركزت عليه ديانة عرب الشمال. ومن هذه الأصنام (بل) ، أي (بعل) ، و (يرح بل) (يرح بول) (يرح بعل) ، و (عجل بل) (عجل بول) و (عجل بعل) ، و(الت) أي (اللآت) ، و (رحم) (رحيم) ، (اشتر) أي (عشتار)، و(عثتر) عند العرب الجنوبيين[٤] ، و (ملك بل) (ملك بعل)[٥] ، و(عزيزو) (عزيز)

---

١ Oberdick, S., 117.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

٣ Syria. Tome, VII, 1926, PP. 70, « Recherches Archéologiques a Palmyre », by Albert Gabriel, PP. 128, Syria. Tome, XI, 1930, PP. 242, Tome, XVII, 1936, PP. 229, Bounni A. Les Annales Archéologues de Syrie, Vol., 15, 1965.

٤ Ency. Brita., 17. P. 163, Syria, Tome. IX, 1928, PP. 101, Tome, XIII, 1932, PP. 139. Tome XIV. 1933. PP. 171. J. Février. La Religion des Palmyreniens, PP. 57.

٥ Syria, XIV, 1933, P. 182.

و (سعد) ، و (اب جل) ، و (اشر)[1] ، و (بل شمن) (بل شمين) (بعل شمين)،أي (بعل السماوات) (رب السماوات)[2] و (جد) (جد بعل)، وغيرها .

وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها تذكّر الأحياء عبّاد المال بالمصير المحتوم الذي سيواجه كل حي غني أو فقير أو متوسط ، تضم رفات من تستقبلهم ثم لا تسمح لهم بالانتقال منها الى دار أخرى. انها دور الأبدية والاستقرار ، وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باطلاقهم (بيت الأبدية) على القبر[3] . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد : بعضها على هيأة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيأة بيوت ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوانبها أسماء ساكنيها في الأبدية ورسمت صورهم عليها[4] . هذه هي مدينة الأموات تشرف على مدينة الأحياء وتضحك منها .

حصن (زنوبية) :

لم تفكر (الزباء) ، على ما يظهر ، في نقل عاصمتها الى موضع آخر ، وقد عملت على تقوية (تدمر) وتحصينها وتجميلها ، ومعظم الآثار الباقية فيها هي من أيامها . ولو ان كثيراً من الأبنية التي كانت فيها قبل أيام الملكة قد صيّرت باسمها ، غير انها عُنيت عناية فائقة بتحسين عاصمتها ولا شك . وابتنت مدينة على نهر الفرات لحماية حدودها من الشرق عرفت بـ (زنوبية) وهو اسمها باليونانية . ويظهر ان هذه المدينة هي التي أشار اليها (الطبري) بقوله : « وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطىء الفرات الغربي »[5] ،

---

١ Syria, XV, 1934, PP. 173, Tome XVIII, 1937, P. 9, XVIII, 1937, 198, Baethgen, Beiträge zur Semitischen Religionglschichte, S., 84.

٢ Syria, XVIII, 1937. P. 5, REP. EPIG., 30, Tome, I, I, P. 28.

٣ Ency. Brita., 17, P. 162, Syria, XXVI, 1949, PP. 87, « La Tour Funeraire de Palmyre », by Ernest Will, Wood, The Ruins of Palmyra, PL. 56.

٤ Ency. Brita., 17, P. 162.

٥ الطبري (٢/ ٣٢) .

فجعل المدينة قصراً ، وصيّر اسم المدينة وهو (زنوبية) (زبيبة) وجعله اسم أخت للزباء . وذكر (المسعودي) ان مدائن الزباء على شاطىء الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، (وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أنقاباً بين مدائنها)[1] . وذكر أيضاً انهـا حفرت سرباً من تحت سريرها وبنته حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختهـا[2] . وقد أشير الى هذا النفق في قصة مقتلها . وذكر (ابن الكلبي) ان أبا الزبّاء اتخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها داخل المدينة[3] .

وذكر (البكري) ان المدينة التي بنتها الزباء على شاطىء الفرات هي (الخانوقة)، وزعم ان (الزبّاء) (عمدت الى الفرات عند قلة مائـه فسكر ، ثم بنت في بطنه ازجاً جعلت فيه نفقاً الى البرية وأجرت عليه الماء ، فكانت اذا خافت عدواً دخلت الى النفق وخرجت الى مدينة اختها الزبيبة)[4] . وسمى (ياقوت الحموي) تلك المدينة (الزباء) ، قال : انها (سميت بالزباء صاحبة جذيمة الأبرش)[5] . ودعاها في موضع آخر (عزان)[6] وقال : إنّ في مقابلها على الضفـة الثانية من الفرات مدينة تدعى (عدان) ، وهي لأخت الزبّاء[7] .

ويظهر ان هرب (الزبّاء) سراً من نفق سري ، يمر من داخل المدينة من معبدها او من قصر الملكة ومن تحت السور الى الخارج ، هو الـذي أوحى الى أهل الأخبار قصة ذلك النفق الطويل الذي زعموا أن الملكة بنتـه تحت الأرض من قصرها الى نهر الفرات ، حيث مدينتها الثانية ، وهو نفق يجب أن يكون طوله مئات من الأميال . وقد عثر على بقايا سراديب وقنوات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير الى وجود أنفاق للهرب منها عند الاضطرار[8] ، ولكنها لا يمكن أن تكون على شاكلة نفق أهل الأخبار بالطبع .

---

١ مروج (٢/١٩) .
٢ مروج (٢/٢١) .
٣ الطبري (٢/٣٤) (طبعة المطبعة الحسينية) .
٤ البكري ، معجم (١/٣٢٠) ، (طبعة وستنفلد) .
٥ البلدان (٤/٣٧٢) .
٦ البلدان (٦/١٢٦) .
٧ البلدان (٦/١٢٦) .
٨ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter, Erdkunde, XVII, 2, S., 1521.

ولا يستبعد احتمال وجود نفق في حصن (زنوبية) على الفرات أيضاً، ساعد وجوده في تثبيت هذه القصة في رواية الأخباريين .

ويرى (هرتسفلد) (E. Herzfeld) أن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم باسم (الحلبية) ، ويقابله في الضفـــة الثانية من النهر موضع آخر يسمى (الزليبية) . وهو يعارض رأي من يدعى أن (الزليبية) هي المدينة التي بنتها الزبّاء . وينسب بناء موضع (حلبية) (الحلبيـــة) الى (الزبّاء) كذلك[1] . ويرى بعض الباحثين احتمال كون (الحلبية) القصر الثاني الـذي نسب بناؤه الى الزبّاء ، وذكر في الروايات العربية . وذهب بعض آخرُ الى أن (زنوبية) هي مدينة (السبخة) الحالية[2] .

ويرى (موسل) أن (الحلبية) هي (دور كرباتي) (Dur Karpati) التي بنيت بأمر (آشور نصربال الثالث) (Asurnazirpal) (Nibarti Aschur) عام (٨٧٧) قبل الميلاد ، وأنها عرفت بـ (زنوبية) ثم (الزبّاء) فيما بعد[3] .

ويعزو (سبستيان رتزفال) سبب بناء مدينة (زنوبية) الى عزم الملكة على اذلال مدينة (فولوغيسية) (Vologasia) (Vologesias) المعروفة في الكتابات التدمرية باسم (ألجيسيا) (Ologesia) (ألجاشيا) ، وهي في نظر بعض الباحثين (الكفل) على نهر الفرات في لواء الحلة بالعراق ، بناها (فلوجاس) (فلوكاس) من ملوك (الأرشكيين) (بنو أرشك) حوالي سنة (٦٠) للميلاد . وذلك لاستجلاب التجارات الواردة عن طريق نهر الفرات من أقاصي الهند والشأم وآسية الصغرى[4]. فرأت (الزبّاء) منافسة هذه المدينة ببناء مدينة جديدة تقع في منطقة نفوذها على نهر الفرات .

المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الـ ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢٠) ،
Friedrich Sarre und Ernst Herzfeld, Archäologische Reise im Euphart und Tigris-Gebiet, Berlin. 1911, I, S., 167, II. 365.

المشرق ، السنة الاولى ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ؛
Sarre — Herzfeld, Archäologische, I, S., 164.

Musil. Euphrates. P. 331, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, (1861-1884), Vol., I, PL. 24, Col., 3. II. 49, Budge and King, Annals, 1902, PP. 360.

المشرق ، السنـــة الاولى (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ، سماها (الأب رتزفال) (الكفيل) ،
Rostovtzeff, Melange Gloz. 749, Seyrig, Syria, XIII, 1932, P. 272.

وكانت قوافل (تدمر) تتاجر مع هذه المدينة العراقية (ألجاشيا) ، تحمل اليها بضائع الشأم وسواحل البحر المتوسط ، وتنقل منها الى (تدمر) بضائع الهند وايران والخليج والعراق . يقود هذه القوافل زعماء شجعان خبروا الطرق وعرفوها معرفة جيدة ، ولهم في المدينة مقام محترم . وطالما عمل لهم رجال القافلة والمساهمون في أموالها ، التماثيل ، تقديراً لهم وتخليداً لأسمائهم وكتبوا شكرهم لهم على الحجارة، ولدينا نماذج عديدة منها . من ذلك كتابة دوّنها رجال قافلة لزعيمهم وقائدهم (يوليوس أورليوس زبيد بن مقيمو بن زبيدا عشتور بيدا) ، لأنه أحسن اليهم حين قاد قافلتهم وأوصلها سالمة الى (الجاشيا) في العراق . وكتابة أخرى دوّنها جماعة قافلة تولى قيادتها زعيم اسمه (نسى بن حالا) لمناسبة توفيقه في حمايتهم وحماية أموالهم في أثناء ذهابهم وعودتهم الى (الفرات) والى (ألجيسيا) (Ologesia) وقد صنعوا لذلك تمثالاً له في شهر (نيسان) من سنة (١٤٢) للميلاد تخليداً لاسمه[1] .

وقد استولى (خسرو) الأول في حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد على(زنوبية) فدمّرها . فلما استرجعها (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ — ٥٦٥ م) ، أعاد بناء ما تهدّم منها . وقد عثر على بقايا المباني التي تعود الى أيامه ، وبعضها من عمل معماريه (يوحنا البيزنطي) و (أزيدوروس الملطي) (Isidoros Miletus) حفيد البنّاء البيزنطي الشهير (أيا صوفيا) (Hagia Sophia) كلفهما القيصر انشاء تلك العمارات[2] . غير ان اصلاحات هذا القيصر لم تضف الى حياة المدينة عمراً طويلا ، لقد كانت نوعاً من أنواع الحقن المقوية. تقوّم الجسم الى حين ولكنها لا تمنحه الأبدية . ففي سنة (٦١٠) للميلاد . وفي أيام القيصر (فوقاس) (Phokas) هاجمها (خسرو) الثاني وأنزل فيها الخراب والدمار[3] . فقد عبر (شهربراز) (Shahrvaraz) نهر الفرات في اليوم السادس من شهر (أغسطس) من عام (٦١٠) للميلاد ، واستولى على مدينة (زنوبية) (Zenobia)[4] . وأخذ نجمها منذ ذلك الحين في الأفول ، فلم يسمع

١ REP. EPIG., I, VI, P. 342.

٢ Sarre-Herzfeld. Archäologische reise. I. S., 167. II. S., 365.

٣ المصدر نفسه ، Land. Anecdota Syriaca. I. 16.

٤ Musil, Euphrates. P. 332.

عنها شيء ، حتى انها لم تذكر في أخبار الفتوح ، ويدل هذا على أنها لم تكن شيئاً يذكر في ذلك الحين[1] .

ويحدثنا المؤرخ (بروكوبيوس) أن الأيام أثرت في مدينة (زنوبية) (Zenobia) مدينة (الزباء) ، فأنزلت فيها الخراب ، وتركها أهلها ، فانتهز الفرس هذه الفرصة ودخلوها وتمكنوا بذلك من الولوج في الأرضين الخاضعة للروم دون أن يشعر الروم بذلك ، ولذلك أعاد (يوسطنيانوس) بناء هذه المدينة وأحكم حصونها وجدد قلاعها وأنزل الناس فيها ، وأسكن فيها حامية قوية جعلها تحت امرة قائد، وأقام لها سدوداً من الحجارة لحمايتها من فيضان الفرات ، وقد كانت مياه الفيضان تصل اليها فتلحق بها أضراراً جسيمة[2] .

وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن الفرس والروم ابتنوا قلاعاً بنيت جدرانها باللبن لحماية كورة (قوماجين (Commagene) وهي الكورة التي كانت تعرف قبلاً باسم (كورة الفرات) (Euphratesia) ، وحماية حدود الانبراطورية الفارسية الواسعة المشرفة على البادية من الغزو أيضاً . ومن جملة هذه الحصون ثلاثة حصون أمر القيصر (ديوقلطيانوس) (ديوقليتيانوس) (Diocletianus) ببنائها ، منها حصن (Mabri) (Mambri) الذي أصلحه القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) ورممه . ويقع على مسافة خمسة أميال رومية من (زنوبية) (Zenobia) . و (Mambri) ، هو خرائب (شيخ مبارك) على مسافة سبعة كيلومترات من (الحلبية)[3] .

ولم يبق من آثار عهد (تدمر) في (الحلبية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة. وهي على هيأة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن . وتشاهد بقايا قبور مشابهة لهذه القبور في المدن الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ، أي المنطقة التي خضعت لنفوذ حكومة (تدمر)[4] .

---

١ Land. Anecdota Syriaca, I. 16, Sarre-Herzfeld. Arch., I. S.. 167, II, S. 365.

٢ Procopius. De Bello Persico, II. 5. 4-7. Musil. Euphrates, P. 332.

٣ Musil. Euphrates. P. 332. Procopius, De Aedificus. II. 8, 4-8.

٤ Sarre-Herzfeld. Arch.. II. S., 367.

ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشأم والعراق في العهد البيزنطي ، خاصة في (تدمر) وفي (حمص) و (الزها) (Edessa) وفي (الحضر) كذلك[1] . بل وفي (بطرا) أيضاً حيث نجد شبهاً كبيراً في أشكال القبور المنحوتة من الصخر على هيأة أبراج ذوات رؤوس تشبه الهرم في بعض الأحيان . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول انها نمط خاص من أنماط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين[2] .

وذكر (بطلميوس) أسماء عدد من المواضع جعلها في عداد أماكن (كورة تدمر) (Palmyrena)[3]. وهي : (Resapha) و (Cholle) و (Oriza) و (Putea) و (Adaba) و (Palmyra) و (Adacha) و (Danaba) و (Goaria) و (Aueria) و (Casama) و (Admana) و (Atera) و (Alalis) و (Sura) و (Alamatha)، وتقع هذه المواضع الثلاثة الأخيرة على نهر الفرات[4].

أما (Palmyra) ، فهي (تدمر) العاصمة . وأما (Resapha) ،فهي (الرصافة) وهي مدينة قديمة ورد خبرها في النصوص المسمارية فدعيت فيها بـ (Ra-sap-pa) ومن ذلك نص يعود الى سنة (٨٤٠) قبل الميلاد . وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) (St. Sergius) بها ، المقدس عند الغساسنة[5] .

وأما (Cholle) ، فهي (الخولة) (الخلة) . وأمـا (Oriza) ، فهي (الطيبة)،وتقع هذه المواضع على السكة الرومانية الممتدة من الفرات الى (تدمر)[6].

ويرى (موسل) أن (Putea) ، هو (Beriarac) ، وهو موضع (بيار جحار) ، ويقع على السكة الرومانية المارة من (تدمر) الى موضع (Occaraba)[7].

---

١ Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367, W. Andrae, Hatra, II, S., 76-106.

٢ Sarre-herzfeld, Arch., II, S., 367, Eissfeldt, Tempel und Kulte Syrischer Städte in Hellinistisch-Römischer Zeit, 1941.

٣ Ptolemy, Geography, V, 14 : 19.

٤ Musil, Palmyrena, P. 233.

٥ Winckler, Keilinschriftliches Textbuch, 1909, S., 75, Musil, Palmyrena, P. 262.

٦ Musil, Palmyrena, P. 233.

٧ Musil, Palmyrena, P. 233.

أما المستشرقان (ميلر) (Müller)[1] و (موريتس) (Moritz)[2] ؛ فقد ذهبا الى أنه (أبو الفوارس) الواقع على مسافة سبعة كيلومترات في غرب جنوب غربي تدمر . وذهب (موريتس) أيضاً الى احتمال كونه (القطار) ، وهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من (تدمر)[3] .

أما موضع (Adada) ، فكان حصناً رومانياً كذلك ، يعرف في الزمن الحاضر بـ (الحبر) ، ويقع على أربعة عشر كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من (الطيبة) (Oriza) ، وعند الحافات الغربية لمرتفع (Adidi) ،وهو اسم قريب من (Adaba)[4] وقد ذهب (ميلر) الى أنه الموضع المسمى بـ (خربة العاشجة) (خربة العاشقة) الواقع على الحافات الشمالية لهضبة تدمر[5] .

ويرى (موسل) أن في كلمـــة (Adacha) بعض التحريف ، وأن الأصل الصحيح هو (Archa) و (Harac) ، وهو (أرك) (رك) الواقع على طريق تدمر وفي الشمال الشرقي من المدينة[6] .

وأما (Danaba) ، فيقع على طريق (دمشق) (تدمر) ، وهـــو موضع خرائب (البصيري) على رأي (موسل)[7] .

وأشار المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) الى (Goaria) كذلك ، ذكرها على هذا الشكل (Goareia)[8] . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في تلك الأيام ، واذ أطلق اسمها على منطقة واسعة دعيت باسم (Goarene) ،ويظن انها (البخراء) وهي في زمننا خرائب تقع على ستة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من (تدمر) . وقد عرفت بـ (Goareia) عند بني إرم (الآراميـــين)[9] . وذهب (ميلر) و(بينتزنكر) (Benzinger) الى ان (Goaria) هو الموضع المسمى بـ (Cehere)

---

١ Müller, Ptolemy. Geography. P. 983.
٢ Moritz, Palmyrena (1889), S.. 8.
٣ Musil. Palmyrena. P. 233.
٤ Musil, Palmyrena, P. 233.
٥ Müller, Ptolemy, Geography, P .984.
٦ Musil Palmyrena, P. 234.
٧ Musil Palmyrena, P. 234.
٨ Stephen of Byzantium. Ethnica, P. 210.
٩ Musil, Palmyrena, P. 234

على الخارطة الرومانية لأيام الانبراطورية [١] . وهو رأي يعارضه (موسل) ، ويرى ان (Cehere) هو المكان المسمى بـ (خان عتيبة) الواقع على مسافة تزيد على مئة كيلومتر في جنوب غرب (البخراء)[٢] .

ويظهر ان (Aueria) (Aueira) (Aberia) ، هـو موضع (Eumari) (Euhara) (Euarius) في مؤلفات أخرى ، وهو موضع (الحوارين)[٣] .

وأما (Casama) ، فهو على طريق دمشق المؤدي الى تدمر ، وهو خرائب خان (المنقورة) على رأي (موسل)[٤] . وأمـا (Admana) (Odmana) (Ogmana) ، فهو موضع (Ad-Amana) في الخارطات الرومانية للانبراطورية على ما يظهر ، وهو موضع (خان الترّاب) على رأي (موسل) كذلك[٥] .

وأما (Atera) ، فالظاهر انه موضع (Adarin) عـلى الخارطة الرومانية ، وهو موضع (خان الشامات) (أبو الشامات) (خان أبو الشامات) على رأي (موسل) . أما (ميلر) فيرى انه موضع (دير عطية)[٦] ، وهو رأي لا يقره (موسل) عليه[٧] .

وموضع (Sura) هو (سورية) على رأي (موسل) . وأمـا (Alalis) فيقع في غرب (Sura) عند (بطلميوس) . ويظن (موسل) أنـه يقع بين موضعي (Sura) و (Alamatha) في مقابل (طابوس)[٨] .

عانة :

ذكرت أن التدمريين كانوا قد وضعوا حاميات لهم في مدينة (Anatha) ، أي (عانة)[٩] . وهي لا تزال موضعاً معروفاً حياً على نهر الفرات في العراق .

---

١ Müller. Ptolemy. Geography, P. 984, Müller, Palmyrena, S., 22, Pauly-Wisowa, Real-Lex., BD., 7, 1547, Peutingeriana Tabua Itineraria, Wien, 1888.

٢ Musil, Palmyrena, P. 234.

٣ Musil, Palmyrena, P. 235.

٤ Musil, Palmyrena, P. 235.

٥ Musil. Palmyrena, P. 235.

٦ Müller, Ptolemy, Geography, P. 985.

٧ Musil, Palmyrena, P. 235.

٨ Musil, Palmyrena, P. 235.

٩ Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, (1943), P., 25, 55, CIS, II, 3973, A. Cantineau Syria, XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

وعرفت (عانة) بـ (Anat) و (An-at) و (A-na-at) و (A-Na-Ti) في الكتابات المسمارية . وعرف موضعها بـ (خ ــ نا) (H-na) و (خا ــ نا ــ ت) (Ha-na-at) في النصوص البابلية القديمة . وقد تكونت مملكة صغيرة بهذا الاسم امتدت رقعتها الى الخابور ، وعرفت المدينة بـ (Anatha) في مؤلفات (الكلاسيكيين)[1] .

ويشك المستشرق (أدور ماير) (Eduard Meyer) في وجود صلة بين اسم الإلـه (Ana-tu) (Anat) ، واسم مدينة (An-at) ، أي (عانة)[2] .

ومركز (عانة) الجزر الواقعة في النهر ، وهي خصيبة ، وفي مأمن من غارات الأعراب . وقد تمكن أصحابها بفضل موقعهم هذا من التحكم في القبائل المجاورة لها ومن أخذ الجزية منها . ولهذا السبب استعمل الآشوريون في الغالب رجالاً من أهلها لحكم منطقة (سوخي) (Suhi) . وفيها كان يقيم (ايلو ابني) (Ilu Ibni) حاكم (سوخي) الذي دفع الجزية الى الملك (توكلتي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta) (٨٨٩ ــ ٨٨٤) قبل الميلاد[3] .

وقد ذكر اسم (عانة) و (الحيرة) في الكتابة المرقمة برقم (Littmann 6)[4] . ويرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التأريخ السلوقي ، أي شهر (سبتمبر) من سنة (١٣٢) للميلاد ، وورد فيها اسم الإلـه (شيع القوم) حامي القوافل والتجارات . ويظهر ان المراد بـ (حيرتا) الحيرة الشهيرة في العراق[5] . فإذا كان ذلك صحيحاً ، دل على ان نفوذ تدمر قد بلغ هذا المكان، وان للقصص الذي يرويه الأخباريون عن ملوك الحيرة والزباء أصلاً تطور على مرور الأيام

---

١ Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 313, Ency., I, P. 344-345, G. Bell, in Georgr. Journ., XXXVI, P. 535. ZDMG., IXI, 701, Pauly-Wissowa, Real-Lexi., I, S., 2069, I, II, S., 104.

٢ Eduard Meyer, in ZDMG., 31, 1877, S., 716.

٣ Musil, Euphrates, P. 345, Sheil, Annales, PL. 3, (1909), II, 69-73.

٤ CIS. II, III, I, P. 156, 3973, Lidzbarski, Ephemeris für Semi Epigr., I, S., 345-346, REP. EPGR., 285, G. A. Cooke, NSI, NO : 140, Littmann, in Part IV, of the Puplications of an American Archaelogical Expedition to syria in 1899-1900. Palmyrene Inscriptions, NO : 6, P. 70. Syria, Tome IV, 1923, P. 156, Hartwig Derenbourg, un dieu Nabatéen, 1902, PP. 124. REP. EPIG. 285, I, IV, PP. 230.

٥ CIS. II, III, I, P. 157.
والموارد المتقدمة ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/ ٨١) .

فتكونت منه قصة (جذيمة) والزباء .

وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (عبيدو بن غانمو بن سعدلات) ، من قبيلة (روحو) أي (روح) ، وكان فارساً في حامية مدينة (عنا) وهي (عانة) . وقد دوّن كتابته هذه بمناسبة تقديمه مذبحين الى الإلـه (شيع القوم) الذي لا يشرب خمراً ، وهو حامي القوافل . ويلاحظ أن أكـثر الكتابات تذكر جملة (الذي لا يشرب خمراً) بعد اسم هذا الإلـه . وهي تعني أن هـذا الإلـه كان يشرب الخمر ولا يحبها ، فعلى أتباعه تجنبها . ويظهر ان طائفة من الناس حرّمت عليها الخمرة ، ودعت الى مقاطعتها ، واتخذت (شيع القوم) حامياً لها . وهي على نقيض عباد الإلـه (دسره) (دشرة) (Dussares) أي (ذو الشرى) الذين كانوا يتقربون إلى إلههم هذا بشرب الخمر[١] .

ولا نعرف متى استولى الرومان عليها . ولم يرد ذكرها في قائمة (ماريوس مكسيموس (Marius Maximus) التي عثر عليها في (Dura) والتي يعود تأريخها الى سنة (٢١١) للميلاد في ضمن المخافر الرومانية التي كانت في المناطق الوسطى لنهر الفرات . ويظهر منها أن (عانة) (Anath) كانت في ذلك الوقت في أيدي (الفرث) (Parthians) ، وأن الرومان دخلوها بعد ذلك . قد يكون في أثناء حملة (اسكندر سويرس) (Alexander Severus) كما ذهب (روستوفستزف) (Michael Rostovtzeff) الى ذلك،أو في أيدي (غورديانوس) (Gordianus) كما ذهب (أولمستيد) (A. T. Olmstead) الى ذلك[٢] .

وقد ذكر (عانة) (Anatha) المؤرخ (أريان) في أثناء حديثه عن أسطول (تراجان) الذي مرّ بها . وورد اسمها (Anath) في خبر (معين) (Ma'ajn) أحد قواد الملك (سابور الثاني) (٣٠٩ — ٣٧٩ م)،وكان قد اعتنق النصرانية وبنى جملة ديارات،ونصب القس على(سنجار) (شجار) (Schiggar) ،ثم لم يكتف بذلك ، فذهب الى (عانة) ، فبنى على شاطىء الفرات وعلى مسافة ميلين منها ديراً استقر فيه سبع سنوات[٣] .

---

١ CIS. II. 182, Lidzbarski, Ephemeris, I, III, 1902, S., 345, REP. EPIG., I, IV, P. 232, Syria, Tome, IV, 1923, P. 156.

٢ Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 25.

٣ Musil, Palmyrena, P. 345.

وفي سنة (٣٦٣) للميلاد حاصرها الروم ، وألحقوا بها أضراراً كبيرةً . وأجلوا السكان عنها . ولما أرسل (فاراموس) (Varamus) (Varaíous) في عام (٥٩١) للميلاد قوة على (عانة) لمناوشة (كسرى) (Chosroes) وصدّه عن الرجوع الى فارس ، قتل الجنود قائدهم ، وانضموا الى (كسرى) . وفي القرن السابع للميلاد ، كان مقر أسقف قبيلة (التغلبية) في هذه المدينة[1] .

Ammianus Marcellianus, Rerum Gestarum, XXIV, I, 6-9. Musil. Euphrates. P. 346.

الفصل السادس والثلاثون

الصفويون

والى هذا العهد تجب اضافة قوم من العرب أطلق المستشرقون عليهم لفظه (الصفويين) ، نسبة الى أرض (الصفاة)[١] . وهم أعراب ورعاة كانوا يتنقلون من مكان الى آخر طلباً للماء والكلأ . وقد دوّنوا خواطرهم أحياناً على الأحجار ، وتركوها في مواضعها ، ومنها استطعنا الإلمام بعض الشيء بأحوالهم وأخبارهم . وقوم تنتشر الكتابة بينهم على هذا النحو ، لا يمكن أن نتصورهم أعراباً على النحو المفهوم من الأعرابية ، بل لا بد أن نتصور انهم كانوا على شيء من الثقافة والإدراك .

واذا سألتني عن سبب اختيار المستشرقين لهذه التسمية واطلاقها على أصحاب هذه الكتابات ، فإنـي أقول لك : انهم أخذوها من اسم أرض بركانية عرفت بالصفا وبالصفاة ، تغطي قشرتها الخارجية حتى اليوم صخور سود تقول لك انها خرجت الى هذا المكان من باطن الأرض،وان براكين ثائرة مزمجرة غاضبة كانت قد قذفت بها الى ظهر الأرض فاستقرت في أمكنتها هذه ، ومن يدري ؟ فلعلها أصابت أقواماً كانت تعيش في هذه المواضع أو مارة بها فأهلكتها . وهي تسمية

---

١ E. Littmann, Thamud und Safa, In Abhandlung für die kunde des Morgenlandes, (1940), 25. I, M. Hofner, Die Beduinen in den Vorisamischen Arabischen Inschrriften, in L'antica Societa Beduina, (Studi Semitici 2), 1959, 53.

قديمة تعود الى ما قبل الاسلام ، بدليل انهـا وردت في نص يوناني على هذه الصورة : (Safathene)[1] وورود اسم إلـه عـرف بـ (زيوس الصفوي) (Zeus Safathenos) ، أي نسبة الى هذه الأرض[2] .

أما (الصفوية) ، فتسمية ليست بتسمية عربية قديمة ، وليست علماً على قوم معينين أو على قبيلة معينة ، وانما هي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان الى مكان طلباً للماء وللكـلأ ، لرعي ماشيتها التي تكوّن ثروتها ورأس مالها ، تراها يوماً في أرض النبـط ، ويوماً آخر في بلاد الشأم حيث كان الرومان ثم البيزنطيون يسيطرون . فنحن في هـذا الموضع لسنا أمام مملكة أو حكومة مدينة ، بل أمام قبائل عديدة حرفتها الرعي والغزو وكفى.

ومن نسميهم بالصفويين إذن ليسوا بقبيلة واحدة ولا بجنس معين ، وإنما هم قبائل متنقلة ، كانت تتنقل في هذه الأرضين الواسعة ، في أزمنة مختلفة متباينة . ويعـود الفضل الى الكتابات التي عثر الباحثون عليها في اعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة ، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان ينتسب اليهـا أصحاب تلك الكتابات .

وقد جمعت الكتابات الصفوية من أرضين واسعة ، تمتد من (حماه) في سورية الى نهر الفرات في العراق في الشرق ، والى فلسطين والمملكة الأردنية الهاشميـة فأعالي الحجاز ، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة ، ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب بين الدول بتفصيـل وتبسط ، ذلك لأن الكتابات الصفوية هي كما قلت كتابات أفراد كتبوها تعبيراً عن أمور شخصية لا غير ، ومثل هذه الكتابات لا تتعرض لما يبحث عنه المؤرخ الا بقدر ، وهو قدر لا يقدم في الغالب للمؤرخ ما يبحث عنه ، ولهذا انحصرت فوائدها في مسائل

---

١ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ٢٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٦٢) .
G. Ryckmans, Inscriptions Safaitiques, Extrait Du Museon, tome, 1-2, Louvain. 1951. Handbuch, S., 46. Ditlef Nielsen, Uber die Nordarabischen Gotter, in Mittei. der Vorderas. Gesellsch., Bd., 21, 1916, E. Littmann, Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943, Annual Department of Antiquities of Jordan, Vol., I, 1951, P. 17.
وكذلك الاعداد التالية لهذه المجلة التي تصدرها مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية .

أخرى ، في مثل الدراسات اللغوية والدينية وتطور الخطوط ودراسة أسماء الأشخاص والقبائل وما شاكل ذلك .

وانتشار هذه الكتابات وتناثرها في أرضين صحراوية ، أمر يلفت النظر ويدعو الى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرأون ويكتبون مع انهم أبناء بادية ، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمان طويل ، ثم إن خطها يلفت اليه النظر أيضاً ، فهو خط عربي ، ولد من الأم التي نسلت الخط العربي الجنوبي ، وهو قريب من الخط الثمودي والخط اللحياني ، ويعني هذا أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط أود أن أسميه بالقلم العربي الأول ، أو القلم العربي القديم منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد ، فوجد ما نسميه بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية ، وذلك لظروف كثيرة لا مجال للكلام عليها في هذا المكان . وهو يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الإرمية مع قربهم منها واتصالهم بها ، وطغيانها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام ، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم ، فكتبوا به ، ولم يستعملوا قلم بني إرم كما فعل (أهل المدر) المقيمين في مدن العراق والشأم وقراهما . وكتبوا بلهجاتهم أيضاً ولم يكتبوا بلغة بني إرم كما فعل غيرهم من العرب الحَضَر .

وقد رأى (دوسو) (Dussaud) أن الصفويين كانوا يحاكون الجنود الرومان واليونان في تسجيلهم خواطرهم وذكرياتهم على الحجارة ، فقد وجد الباحثون أحجاراً دوّن عليها أولئك الجنود في أثناء أدائهم واجباتهم العسكرية في بلاد الشأم وعلى الطريق الرومانية ذكرياتهم وخواطرهم ونزولهم في تلك الأمكنة. ولكن وجود كتابات صفوية عديدة من القرن الأول قبل الميلاد يثبت ان الصفويين كانوا يدونون خواطرهم بهذا الأسلوب ، وذلك قبل شروع أولئك الجنود الرومان واليونان في تدوين خواطرهم على هذا الأسلوب ، وانهم كانوا يدوّنون خواطرهم هذه على الأحجار وبهذا الشكل لأن هذه الحجارة كانت هي ورق كتابة أهل البادية ، فكتبوا عليها كما يكتب أهل الحضر على الرق والخشب والورق وغيرها من وسائل الكتابة [1] .

ويرجع علماء الصفويات عمر أقدم الكتابات الصفوية الى القرن الأول قبل الميلاد.

---

١ Winnett, P. I.

أما آخر ما عثر عليه من كتابات ، فيرجع الى القرن الثالث بعد الميـلاد ، على رأيهم أيضاً[1] . فما عثر عليه من الكتابات الصفوية ، هو من عهد تبلغ مدته زهاء أربعة قرون .

وقد أرخت بعض هذه الكتابات بحوادث محلية عرفت عند أصحابها ، الا انها مجهولة لدينا ، لذلك لم نستطع الاستفادة منها في تكوين رأي في زمن كتابتهـا . فقد أرخ بعضها بسنة وفاة قريب لصاحب الكتابـة ، أو بوقت نزوله في المكان الذي كتب به الكتابة ، أو بوقت هربَه من الرومان أو بعد كذا من الأيام أو من السنين من رؤية قريب له أو وفاته ، ومثل هذه الحوادث، لا تفيد المتأخرين شيئاً ، ولا تساعدهم في تثبيت زمن تدوينها بوجه صحيح مضبوط. وأرخ بعضها بحوادث أعم ، الا انها ذكرت بأسلوب فوّت علينا معرفـة زمان وقوع الحادث بوجه مضبوط ، فقد أرخت كتابة منها بـ (سنت نزز اليهد) ، أي (سنـة الخصام مع اليهود)[2] . وهي سنة كان يعرفها صاحب الكتابة وأصحابه . أما نحن فلا نعلم من أمرها شيئاً،فقد خاصم العرب اليهود كثيراً في تأريخهم . فأية خصومة من تلك الخصومات قصد صاحب الكتابة . فإذا كان قد قصد ثورة العرب أهل اللجاة (Trachonitis) على (هيرود الكبير) الملك المكابي ، فهذه الثورة يجب أن تكون قد وقعت فيما بين السنة (٢٣ ق. م.) والسنـة (١٤ ق. م.)[3] . أما اذا كان صاحب النص قد قصد خصاماً آخر ، فإننا لا نستطيع التكهن عنه من نصه هذا ، لما قلناه من تعدد الخصومات بين العرب واليهود .

وأرخت كتابة أخرى بزمن تمرد صاحب الكتابة على الروم ، وذلك سنة مجيء (الميديين) الفرس الى (بصرى) ، (ومرد على رم سنت أتى همذى بصرى)[4] وقصد بـ (همذى) (الماذويين) ، أي الميديين من الفرس . ولما كانت الأخبار لم تشر الى اكتساح الفرس لـ (بصرى) قبل سنة (٦١٤ م) ، ظن من عالج هذه الكتابة أن صاحبها قصد استيلاء الفرس عليها في ذلك الزمن ، أي في السنين الأولى من سني مبعث الرسول ، حيث غلبت الفرس على الروم ، كما أشار الى

١ Winnett, P. 1.

٢ Winnett, P. 95.

٣ Winnett, P. 95, Josephus, Antiq., XVI, IX.

٤ F. V. Winnett, Safaitic. P. 19, 323. M43. Harding 37. T31.

ذلك القرآن الكريم . غير أن هذا الفريق عاد فأبدل رأيه ، لأنه وجد أن هـذا الرأي لا ينسجم مع نوع الكتابـة والأبحاث الاثاريـة التي دلت على ان الكتابة يجب أن تكون أقدم عهداً من سنة (٦١٤ م) ، ورأى لذلك أن استيلاء الفرس على (بصرى) يجب أن يكون قبل ذلك بكثير ، وقد يكون وقع في القرن الأول قبل الميلاد ، غير أننا لا نملك نصوصاً تأريخية تشير الى وصول الفرس الى هـذا المكان ، واستيلائهم عليه في ذلك الزمن . وهكذا نجد أن تلك الكتابة المؤرخة قد أوجدت لنا مشكلة ، لم نتمكن من حلّها بسبب الغموض الوارد فيهـا عن سنة استيلاء الفرس على بصرى[1] .

وطالما قرأنا في الكتابات أن أصحابها (نجوا من الروم) أو فروا من الروم ، أو تمردوا على الروم وأمثال ذلك من تعابير . وقد قصدوا بالروم بلاد الشأم التي كانت في أيدي الرومان ، ثم انتقلت الى الروم ، وهم اليونان البيزنطيون . ولما كانت بلاد الشأم تحت حكم المذكورين ، عبّروا عنها بـ (رم) (روم) أي (الروم) (وبلاد الروم) .

لقد كان الصفويون بحكم نزولهم في أطراف بلاد الشأم على اتصال بالروم بـل اضطروا الى الخضوع لحكمهم والاعتراف بسيادتهم عليهم . والتوغل شمالاً وجنوباً في بلاد الشأم بحثاً عن الماء والكلأ وعن القوت ، كما اضطروا الى مراجعة قرى بلاد الشأم ومدنها للامتيار وليبيـع مـا عندهم من فائض من منتوج أيديـهم ومن حاصل حيواناتهم . وهذا مما يدفعهم الى التخاصم أحياناً مع موظفي الأمن الروم وحراس الحدود ورجال الجباية و (الكمارك) ، في شأن أمور الأمن ، أو أخذ حقوق الحكومة منهم ، فيقبض الروم على من يقاوم منهم ،أو يتهرب من الأداء ، أو يقتل ، أو يقوم بأعمال مخالفة ، فيلقونه في السجن أو يقتلونه ، ولهذا نجد بعض الكتابات وقـد سجلت حين هرب صاحبها من سجن الروم . وعاد الى حريته . وهربه من الروم واستنشاقه نسيم الحرية ، معناه اللجوء الى البادية والاحتماء بها حيث يصعب على الجنود الروم الوصول اليها للقبض عليهم والاقتصاص منهم . والبادية حصن أمين للأعراب .

---

١ Winnett, P. 3, 19, BASOAR, Num : 122, P. 50. Die Araber I, S., 75. CIS 5. 4448. J. Pirenne I. 212.

ويظهر من هذه النصوص أن شأن الصفويين بالروم لم يكن يختلف عن شأن سائر العرب بهم وبأمثالهم من الدول الأجنبية مثل الفرس ، فهم مضطرون بحكم وضعهم الى التسليم لسلطان الدول الأجنبية ما داموا ضعفاء لا يستطيعون مقاومة الأعاجم ، فإذا تغيرت الأحوال ، وظهرت مواضع ضعف في الأجنبي ، اهتبل الأعراب الفرص ، فانقلبوا عليه حتى يرضيهم أو يظهر قوته . وهكذا كان الصفويون ينتهزون الفرص ، فمتى وجدوا ثغرة في سلطان الروم وموضع ضعف في حراسة حدودهم ، هاجموهم منها حتى ينالوا ما يبتغون من مغنم ، وقد ينقلب الحادث عليهم بالطبع ، لسوء تقدير في الموقف ، وهذا ما يحدث في كل غزو أو حرب ، وهو شيء طبيعي فقد ينتصر المحارب فيربح ، وقد يندحر فيخسر كل شيء .

ويلاحظ من الكتابات الصفوية أن أصحابها كانوا ينزعون نزعة شديدة الى تخليد أنفسهم وابقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة ، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم ، حتى بحادث ولادة ماشيتهم ، أو مقتل أحدهم ، أو فرض غرامة مالية على أحدهم ، أو سفر أحد منهم وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة ، ولكنها مع ذلك وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتأريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه ، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأماكن التي نزلوا بها[1] . هذا وما زال الأعراب وأهل القرى عندنا يسجلون حوادثهم على النحو المذكور من تسجيل التواريخ .

وللطابع الشخصي الذي تحمله الكتابات الصفوية ، لم نتمكن من الاستفادة منها من الوجهة السياسية والعسكرية ، فلم نعثر فيها على اسم ملك ، لا عربي ولا أجنبي ، ولم نعثر فيها على موضوع سياسي يشير الى الحالة السياسية التي كانت في العراق أو في بلاد الشأم أو في جزيرة العرب في تلك الأيام ، ولم نتمكن أيضاً من الخروج منها بأية فكرة عن نوع الحكم الذي كان يعيش فيه الصفويون: أكانوا في حكم ملوك ، على شاكلة عرب الغساسنة ؟ أم كانوا قبائل متنقلة خاضعة لسلطان الروم ، حين تكون في بلاد الشأم ، وحرة طليقة حين ترد البادية ؟

وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء قبائل ، منها : (بدن) و (بعر)

---

[1] راجع النصوص الصفوية .

و (تر) ، و (هجدل) (هكدل) ، و (-جر) (كر) و (حزن) و (حضى) ، و (حولت) (حوالـة) ، و (دمصى) و (سلم) ، و (صبح) ، و (ضف) ، و (عبد) ، و (عوذ) ، و (غر) ، و (فريش) ، (وقر) ، و (يحرب) ، و (همضر) ، و (املكت)[١] .

ومن القبائل الصفوية : (اشلل) ، و (بكس) ، و (جعبر) ، و (جوا)، و (حمد) ، و (حرم) ، و (حظى) (حضى) ، و (حمي) ، و (زد) (زيد) ، و (زهر) ، و (عذل) ، و (عمرت) (عمرة) ، و (فضج) ، و (مسكت) (ماسكة) ، و (معصى) (معيص) ، و (نمرت) (نمرة) (نمارة) (نميرة) ، و (هذر) (هذير) (هذار)[٢] ، و (نسمن) أي (نسمان)[٣] ، و (حمد) (حماد) (حميد)[٤] .

وترد لفظة (ال) قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية ، وتؤدي فيها معنى (آل) عندنا ، مثل : (ال تم) ، أي (آل تيم)[٥] ، و (ال عوذ) بمعنى (آل عوذ)[٦] و (ال ادم) (آل آدم)[٧] ، و (ال حد) (آل حد)[٨]. وهي بمعنى ان المذكور أو المذكورين من القبيلة المسماة،أو من العشيرة المذكورة ، أو من البيت المسمى .

وورود (ال) بهذا المعنى في النصوص الصفوية يدل على ان لغة هذه القبائل وهي قبائل عربية شمالية تشارك لغة القرآن الكريم في هذه الخاصية .

وقبيلة (عوذ) ورد اسمها في عدد من الكتابات الصفوية . وقد ورد في احداها ان حرباً كانت قد نشبت بينها وبين قبيلة أخرى ، اسمها (وعل) أو (ويل) أو (وائل)[٩] . وقد يكون لاسم هذه القبيلة صلة باسم الإلـه (جد عوذ) .

---

١ Winnett. P. 4.
٢ Jordan, II, PP. 14.
٣ Littmann, Safa, S., 53, 55.
٤ Safa, S., 62.
٥ Annual Report of the Department of Antiquities of Jordan Vol.. I. P. 26.
٦ Jordan, I, P. 27.
٧ G. Ryckmans. Inscriptions Safaitiques Au Britisch Museum et au Musée de Damas, Louvain, 1951, P. 88.
٨ Jordan, I. P. 24.
٩ Jordan, I, P 27.

وقد عثر على اسم قبيلة (نعمن) ، أي (نعمان) في بعض الكتابات الصفوية التي عثر عليها في (وادي حوران) بالعراق . ويرد (نعمان) اسماً لأشخاص ، ومنهم بعض ملوك الحيرة [1] .

وقد ورد اسم قبيلة في احدى الكتابات التي عثر عليها في العراق ، وهي قبيلة (ال صح) ، أي (آل صح) ، أو (آل صائح) ، أو (آل صبيح)، أو (الصائح) [2] . وما زال اسم (الصائح) معروفاً في العراق ، وهو اسم عشيرة فقد يكون له صلة بهذه التسمية القديمة .

وقد أفادتنا هذه الكتابات من الناحية الجغرافية ، اذ قدمت الينا أسماء مواضع عديدة لا يزال بعضها يسمى بالأسمـــاء الواردة في تلك الكتابات . وقد يمكن في المستقبل دراسة الأسماء الأخرى لتثبيت مواضعها وتعيينها عـــلى مصورات الأرض (الخارطات) .

ومن المواضع التي ورد اسمها في الكتابات الصفوية ، موضع (رحبت) ، وهو (الرحبة) . وقد ورد في نص سجله رجل اسمه (حنن بن هعتق) ، (حنان ابن العاتق) ، أو (حنين بن العاتق) ، أو (خنن بن العاتق) ، وذكر انه (بن ال ــ رحبت) ، أي (من الرحبة) ، أو (من آل زحبة) ، وانه كتب كتابته هذه في السنة التي دار فيها قتال مع قبيلة (ال حمد) (الحمـد) أو (آل حمد) [3] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (الرحبة) هو اسم موضع. كما ان (الحمد) هو اسم موضع كذلك ، وان الذين نزلوا في هذين المكانـــين وفي أمكنة أخرى نسبوا أنفسهم اليها فقالوا : (آل رحبة) و (آل حمد) ، وذلك على نحو ما نجده في عربيتنا من ذكر (آل) في الانتساب،وان هذا معناه ان أولئك الأعراب الذين نزلوا في الموضعين انتسبوا الى المكانين ، فاستعملوا لذلك لفظة (ال) ، أي (آل) ، قبل الموضع ، فظهـــر الاسم (ال رجبت) (ال رجبة) وكأنه اسم قبيلة [4] .

---

١ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، ١٩٦٤ ، الجزء الاول والثاني (ص ٢٧) من القسم الانكليزي .
٢ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، السنة ١٩٦٤ ، الجزء الاول والثاني (ص ٢٧،١٨) من القسم الانكيزي .
٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .
٤ العرب في سوريا (ص ١٠٥ وما بعدها) .

ولهـذا المظهر من التسميات والانتساب شأن كبير في موضوع دراسة أنساب القبائل ، إذ فيه برهان ودليل على أن الاقامة في موضع تكون سبباً للانتساب اليه، ثم لتحويل ذلك النسب الى اسم جدّ ، وأن ما يرويه أهل الأخبار في هذا الباب مثل انتساب الغساسنـة الى (غسان) ، وأن (غسان) اسم موضع ماء نزلوا عليه ، فدُعُوا به ، يجب أن ينظر اليه نظرة اعتبار ، لا رفض وازدراء . وفي أسماء القبائل العربية المدوّنة في كتاب الأنساب والأدب ، أو الواردة في الكتابات الجاهلية أمثلة عديدة من هذا القبيل .

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النصوص الصفوية : (بصرى) وقد ذكرت على هذه الصورة (بصر) ، و (هنمرت) ، (النمرت) ، أي (النمارة) ، و (هشبكي) أي (الشبكي)[١] و (الحجر)[٢] .

و (حجر) موضع قـد يراد به (الحجر) المعروف في عربيتنا ، وهو (Hegra) و (Hegrae) عند اليونان واللاتين ، و (حجرا) و (حجرو) عند النبط[٣] .

وورد اسم مدينة (تيما) أي (تيماء) في الكتابات الصفوية كذلك ، كالذي ورد في نص دوّنه رجـل اسمه (خل ـ ال بن شبب) أي (خليـل ـ ايل ابن شبيب) ، وقد تذكر فيه رجلاً اسمه (أبرش) ، وهو من أهل (تيماء)[٤].

ولم يكن الصفويون كما يبدو بوضوح من كتاباتهم ومن صور الحيوانات التي نقشوها على الأحجار أعراباً ممعنين في الأعرابية عـلى نحو عرب البوادي البعيدين في البادية ، حيث يقضون حياتهم فيها ، فـلا يختلطون بالحضر ، ولا يمتزجون بالحضارة ، وإنما كانوا أشباه أعراب وأشباه حضر ، وربما كان تعبير (رعاة) خير تعبير يمكن اطلاقه عليهم ليميزهم عن غيرهم . فقد كان الصفويون أصحاب ماشية ، لهم ابل ، يعيشون عليها ، ويتاجرون بها ، ولهم خيل يركبونها، والخيل كما هو معروف لا تستطيع الحياة في البوادي القاحلة العميقة والرمال القليلة المياه ،

---

١ العربُ في سوريا (١٠٦) .
٢ Jordan, II, P. 48.
٣ Jordan, II, P. 48.
٤ Enno Littmann, Zur Entzifferung der Safa — Inschriften, Leipzig, 1901, S., 51.

ولهم المعز والغنم والحمير والبقر،وهي من الحيوانات التي تحتاج الى رعي ومراعي[1]. ولذلك يجب أن يكون أصحابها من طبقة الرعاة . وقد كانت حياتهم حياة رعي، نجدهم في الشتاء في مكان ، ثم نجدهم في الصيف في مواضع أخرى قريبة من الجبال حيث يكون الجو لطيفاً والمياه كثيرة ، ليكون في استطاعتهم الابتعاد من حر الحرار ومن سَمُوم الأرض القاحلة في الصيف ، ولتستمتع ماشيتهم بجو لطيف فيه ما يغريها من خضرة نضرة ومن ماء عذب زلال .

ان في بعض هذه الكتابات تعبيراً عميقاً عن ذكاء فطري يعبر عن طراز حياة الصفويين ، فكتابة مثل : (ورعى همعز وولد شهى) ، ومعناها : (ورعت المعز وولدت الشياه) ، أو (ورعى بقر هنخل) ، أي (ورعت البقر في هذا الوادي) ، أو (وقف على قبر فلان وحزن) ، هي تعابير، وان بدت ساذجة مقتضبة لا يكتبها حضري ، غير انها تمثل في الواقع ذكاءً فطرياً عميقاً ، ونوعاً من التعبير عن حس أهل البادية أو أهل الرعي ، وهو حس مرهف فيه بساطة وفيه اقتضاب نبتا من وحي الصحراء البسيطة الممتدة الى ما وراء البصر على نمط واحد ، وشكل لا تغيير فيه ولا تبديل . وكتابات يكتبها أناس يحيون بعيدين عن حضارة المدن ، ويعيشون بين أشعة الشمس وضوء القمر في بيوت وبر أو شعر معز لا تقي ولا تنفع الا بمقدار ، لا يمكن أن تكون الا على هذا النحو من البساطة ، ولكنها بساطة ذكي يحاول بذكائه التعبير عن حياته تلك .

ونجد هذا الذكاء الفطري في الصور المرسومة للحيوانات ، فقد أراد مصوروها أن يعبّروا عن غرائزهم الفنية بصورة محسوسة ترى ، فرسموا صور حيوانات ألفوها ورأوها ، بصورة بدائية ، ولكنها معبّرة أخاذة . ورسموا بعض المناظر المؤثرة في حياتهم مثل الخروج للصيد ومعارك الصيد ، فنرى على بعض الأحجار فارساً وقد حمل رمحاً طويلاً،ونرى مشاة وقد حملوا أقواساً وتروساً صغيرة مستديرة لوقاية أجسامهم من السهام أو من الحيوان ، ونرى رجالاً يطاردون غزالاً أو ضأناً ، ونرى أناساً فرساناً ومشاةً يطاردون أسداً[2] ، ونرى غير ذلك من صور بدائية من هذا القبيل ، مهما قيل فيها ، فإنها صور رائعة لا يمكن أن يحفرها

---

١ العرب في سوريا (١٠٧) .
٢ العرب في سوريا قبل الميلاد (ص ١٠٧ وما بعدها) .

فنان بأحسن من هذا الحفر ، وهو في مثل هذا المحيط ، وليست لديه من آلات الحفر غير هذه الآلات .

والصور المنقوشة على الأحجار التي ترينا الصفوي وقد ركب حصانه معتقلاً رمحاً طويلاً ، هي صورة المحارب الفارس عند الصفويين ، وهي في الواقع صورة الفرسان الأعراب ، سلاحهم الرئيسي الرماح ، يطعنون بها خصمهم . وما زال البدو في بعض البوادي من جزيرة العرب يحملون ذلك السلاح التقليدي القديم ، يحاربون به خصومهم في المعارك القبلية البدائية . وأما المحارب الماشي ، فإنه يحارب بالقوس وبيده الترس كما يظهر من بعض الصور ، وهو لا بد أن يكون قد استعان بأسلحة أخرى بالطبع ، مثل السيوف والفؤوس والحجارة وكل ما تقع يده عليه مما يصلح أن يكون مادة للقتال والعراك[1] .

إن الصور التي تمثل الناس ، وهم يطاردون الغزلان أو بقر الوحش أو الأسد أو الحمار الوحشي ، هي صور مفيدة جداً تتحدث عن وجود تلك الحيوانات في تلك الأماكن وفي تلك الأوقات ، وعن طرقهم في صيدها . وقد كانت لحوم بعض تلك الحيونات طعاماً شهياً لمن يصطادها ولآلهم وجماعتهم ، كما أن لوجود صورة الحصان شأناً في اظهار أن الصفويين وغيرهم كانوا يعرفون الخيل في تلك الأزمنة ، وأن الحصان العربي كان موجوداً يومئذ[2] .

وفي جملة ما عثر عليه من أسماء آلهة الصفويين اسم إلٰه عرف بـ (إلٰه هجبل) (إلاه هاجبل) (إلٰه الجبل) ، وهي تسمية تدل على أن عبدته كانوا من سكان جبل أو أرض مرتفعة ، ولهذا نعتوا إلههم بـ (إلٰه الجبل) أو أن عبدته هؤلاء قد أخذوه من أناس كانوا قد خلقوا إلههم من ارتفاع أرضهم ، وصار إلهاً من آلهة الصفويين . وهو يقابل الإلٰـه المسمى بـ (الاجبل) (Elagabal) وهو كناية عن الشمس ،وكان يعبد في (حمص) (Emesa) فإن لفظة (Elagabal) تعني (إلٰه الجبل) . وقد رمز اليه بـ (حجر أسود) وعباد الحجر الأسود كانت معروفة عند الجاهليين . وقد كان أهل مكة يقدسون الحجر الأسود في مكة ويتقربون اليه[3] .

---

١ العرب في سوريا (١٠٧ وما بعدها) .

٢ العرب في سوريا (ص ١٠٨) .

٣ F. Altheim, Aus Spätantike und Christentum, 1951, 28, Die Araber, I, S., 362.

ولا ندري من حلّ في محل الصفويين فأخذ مواطنهم ، ولِمَ اختفت كتاباتهم بعد عهدهم هذا ؟ هل كان الذين أخذوا مكانهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكانت أيامهم صُمّاً بُكماً ؟ الذين أخذوا مكانهم هم أعراب مثلهم ، كانوا أقوى منهم ، لذلك تغلبوا عليهم على وفق سنة البادية . هذا جواب لا شك فيه. ولكننا لا نستطيع تحديد هوية أولئك الأعراب وتعيين أسماء قبائلهم ، كما أننا لا نستطيع التحدث عن سبب سكوتهم وعدم ترك آثار كتابية لهم تتحدث عن أيامهم وعن قبورهم وأصدقائهم وما شاكل ذلك من أمور الى زمن مجيء الاسلام. إن الغساسنة ، هم آخر من نعرف أنهم كانوا في هذه الأرضين وفيما جاورها وكذلك قبائل عربية أخرى مثل لخم وكلب، ولكننا لا نعرف أنهم تركوا كتابات تتحدث عنهم .

وبين أسماء الأشخاص المدونة في النصوص الصفوية أسماء تشبه أسماء أهل مكة والعرب الشماليين شبهاً كبيراً ، ويحملنا هذا على تصور ان ثقافة الصفويين عربية شمالية . ونجد هذا التشابه في أمور ثقافية أخرى، سأتحدث عنها في الأماكن المناسبة.

ومن الأسماء الواردة في النصوص الصفوية : (قصيو) ، أي (قصي) . وقد ورد اسم (قصيو بن كلبو) ، أي (قصي بن كلاب) في أحد النصوص . وكان من رجال الدين . وورد (قصيو بن روحو) أي (قصي بن روح) . و (قصيو بن اذينت) ، أي (قصي بن أذينة)[1] .

ويرى بعض المستشرقين ان الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية الشمالية هاجروا من جزيرة العرب الى الشمال ، فسكنوا في منطقة (الصفاة) ، غير انهم لم يكونوا قد اندمجوا في أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط ، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم . وتعبّر عن هذه الصلة بعض الخصائص اللغوية التي ترجع على رأيهم الى أصلٍ عربي جنوبي ، غير انهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم وبمن تجاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين، ويظهر أثر هذا الاختلاط على رأيهم أيضاً في الأسماء والكلمات والتعابير الخاصة التي نقرأها في هذه النصوص[2].

---

١ رنيه ديسو ، العرب في سوريا ، (ص ١١٦) .

٢ Handbuch, S., 48. ff., René Dussaud. Les Arabes en Syrie Avant L'Islam, E. Littmann. Götting. Gelberte Angeiger, 1908, S., 144.

قلت : إن كلمة (الصفويون) لا تعني شعباً معيّناً أو قبيلة معينة ، وإنما هي اصطلاح أوجده (هاليفي) ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة من (اللجاة) و (حوران) ومواضع أخرى ، لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد أناساً تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد ، ليظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة فلاحين ورعاة لهم قرى ومزارع ، وربما كانت لهم تجارات أيضاً ، غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئاً كثيراً . فقد يكونون اذن من قبيلة واحدة ، وقد يكونون جملة قبائل ، وقد تكون لهم (امارة) لا نعرف من أمرها شيئاً ، وربما لا يكون لهم ذلك ..وربما كانوا أتباعاً للسلطة القائمة في بلاد الشأم تتحكم فيهم بنفسها أو بواسطة أمراء أو سادات قبائل .

وقد يكون الصفويون أناساً وصلت أسماؤهم الينا ، وكتب المؤرخون عنهم ، ولكننا لا نعرف أنهم هم الذين نبحث عنهم ، لأننا أمام اصطلاح جديد مبهم، ظهر كما قلنا في القرن التاسع عشر ، ليست له حدود واضحة ولا معالم مرسومة، فلا ندري نحن في الواقع ما نريد ، قد يكون هؤلاء أسلاف غساسنة الشأم ، وقد يكونون غيرهم .

الفصل السابع والثلاثون

مملكة الحيرة

وللاخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان ، آراء في أصل اسم (الحيرة) ، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل عريض ، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي بَعُد عهدها عنهم فحاروا فيها . وايرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند الى نصوص جاهلية، ولا الى سند جاهلي محفوظ. ومن أحب الوقوف عليها، وتعرّف مذاهب القوم فيها، فعليه بمراجعة تلك المظان[١] ، كما ان لبعض المحدثين آراء في هذا الباب[٢] .

ومعظم المستشرقين، يرون انها كلمة من كلمات بني إرم، وانها (حرتا) (Harta) (حيرتا) (حيرتو) السريانية الأصل ، ومعناها المخيم والمعسكر (Hérta) (Hirta) وانها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser) [٣] ، وان (حيرتا) (حيرتو)

---

١ ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٢/٣٧٥) ، أبو تمـــام ، الحماســة (٨١١) ، البيت (٢) ، « والحـــيرة ٠٠٠٠ قرب الكوفـــة ، والنسبة حيري وحاري » ، القاموس (٢/١٦) ، البكري ، معجم (٢/٤٧٨ وما بعدها) ، (طبعة السقا) ، المشرق ، السنة ، ١٩٠٨ ، (٧٧) ، (والحيرة ، بالكسر : بلد بجنب الكوفـــة ينزلها نصارى العباد ، والنسبة اليها حيري وحاري) ، اللسان : مادة (حير) .

٢ يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية. بغداد، سنة ١٩٣٦م، (ص ١١) .

٣ Ency.. II. P. 314. Rothstein. Die Dynastie der Lakhmiden, S. 12.

وسيكون رمزه : Rothstein

Frankel. Aram. Fremdwörter in Arabish. XV, XVIII.

Nöldeke. Sasa.. S. 25.

في التواريخ السريانية تقابل (العسكر) عند الاسلاميين[1] وهي في معنى (الحضر) و (حاضر) و (الحاضرة) كذلك . ولهذا زعم بعض المستشرقين ان (الحضر) اسم المكان المعروف في العراق أخذ من هذا الأصل العربي، أي من (الحضر)[2] .

وقد عرفت (الحيرة) في مؤلفات بعض المؤرخين السريان ، فعرفت بـ (الحيرة مدينة العرب)[3] ، (حيرتا دي طياية) ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل (النعمان) ، فورد (حيرتو د نعمان دبيث بورسويي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)[4] .

ويلاحظ ان تعبير (حيرة النعمان) (حيرتا دى نعمان) ، تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار (الحيرة) باسم (النعمان) سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

ويرى بعض علماء التلمود أن مدينة (حواطره) (حوطرا) الـتي ورد في التلمود أن بانيهـا هو (برعدى) (بن عدى) ، هي الحيرة[5] . وقد حدث تحريف في الاسم ، بدليل أن التلمود يذكر أنها لا تبعد كثيراً عن (نهر دعه) (Nehardea) ، وأن مؤسسها هو (برعدى) ، ويقصد به (عمرو بن عدي)[6].

ويظن أن موضع (حرتت دارجيز) (حارتا دار جيز) (حرته دار جيز) ، الوارد في التلمود ، هو (الحميرة)[7] . وقد ورد أن (ارجيز) وهو ساحر ، هو الذي بنى تلك المدينة . ويرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة بين هـذا الساحر وبين قصة (سنمار) باني (الخورنق)[8] ، وعرفت في التلمود بـ (حيرتا

---

١ Musil, Palmyrena, P. 289, Hoffmann, in ZDMG., 32, (1878), 753, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, (1959), S. 130.

٢ Die Araber, I, S., 275, Hoffmann, In ZDMG., 32, 1878, 753, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, 1959, 130, Anm. 34, Brockelmann, Lexi. Syriacum, 2, 1928, 228a, Die Araber, II, S. 225.

٣ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧) .

٤ Rothstein. S. 13, John of Ephesus, 352, 10, 13, John of Ephesus, 3, 216, Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

٥ S. Funk. Die Juden in Babylonien, II, S. 154, Sabbat I, 14.

٦ S. Funk, Die Juden, II, S. 154.

٧ Sanhedrin 5b, Sabbat 19b, Erubin 63a.

٨ Die Juden. II. S. 155, J. Obermeyer, Babylonien, S. 234.

دي طيبه) أيضاً ، أي (معسكر العرب) و (حيرة العرب)[1] .

وقد ذكر اسم الحيرة في تأريخ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) من مؤرخي القرن السادس الميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م) ، فقـال : (حيرتود نعمان دبيت بور سوبي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)[2] ، كما ذكرها (يشوع العمودي) (Josua Stylites)[3]. وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام (٤١٠ م) ، وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه (هوشع) (Hosha) اشترك فيه ووقع على القرارات باسم (هوشع) اسقف (حيرته) (حيرتا)[4] .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن مملكة (تدمر) الى ورود اسم مدينتين هما (حيرتا) (الحيرة) و (عاناتا) (عانة) في كتابة يرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (١٣٢) للميلاد[5] . وقلت باحتمال أن تكون (حيرتا) هـذه هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فإذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت الينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم[6] .

ومدينة (Eertha) التي أشار اليها (كلوكس) (Glaucus) و (اصطيفان البزنطي) (Stephen of Byzantium)[7]، وذكر أنها مدينة (فرثية) (Parthian) تقع على الفرات ، هي هذه الحيرة على ما يظن[8] .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحـيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عـاقولا)[9] ، وقد ذهب (ابن العبري) الى أنـه (الكوفة)[10] ،

---

١ J. Obermeyer, S. 234.

٢ John of Ephesus, 352, 10, 13.

٣ Rothstein, S. 13.

٤ Musil, Palmyrena, P. 20, ZDMG., 43, S. 388.

٥ راجع تأريخ العرب قبل الاسلام (٣٠/٨١) ، لجواد علي ، (٦/٤) .

٦ Littmann, 6, CIS, II, III, P. 156, 3073.

٧ Glaucus, Fragmenta, P. 409, (Muller), Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 276, (Meineke), Paulys - Wissowa Elfer Halbbend, (1907), S. 552.

٨ Musil, Euphrates, P. 102.

٩ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

١٠ Bar Hebraeus, PP. 94, 101.

وأشار (ياقوت) الى (عاقولاء) غير أنه لم يحدد موقع هذ المكان[1] .

وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قيل «يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة »[2] . وقيل عنها انها « منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام »[3] ، وهي على (سيف البادية)[4] ليست بعيدة عن الماء ، وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين،وهي لا تبعد كثيراً عن (النجف) و ((الكوفة)[5] .

وقد ذكر (حمزة الأصفهاني) انه بسبب حسن هواء الحيرة وصحته لم يمت بالحيرة من الملوك أحد ، الا قابوس بن المنذر . أما بقية الملوك ، فقد ماتوا في غزواتهم ومتصيّدهم وتغرّبهم ، وانه بسبب ذلك قالت العرب : « لَبيتَةٌ ليلة بالحيرة أنفعُ من تناول شربة »[6] .

وقد نعتت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها : (الحيرة الروحاء)[7] ، و (الحيرة البيضاء)[8] ، أخذوا ذلك من شعر الشعراء . وزعم بعض أهل الأخبار : ان وصفهم اياها بالبياض ، فإنما أرادوا أحسن العمارة .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً كان يصل بينها وبين الفرات . بل يظهر ان هذا النهر كان متشعباً فيها ، بحيث كوّن جملة انهار فيها . اما نواحيها ، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى شاطىء الفرات ، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على جرف

---

١ البلدان (٩٨/٦) .

٢ الاصطخري ، المسالك (٨٢) .

٣ الطبري (٨٥٠/١) .

٤ الاصطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٣٧٥/٢) .

٥ اليعقوبي ، البلدان (ص ٣٠٩) ، «طبعة دي غويه» ، رحلة ابن جبير (ص٢١٠)، (دي غويه) ، الاصطخري (١٦٣) ، « دي غويه » .

٦ حمزة (٧٥) .

٧ قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أنباح الكلاب

البلدان (٣٧٦/٣) .

٨ قال الشريف الرضي :

بالحيرة البيضاء حيث تقابلت شمم العباد عريضة الأعطان

ديوان الشريف الرضي (٨٨٥/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣) .

البحر وشاطىء النهر[1] ومن أنهار الحيرة نهر كافر[2] . ويرى بعض أهل الأخبار انه هو نهر الحيرة[3] .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام الى أفول نجم الحيرة ، اذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة ، وهذا مما ساعد على اندثار تأريخ تلك المدينة الجاهلية ولا شك . غير انها ظلت أمداً طويلاً تقاوم في الاسلام الهرم الى أن جاء أجلها فدخلت في عداد المدن المندثرة .

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لخم) وبـ (آل نصر) . كما عرفوا بـ (النعامنة) وبـ (المناذرة) ، وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم[4] . وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد[5]

وفي طليعة أهل الأخبار الذين عنوا بجمع أخبار الحيرة الأخباري الشهير ، بل رأس أهل الأخبار في أمور الجاهلية : (هشام بن الكلبي) . فله كتاب في (الحيرة) سماه (ابن النديم) (كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين) ، وكتاب ثان سماه (ابن النديم) (كتاب المنذر ملك العرب) ، وكتاب ثالث اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)[6] . وهي مؤلفات لم تصل الينا — ويا للأسف ! — نرجو أن تكون في عالم الوجود، ليتمكن من يأتي بعدنا من الظفر بشيء جديد فيها ، قد يفيد عشاق تأريخ الحيرة ويزيد في معارفهم .

---

١ تقويم البلدان ، لأبي الفداء (٢٩٩) .
٢ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (١٢٤) .
٣ (قال أبو عمرو : كافر نهر بالحيرة) ، الاغاني (١٢٥/٢١) ، (فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة) ، الاغاني (١٢٦/٢١ وما بعدها) ، ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام (نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١٣) .
٤ التنبيه (ص ١٥٨) .
٥ المعارف (ص ٢٨٢) .
٦ الفهرست (١٤٦ وما بعدها) ، (أخبار هشام الكلبي) .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت بعض البعثات الآثارية آثارها ، وعالجت مديرية الآثار القديمة في العراق بعض نواحٍ من تأريخها ، وقد توصل الحفّارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تُكسى به الجدر للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي[1] . غير انهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة السيئة الحظ .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدوّن أو كتابة مدوّنة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لهـا هو ما أشرت اليه ، غير ان ذلك لا يتخذ دليلاً على انها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ، اذ يجوز انها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم . ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالسماح لبطن الأرض بإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التأريخ .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام (بختنصر) . هم يقولون : إن (برخيا) لما قدم من (نجران) وأخبر (بختنصر) بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وان يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بـه ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب (بختنصر) على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصّنه ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم سالمين مستأمنين. فاستشار (بختنصر) فيهم (برخيا) ، فقال : إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن اليهم ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطىء الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ،

[1] D. Talbot Rice, The Oxford Excavation at Hira, In Ars. Islamica, Vol., I, Part, I, MCM, XXXIV, P. 51,
Ann Arbar University Press, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol., XIX, April, 1932, P. 254, Vol., Sept., 1932, P. 276.

فسمّوه (الأنبار) . ثم سار (بختنصر) لمقاتلة العرب ، فنظم (بختنصر) ما بين (أيلة) و (الأيلة) خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار (بختنصر) بجيشه حتى التقى بموضع (ذات عرق) بعدنان فهزمه ، وسار الى بلاد العرب حتى قدم الى (حضور) وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار (عربة) ، فخندق الفريقان ، ثم تصالح (بختنصر) و (عدنان) ، بعد أن أكلت السيوف العرب. وعاد (بختنصر) بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم (الأنبار) . وذهب قوم ممن أفلت قبل الهزيمة الى (ريسوب) وعليهم (علك) . وذهب الباقون الى (وبار) . ولما رجع (بختنصر) ، مات (عدنان) ، وبقيت بلاد العرب خراباً حياة (بختنصر) . فلما مات (بختنصر) خرج (معد بن عدنان) ومعه الأنبياء أنبياء بني اسرائيل حتى أتى (مكة) فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج حتى أتى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر (جرهم) ، ثم تزوج ابنة معانة ، فولدت له نزار بن معد[1] .

فمؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو (بختنصر) . وهو مؤسس (الأنبار) في نظرهم أيضاً . وقد كان ذلك في أيام عدنان .

وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولجذورها وأصولها في مواضع من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وفي بعض روايات الأخباريين أن (الأردوان) ملك النبط ، وكان معاصراً لـ (أردشير) ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن (بابا) خصم (الأردوان) هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب (الأنبار) . فالحيرة والأنبار إذن هما من عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط تخاصماً في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، ويمثلهم (الهمداني) ، رواية أخرى في بناء (الحيرة) ، فهم يرجعون بناءها الى (تبع)[2] .

ويحدثنا (ابن الكلبي) بأن تبعاً المعروف بالرائد — وهو تبان أسعد أبوكرب ابن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ — لما سار في أيام (بشتاسب

١ الطبري (١/٢٩١ وما بعدها) .
٢ البلدان (٣/٣٧٧) .

وأردشير بهمن بن اسفنديار بن يشتاسب) متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه (الرائش) قبله ، خرج على جبلي طيء . ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة ليلاً ، تحيّر . فأقام مكانه ، وسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة ، فبنوا وأقاموا به . ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبالحارث بن كعب وإياد . ثم توجه الى الأنبار[1] .

وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تبع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبدالله بن أحمد المروزي[2] .

هذه هي أقوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب الى العراق وفي سكناهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكنْ فيها شيء كثير من الخطأ والضلال . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى العراق ، فهذا أمر ليس الى نكرانه من سبيل ، ولكننا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفيتها فتلك أمور لا يعرفها الأخباريون . كما أننا لا نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيراً عن الإسلام ، وبينهم أناس اخترعتهم مخيلة الأخباريين .

وتأريخ الحيرة مع سعته وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض يدفعنا أحياناً الى العجب من قول (ابن الكلبي) مثلاً : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها» [3]. وهو كما نعرف سند الأخباريين ومرجعهم الأول في تأريخ الحيرة . فرجل يدعي هذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث

---

١ الطبري (٢/٣) .
٢ الطبري (٢/٣) .
٣ الطبري (٢/٣٧) .

واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهاد فيما يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث في شكل ، ثم يرويه في شكل آخر يختلف عمـا رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص في أسماء الملوك وفي مدد حكمهم ، ويذكر اجمالاً ، ثم يناقض ما قاله تفصيلاً . غير أن علينا – ونحن أحيـاء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام – أن نكون حذرين في القول. فنحن لا نستنـد في حكمنا هذا الى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند الى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي وروت عنها . فما يدرينا لعلّ الخطـأ في هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب في الموارد الـتي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي إذن هو حكاية لما وجده هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه في هذا الشأن ولا تثريب . ولسنا في هذا المكان قضاة نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو نسحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا في هذا الموضع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير الى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل الينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والـذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره (الطبري) من أسماء ملوك لخم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عمّا ورد في تأريخ (حمزة) مثلاً أو في (مروج الذهب) للمسعودي ، أو في المؤلفـات الأخرى التي سترد أسماؤها في ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً الى المورد الذي استقت منه، كابن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب (ابن الكلبي) مثلاً ، أو انهم نقلوا من مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هـذا الاختلاف على انه ، مع افتراض هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، اذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد فاهم للمادة هاضم لها ، له نقد وتفكير تأريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً بيّناً عما كتبه في كتاب له آخر، الا ان يكون قد عثر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقـة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تنسيقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، وتجد في تأريـخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخـر

دون أن يشير اليه أو يشير الى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن (ابن الأثير) الى ذلك فأشار الى انه ناقل ، وذاكر ما وجده وما قاله مختلف الأخباريين ليقف عليه القارىء . ثم لم يغفل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل من حكم (الحيرة) من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عادتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن يقولوا : « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة الى مدة حكم مَن عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا :« منها كذا في حكم الملك الفلاني ، وكذا في حكم الملك الفلاني » . وهكذا إن كان الملك قد أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت اذا فحصت ما ذكروه اجمالاً ، ثم ما ذكروه تفصيلاً وجمعته بعضه مع بعض تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد المذكور اجمالاً في بعض الأحايين . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جمة للباحثين في هذا التأريخ في تثبيت تواريخ الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا المدوّن عن تأريخ آل لخم وتأريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدينوي وابن الأثير على ادماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم على ملك من ملوك الساسانيين صلات ذلك الملك بعرب الحيرة،ويشيرون الى ملكها الذي كان يحكم في أيامه ، والى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ تأريخ الحيرة وتناثر في صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تأريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليعقوبي وحمزة والمسعودي على تدوين تأريخ الحيرة في باب مستقل بني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك في ذهن الكاتب ، مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكم،أو من معاصرة لملوك الساسانيين أو من بناء أو ما شابه ذلك . وتجد في مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم يتطرق اليها أصحاب الطريقة الأخرى في بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه الناحية في زيادة علمنا بتأريخ الحيرة المستقى من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتاريخ وللمؤرخين الإسلاميين وللموارد التاريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لا بد

منها ، إذ بغيرها لا نتمكن من كتابة تأريخ بالمعنى العلمي للعرب قبل الاسلام . وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ، وبذلك تتيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، وتمهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤسف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص وبالمقتبسات التي يعتمدون عليها ، ويجرون فيها بعض التغيير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فتظهر كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتطفات والمقتبسات في الموضع المناسب ، لكان في اشاراتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية الى الموارد الأصلية التي يجب أن يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الحظ ان بين أيدينا جملة مؤلفات لاتينية ويونانيــة ، وردت في ثناياها اشارات الى (عرب الروم) و (عرب الفرس) ، أي عرب الشأم من (آل جفنة) وعرب الحيرة من (آل لخم) . وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم،واشتركوا هم أنفسهم في الحملات لكونهم مؤرخين رسميين يسيرون مع القيصر أو القواد لتدوين الحوادث والمشاهدات . وقد أفادتنا اشاراتهم هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جلّ اعتماد البـاحثين في ايجاد مواضع ارتكاز يطمئن اليها في تعيين تواريخ (آل جفنة) أو (آل لخم) . وبهـا تمكنا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدمها — بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين — ولكون معظمها من عهد ما قبل الإسلام ، وكان لها حق التقدم بالطبع في نظر المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لا يدفع عنها مع ذلك مواطن النقد والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً في تدوين هذا التأريخ، ولكنها ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانيــة واللاتينية في الدقة وفي النقد . ولمـا كان الكثير منها تواريخ كنسية ، تعرضت لتأريخ الحـيرة أو عرب الشأم أو العرب الآخرين بقدر ما لهؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي عـلى الجملة تمزج الأخبار بالمعجزات وبخوارق العادات وبرواية كرامات الآباء في هداية الملوك الوثنيين وسادات القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بهـا ذلك الزمن في النزاع المذهبي الذي منيت بـه النصرانية وفي محاولة الغض من الطرف النصراني الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية واليعقوبية والملكية وأمثالها ، فلكـل منها رواية بأسلوبها الخاص ، لذلك وجب علينا الانتباه لهذه الناحية حين الرجوع اليها ، وتخليص رواياتها من شوائب العصبية للمذهب ، ونقدهـا لاستخلاص

العنصر التأريخي منها في تدوين تأريخ صحيح لعرب العراق او عرب بلاد الشأم أو عرب جزيرة العرب .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ، والعباد، والأحلاف[1] . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وفيها من عدنان . وقد ذكروا ان في لهجة أهل الحيرة هجنة ، رجّعوا سببها الى اختلاط هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجئون الى هذا المكان[2] . ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم (بني إرم)، شأنهم في ذلك شأن تدمر وأهل (بطرا) اذ استعملوا قلماً نبطياً متأخراً في الكتابات.

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظالّ والوبر غربي الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح أهل الأخبار[3] . ويظهر من وصفهم لتنوخ انهم قصدوا بهم من كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار . ولم يقصدوا قبيلة معينة[4] .

وللأخباريين رأي خاص في تفسير أصل كلمة (تنوخ) خلاصته : انه لما مات (بختنصر) ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار، وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأنبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معدّ بن عدنان . فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فتشتتوا . وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر (عمران ابن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، وهو : (ماء السماء بن حارثة)، وهو: (الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، و (مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله

---

١ حمزة (٦٦) .
Die Araber, I, S. 268, Nöldeke, Geschichte der Perser, (1879), S. 24.
٢ البلدان (٣٨٠/٣) ، Rothstein, S. 18.
٣ حمزة (٦٦) ، (وتنوخ : حي من اليمن) ، اللسان (نوخ) .
٤ Rothstein, S. 28, Nöldeke, Sassa., S. 24, Anm. 3.

ابن أسد بن وبرة) في جماعة من قومهم ، و (الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان) في (قنص) كلها . ولحق بهم (غطفان بن عمرو ابن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أنصى بن دعمى بن إياد بن نزار بن معد ابن عدنان) ، و (زهر بن الحارث بن الشلل بن زهير بن إياد) ، و (صنح ابن الحارث بن أفصى بن دعمى بن إياد) . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنخَ على تنوخ بطون من (نمارة بن لخم) ، ودعا (مالك بن زهير) (جذيمةَ الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي) الى التنوخ معه، وزوّجه أخته (لميس) ابنة (زهير) . فتنخ (جذيمة بن مالك) وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزد ، فصار (مالك) و (عمـرو) ابنا (فهم) والأزد حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم ، فكان على حد قول (ابن الكلبي) في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرّق البلدان بينهم عنـد قتله (دارا) ملك فارس الى أن ظهر (أردشير بن بابك) ملك فارس عـلى ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

وفي هذا العهد عهد ملوك الطوائف،تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا فيه،واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمعوا على السير الى العراق . وكان أول من طلع منها (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومـه واخلاط من الناس ، فوجدوا الأرمانيين (بني إرم) ، وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين عرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين عرب الحيرة . ثم طلع (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم بن تيم الله) ، و (مالك بن زهير بن فهم بن تيم الله)، و(غطفان ابن عمرو بن الطمثـان) ، و (زهر بن الحارث) ، و (صنح بن صنح) فيمن تنخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمانيين ، فطلع (نمارة بن قيس بن نمارة) و (النجدة) ، وهم قبيلة من العماليـق ، يدعون الى (كندة) و (ملكان بن كندة) و (مالك) و (عمرو) ابني (فهم)

ومن حالفهم ، وتنخ معهم على (نفر) على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة (نفر) على ذلك لا يدينون للأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو:(اسعد ابو كرب بن ملكيكرب) في جيوشه فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه[1] .

وروى (ابن الكلبي) أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطف الفرات وغربيه الى ناحية الأنبار وما والاها . نزلوا في المظال والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزاوجون أهلها . وكانوا يسمون (عرب الضاحية) . فكان اول من ملك منهم في زمان الطوائف (مالك بن فهم) ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه (عمرو بن فهم) . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده (جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي)[2] .

وقد أخذ الطبري ما ذكره عن (تنوخ) من روايات ترجع الى (ابن الكلبي) والى (ابن اسحاق) ، وتختلف روايات (ابن اسحاق) التي اخذها (الطبري) عن شيخه (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) بعض الاختلاف عن روايات (ابن الكلبي) .

ولدينا رواية تذكر أن (بني زهير بن عمرو بن فهم) ، ومنهم (مالك ابن فهم) الذي تَنَّخَتْ عليه تنوخ . هو ومالك بن فهم بن غنم الأزدي ، تنخوا بعين هجر ، وتحالفوا هناك ، فاجتمعت اليهم قبائل من العرب ، فنزلوا الحيرة ، فوثب (سليمه بن مالك بن فهم) على أبيه ، فرماه فقتله ، فقال أبوه :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

فتفرقت بنو مالك ، وكانوا عشرة ، ولحقوا بعمان ، وملك جذيمة بن مالك عشرين ومئة سنة . وذلك في أيام ملوك الطوائف . وهو أول من اتخذ داراً[3] .

---

١ الطبري (٢٧/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الأثير (١٩٥/١ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢٨/٢ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (٣١٧/٢ وما بعدها) .

أما ما زعمه أهل الأخبار في معنى تنوخ. فقد أشرت مراراً الى جنوح الأخباريين الى أمثال هذه التفاسير ، حين ترسو سفينة علمهم على شاطىء الجهل بالأشياء . وما تنوخ في نظري الا (Thanuitae) (Tanueitae) القبيلة التي ذكرها (بطلميوس) في جملة القبائل التي كانت في أيامه[1] . وهي وإن كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير ان ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها الى الحيرة وبادية الشأم واقامتها فيها ، وهو حادث مألوف ليس بغريب ، أو انها كانت في هذه المواضع في ايام (بطلميوس) كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها أو انه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن انها حيث وضعها من الأماكن ، وهو أمر ليس وقوعه من الكتّاب في الزمن الحاضر بغريب ، فكيف بالنسبة الى تلك الأيام .

فتنوخ اذن على الوصف المتقدم ، هم أعراب الحيرة ، لا حضرها وأهل مدرها ، وكانوا يعيشون في اطرافها وحولها ، في بيوت الشعر والمظالّ ، على نقيض (العباديين) . وقد تبين من بعض الموارد ان بطوناً من تنوخ نزلت ارضين تابعة للروم[2] .

واما العباد ، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها،فهم حضر مستقرون[3] . ويقول معظم الأخباريين انهم كانوا على دين المسيح . ويقول بعضهم : انهم قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، والنسبة اليهم عبادي[4] . وذهب بعض الى انهم بطن في جزيلة من لخم[5] . وخالف فريق فذهبوا الى انهم كانوا من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهر الحيرة[6] . وانهم دانوا لأردشير[7] .

ونسبهم بعض أهل الأخبار الى (بني عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة

---

١ Sprenger, Alte Geography, 341, Glaser, Skizze, II 283, Blau, In ZDMG., 22, (1868), S. 660, Forster, II, P. 247.

٢ Die Araber, II, S. 251.

٣ حمزة (٦٦) ، Die Araber, I, S. 269.

٤ الاشتقاق (٢/٧) ، (طبعة وستنفلد) ، Rothstein, S. 19.

٥ العقد الفريد (٢/٢٥٣) .

٦ ابن القفطي : الحكماء (١٩٩) ، غنيمة (١٦) .

٧ الطبري (٢/٤٣) .

ابن أسد بن ربيعة) ، وذكروا انهم من نسل أربعة ، هم : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبدالله ، وعبد ياليل[1] . وأشار (السهيلي) الى ورود اسمهم في الحديث ، فقال : « وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام ، الروم ، والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصّروا . وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد القيس »[2] .

وللأخباريين أقوال في أصل كلمة (العباد) ، فنهم من يقول انهم انما سمّوا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماؤهم تبتدىء بكلمة عبد ، فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسمّوا العباد[3] . ومنهم من يقول : لا ، انما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسمّوا بهذا الاسم[4] . ومنهم من يرى انهم سمّوا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، اتخذوا شعاراً لهم ، هو يا آل عباد ، فسموا العباد[5] . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات.

واظن ان خير ما نفعله في هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه التسمية ، هو ان ندرس اسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من اسر ورجال ، مثل : اسرة عديّ بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا في العباديين . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عديّ ابن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لخم ، وكانت بقيلة من الأزد[6] . فهم اذن من قبائل مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدلّ على ان هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، او بطناً ، وإنما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين ، ووحدة الموطن . لذلك لم يطلق إلا على النصارى العرب من اهل الحيرة . اما غيرهم من نصارى العرب ، فلم يشملهم اسم العباديين[7] .

---

١ الروض الأنف (١/٥٣) .

٢ الروض الأنف (١/٥٣) .

٣ اللسان (٣/٢٧٢) ، (عبد) ، ابن قتيبة المعارف (٦٤٩) ، ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول (٢٥٠) .

٤ تاج العروس (٢/٤١٠ وما بعدها) ، (عبد) ابن القفطي ، (١٧٣ وما بعدها)، اللسان (٣/٢٧٢) ، الروض الأنف (١/٥٣) .

٥ الاغاني (١١/١٥٦) .

٦ Rothstein, S. 20.

٧ Rothstein, S. 20.

ويمكن ان نقول استنـــاداً الى روايات الأخباريين في تحـديد مدلول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة اطلقت في الأصل عـــلى من تنصر من اهل الحيرة ، ليميزوهم عـن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن اولئك النصارى في بادىء امرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هـــذه التسمية جميع نصاراها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم ايضاً عن بقية النصارى العرب من غير اهل الحيرة فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتأخرون انه علم ، ثم حاروا في تعليله ، فأوجدوا على طريقتهم تلك التعليلات .

ولعل العباد والعباديين من كلمة (عبد) في الأصل ، أطلقتها متنصرة الحيرة الأولى على نفسها ، لأنها تعبدت لإلـه ، لتميز نفسها عن الوثنيين . او ان اولئك الوثنيين اطلقوها على اولئك المتنصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ (عبد المسيح) علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع (عبدالله) بين المسلمين[1] .

ولا استبعد ان يكون العباد والعباديين ، هم بقية (اباديدي) (Abadidi) او (إباديدي) (Ibadidi) ،الذين تحدثت عنهم في اثناء كلامي عن الآشوريين .

وقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ، حذق بعضهم الصناعات ودرس بعضهم العلوم ، وفاق بعض آخر في اللغات فحذق العربية وتعلم الفارسية،وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة،لأنها لغة الدين ، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة ، ولهـذا السبب اختار الفرس تراجمتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء، كالذي كان مع (زيد العبادي) والد (عدي) .

وأما (الأحلاف) ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ،ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين دانوا لـ (أردشير)[2] .

وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط[3] ، كما كانت بينهم جماعـــات من

---

١ Nöldeke, Sassa.. S. 24, Rothstein, S. 21.

٢ حمزة (٦٦) .

٣ الأغاني (٨/٦١) .

الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية برطانة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطانة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بني إرم وهي التي عرفت بلغة (النبط) عند المسلمين[1] .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : اللآت ، والعزى ، وسبد[2]، و (محرق) وبه تسمى بعض الرجال تبركاً وتقرباً اليه[3] .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعه الفرس في بلادهم نكاية بالروم . غير ان هنالك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان. وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس الى مذاهبهم. وطبيعي ألا يجد مذهب الروم صدراً رحباً في الأرضين الخاضعة للفرس، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين الى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (٤٢٤)[4] ، وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها على بعض الروايات[5] .

ما ذكرته عن أهل الحيرة ، هو ما يخص أهل المدينة وما حولها من الحضر المستقرين . أما من كان قد خضع لملوك الحيرة ، فكانوا قبائل يعيشون في ارضين واسعة ، كانت تتقلص سعتها وتتوسع بحسب قدرة (ملك الحيرة) ومكانته ، فقد حكم (امرؤ القيس) مثلاً (كُلّ العرب) على حد قول النص : (نص النمارة) الذى وجد على قبره . ويقصد بذلك (كل الأعراب) ، وخص منهم (أسداً) و (نزاراً) و (مذحجاً) وغيرها ، حتى بلغ حدود (نجران) ،

---

١ (عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا) ، أمالي المرتضى ، (١/١٧٧) .

٢ الاغاني (٢/١٠٤) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، (٢/٢٠) ، (ساسي) .

٣ Rothstein, S. 95, Nöldeke, in ZDMG., 1887, S. 712.

٤ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (١٠) .

٥ أوجين نسران ، خلاصة تأريخية للكنيسة السريانية « تعريب القس سليمان الصائغ » ، الموصل ، ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

كما ملك (معدّاً)[1] . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أن مُلك ملوك الحيرة قد شمل القبائل المذكورة في كل الأوقات ، بل في كل أيام حكم (امرىء القيس) ، فقد تعوّدت القبائل الانتفاضة على من يفرض حكمه عليها عند أول فرصة يشعرون فيها بضعف الحاكم ، أو أن الأوضاع أخذت تسير عكس ما يريد ، فتنقلب عليه وتخرج على طاعته .

ونجد في رسالة (شمعون الارشامي) الحيرة أن في جملة من كان في معسكر (المنذر) الثالث ،(طيايه حنبه ومعداية) ،أي (طيء) ومعد . والأغلب أنه قصد بـ (طياية) الأعراب ، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد . ولعله قصد بـ (حنبه) (حنفه) قبيلة (بني حنيفة) أو قبيلة أخرى اسمها قريب من هذا الاسم .

ويلاحظ ان اسم (معد) كان معروفاً مشهوراً على انه من القبائل العربية الكبيرة التي تشمل منازلها أرضين واسعة . وقد ميّز بينها وبين (نزار) في (نص النمارة) مما يدل على ان (نزاراً) كانت منفصلة عن (معد) ولها اسم خاص في القرن الرابع للميلاد .

أما الأنبار التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المعروفة في أيام الساسانيين ، تلي شهرتها في العراق شهرة مدينة (طيسفون) (Ktesiphon) . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية انها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير اننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بعث فيها الحياة وانشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني (سابور الثاني) (شابور) (Shapur II) (٣١٠ – ٣٧٩ م)[2] ، أو سابور الأول في بعض الروايات[3] . وقد حصّنت وقويت وجعلت قلعة حربية لصد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الانبراطور (يوليانوس) (Julianus) على مملكة الساسانيين في سنة ٣٦٣ للميلاد ، اذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يوليانوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركاماً وتلالاً من الرماد . فأمر عندئذ ببناء (هيليوبوليس) (Heleopolis) . وقد وصف المؤرخ (أميانوس مرسليانوس) (Ammianus Mercellianus) الأنبار ،

---

١ تأريخ العرب قبل الاسلام ، لمؤلف هذا الكتاب (٤/ ٣٣ وما بعدها) . Die Araber. II. S. 313.

٢ Paulys - Wissowa. 64. Halbband. 1950. 1725. Ency.. I. P. 348.

٣ Paulys - Wissowa. 2 Halbband. 1894. 1791. Musil. Euphrates. P. 354.

وذكر قلاعها الحصينة [١] .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقـع نهر عيسى الذي يصل الفـرات بدجلة ، وهو نهـر قديم يرجع عهده الى ما قبـل الاسلام ، عرف بـ (Naarsares) أو (Narsares) [٢] ويظن ان الملك سابور الثاني المذكور هو الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأنـاً خاصاً اذ صارت فرضة مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع المرسلة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولاسم هذه المدينة،وهو الأنبار ، علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من (Ham-bara) الايرانية القديمة،ومعناها المخزن ، ومنها (أنبار) (Anbar) بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء المسلمون معنى الكلمة فذكروه [٣] . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون (Anbara) (Abbareny) (Abara) ، ويقصدون بها الأنبار [٤] .

وقد عرفت المدينة بـ (فيروز سابور) (بيروز شابور) (Peroz Shapur) كذلك . ومعنى هذه الكلمة (سابور المنتصر) . ومنها جاء اسمها (بيريسابورا) (Pirisaboora) (Bersabora) (Pirisaboras) المذكور في تاريـخ (أميانوس مارسليانوس) و (زوزيموس) . وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانيـة . وكان عليها أسقف نسطوري [٥] .

ويظـن ان موضع (أنكوباريتيس) (Ankobaritis) المذكور في جغرافيـة

---

١ Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725, Ammianus, XXIV, 2, 9, XXIV, 2, 18, Musil, Euphrates, PP. 234 236, 240, 354.

٢ (نهر صرصر) ، Paulys-Wissoma, 64 Halbband, 1950, 1725.

٣ (وانما سميت الأنبار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الأهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها » ، الطبري (٢٨/٢) ، البلدان (٣٦٨/١) ، اللسان (١٩٠/٥) ، (صادر) ، (نبر) ، Ency., I, P. 348, Fränkel, Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen, S. 136, Scheftelwitz, In ZDMG., IX, 699, Nöldeke, Grammatik der Neusyrichen Sprache, S. 403, Paulys-Wissowa, Zweiter Halbband, 1894. 1461.

٤ Ency., I, P. 348.

٥ Ammianus Marcellianus, XXIV, 29, 5, 3, Paulys-Wissowa, 2 Halbband. 1894, 1791.

(بطلميوس) يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فإذا كان هذا الظن صحيحاً، كان اسم هذه المدينة معروفاً اذن قبل ايام الساسانيين[1] .

ولم يذكر (ايزيدور الكركسي) (Isidorus of Charax) الذي ساح حوالي ميلاد المسيح في إنبراطورية الفرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسمـاً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام (ايزيدور) وربما في القرن الأول للميلاد،وأنها أنشئت في بادىء الأمر لخزن المواد فيها وتموين الحاميات بما تحتاج اليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في اقليم بابل بعد طيسفون[2] .

وفي رواية لـ (ثيوفيلكتس) (Theophylactus) أن (كسرى برويز الثاني) (Khusrave Abharvez) (٥٩٠ — ٦٢٨م تقريباً) ، حينما هرب من وجه (بهرام جوبين) حوالى سنة ٥٩٠ للميلاد ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلـة واخترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب الى عانة (Anatha) ، ومنهـا ذهب الى (قرقيساء) حيث اتصل بالروم[3] .

وقد صارت (الأنبار) من أهم المواضع العلمية ليهود العراق في عهد (هرمز الرابع) (٥٧٨ — ٥٩١ م) أو (٥٧٩ — ٥٩٠ م) . فلما اضطهد هذا الملك اليهود ، وأمر بإغلاق مدارسهم الدينية الـتي كانت من أهم مدارس اليهود في ذلك العهـد في مدينتي (سورا) (Surà) و (بومبيدثا) ، (فومبيديثه) (Pombeditha) ،انتقل أحبار المدينتين الى مدينة (فيروز سابور) (Peroz Shapur) أي الأنبار . وكانت إذ ذاك في حكم ملوك الحيرة[4] . وصارت منذ ذلك العهـد مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في العراق .

وتقع (فومبديثه) (Pumbeditha) بجوار الأنبار ، وتعني (فم البداة)، وقد كانت من أهم المستوطنات اليهودية في العراق . ومن أهم المراكز العلميـة التي أخرجت طائفة من كبار أحبار اليهود ، أسهموا في تدوين التلمود وفي جمع التراث اليهودي القديم . ومن علمائها (مار رابة الغاؤون) وآخرون . وقـد قدم

---

١ Ptolemy, V, 18, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, S. 1791.

٢ Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

٣ Theophylactus, IV, 10, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1794.

٤ Die Araber, I, S. 630, Th. Noldeke, Tabari, 57, Anm., 5.

اليها اليهود من فلسطين هرباً من الرومان الذين لم يعطوا اليهود الحرية الدينية الكافية للانصراف الى ممارسة شعائرهم الدينية والتعليم على وفق ديانتهم . فأسسوا مستوطنات مهمة في العراق ، منها : هذه المستوطنة ، ومستوطنة (نهر دعة) وغيرهما ، وفي هذه المستوطنات دوّن التلمود البابلي الذي هو من أهم أركان كتب التشريع عند اليهود[1] .

وقد جاء في (بابا بثرا) أن العرب الذين أتوا الى (فومبديثه) ، استولوا على أرض اليهود . وقد جاء اليهود الى حبرهم (أبيه) (Abaya) ليكتب لهم نسختين من نسخ تملّك الأرض ، حتى اذا استولى غريب على نسخة التملك تكون لديه نسخة ثانية . وكان ذلك على أثر هذا الحادث[2] . وكان العـــرب عندما ينتزعون تلك الأرضين يأخذون سندات التملك أيضاً . ولهذا راجع اليهود هذا الحبر ليكتب لهم سندي تملك ، حتى اذا أُخذت نسخة،احتفظ صاحب الأرض بالنسخة الثانية فيكون في امكانه مقاضاة المغتصب[3] .

ونجد في (ندّه) (Niddah) ، وهو (كتاب الحيض) من باب (كتاب الطهارة) (Seder Tohoroth) في الفقه العبراني ، قصة تاجر عربي كان في (فومبديثه) ، وكان يرتدي عباءة أو جبة سوداء حالكة السواد،ولما كان السواد من الألوان المكروهة عند اليهود ، جاءه أحد زوار المدينة من اليهود، فسأله عن هذا السواد ، فقال التاجر : وهل يوجد لون كهذا اللون ! فقام عليه اليهود ، وانتزعوا منه عباءته أو جبته ومزقوها،ثم استرضوه بأن عوضوه بأربعمئة (زوز)[4] .

ملوك الحيرة :

وقد عرف ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، وبـ (آل لخم) ، وبـ (آل محرق) ، وبـ (آل النعمان) ، وبـ (آل عدي) . وورد ان العرب كانت تسمي بني المنذر الملوك (الأشاهب) لجمالهم[5] .

---

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 215.

٢ Baba Bathra 168b.

٣ The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735.

٤ Niddah 20a, The Babylonian Talmud, Seder, P. 131.

٥ الاشتقاق (ص ١١٦) .

ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، هي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمن طويل . فقد ورد في الأخبار عن (نهر دعة) (Nehardea) وهي مستوطنة من المستوطنات اليهودية القديمة الكبيرة التي تأسست في العـــراق ، وتقع عند فم نهر ملكا (Nehr Malka) ، أي مخرج نهر الملك من الفرات[1] ، انه في سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد ، جاء (بابا ابن نصر) الى مدينة (نهر دعة) وخربها ، فهرب بعض أحبارها الى مواضع يهودية أخرى ، كانت ملجأ لليهود[2] . ويظهر ان الأمير المهاجم ، وقد سمي في الخبر بـ (بابا) (Papa) ، كان من أبناء سيد قبيلة عربية اسمـه (نصر) . وقد عرف بـ (برنصر) و (بن نصر) في التلمود[3] . وقد ذهب الباحثون الى ان المراد به أحد أمراء الحيرة من (آل نصر)[4] . أما (كريتز) (Grätz) ، وهو من المؤرخين اليهود المشهورين ، فقد ذهب الى انه (أذينة) زوج الملكة (زنوبيا) (الزباء) (Zenobias) ملكة تدمر[5] . غير ان هنالك أدلة تأريخيـة لا تؤيد هذا الرأي ، ثم ان الموارد العربية تنعت ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، ولم يشتهر ملوك تدمر فيها بـ (آل نصر) .

وقد تحدثت اليك برأي أهل الأخبار في أول من حكم الحيرة من الملوك، ورأينا أن (مالك بن فهم) هو أول ملك حكم هذا الموضع على زعمهم ، وهو في نظرهم من الأزد[6] . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية الأخباريين[7] .

وقد زعم (حمزة الأصفهاني) أن (مالك بن فهم) تملك تنوخ العراق في زمان ملوك الطوائف ، وان منزله كان بالأنبار ، وأنه بقي بها الى أن رماه ابنه (سليمة بن مالك بن فهم) رمية بالنبل ، وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمـة راميه ، قال .

---

١ J. Obermeyer. Die Landschaft Babylonien, S. 245.

٢ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 254.

٣ Kethuboth 51b.

٤ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 255.

٥ Grätz, Geschichte der Juden, IV, S. 295.

٦ الطبري (٢/٢٧) .

٧ اليعقوبي (١/١٦٩) ، المعارف (٢٨١) .

جزاني ، لا جزاه الله خيراً سليمة ، إنه شراً جزاني
أعلمه الرمايـــة كل يوم فلما اشتد ساعده رمـــاني

فلما قال هذين البيتين فاظ أي مات ، وهرب سليمة . هرب الى عمان[1] .

وحكم بعد (مالك بن فهم) أخوه (عمرو بن فهم) على رواية[2] ، و(جذيمة الأبرش) المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من أمر (عمرو) هذا شيئاً يستحق الذكر .

وتزعم رواية أن الذي حكم بعد(مالك بن فهم) هو (جذيمة الأبرش)، وقد جعلته ابناً لمالك ، وجعلت نسبه على هذه الصورة : (جذيمة بن مالك بن فهم ابن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن الغوث) . وقالت : إن والده(مالك) هو أول من ملك الضاحية في حكم ملوك الطوائف[3] .

أما حظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حظ الرجلين السابقين عند الأخباريين، فله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا اليه الغزوات ، وجاد عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني (وبار ابن أميم بن لوذ بن سام بن نوح) ، وصيّروه (من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزماً . وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش)[4] ، وذكر (المسعودي) انه أول من ملك الحيرة[5] .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه (كان به برص ، فكنّت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه اليه ، إعظاماً له . فقيل : جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش)[6] . وذكر (المسعودي) أن جذيمة هو صاحب النديمين اللذين

---

١ حمزة (٦٤) ، الاشتقاق (٣١٧) .
٢ الحيرة (١١٨) ،
٣ الطبري (١/٦١٢) ، (دار المعارف) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٦٨) .
٤ الطبري (٢/٢٩) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، أسماء المغتالين ، لمحمد بن حبيب (نوادر المخطوطات) ، (ص ١١٢) .
٥ مروج (٢/١٦) .
٦ الطبري (٢/٢٩) ، الكامل (١/١٣٦) ، الاشتقاق (٢/٢٩١) .

يضرب بهما المثل ، واستشهد على ذلك بشعر لـ (متمم بن نويرة اليربوعي) في مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانيّ جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا [1]

وقد ذُكر ان النديمين المذكورين هما : مالك وعقيل ، وهما ابنا (فرج بن مالك) من (بلقين) ، وكانا قد قدما من الشام ، يريدان جذيمة، فوجدا فتىً قد تلبد شعره ، وطالت أظافره ، وساءت حاله ، أسرع نحوهما يرجو الطعام والرعاية ، فلما سألاه عن حاله ، وتبين لهما انه (عمرو بن عدي) ، سرّا به كثيراً ، وعُنيا به ، وأخذاه معهما الى (جذيمة) ، فلما رآه ، فرح به فرحاً كبيراً ، لعودته اليه ، ونظر اليه ، ثم أعاد عليه الطوق ، وكان جذيمة قد صنعه له قبلاً ، ثم قال : « كبر عمرو عن الطوق » . وكان الجن قد استطارته ، أي خطفته . وقال جذيمة لمالك وعقيل : ما حكمكما، أي ما طلبكما ! قالا حكمنا منادمتك . فأصبحا يضرب بهما المثل[2] .

وذكر (المسعودي) ان كنية (جذيمة) التي عرف بها هي (أبو مالك) ، وروى في ذلك شعراً ، زعم ان قائله هو سويد بن كاهل اليشكري :

ان أذق حتفي ، فقبلي ذاقه طسم وعاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القيّل الذي قتلته بنت عمرو بالخدع[3]

وذكر الأخباريون ان جذيمة غزا طسماً وجديساً،غزاهم في منازلهم من (جوّ) وما حولهم . فأصاب (حسان بن تبع أسعد أبي كرب) ، وقد اغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وأتت خيول تبع على سرية لجذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال في ذلك شعراً دوّن منه الطبري

---

١ التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار (٢٧٤/١) ، الروض الانف (٣٠٣/٢) .

٢ الكامل ، لابن الاثير (١٩٧/١) ، التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، (أنا شهدت ندماني جذيمة : مالكا وعقيلا ، وصبحتهما الخمر المشعشعة لما وجدا عمرو بن عدى ، فكنت اصرف الكأس عنه) ، رسالة الغفران (٢٧٨) .

٣ مروج (١٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

احد عشر بيتاً . وقد أراد ابن (الكلبي) ان يكون حذراً في هذه المرة ، أو ان يظهر نفسه في مظهر الحذر الناقد ، فقال : « ثلاثة ابيات منها حق ، والبقية باطل »[1] . وجميل صدور هذا الحذر من الطبري ، او من ابن الكلبي ، وقد عوّدانا سرد ابيات من الشعر العربي ، نسباها الى من هو اقدم عهداً من جذيمة ولم يذكرا انه باطل ، او ان فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذيمة انـه تكهن وتنبأ ، وانه اتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما بالحيرة في مكان معروف ، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما[2] . فلم يقنع الأخباريون بالحديث عن ملك جذيمة وحده ، فأضافوا اليه التنبؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (جذيمة بن مالك بن فهم) وهو جذيمة الأبرش كان ينزل الأنبار ويأتي الحيرة ثم يرجع . وكان لا ينادم أحداً ذهابـاً بنفسه ، وينادم الفرقدين . فإذا شرب قدحاً ، صب لهذا قدحاً ولهذا قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفـع له الشمع[3] . بقي على ذلك حتى نادمه مالك وعقيل[4] ، الى غير ذلك من أقوال وروايات عنه. وهي تدل على انه كان قد ترك أثراً في المجتمع في ايامه غير أثر الملك ، مما حدا بالقوم أن يضعوا هذه الأقوال فيه .

واشتهر (جذيمة) عند أهل الأخبار بفرس له ، ذكر انها كانت من سوابق خيل العرب ، اسمها (العصا) . وفيها ورد في المثل : « إن العصا من العصية » . وقد نجا (قصير بن سعد اللخمي) على فرسه هذه ، فأخذ بثأره وقتل (الزباء) على زعم أهل الأخبار .

وهم يروون أن جذيمة كان يغازي إياداً النازلين بـ (عين أباغ) ، فذكر له اسم غلام من لخم في أخواله من إياد ، هو عديّ بن نصر ، له جمال وظرف، فغزاهم . فبعثت إياد قوماً سقوا سدنة الصنمين الخمر ، وسرقوا الصنمين،فأصبحا

---

١ الطبري (٢/٣٩) .
٢ الطبري (٢/٣٩) ، اليعقوبي (١/١٦٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٦) .
٣ المعارف (٢٨١) ، « ويذكر أيضا أنه أول من أوقد الشمع » ، الروض الانـف (٢/٣٠٣) .
٤ اللسان (١٥/٦٨) ، (عصا) ، الخيـل لابـن الكلبـي (٣١) ، نـوادر المخطوطات (١٩٩) .

في إياد . فبعثت اليه تفاوضه على ارجاع الصنمين اليه على أن يكف عن غزوهم، ولكنه اشترط عليهم اعطاءه عدي بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا علــى ذلك . فانصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرابه . ويدعون انه تزوج اخته (رقاش) التي أحبته فيما بعد ، في قصه يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان (عمرو ابن عدي) ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك[1] .

وفي رواية من روايات الأخباريين ان جذيمة زوّج اخته من ابن عمه :(عدي ابن ربيعة بن نصر) ، فولدت له (عمرو بن عدي) الذي استطار به الجن[2] .

وفي جملة ما نسبه أهل الأخبار الى جذيمة من حروب حربـه مع (عمرو بن الظرب بن حسّان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملقي) (العمليقي) مــن عاملة العماليق . وعمرو هــذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعدا للقتال استعداداً كبيراً،فجمعا كل ما امكنهما جمعه . ولما اصطدما، قُتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعــده سالماً . ولم يشر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال . وملك من بعد (عمرو) ابنته الزبّاء[3] .

أما ملك جذيمة ، فكان على حد قول الأخباريين ما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر الى الغمر والقطقطانة وخفية وما والاها[4] ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً انـه ملك معدّاً وبعض اليمن[5] . وكانت داره بالموضع المعروف بـ (المضيق) بالمصيرة بين الخانوقة وقرقيسيا[6] .

---

١ الطبري (٢/ ٣٠ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/ ١٩٦) ، ابن خلدون (القسم الاول) ، المجلد الثانـي (٥٤٢ ، ٥٨٦ ، ٦٢٦) ، العقــد الفريــد (٥/ ٢٦٠) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، الهمداني ، صفة (١٧٨) ، مراصد الاطلاع (٢/ ٩٧٦) .

٢ الاخبار الطوال (٥٦) .

٣ الطبري (٢/ ٣١) ، الكامل ، لابن الاثير (١/ ١٩٩) ، مروج (٢/ ٩٠ ومـا بعدها) ، نوادر المخطوطات ، (أسماء المغتالين) (ص ١١٢ ومــا بعدها) ، الاغاني (١٤/ ٧١) .

٤ الطبري (٢/ ٢٩) ، بلـوغ الارب (٢/ ١٧٥) ، محمد بن حبيب ، أسمــاء المغتالين (نوادر المخطوطات) ، (١١٢) .

٥ حمزة (٦٤) .

٦ البلدان (٣/ ٣٧٨) .

اما الأنبار ، فقد تحدثت عنها . وهي – على ما يظهر من روايات الأخباريين – من المواضع التي كان يخضع اعرابها في الغالب لحكم اللخميين . واما بقة ، فتقع على الفرات بين هيت والأنبار . وأما هيت ، فهي من المواضع القديمة المعروفة قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في نص (توكلتي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta II) الذي يعود عهده الى حوالى سنة ٨٨٥ قبل الميلاد[1] . وقد عرفت بـ (ايد) (Id) و (ايت) (It)[2] . وهي (ايس) (اس) (Is)[3] و (ايس بوليس) (اسبولسي) (Ispolis) (Ispoolis)[4] و (ايديكاره) (Idikara)[5] و (دياكيرة) (Diakira)[6] في مؤلفات الكلاسيكيين . و (ايهي) (Ihi) و (ايهيداكيرة) (Ihidakira) في مؤلفات عصر التلمود[7] .

وفي بقة استشار جذيمة قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزباء[8] . وتقع بقة على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت[9] . وقد جعلها (اليعقوبي) على شط الفرات بالقرب من الأنبار وفي ملك الزباء[10] . وهي على الفرات بين الأنبار وهيت ، في رواية أكثر الأخباريين[11] .

وأما القطقطانة ، فموضع في البرية لا يبعد كثيراً عن الكوفة، وهو بالطف[12] . وأما خفية ، فهي أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب اليها

---

١ Scheil and Gautier, Annales de Takulti Ninip II, Roi D'Assyrie, 889-884, Paris, 1910, P. 38, Ency., II, P. 322, Musil, Euphrates, P. 350.

٢ Musil, Euphrates P. 350.

٣ Heradotus, I, 179.

٤ Isidore of Charax, Mansiones Parthiace, (Muller), P. 249،
(ايوبوليس) ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ١٠ ، (ص ٤٤٠) .

٥ Ptolemy, Geography, V. 19, 4.

٦ Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 15.

٧ Musil, Euphrates, P. 350.

٨ (ببقة خلفت الرأي) ، البلدان (٢/ ٢٥٣) ، الطبري (٢/ ٣٧ وما بعدها) ، (كما لم يطع فيما أشار قصير) ، رسالة الغفران (٥٣٣) .

٩ البلدان (٢/ ٢٥٣) ، الطبري (٢/ ٣٢) .

١٠ اليعقوبي (١/ ١٦٩) .

١١ البكري ، معجم (١/ ٢٦٤ وما بعدها) ، مراصد الاطلاع (١/ ١٦٦) ، البلدان (١/ ٤٧٣) ، Musil, Euphrates, P. 160.

١٢ البلدان (٧/ ١٢٥) .

الأسود المعروفة بأسود خفية ، وهي غربي الرحبة،ومنها الى عين الرهيمة مغرباً . وقيل أيضاً عين خفية[1] .

وقد اشتهرت (عين التمر) القريبة من (شفاثا) بالقصب والتمر،وهي على طرف البادية . فتحها المسلمون على يد (خالد بن الوليد) في سنة ١٢ للهجرة في ايام أبي بكر[2] .

وقد طال عمر جذيمة على حد قول (حمزة الأصبهاني) الى ان لحق ملك (سابور بن أشك الأشغاني) (شابور بن أشك) ، وحكم على حد قوله أيضاً ستين سنة . أما نهايته ، فكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معلومة ، رصّعها الأخباريون بشعر وأمثلة[3] ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الزباء . وجعل بعضهم مدة حكمه مئة وثماني عشرة سنة ، اذ ملك في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود ثلاثة وعشرين سنة[4] . وملك يحكم هذه المدة لا بد أن تكون مدة حياته أطول من مدة حكمه .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ان جذيمة لم يزل ملكاً مقيماً بالحورنق ، حتى دعته نفسه الى تزويج (مارية) ابنة الزباء الغسانية . وكانت ملكة الجزيرة ، ملكت بعد عمها الضيزن الذي قتله (سابور) ، فقتلت جذيمة ، ثم قتلها قصير مولاه[5] . فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزبّاء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك أنقذ الزبّاء من تهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملكة ، وجعلها ملكة على الجزيرة ، وجعل نسبها في غسّان ، وغسّان معادون منافسون لآل لخم ، ثم أبى إلاّ أن يجعل لجذيمة قصراً منيفاً ، فوقع اختياره على الحورنق ، وهو قصر لائق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأي الأخباريين الذين ينسبون هذا القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وقد جاء اسم (جذيمة) (جديمت) في نص نبطي ويوناني عثر عليه في

---

١ البلدان (٣/٤٥٢) .
٢ البلدان (٦/٢٥٣) .
٣ حمزة (٦٤ وما بعدها) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٩٩) الطبري (١/٤٤٨) .
٤ مروج (٢/٩٠ وما بعدها) ، الروض الانف (١/٢٠) .
٥ الاخبار الطوال (٥٦) .

(أم الجمال) ، جاء فيه : (هذا موضع آي قبر فهر بن شلي (سلي) مربي جذيمت ملك تنوح) . ولهذا النص على قصره أهمية بالغة ، لأنه يشير الى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام[1] . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك ! أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ! مهما يكن من شيء ، فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جذيمة ملك (تنوح) تنوخ .

ويلاحظ أن النص دوّن اسم (جذيمة) بحرف (الدال) وكتب اسم (تنوخ) بحرف الحاء (تنوح) بدلاً من الخاء . ويكون هذا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم (تنوخ) . ويرجع عهده الى حوالي السنة (٢٧٠) بعد الميلاد[2].

وجعل (ابن دريد) لجذيمة نسلاً ، سماهم (بني جهضم) ، وجعل لفظة (جهضم) من (التجهضم) ، ومعناها التكبر[3] .

وذكر (حمزة الأصفهاني) أنه لم يلد لجذيمة غير (زينب بنت جذيمة) ، وهي أم مرتع . واسمه (عمرو بن معاوية بن كندة) ، فغزا في آخر عمره الشأم، فقتل (عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة) ملك العمالقة والد الزبّاء ، فانطوت له الزبّاء على طلب الثأر حتى قتلته[4] .

وانتقل الملك بعد وفاة جذيمة الى ابن أخته (عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم)[5] . أما أمه ، فهي أخت جذيمة ، وهي : (رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدثان) على رواية من ينسب مالك بن فهم الى عدثان[6] .

---

١ Rep. Epig., 1097, II, III, P. 373, Enno Littmann, Nabataish-Griechische Bilinguen, In Le Florilegium Melchior de Vogue, P. 375, Die Araber, II, S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 198, Altheim-Stiehl, Geschiche der Hunnen, I, S. 151, 154.

٣ الاشتقاق (٢/٢٩٢) .

٤ حمزة (٦٥) .

٥ الطبري (٢/٣٠ وما بعدها) ، معجم الشعراء (٢٠٥) ، الاغاني (١٤/٧٢) ، رسالة الغفران (٢٧٨) ، فرائد اللال (٢/١٠٨) .

٦ حمزة (٦٥) ، مروج (٢/٩٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، التنبيه (١٥٨) ، نزهة الجليس (٢/٥٩ وما بعدها) .

ويلاحظ أن (الطبري) لم يكن مستقراً في موضوع اسم (عدي) والد عمرو، إذ يجعله (نصراً) في موضع ، فيقول (عدي بن نصر بن ربيعة)[1] ، ويجعله (ربيعة) في موضع آخر ، فيقول : (عدي بن ربيعة بن نصر)[2] . ويظهر ان ذلك انما وقع له بسبب أخذه من روايات مختلفة ، وعدم تدقيقه ونقده لتلك الروايات .

ويفهم من رواية يرجع (الطبري) سندها الى (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) ان زمان حكم (ربيعة بن نصر اللخمي) كان بين ملك (تبان أسعد ابو كرب) وملك ابنه (حسان بن تبان أسعد)[3] . والرواية مضطربة مشوشة ، يفهم منها ان (ربيعة بن نصر) كان نفسه قد حكم اليمن في الفترة الواقعة بين (تبان أسعد) وبين حكم ابنه (حسان) ، وان (حسان) هذا لم يتمكن من الحكم الا بعد هلاك (ربيعة بن نصر)[4] . ويزيدها اضطراباً وتشويشاً ذكر (الطبري) رواية الرؤيا التي رآها (ربيعة بن نصر) وعرضها على (سطيح) و (شق) لتفسيرها له ، وما كان من جوابهما له في تفسيرها ، حيث (وقع في نفسه ان الذي قالا له كائن من امر الحبشة ، فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ، فأسكنهم الحيرة، فمن بقية ربيعة بن نصر ، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة)[5] . فيتبين منها ان (ربيعة بن نصر) كان مقيماً باليمن ، وقد أقام بها حياته، وان بنيه هم الذين ذهبوا الى العراق . ولكنها لم تشرح كيف وجد (ربيعة) في اليمن وكيف حكمها وهو من لخم ؟ وهي رواية شاذة ، دسها بعض المتعصبين لليمن — على ما يظهر — على (ابن اسحاق) ، فدونها في أخباره . وقد دست أخبار وأشعار على ابن اسحاق ، فرواها وصدق بها من غير نقد ولا تحقيق . وللعلماء رأي فيه .

ويزعم بعض أهل الأخبار ان (سطيحاً) و (شقاً) أخبرا (ربيعة بن نصر)

---

١ الطبري (١/٦١٤ ، ٦٢٧) ، (دار المعارف) .
٢ الطبري (٢/٦١ ، ١١٢) ، (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/٦١ ، ١١١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
٤ (فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان أسعد الطبري (٢/١١٢ ، ١١٥) .
٥ الطبري (٢/١١٤) .

في تأويلها لرؤيا بما يكون من غلبة الحبش على أرض اليمن،وبغلبة الفرس بعدهم. فلما سمع بذلك ، أوجس في نفسه خيفة ، فأحب ان يخرج ولده وخاصة اهله من ارض اليمن ، فوجه ابنه عمراً الى يزدجرد بن سابور،أو الى سابور ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بنيت ، فضم عمرو اليه اخوته وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل لخم الى الحيرة ، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً ، فلما مات خلفه من بعده ابنه (جذيمة بن عمرو)[1] .

وزعم (الدينوري) ان وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام (قباذ بن فيروز) وانه بوفاته رجع الملك الى حمـير ، فملك ذو نواس من بعده ، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران نفسه . فأرجع ايام ربيعة الى قباذ (قباد) ، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون[2] . وجعل ذا نواس المالك من بعده ، وقد عاش ذو نواس بعد قباذ أمداً ، فخالف في ذلك التأريخ وأقوال الأخباريين .

ووصف (الطبري) عمرو بن عدي،فقال عنه : (هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، واليه ينسبون ، وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأطول ، لا يدين لملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس)[3] .

وذكر الطبري أن الحيرة خربت بعد هلاك بختنصر ، لتحول النـاس عنها الى الأنبار ، وبقيت خرابـاً الى أن عمرت في زمن عمرو بن عدي ، باتخاذه إياها منزلاً[4] .

وثَمَّ رواية تنسب نصراً الى الساطرون ملك الحضر[5] ، وتجعل آل نصر من الجرامقـة ، من (رستاق باجرمي)[6] ، ورواية أخرى تجعل ملوك الحيرة من

---

١ الاخبار الطوال (٥٦) .

٢ الاخبار الطوال (٦٢ وما بعدها) .

٣ الطبري (١/٦٢٧) ، (دار المعـارف) ، حمـزة (٦٥) ، مفاتيح العلـوم ، للخوارزمي (٦٨) .

٤ الطبري (٢/٤٣) ، (دار المعارف) .

٥ Rothstein, S. 42.

٦ (وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستـاق يدعـى باجرمي) ، معجـم الشعراء ، (٢٠٥) ، Rothstein, 42.

(أشلاء قنص بن معد) . فقد ذكر أن (عمر بن الخطاب) لما أتى بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال: يا جبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من اشلاء قنص بن معد . وهو من ولد عجم بن قنص ، إلا ان الناس لم يدروا ما عجم ، فجعلوا مكانه لخماً ، فقالوا هو من لخم ونسبوا اليه[1] . وكان جبير من أنسب العرب[2] . والذي عليه اكثر أهل الأخبار ان (آل نصر) هم من اليمن ، كانوا قد تركوا اليمن وهاجروا حتى استقروا بالعراق ، ونزلوا الحيرة ، وأسسوا ملكهم بها[3] .

ويذكر الأخباريون ان عمراً انتقم من الزباء لقتلها جذيمة ، ورووا في ذلك رواياتهم المرصعة بالشعر والأمثال[4] . وهي روايات لا تستند الى اسس تاريخية ، اذا قصدوا بذلك الزباء ملكة تدمر التي عرفنا تأريخها ونهايتها في مكان آخر من هذا الكتاب .

وجعل (الدينوري) مدة حكم (عمرو بن عدي) نيفاً وستين سنة[5] .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه امرؤ القيس . ويقال له امرؤ القيس البدء وامرؤ القيس الأول . أما امه ، فهي ماوية بنت عمرو اخت كعب بن عمرو الأزدي على رواية حمزة[6] . وقد عاصر جملة من ملوك الفرس ، هم : سابور ابن أردشير (شابور بن أردشير)[7] ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن بهرام ، ونرسى بن بهرام بن بهرام ، وهرمز بن نرسى ، وسابور ذو الأكتاف على رواية تجدها مدونة في تأريخ حمزة. وجعل مدة ملكه مئة واربع عشرة سنة ، وهي مدة تتفق مع ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي .

---

١ الروض الانف (١/١٨) .
٢ الجاحظ ، البيان (١/٣٠٣) .
٣ مفاتيح العلوم (٦٨) .
٤ الطبري (٢/٣٥) ، الكامل (١/١٣٧) ، الاغاني (١٤/٧٣) ، الامثال للميداني (١/١٥٨ ، ٢٤٦) ، ابن دريد ، المقصورة (١٧) ، مروج (٢/١٧ وما بعدها) ، حمزة (٥٨) .
٥ المعارف (٢٨٢) .
٦ حمزة (٦٦) .
٧ الطبري (٢/٦٤) ، حمزة (٦٧) .

غير اننا اذا ما وازنا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك الفرس الذين حكم (امرؤ القيس) في ايامهم ، وفي مدة حكمه في عهد كل ملك من هؤلاء الملوك[1] . وبين ما ذكره حمزة نجد اختلافاً في العدد واختلافاً في المدة ، مما يدل على ان حمزة نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري[2] .

وإذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكم تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يعينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين في نظر أصحاب تلك الروايات ، ولِمَ لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة اطالة أعمار الملوك الأولين ، فملك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة .

غير اننا نلاحظ انهم بخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحوهم هذه النعمة ، نعمة إطالة مدة الحكم او مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن اولئك الرواة ، بعيد عن ايام تدوين اخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما اعطوه من سبقهم من الملوك جملاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بـ (المحرق)[3] ، ونعت ايضاً بـ (محرق الحرب)[4] . ونصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد اطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة ايضاً[5] . وهم يرون انها لقب ألحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا اعدائهم في اثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار . ويرى (روتشتاين) انه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح في نظره انها اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ، ولذلك قيل (آل محرق) لا (آل المحرق)[6] .

---

١ الطبري (٦٥/٢) .

٢ حمزة (٦٧) .

٣ المعارف (٢٨٢) .

٤ Rothstein, S. 64.

٥ (ومحرق أيضا : لقب الحرث بن عمرو ملك الشام من ال جفنة ، وانما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم ، فهم يدعون ال محرق) ، اللسان (حـرق) .

٦ Rothstein, S. 47.

وفي أصنام الجاهليين صنم يدعي محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع (سلمان)[1] . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق[2] ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم،كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق أو أنه قدم قرباناً لهـذا الإلـه أحرقه على مذبحه بالنار ، وكان يكثر من حرق القرابين للآلهة ، وتلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقيل له لذلك المحرق ؟ والى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين[3] .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، وقد اقترن اسمـه بالدروع . وورد (بردي محرق) كما اقترن اسمه بـ (نسيج داوود) ، ممـا يدل على أن هـذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً في أساطير الجاهليين[4] .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق[5] ، وذلك يدل على أن (محرقاً) في هذا الموضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين[6] .

ومما حكاه الأخباريون عن هذا الملك انه كان قد تنصر ، وانه لذلك أول من تنصر من آل نصر[7] . وهو أمر يحتاج الى دليل،كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً وانه كان عاملاً للفرس (على فرج العرب من ربيعـة ومضر وسائر من باديـة العراق والحجاز والجزيرة)[8] .

ويظن بعض الباحثين ان امرأ القيس ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص (النمارة) . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره الينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨

---

١ J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.

٢ Rothstein, S. 48.

٣ Reste, S. 57.

٤ Rothstein, S. 49.

٥ الاغانـي (٨/٦٥) .

٦ Rothstein, S. 49.

٧ الطبري (٢/٦٥) ، ابن خلدون (٢/٢٦٣) .

٨ الطبري (٢/٦٤ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/١٧١) .

للميلاد ، المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم بصرى ، التقويم المعمول به في تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس[١] .

ويظهر من نص النمارة ان امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائداً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد ونزار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى (شمر يهرعش) (شمر يرعش) ، فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . وروايات فتوحات (شمر) ، هي روايات يمانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك .

وقد سبق لي أن بينت ان المستشرقين يرون ان (شمراً) المذكور في هذا النص أي صاحب (نجران) ، هو (شمر يهرعش) (شمر يرعش) . وقد ذكرته في باب (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) . ومعنى هذا ان (نجران) كانت في ملكه يوم أغار (امرؤ القيس) عليها فوصل أسوارها ، ويظهر انه لم يتمكن منها وانه فرض سلطانه على القبائل الساكنة في البادية ، فاعترفت بسيادته عليها . ولهذا لقب في النص بلقب (ملك العرب كلهم الذي نال التاج) ، وختمت الكتابة بجملة « فلم يبلغ ملك مبلغه » ، وهي جملة تعبر عن اتساع ملكه وامتداده مسافات شاسعة .

ويظهر من ورود كلمة (التبع) أي التاج في هذا النص ان هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين في ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وانها وردت بالمعنى المفهوم منها في الزمن الحاضر، أي ما يوضع على الرأس تعبيراً عن الملك والحكم .

ويفهم من هذا النص أن (امرأ القيس) كان قد بسط سلطانه على كل العرب ، أي الأعراب ، فملكهم وملك خاصةً (بني نزار) و (أسد) وقبائل (معدّ) ، وأنه نصب أولاده على القبائل ليضمن طاعتها وخضوعها له ، وأن

---

١ François Nau, Les Arabes Chrestiens, P. 32, Réné Dussaud, Arabes en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907, P. 35, REP. EPIG., I, (1900-1905), 361, NR. 483, R. Dussaud, Mission, 314, J. Cantineau, Le Nebatéen, 1932, 49, Die Araber, II, S. 313.

سلطانه بلغ بذلك حدود أرض اليمن . فامتد حكمه إذن من الحيرة وبلاد الشام الى نجد والحجاز ، حتى بلغ حدود مدينة (نجران) . وقد كانت منازل (معد) في الحجاز وفي ضمن أرضها (مكة) وتمتد الى (نجران)[1] .

ويظهر من دفن (امرىء القيس) في موضع (النمارة) من بلاد الشأم أن (امرأ القيس) كان في بلاد الشأم حينما نزل به أجله.ويرى بعض الباحثين أنه كان قد جاء الى بلاد الشأم ، لأنه كان من حزب (بهرام) الثالث ومن مؤيديه ، فلما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) (٢٩٣ — ٣٠٢م) (٢٩٣ — ٣٠٣) ، خرج امرؤ القيس من العراق ، وقصد بلاد الشأم ، فأقام هناك . ومال الى الروم فأيدوه وأقروه على عرب بلاد الشأم ، فيكون قد عمل للفرس وللروم معاً[2] .

وكتابة (النمارة) هي شاهد قبر ملك عربي يدعى (امرأ القيس) ، عثر عليها في موضع (النمارة) وهو في الحرة الشرقية من جبل الدروز ، ويرجع تأريخها الى اليوم السابع من شهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) من تقويم (بصرى) أي في اليوم السابع من شهر كانون الأول من سنة (٣٢٨) بعد الميلاد[3] . دوّنت على ضريح الملك ، وهو بناء مربع ، لتكون دليلاً للناس يعرفون منها اسم صاحب القبر . وتتألف من خمسة أسطر ، هذا نصها :

١ — تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج .
٢ — وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدى وجا .
٣ — بزجى في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
٤ — الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
٥ — عكدى . هلك سنة ٢٢٣ يوم بكسلول بلسعد ذو ولده[4] .

---

١ Die Araber II, S. 321.

٢ رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) ، Die Araber, II, S. 319.

٣ REP. EPIG., I, VII, P. 361, No. 483, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154.

٤ ولفنسون (١٩٠) ، زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٣) ، Lidzbarski, Ephemeris, Zweiter Band, Erster Heft, S. 34, REP. EPIG., I, VI, P. 362, Dussaud, Nabatéo-Arabe D'An-Nemara in Rev. Arch., 1902, II, 409-421, Halevy, In Rev. Sém., 1903, P. 58-62, Peiser Die Arabische Inschrift Von En-Nemara in Orientalist. Literatur-Zeitung, VI, 15, Col. 277-281.

وإذا أردنا تقريب هذه الكتابة الى أفهامنا وتدوينها بلهجتنا العربية، لهجة القرآن الكريم ، كتبناها على هذا الشكل :

١ – هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
٢ – وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم ، وهزم مذحجاً بقوته وقاد .
٣ – الظفر الى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معدّاً واستعمل أبناءه على
٤ – القبائل . ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ – في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول . ليسعد الذي ولده[١] .

وقد استدل المستشرقون من عبارة (ذو أسر التاج) (الذي نال التاج) على أن صاحب هذا التاج هو من الملوك الذين كان لهم اتصال بالفرس، وان المقصود به ملك من ملوك الحيرة ، لوجود صلة لهم بالانبراطورية الفارسية[٢] . ودعواهم في ذلك ان هذه الجملة ، وكلمة (تج) (تاج) هما من الاصطلاحات المستعملة عند الفرس وعند من خالطهم من الملوك ، فلا بـد أن يكون حاملها من الملوك المحالفين لهم . وكلمة (تاج) من الألفاظ المعربة عن الفارسيـة ، من أصل (تاك)[٣] . ولما كان هذا ملكاً عربياً ، فهو اذن امرؤ القيس ملك الحيرة[٤].

---

١ تختلف الترجمات بعضها عن بعض بعض الاختلاف ، بسبب اختلاف العلماء في القراءات ، راجع جواد علي : تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/٤٣٧ وما بعدها) ، René Dussaud, Mission, 1903, P. 314-323, R. Dussaud, in Revue Archéologique, 1902, III, Tome 41, PP. 409-421, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam. P. 34 Hommel, Grundriss, I, S. 155, Clermont-Ganneau, Recueil D'Archéologie Orient, VI, P. 395, VII, P. 167.

٢ زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، تأريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣/٤٤١) .

٣ غرائب اللغة (٢٢١) .

٤ Hommel, I, S. 155, De Lagarde, Armen. Stud., 834.

وكان من عمال (سابور بن أردشير) و (هرمز بن سابور) و (بهرام ابن سابور) (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة) في تأريخ الطبري[1] . وورد في تأريخ ابن خلدون نقلاً عن (السهيلي) : ان (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس على مذحج وربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز[2] . ويظهر ان المورد الذي نقل منه (السهيلي) و (الطبري) يرجع الى منبع واحد ، هو (ابن الكلبي) . وما رواه (ابن الكلبي) يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص (النمارة) من أمر ملك وفتوح (امرىء القيس).

و (شمر) صاحب مدينة (نجران) ، هو (شمر يهرعش) في رأي أكثر المستشرقين ، وينطبق زمانه على زمان (امرىء القيس)[3] . واذا صح هذا الرأي نكون قد حصلنا على أول نص عربي جاهلي يشير الى حرب نشبت بين مملكة الحيرة ومملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) في عهد أول ملك من ملوكها وهو (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يرعش) عند الاسلاميين .

وفي روايات الأخباريين ما يؤيد نشوب حرب بين عرب الحيرة وعرب اليمن في ايام (شمر يرعش) ، غير انها تناقض هذا المدون في النص عن تغلب (امرىء القيس) على نجران مدينة (شمر) . فـ (شمر) عندها بطل من الأبطال ، فتح الفتوح العظيمة ، وبلغ ملكه حداً لم يصل اليه ملك (اسكندر ذي القرنين) . وعندهم أيضاً انه هو باني مدينة (سمرقند) ، وهو الذي حيّر (الحيرة) . وهو تبع الأكبر وهو وهو ، على حين هو — في هذا النص — ملك مغلوب ، لم يتمكن من الوقوف أمام (امرىء القيس) الذي بلغت جيوشه مدينة (نجران). فهل تجد تناقضاً أغرب من هذا التناقض ؟ على اننا لو فرضنا ان (شمراً) صاحب نجران هو رجل آخر غير (شمر يرعش) ، فهذا النص يهدم بنيان الأخباريين اليمانيين القائم على أساس المبالغة في المفاخرات والمباهاة بالأجداد نكاية بالعدنانيين الذين تعالوا عليهم في الاسلام بفضل النبي وشرف الاسلام،فأحفظهم[4] ذلك جداً .

وقد سبق أن تحدثت عن عثور العلماء منذ عهد غير بعيد على نص أشار الى

---

١ الطبري (٢/٦٤ وما بعدها) .
٢ ابن خلدون (٢/١٧١ وما بعدها) ، (بولاق ١٢٨٤ هـ) .
٣ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (٣/١٤١ وما بعدها) .
٤ أغضبهم .

غزو غزاه قائد من قوّاد (شمس) على (ملك أسد) وأرض (تنوخ) التي تخص الفرس ، وذكرت أن (شمر) المذكور هو (شمر يهرعش) في رأي الباحثين[1] . وقد تحدثت عنه حديثاً فيه الكفاية في موضعه ، وفي أثناء كلامي على (شمر يهرعش) ، فلا حاجة بي هنا لإعادة الكلام عليه .

ويرى بعض الباحثين أن (المشتى) الأثر الشهير المعروف الذي نقلت أحجار جدرانه المزخرفة الى متحف (قيصر فريدرش ويلهم) ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء (امرىء القيس) . وقد استدلوا على ذلك بطراز بنائه الذي يشبه الطراز (الحيري) على رأيهم ، وذهبوا الى أنه أقامه في هذا المكان بعد فراره من أرض الحيرة ومن الساسانيين سنة (٢٩٣ م) ، ليكون قصر له وحصناً يدافع به عن ملكه الجديد[2] .

ويذكر الطبري ان وفاة (امرىء القيس) كانت في عهد (سابور) ، أي سابور ذي الأكتاف (٣١٠ — ٣٧٩ م) ، وأنه كان عامل (سابور) على ضاحية مضر وربيعة ، وان سابور استعمل ابنه عمرو بن امرىء القيس في مكان والده[3] .

وحكم بعد امرىء القيس البدء ابنه عمرو . وامه هند بنت كعب بن عمرو على رواية[4] ، و (مارية البرية) أخت (ثعلبة بن عمرو) من ملوك الغساسنة في رواية أخرى[5] . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف (٣١٠—٣٧٩م) وأخاه (أردشير بن هرمز بن نرسي) (٣٧٩ — ٣٨٣ م) وسابور بن سابور (سابور الثالث) (٣٨٣ — ٣٨٨ م)[6]. وقد نعته بعض الأخباريين بموقد الحرب (مسعر حرب) . وذكروا انه حكم خمساً وعشرين سنة[7] . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على انه كان محارباً، ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Die Araber, II, S. 258, 318, 320.

٣ الطبري (٢/٦١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ حمزة (ص ٦٧) .

٥ المروج (٣/١٩٩) ، (٢/٢٣) ، (طبعة دار الرجاء) .

٦ الطبـري (٢/٧٠) .

٧ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة (ص ١٠٠) .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى ان مارية التي ضرب المثل بقرطيها فقيل قرطا مارية ، هي مارية هذه ام عمرو[1] .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرىء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عمراً ابن امرىء القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً[2] .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين في مدة حكمه أقوال عدة تتراوح عندهم من ٢٥ سنة الى ٦٠ سنة[3] . وقد ذكر الطبري ان عمراً (بقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أردشير بن هرمز بن نرسي ، وبعض أيام سابور بن سابور) ، ثم قال ان جميع مدة ملكه فيما ذكره ابن الكلبي ثلاثين سنة[4] . واذا أخذنا برواية الطبري المذكورة ، تكون مدة حكمه حوالي الستين سنة ، ومعنى هذا ان عمراً كان قد عمّر أكثر من ستين سنة،وانه توفي بعد وفاة سابور ذي الأكتاف وبعد سنة (٣٨٣ م) ، لأن حكم (سابور بن سابور) المعروف عند المؤرخين بـ (سابور) الثالث كان في حوالي السنة (٣٨٣ م) . فقد تولى سابور هذا الحكم فيما بين (٣٨٣) حتى سنة (٣٨٧) أو (٣٨٨ م)[5] . واذا أخذنا برواية من يقول انه حكم (٢٥) سنة ، أو (٣٠) ، وجب أن تكون وفاته في أيام (سابور ذي الأكتاف) .

وقد جعل الطبري في موضع آخر من تأريخه وفاة (عمرو) في عهد (سابور ابن سابور) ، أي (سابور) الثالث[6] . وبذلك يكون قد أطال مدة حكمه وعمره .

ويذكر الطبري أن (سابور بن سابور) استخلف (على عمله أوس بن قلام في قول هشام) ، وذلك بعد مهلك (عمرو)[7] . ولم يذكر الأسباب التي حملت سابور على هذا التعيين . ويظهر أنه كان من أسرة غريبة عن أسرة (آل لخم)

---

١ البسامة (ص ١٠١) .
٢ اليعقوبي (١/١٧٠) .
٣ الطبري (٢/٧٠) ، ابن الاثير (١/١٥٨) ، حمزة (٦٧) ، مروج (٣/١٩٩) .
٤ الطبري (٢/٦٢) ، (دار المعارف) .
٥ Ency. 4, P. 178.
٦ الطبري (٢/٦٥) .
٧ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

الحاكمة . ويرجع ابن الكلبي نسبه الى العماليق ، فيقول إنه من (بني عمرو بن عمليق)[1] . وذكر حمزة نسبه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان العمليقي[2] . وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق[3] .

ويتبين من خبر ورد في (الأغاني) أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم في الحيرة ، وهي من بني الحارث بن كعب[4] . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه الأسرة ، ذكر انه بنى ديراً في الحيرة[5] .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً،وكل ما نعرفه عنه انه حكم خمس سنوات[6]. وان امرءاً اسمه (جحجبن بن عتيك بن لخم) (جحجبا) ثار به فقتله على رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري[7] . أما حمزة فذكر اسمه ونسبه على هذه الصورة، (ححجنا بن عبيل أحد بني فاران) . وقال : (قال ابن الكلبي : وهو فاران ابن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وححجنا منهم . فقتل ححجنا أوساً ، فرجع الملك الى آل بني نصر)[8] .

فنحن إذن أمام روايتين في أصل جحجبي (جحجبا) أو ححجنا : رواية ترجعه الى لخم ، ورواية أخرى ترجعه الى بني فاران ، وترجع بني فاران الى (عمرو بن عمليق) ، أي الى العشيرة التي رجع الأخباريون نسب أوس بن قلام اليها ، إذن فهو بموجبها من العماليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم هذا الثائر في جحجبا أو حججنا ، وفي عتيك أو عبيل ، فيمكن رَجْعُهُ الى خطأ وقع في تدوين الروايات ، إما سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فمن هذين نشأ لدينا هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت (جَحْجَبَى) على الثورة والمنافع

١ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٢ حمزة (ص ٦٧) .
٣ ابن خلدون (٢/٤٨) .
٤ الاغاني (٢/١٨ ، ٢٦) .
٥ Rothstein, S. 64.
٦ الطبري (٢/٧٢) ، (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) ، حمزة (ص ٦٧).
٧ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٨ حمزة (ص ٦٧) .

التي جرّها لنفسه منها . وكل ما ذكروه عنه انه ثار به جحجبي فقتله ، وان هلاكه كان في عهد (بهرام بن سابور) (٣٨٨ — ٣٩٩ م) ، وان (بهرام) استخلف بعده في عمله (امرىء القيس البدء بن عمرو بن امرى القيس البدء) خمساً وعشرين سنة . وكان هلاكه في عهد يزدجرد الأثيم[1] .

فيتبين من ذلك ان (جحجبا) (جحجبى) ، قاتل أوس ، لم يحكم الحيرة وان حكمها عاد فانتقل الى آل نصر .

ولم يذكر اليعقوبي أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجبا (جحجبى)، بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرىء القيس هو المنذر بن امرىء القيس ، ونعته بالمحرق ، نعته بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم،فسمي لذلك محرقاً، وجعل بعده النعمان[2] .

ولم يذكر المسعودي كذلك أوس بن قلام ولا جحجبا (جحجبى) ، بل ذكر النعمان بن امرىء القيس رأساً بعد عمرو بن امرىء القيس ، وقال انه قاتل الفرس خمساً وستين سنة ، وان أمه الهيجانه بنت سلول ، وكانت من مراد أو من إياد[3] .

وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدء[4]. أما حمزة فلقبه بالبدن[5] . وأظن ان مرد هذا الاختلاف خطأ وقع في الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من كلمة البدء أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير ان بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن عمرو بن امرىء القيس الكنـدي ، فبقي خمساً وعشرين سنـة ، وهلك في أيام يزدجرد الأثيم[6] ، واضافة الكندي الى امرىء القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو أحد من الأخباريين ان امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف ان ابن الأثير قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى ليمكن أن يقال انه اختصره ، والعبارتان خلا زيادة كلمة (الكندي) متشابهتان،ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث هذه الزيادة في تأريخ ابن الأثير إما من النساخ وإما من ابن الأثير نفسه ، إذ

---

١ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٢ اليعقوبي (١/١٧٠) .
٣ مروج (٢/٢٣) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٤ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف) .
٥ حمزة (ص ٦٧) ، (ثم امرؤ القيس البدن) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٦ ابن الاثير : الكامل (١/١٧٦) .

استعجل دون تفكير فأضاف كلمة الكندي الى نسب امرىء القيس،لشهرة امرىء القيس الكندي .

ولا نعرف من خبر امرىء القيس شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وانه أول من عاقب بالنار . وفي روايته هذه انه حكم إحدى وعشرين سنة[1] . أما الطبري ، فذكر انه حكم خمساً وعشرين سنة[2] .

وذكر الطبري أن (يزدجرد) المعروف بالأثيم (٣٩٩ — ٤٢٠ م) ، الذي في أيامه كان هلاك (امرىء القيس) استخلف مكان (امرىء القيس) ابنه (النعمان) . وهو فارس حليمة ، وصاحب الخورنق[3] .

وهذا النعمان المعروف عند المؤرخين بالنعمان الأول ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، وهو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي . أما أمه ، فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان[4] ، وهي أخت عمرو المزدلف .

وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح[5] .. وكان له شقيق من أمه شقيقة ، هو (حسان بن زهير)[6] .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكاية في عدوّه . غزا عرب الشأم مراراً كثيرة فسبى منهم وغنم . وكان يغزو بكتيبتين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها الفرس. يغزو بهما من لا يدين له من العرب[7] . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطش من دوسر[8] . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : الرهائن

---

١ حمزة (ص ٦٧) ، (وهو محرق الاول ، لانه أول من عاقب بالنار) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٢ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٣ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٤ الطبري (٢/٦٥) (طبعة دار المعارف) ، ابن الاثير (١/١٧٦) ابن خلدون (٢/٤٨) .
٥ حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٦ حمزة (ص ٦٨) .
٧ الطبري (٢/٧٣) ، (٢/٦٧) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) .
٨ الميداني : مجمع الامثال (١/٧٨) ، (ضربت دوسر فيه ضربة) ، اللسان (٤/٢٨٥) ، (صادر) ، مادة (دسر) .

والصنائع والأشاهب ، والكتيبتان المذكورتان . أما الرهائن ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلهم خمسمائة أخرى ، وينصرف أولئك الى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما الصنائع ، فهي : بنو قيس وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .

وذكر أنه كانت له كتيبة تسمى (الوضائع)،وقوامها ألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة نجدة لملوك العرب،وكانوا يقيمون سنة،ثم يأتي بدلهم ألف رجل ، وينصرف أولئك[1] .

وقيل إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يفدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، الى النعمان وبقية من تولى الملك بعده ، وقد صيّر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربع الغنيمة في الحرب والغزو[2] .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة النعمان بأنه فارس حليمة[3] ، أي معركة حليمة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لا في أيام النعمان على روايات آخرين[4] .

وإلى النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : انه بناه لبهرام جور بن يزدجرد الأول (٣٩٩ — ٤٢٠ م) المعروف بالأثيم . وكان يزدجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام،فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب[5] .

---

١ بلوغ الارب (١٧٦/٢) .
٢ بلوغ الارب (١٧٦/٢) .
٣ الطبري (٦٥/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٤ البلدان مادة حليمة ، الميداني : مجمع الامثال (٢٣١/١) ، (١٥٠/٢) .
٥ الطبري (٧٣/٢) (٦٥/٢) (دار المعارف) الاغاني (١٤٤/٢) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

وذكر (السهيلي) ان الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنياناً عجيباً لم تر العرب مثله . واسم الذي بناه له سنمار ، وكان بناه في عشرين سنة [1] . ويذكر بعضهم انه بني على نهر (سنداد)[2].

وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنمار، وهو في زعم الأخباريين بنّاء رومي كلفه النعمان بناء القصر ، فلما انتهى منه وكمل تعجب من حسنه واتقان عمله ، وبدلاً من أن يوفيه النعمان وفاءً حسناً ، أمر به فطرح من رأس الخورنق ، فمات في قصص يرويه الأخباريون . ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيء ، فيقال (جزاه جزاء سنّمار)[3].

وقد وردت قصة سنمار في أبيات تنسب لعبد العزى بن امرىء القيس الكلبي، وكان أهدى افراساً الى الحارث بن مارية الغساني ووفد عليه ، فأغره واكرمه ، ثم عاقبه لما بلغه خبر وفاة ولد للحارث وكان قد استرضعه لدى بني الحميم بن عوف من بني عبد ودّ من كلب ، نهشته حية فتوفي ، فظن الملك انهم اغتالوه، لذلك طلب من عبد العزى أن يجيء بهم اليه . فلما أبى ، انزل به العقاب . وقد

---

١ الروض الانف (٦٧/١) ، (والخورنق : نهر · والخورنق : المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب ، فارسي معرب ، أصله خرنكاه ، وقيل : خرنقاه معرب · قال الاعشي :

ويجيء اليه السيلحون ودونها   صريفون في أنهارها والخورنق

والخورنق : نبت · والخورنق: اسم قصر بالعراق، فارسي معرب، بناه النعمان الاكبر الذي يقال له الاعور ، وهو الذي لبس المسوح فساح في الارض) ،اللسان (٧٩/١٠) ، مادة (خرنق) ·

٢ بلوغ الارب (٣٨٦/١) ·

٣ الطبري (٦٥/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، البلدان (١/٢ وما بعدها) ، دائرة المعارف الاسلامية (٣٥/٩) ، الميداني ، مجمع الامثال (١٦٧/١) ، البكري ، معجم (٥١٦/٢) ، (وسنمار : اسم رجل اعجمي ، قال الشاعر :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا   جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وحكي فيه السنمار بالالف واللام · قال أبو عبيد : سنمار اسم اسكاف بني لبعض الملوك قصرا ، فلما أتمه أشرف به على اعلاه فرماه منه غيرة منه أن يبني لغيره مثله ، فضرب ذلك مثلا لكل من فعل خيرا فيجزى بضده · وفي التهذيب: من أمثال العرب في الذي يجازي المحسن بالسوأى قولهم : جزاه جزاء سنمار · قال أبو عبيد : سنمار بناء مجيد رومي فبنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان ابن المنذر ، وفي الصحاح : للنعمان بن امرىء القيس ، فلما نظر اليه النعمان كره ان يعمل مثله لغيره ، فلما فرغ منه القاه من اعلى الخورنق فخر ميتا ،،، اللسان (٣٨٣/٤) (صادر) ، مادة (سنمر) ·

ورد في هذه الأبيات ان سنمار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميد والسكب ، فلما كمل البناء وآض كمثل الطود ، وظن سنمار انه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقذفه من فوق برجه فيموت . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات إبن جفنة ، كما اشير الى (المرء حارث) ويقصد به الحارث الغساني[1] .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية (سنمار) الى (أحيحة بن الجُلاّح) . فذكروا ان أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له (سنمار) . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له (سنمار) : « اني لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم ، فخرّ ميتاً[2] .

وقد ذُكر (جزاء سنمار) في شعر لأبي الطمحان القيني ،وآخر لسليط بن سعد وآخر ليزيد بن إياس النهشلي[3] .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير[4] .

ويتبين من روايات أهل الأخبار عن (الخورنق) و (السدير) ان القصر الأول لم يكن بعيداً عن الحيرة ، وانما كان على مقربة منها ، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة . أما (السدير) ، فكان على مسافة بعيدة ، وقد ورد انه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشأم .

---

١ (ودعا ابنيه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما الى قومه :

جزاني جزاه الله شر جزائه … جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة … يعلي عليه بالقراهيد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه … وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فاتهمه من بعد حرس وحقبة … وقد هره اهل المشارق والغرب
وظن سنمار به كل حبرة … وفاز لديه بالمودة والقرب
فقال :اقذفوا بالعلج من فوق برجه … فهذا لعمرالله من أعجب الخطب)

الطبري (٢/٦٦ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ الميداني ، مجمع الأمثال (٢/١٦٧) .

٣ الطبري (٢/٦٦) (دار المعارف) .

٤ البلدان (السدير) ، حمزة (ص ٦٨) ، البكري (٣/٧٢٩) ، الروض الأنف (١/٦٦) .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للسدير ، ومن انه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة [1] ، ومن وصفهم للخورنق ، ان السدير لم يكن في مثل ضخامة قصر الخورنق ، وان الخورنق كان قصراً كبيراً أعدّ للسكنى وليكون حصناً يهيمن على مشارف البادية .

ويرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن من بناء (النعمان) ، وأنه انما بني قبل ذلك ، ويرى أن النعمان قد أسكن (بهرام) فيه[2] .

وقد ورد ذكر الخورنق في شعر لحسان بن ثابت :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق[3]

وقد ذهب بعض شرّاح هذا البيت الى أن المراد بـ (ابن منذر) (عمرو ابن هند) ، وأن المراد من (أبي قابوس) ، (النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن عدي اللخمي) ، الذي لبس المسوح وساح في الأرض ، والذي نعته الشاعر عدي بن زيد العبادي بـ (رب الخورنق)[4] . وهو تفسير ينسجم مع رأي المؤرخين في باني القصر ، إلا أنه يتعارض معهم في تسمية الملك ، فالمعروف عندهم أن (ابا قابوس) هو (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة ، وهو قاتل الشاعر (عدي بن زيد العبادي) لا (النعمان السائح)[5]. ولا يوجد أحد غيره عرف عندهم بـ (أبي قابوس) . وقد حكم هذا بعد (عمرو بن هند) بأمد، فيكون هو مراد الشاعر المذكور . غير ان هذا يدفعنا الى تخطئة (حسان) في نسبة الخورنق الى هذا الشاعر ، أو تخطئة المؤرخين في نسبتهم القصر الى (النعمان

---

١ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهدلي أي ثلاث شعب أو ثلاث متداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية ، كأن أصله سادل أي قبة في ثلاث قباب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سدلي ، فأعربته العرب ، فقالوا سدير . والسدير : النهر ، وقد غلب على بعض الانهار ، قال :

الابن امك ما بدا ولك الخورنق والسدير

التهذيب : (السدير نهر بالحيرة) ، اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، نهاية الأرب (٣٨٥/١ وما بعدها) .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، أرثر كريستين ، ترجمة يحيى الخشاب (ص٢٦٠) .

٣ البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الخورنق (ص ٢٨٧) .

٥ المحبر (٣٥٨ وما بعدها) .

السائح) . والذي اراه ان هذا التفسير ، لا يتعارض مع روايات المؤرخين في باني القصر ، وان مراد الشاعر من (ومثل أبي قابوس رب الخورنق) ، انه صاحب الخورنق ، اي مالكه والنازل فيه ، لا الباني له . وقد ذكره لشهرة القصر في ايامه وبذلك فلا يقع التعارض بين التفسيرين ، ويكون الملك المقصود هو (النعمان أبو قابوس) .

وممن اشار الى القصرين : الخورنق والسدير في شعره من الشعراء الجاهليين ، المنخل ، قال :

واذا صحوت فـانني	رب الشريهـة والبعير
واذا سكرت فـإنني	ربّ الخورنق والسدير

وقد نشأ لقب (السائح) الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرويها الاخباريون عن هذا الملك ، وهي ان النعمان جلس في يوم من ايام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار ... فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والانهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فيمَ ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما ابطأ الإذن عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجدوه ، وساح الملك منذ ذلك الحين في الارض ، فلم يره انسان[1] .

ويلحق الاخباريون بهذه القصة ابياتاً ينسبونها لعديّ بن زيد العبادي . ذكروا انه خاطب بها النعمان بن المنذر ، هي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وانما اكتفى الشاعر بذكر ربّ الخورنق ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الاخباريين[2] .

---

١ الطبري (٧٣/٢ وما بعدها) ، (٦٧/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، المعارف (ص ٢٨٢) .

٢ الطبري (٦٧/٢ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٩) ، المعارف (ص ٢٨٢) ، نهاية الأرب (٣٨٧/١) .

والأبيات المنسوبة الى عديّ بن زيد ، وهي :

وتذكَّرْ ربّ الخورنق إذ فكّر يوماً ، وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى جهله ، فقال : وما غبطة حيّ الى الممات يصير ؟

تشير الى النعمان السائح ، وتذكر قصة مفارقته ملكه ، ولبسه المسوح واعراضه عن الملك بعد ان كان ملكاً . ولم يقصد بالنعمان : النعمان بن ابي سلمى صاحبه ، كما تصور بعض الناس [١] ويظهر انه نظمها للنعمان صاحبه على سبيل العظة والتذكير ، ليدخله في النصرانية ، وذلك بعد ان كان يتعبد للأوثان . وقد تمكن من التأثير فيه ، فأدخله فيها كما يذكر الاخباريون .

وقد ورد في بعض الروايات تنصر النعمان [٢] ، ونسب تنصره الى سلطان القديس (سمعان العمودي) (Symeon Stylites) عليه ، وكان يقوم ، بالتبشير بين أهل الحيرة [٣] . وذكر انه شفاه ببركته من مرض كان به ، فتنصر [٤] . وهي رواية في حاجة الى دليل . فلم يثبت ان آل لخم كانوا قد تنصروا في هذا العهد .

وقد ذكر الطبري ان تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن، تبع حمير ارسل حينما ولي الملك ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم الى بلاد معد والحيرة وماوالاها ، فسار الى النعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة . فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الاكبر ، وامه مــاء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون [٥] .

وقد استدرك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ، قال : (وقال هشام : ملك بعد النعمان بن المنذر ابنه المنذر بن النعمان ، وأمه

---

١ رسالة الغفران (٥٥٥) ، بتحقيق الدكتــورة عائشة عبد الرحمن ، بنــت الشاطىء) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧١) .
٣ شيخو : النصرانية (٨٢) .
٤ السمعاني (١/٢٤٧) ، الحيرة (١٥١) . Causin, 254.
٥ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٨٩ وما بعدها) (دار المعارف) .

هرّ ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني اربعاً واربعين سنة)[1] . وذلك يدل على ان هذه رواية اخرى منسوبة الى ابن الكلبي ايضاً ، ولكنه اخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الروايةُ السابقة ، وهي منسوبة ايضاً الى ابن الكلبي استهلها الطبري بقوله : (حدثت عن هشام بنْ محمد)[2] . وهو ابن الكلبي .

وحديث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للنعمان بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، يناقض ما رواه هو نفسه وما رواه غيره عن تنسك النعمان واعتزاله الملك وسياسته في الارض وعن اللقب الذي منحه الاخباريون إياه وهو (السائح) ويظهر ان ابن الكلبي وأضرابه رواة هذه الروايات كانوا قد اخذوا رواياتهم من مصادر عربية مختلفة ، غير مدونة ، فوقع هذا التناقض بين الروايتين .

وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في اثناء حديثه عن الاحداث التي وقعت بين العرب في ايام قباذ ، فقال : (وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرىء القيس ابن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الاكبر وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قباذ بن فيروز ملك الفرس الى الحارث بن عمرو الكندي : انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب ان ألقاك . وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء[3] . فجعل الطبري والد النعمان في هذه الرواية المنذر بن امرىء القيس مع ان والد النعمان المقصود هو امرىء القيس .

وقد ذكر الطبري ان ملك النعمان الى ان ترك ملكه وساح في الارض تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة[4] . واذا اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون ابتداء حكم الملك النعمان في سنة (٤٠٥ م) ، وتركه الملك واختيـاره في الارض وحياة الزهد في حوالى السنة (٤٣٤ م) . فقد حكم بهرام بن يزدجرد ، المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين فيما بين السنة (٤٢٠ م) والسنة (٤٣٨)[5] .

وصار عرش الحيرة بعد النعمان الى ابنه المنذر ، وكانت أم المنذر من غسان .

---

١ الطبري (٢/٩٠) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٢/٨٩) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٢/٨٩) (٢/٩٥) (دار المعارف) .

٤ الطبري (٢/٦٨) (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

وهي هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغساني [1] . اما المسعودي ، فذكر أنها : هند بنت الهيجانة من آل بكر [2] .

وقد ذكر الطبري ان يزدجرد لما ولد بهرام جور ، اختار لحضانته العرب ، فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام ، فسار به المنذر ، واختار لرضاعته ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة ، من بنات الأشراف ، وهن عربيتان وعجمية ، فأرضعنه ثلاث سنين ، فلما بلغ خمس سنين ، احضر له مؤدبين ، فعلموه الكتابة والرمي والفقه . وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس . ثم احضر له معلمي الفروسية ، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من أمهر الناس . وظل هذا شأنه لدى المنذر حتى مات يزدجرد . ففرح الناس بوفاته وقرر الاشراف والموبذان والمرازبة صرف الملك عن اسرة يزدجرد ، لسوء سيرته في الناس ، ونصبوا شخصاً آخر مكانه . فلما رأى بهرام ذلك ، طلب مساعدة المنذر ، فأرسل المنذر قوة بقيادة ابنه النعمان ، وسار هو على رأس قوة اخرى قوامها ثلاثون الفاً من فرسان العرب ، ومعه بهرام ، وبعد مفاوضات وافق الفرس على خلع من نصَّبوه كسرى عليهم ، وتعيين بهرام ، وبفضل هذه المساعدة استعاد التاج [3] .

وتناقض هذه الرواية كما نرى من الرواية السابقة التي دوّنها الطبري نفسه في تعليل سبب بناء الخورنق والتي تحدثت عنها قبل قليل . وقد فطن ابن الأثير الذي نقل الروايتين ايضاً لهذا التناقض ، فقال : (هكذا ذكر أبو جعفر ، في اسم بهرام جور ، ان اباه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد الأثيم انه سلم بهرام الى النعمان بن امرىء القيس . ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذاك ، الا انه لم ينسب كل قول الى قائله) [4] . وأبو جعفر هذا هو الطبري .

ولا نعلم شيئاً من أمر النعمان بن المنذر الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده بارسالها للتحرش بمملكة الفرس ، بعد ان رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم

---

١ حمزة (ص ٦٩) ، الطبري (٨٦/٢) ، (٦٨/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ مروج (٢٣/٢) .

٣ الطبري (٧٤/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، الاخبار الطوال (ص ٥٧ وما بعدها) ، تحقيق (فلاديمير جرجاس) (طبعة ليدن) ،
Nöldeke, Aufsätye, S. 104.

٤ ابن الأثير : الكامل (١٦٢/١) .

على نحو ما رأيناه في رواية الطبري الثانية [1] . فقد سكت الطبري عنه كما سكت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليعقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي ان يزدجرد دفع بهرام جور الى النعمان ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » . وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقيَ الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً . وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته [2] . فلم تنكر هذه الرواية رواية من زعم ان يزدجرد سلم ابنه الى النعمان ، ولم تنكر صلة المنذر ببهرام جور ، ولكنها كما نرى لم تشر الى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء النعمان الأول الخورنق لبهرام من كون ابنه هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً الى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده وهو بين عرب الحيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين انه كانت للمنذر منزلة عند (يزدجرد) . ذكر الطبري ان يزدجرد (دعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام،وشرّفه وأكرمه، وملّكه على العرب وحباه بمرتبتين سنيتين ، تدعى احداهما (رام أبزوذ يزدجرد) وتأويلها (زاد سرور يزدجرد) ، وتدعى الأخرى (بمهشت) وَتأويلها (أعظم الخول) ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته،وأمره أن يسير ببهرام الى بلاد العرب [3] .

وتناقض هذه الرواية رواية الطبري المذكورة في قصة بناء الخورنق ، ورواية بقية أهل الأخبار عن قصة بناء ذلك القصر ، وتؤكد ان وفاة (النعمان) الأول

---

١ الطبري (٢/٧٢) (دار المعارف) .

٢ اليعقوبي (١/١٣٢) .

٣ الطبري (٢/٦٨ وما بعدها) ، Rothstei,n S. 69.

كانت في أيام يزدجرد ، لا في أيام بهرام بن يزدجرد ، وتفيد ان انتقال الحكم الى المنذر كان في عهد يزدجرد .

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشأم ساحة لهجومه . والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، فكلف المنذر مهاجمة بلاد الشأم . ليخفف من شدة ضغط الروم عليه . غير ان التوفيق لم يحالف المنذر في هجومه هذا ، فمني بخسارة كبيرة وهو يحاول مع جيشه عبور الفرات ، فغرق أكثرهم في النهر . وكان ذلك في سنة ٤٢٩ م . ولحقت به خسارة أخرى في السنة نفسها ، أو في السنة التي تلتها حينما أعاد الكرة على الروم[١] . وقد ذكر المؤرخ (سقراط) (Socrates) المتوفى في حوالي سنة ٤٣٩ م غرق زهاء مئة ألف رجل من رجال المنذر في النهر ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وقد استند الطبري الى رواية يتصل سندها بابن الكلبي ، فجعل مدة حكم المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز ابن يزدجرد سبع عشرة سنة[٢]. وهذه الرواية تناقض روايات ابن الكلبي السابقة عن تولي المنذر الحكم في أيام يزدجرد الأثيم والد بهرام جور ، كما مرّ معنا . وقد أغفلت أمر (هرمز) وهو ابن يزدجرد ابن بهرام جور ، المعروف بالثالث ، الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٧ حتى السنة ٤٥٩ للميلاد . فإذا فرضنا أن حكم المنذر كان ثماني سنين وتسعة أشهر من زمان بهرام جور الذي حكم من حوالي السنة ٤٢٠ للميلاد حتى السنة ٤٣٨ للميلاد ، صارت السنة ٤٢٩ هي السنة ٤٣٠ للميلاد التي يجب أن تكون سنة توليه الحكم ، وإذا أضفنا الى هذا الرقم أربعاً وأربعين سنة ، وهي مدة حكم المنذر ، الى هذه الرواية ، صارت السنة ٤٧٣ — ٤٧٤ للميلاد ، هي سنة انتهاء حكم المنذر بوفاته . وتكون سنة وفاته إذن في زمن (فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور) الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٩ حتى السنة

---

١ Rothstein, S. 69, Socrates, VII. 18, Bar Hebraeus, Chron. Syriac., 75, Caussin, Essai, II 63. Noldeke, Sas., 86, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٢ الطبري (٢/٩٠) (دار المعارف) .

٤٨٤ للميلاد . وبحسب هذه الرواية يكون المنذر قد عاصر بهرام جور المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين وعاش في زمن يزدجرد الثاني ، وهو ابن (بهرام جور) . وفي زمن (هرمز بن يزدجرد) ، ثم في زمن شقيقه فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور[1] .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرّ ابنة النعمان من بني الهيجمانة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على رواية الطبري[2] . ومن لخم على حد قول حمزة[3] .

وأما (الدينَوري) ، فيذكر أن الذي ولي الملك بعد (النعمان بن امرىء القيس) الأعور والسائح ، أخوه (المنذر بن امرىء القيس) ، وكانت أمه من (النمر بن قاسط) ويقال لها : (ماء السماء) لجمالها وحسنها . وأبوها (عوف بن جشم) وقد ولاه (كسرى أنو شروان) العرش . وزعم أنه تزوج (هنداً) ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار ، وهي التي أولدته ثلاثة أولاد هم : عمرو بن هند المعروف بمضرط الحجارة ، وقابوس المعروف بقينة العرس ، والمنذر بن المنذر . وذكر أنه بقي ملكاً على الحيرة الى أن غزا (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، وهو الأعرج ، فقتله الأعرج بالحيار[4] .

وجعل (الدينوري) (المنذر بن المنذر بن امرىء القيس) بعد (المنذر) المذكور ، وقال : إنه خرج يطلب دم أبيه ، فقتله الحارث أيضاً بعين أباغ ، ويقال : إن قاتله هو (مرّة بن كلثوم التغلبي) ، أخو عمرو بن كلثوم ، ثم نصب من بعده شقيقه عمرو بن هند ، ثم النعمان بن المنذر أبا قابوس ، وبذلك أنهى قائمته لملوك الحيرة[5] . وهي قائمة سقط منها عدد من الملوك .

ولا نعرف من أخبار الأسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز[6] .

---

١ راجع ترتيب وسن ملك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.
٢ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٣ حمزة (ص ٦٩) .
٤ المعارف (ص ٢٨٣) .
٥ المعارف (ص ٢٨٣) ، عيون الاخبار (١/٣٣٠) .
٦ حمزة (ص ٦٩) .

وروى أنه حارب الغساسنة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع في احدى معاركه في أيدي الغساسنة ، فقتله[1] . وذكر الطبري أن الفرس أسرته[2] ، ولم يذكر سبب هذا الأمر . وأنه حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين . وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمان قباذ بن فيروز ، ست سنين[3] .

وقد حكم (فيروز) من سنة (٤٥٩ م) حتى سنة (٤٨٤ م) ، ويكون حكم (الأسود) بحسب رواية الطبري المتقدمة في حوالي السنة (٤٧٤ م) تقريباً، وقد حكم (بلاش) أربع سنين ، من سنة (٤٨٤ م) حتى سنة (٤٨٨ م)، ثم حكم (قباذ الأول) ، وهو ابن فيروز من بعده . حكم من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد . ولما كان (الأسود) قد حكم ست سنين من زمان حكم (قباذ) ، تكون سنة وفاته في حوالي السنة (٤٩٤ م)[4] .

وورد في رواية انه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرحبيل ، قتل ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند سنان بن أبي حارثة المري[5] .

وكان سبب ذلك على ما تذكره الرواية ان (خالد بن جعفر بن كلاب) كان قدم على (الأسود بن المنذر) أخي النعمان،ومعه (عروة بن عتبة بن جعفر) ، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر ، فجعل خالد يقول للحارث : يا حمار ، أما تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيّد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ؟ فقال : سأجزيك شكر ذلك. فلما خرج الحارث ، قال الأسود لخالد : ما دعاك الى أن تتحرش بهذا الكلب ، وأنت ضيفي ؟ فقال : انما هو عبد من عبيدي ، ولو وجدني نائماً ما أيقظني. وانصرف خالد الى قبته ، فلامه عروة الرحال ، ثم ناما وأشرجت عليهما القبة ، فلما هدأت العيون ، انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ثم ولجها

---

١ الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/٨٦) ، (٢/٩٠) (دار المعارف) .
٤ راجع أزمنة حكم الملوك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.
٥ ابن الأثير . الكامل (١/٢٢٩ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٥/٣٥٣ وما بعدها) .

وقتله . فنادى عروة : واجوار الملك ! فأقبل الناس ، وسمع الأسود الهتاف ، وقرر الانتقام ممن خرق جوار الملك . وهرب الحارث منه[1] .

ولما هرب الحارث تنقل في القبائل ، فلجأ الى صديق له من كندة . نطلبه الملك فشخص من عند الكندي ، وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بني عجل ابن لجيم ، فقام بنو ذُهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان ، فقالوا لعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ، فانه لا طاقة لنا بالشهباء والدوسر ، وأبت عجل ذلك عليهم . فلما رأى الحارث ذلك ، كره أن تقع الفتنة بينها بسببه ، فارتحل من بني عجل الى جبلي طيء ، فأجاروه ، فمكث عندهم حيناً . ثم ان الأسود لما أعجزه أمره ، أرسل الى جارات كنّ للحارث بن ظالم استاقهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الجبلين ، حتى علم مكان جاراته ، فأتاهن ، واستنقذهن ، واستاق ابلهن ، فألحقهن بقومهن . واندس الى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المريّ ، وهو أبو هَرِم بن سنان ممدوح زهير . وكان الأسود قد استرضع ابنه شرحبيل عند سنان ، ترضعه امرأته . فاستعار الحارث سرج سنان ، وهو في ناحية الشربة ، فأتى به سلمى امرأة سنان ، وقال لها : يقول لك بعلك ، ابعثي شرحبيل مع الحارث ، وهذا سرجه لك آية . فدفعته اليه ، فأتي به من ناحية من الشربة فقتله ، وهرب من فوره ، وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذُبيان ، فقتل وسبى ، وأخذ الأموال وأغار على بني دودان رهط سلمى ، ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في جانب الشربة عند بني محارب بن خصفة ، فغزاهم وأسرهم وأحمى لهم الصفّا ، وقال: اني أحذّيكم نعالاً ، فأمشاهم عليها ، فسقطت أقدامهم ، ثم ان سيّار بن عمرو ابن جابر الغزاوي احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ، ورهنه بها قوسه، فوفاه بها.

ثم هرب الحارث ، فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به ، فأجاره ، وكان من سببه وقعة رحرحان . ثم هرب حتى لحق بمكة ، ثم غادرها الى الشأم ، فلحق بيزيد بن عمرو الغساني ، فأجاره وأكرمه . ومكث عنده . ثم افتقد يزيد ناقة له ، ولم يعلم خبرها ، فأرسل الى الخِمْس التغلبي ، وكان كاهناً، فسأله عنها ،

---

١ نهاية الأرب (٣٤٨/١٥ وما بعدها) .

فأخبره ان الحارث صاحبها ، فهم به الملك ثم تذمم من ذلك ، فأوجس الحارث في نفسه شراً ، فأتى الخمس التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك ، وأمر به ابن الخمس فقتله بأبيه . وأخذ ابن الخمس سيف الحارث ، فأتى سوق عكاظ في الأشهر الحرم ، فأراه قيس بن زهير العبسي ، فضربه به قيس فقتله[1]

وذكر ان الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أربك وأوقع فيهم،وانه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان . فانتقم منهم شر انتقام ، وانه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير ، (دية الملوك)[2] .

وخبر هذه الغزوة هو جزء متمم لخبر قتل الحارث بن ظالم لابن الأسود، كما جاء في رواية أخرى .

وروايات أهل الأخبار عن قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر بن كلاب ، وعن قتل ابن الملك ، روايات متناقضة مضطربة قلقة ، والتبس الأمر فيها على الرواة ، ولا سيا (ابن الكلبي) و (أبي عبيدة) اللذين هما مرجعا أكثر رواة تلك الروايات . يتداخل فيها اسم النعمان بن امرىء القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر ، وتنسب القصة مرة الى هذا الملك،ومرة الى ذاك. وقد تتداخل ، فيذكر اسم الملك الأسود ، ثم يورد بعده اسم الملك النعمان .

يذكر الرواة رواية كالرواية السابقة ، جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود. ولكنهم جعلوه في هذه الرواية يسمع صراخ امرأة أخذ جمع الأسود صرمة من إبلها ، فتوجع لها ، ووعدها على اعادة ابلها فطلب منها أن تذهب الى موضع عيّنه لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت ابل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ يطلب له مجيراً فلم يجره أحد قائلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويختفي اسم المنذر فجأة في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن دون تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرؤ القيس[3] .

---

١ نهاية الأرب (١٥/٣٥٣) ، (يوم الخريبة) ، العقد الفريد (٦/٧ وما بعدها) .
٢ الاغاني (١٠/٢٢ وما بعدها) .
٣ الكامل (١/٢٢٣ وما بعدها) .

ثم تستمر الرواية فتأخذ الحارث الى الشأم ، ليستجير بيزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجيره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقة ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد لتحرّي بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذي تكهن بعقر الحارث للناقة وبقتله للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلاّ قتل الحارث ، فأمر به فقتل[1] . وعلى هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخباريين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وأما الرواية التي تذكر أن ذلك الملك هو النعمان بن امرىء القيس فتقول إن النعمان بن امرىء القيس كان قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العَبْسي ، وهو من السادة الأشراف ، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيره بعض أولاده ، فأرسل ابنه شأساً ، وكان أصغر ولده ، فأكرمه وحباه ، ورجع بهدايا وألطاف كثيرة . فلما بلغ ماء من مياه غني بن أعصر ، طمع به رباح بن الأشل ، فقتله ، واستلب ما كان معه . فلما سمع زهير بمقتل ولده ، جاء ديار غني ، وأخذ يغير عليها ، حتى قتل منها مقتلة عظيمة ، فاستجارت غني بحلفائهم بني عامر بن صعصعة ، فأنجدوها . وتوسعت الحرب ، فاشتركت بها هوازن ، وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسرها خسفاً ويجبيها الإتاوة كل سنة بعكاظ ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنياً وبني عامر وهوازن ، فقتل زهيراً، وعاد أبناؤه بجسده ليواروه التراب . وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به ، فأجاره ، وضرب له قبّة وحماه . وبينما كان في مجلس النعمان ، قدم الحارث بن ظالم الى المجلس ، وجرى بينه وبين خالد كلام ، أغلظ فيه خالد على الحارث ، فحقد الحارث عليه وقرر الانتقام منه ، فاغتاله وهرب . فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره ، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد . فلحق ببني دارم من تميم ، واستجار بهم ، فأجاروه على النعمان . فلما علم النعمان ذلك ، جهز جيشاً الى بني دارم ، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم ، استعدوا له،وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض ، واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال . فلما التقوا بجيش النعمان ، قتل رئيس جيش النعمان ، وانهزم الجيش . وقيل : إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً ، واستاق إبلاً

---

[1] الكامل (١/٢٣٤) .

له كان قد استولى عنيها النعمان ، وقتل أحد أبنائه ، وفر[1] .

وهناك رواية تجعل النعمان المذكور النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القتيل إبناً لهذا النعمان . وجعلت رواية أخرى قتل الحارث لخالد في عهد الأسود ، ثم تذكر أنه هرب منه . ثم إن رجلاً من بني زيد مناة كان بعض حشم النعمان قد أخذوا إبله وأهله ، استجار بالحارث فركب الحارث حتى أتى النعمان ، فقال : أبيت اللعن ! إنك أخذت نساء جاري ، وماله ، وأنا له جار . فذكره النعمان بقتله خالداً ، وهو في جوار الأسود أخيه . ثم إن النعمان أوعد الحارث وعيداً شديداً. فمضى الحارث ، وندم النعمان على تركه،وطلبه ففاته ، وكان للنعمان ابن مسترضع عند (سنان بن أبي حارثة) ، وكانت سلمى بنت ظالم تحت سنان ، فجاء الحارث الى أخته على لسان سنان ، حتى أعطته ابن النعمان ، فضرب عنقه ولحق بمكة . فجاور عبدالله بن جُدعان[2] .

وأما قتل (الحارث بن ظالم) ، فالروايات مختلفة فيه ، منها ما جعل قاتله: (يزيد بن عمرو الغساني) على نحو ما رأيت . ومنها ما جعل قاتله ملكاً من ملوك غسان تسميه النعمان . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، ما جعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ،وتذكر قصة كيفية استدراج النعمان للحارث ومراسلته له مصرحاً له أنه قد رضي عنه وعفا عما بدر منه حتى أمن الحارث . فلما جاء الى النعمان ، وكان في قصر بني مقاتل ، أمر به فقتل . قتله ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه[3] .

وجاء في رواية أن (عمرو بن الخمس) هو الذي قتل الحارث ، قتله بأمر الملك الأسود بن المنذر[4] . وذكر (ابن دريد) أن قوماً زعموا أن النعمان قتل (الحارث بن ظالم) ، وهذا وهم ، لأن الذي قتله إنما هو (المنذر بن المنذر أبو النعمان)[5] . وذكر (محمد بن حبيب) . أن (سيّار بن عمرو الفزاري) المعروف بـ (ذي القوس) ، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث ابن ظالم من النعمان الأكبر[6] .

---

١ الكامل (١/٢٢٩ وما بعدها) .
٢ المحبر (١٩٣ وما بعدها) .
٣ الأغاني (١٠/٢٧ وما بعدها) .
٤ الاشتقاق (٢/٢٠٣) (طبعة أوربة) .
٥ الاشتقاق (١٧٥) .
٦ المحبر (٤٦١) .

ويظهر من (رسالة الغفران) ان (آل لخم) كانوا يعظمون (الأسود بن المنذر)[1] ، ولم يذكر سبب هذا التعظيم .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، وأمه هرّ ابنة النعمان . حكم على رواية لابن الكلبي سبع سنين[2] ، وذلك في زمان قباذ بن فيروز[3] . ولما كان حكم قباذ ، وهو (قباذ الأول) ويسمى بـ (قباذ بن فيروز) قد امتد من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد[4] ، فيكون حكم المنذر اذن قد وقع في خلال هذه المدة .

واذا أخذنا بهذه الرواية ، وجب أن يكون ابتـــداء حكم المنذر بن المنذر في حوالي سنة (٤٩٤ م) ، وانتهاء حكمه في حوالي السنـــة (٥٠١ م) ، وذلك بحسب سني حكم ملوك الفرس عند المؤرخين[5] . ولكننا نواجه روايات أخرى رواها ابن الكلبي أيضاً وغيره تخالف هذا التقدير .

وبعد المنذر انتقل الملك الى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي (أم الملك ابنة عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو الكندي)[6] . اذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية لابن الكلبي أربع سنين[7] ، وذلك في زمن قباذ[8] .

يظهر من رواية لـ (ثيوفانس) ان النعمان هذا أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد (أوجينيوس) **(Eugenius)** عند موضع (بثرابسوس) **(Bithrapsos)** (البثر) على الفرات ، فأصيب بخسارة فادحة. ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمظنون انه كان حوالي سنة (٤٩٨ م)[9] .

---

١ رسالة الغفران (١٣٣) .
٢ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) (دار المعارف) .
٣ حمزة (ص ٦٩) .
٤ Ency., 4, P. 278.
٥ Ency. 4, P. 178.
٦ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٩) .
٧ الطبري (٢/٩٤) ، (٢/١٠٤) ، (دار المعارف) .
٨ حمزة (ص ٦٩) .
٩ Rothstein S. 74, Theophanes, 217, Huart, I, S. 66, J. Bury : History of the Later Roman Empire, London, 1931, Vol., I, P. 434.

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة (٥٠٢ للميلاد) ، اذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع (حران) (Carrhae) [1] واصطدم بالقائدين (أوليمبيوس) (Olympius) و (آوجينيوس) (Eugenius) فتغلبا عليه ، غير انه أعاد الكرة فتغلب عليهما . وفي المعركة التي وقعت على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) على الخابور أصيب بجرح بليغ في رأسه فقضى عليه[2] .

وفي أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهز العرب الذين في بلاد الروم الملقبون بـ (بني ثعلبة) (طايوس دبيت روموين د متقربن دبيت ثعلبة)[3] هذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأخذوا كل ما أمكنهم أخذه، فاضطر من كان قد تخلف في الحيرة من جيش النعمان الى الفرار الى البادية[4] . ويخيل الي ان ذلك كان على أثر اصابة الملك بجرحه المميت .

وتولى الحكم رجل من (آل لخم) اسمه (أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربي بن نمارة بن لخم) ، بعد النعمان[5] . فهو من (ذميل) و (ذميل) بطن من بطون لخم[6] . ولم يتحدث أصحاب الأخبار عن علاقة هذا الرجل بالأسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والأسباب التي أدت الى اختياره لهذا المنصب ، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ، ثم انتقل الحكم من بعده الى المنذر بن امرىء القيس البدء ، وهو ذو القرنين ، وذلك في رواية للطبري عن ابن الكلبي[7] .

أما حمزة الأصبهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس ابن النعمان بن امرىء القيس . قال : انه هو الذي غزا بكراً يوم (أوارة) في دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم . وكانت بكر قبله تقيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم . ونسب اليه بناء حصن (الصنبر) زاعماً ان الذي بناه

١ Josua Stylites, 51, Rothstein, S. 74.

٢ Josua Stylites, 57, Rothstein, S. 74.

٣ Rothstein, S. 74.

٤ Rothstein, S. 74.

٥ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

٦ حمزة (ص ٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

له هو البناء الرومي الشهير سنمار ، وانه هو الذي قتل ذلك البناء . وجعل مدة حكمه سبع سنين[1] ، وذلك في زمن قباد[2] .

وقال (حمزة) : وفيه قال المتلمس :

جزاني أخو لخم على ذات بيننا جزاء(سنمار)وما كان ذا ذنب[3]

وذكر حمزة ان حصن صنبر المذكور ، وهو من عمل (سنمار) ، هو الذي قال فيه أحد الشعراء :

ليت شعري متى تخبّ بـه النا قة نحو العُذَيب والصنبر[4]

ويعرف المنذر هذا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرىء القيس بن النعمان وبـ (ذي القرنين) وبـ (المنذر بن ماء السماء) وبـ (ابن ماء السماء) . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مارية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دوّنها الطبري[5] . وذكر حمزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبري ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من مارية[6] ، ولا أراه إلا خطأ من النساخ في كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين .

وأما سبب تلقيبه بذي القرنين ، فيقال إنه لقب بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بهما لذلك[7] .

وتلقيب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبدء هو خطأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامرىء القيس البدء المتوفي سنة ٣٢٨ للميلاد .

ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام

---

١ حمزة (ص ٧٠) ، (وهو صاحب سنمار الذي قتله حين بنى له الحصن الذي يسمى الصنين) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .

٢ حمزة (ص ٧٠) .

٣ حمزة (ص ٧٠) .

٤ حمزة (ص ٧٠) .

٥ الطبري (٩٤/٢) ، الروض الأنف (٢٢/١) .

٦ حمزة (ص ٧٠) (وكانت تسمى مارية) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) .

بالبدء كذلك ، مع أنه مسبوق على حدّ قولهم بملك آخر اسمه هذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هذا إذن بالبدء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امرىء القيس الآخر الذي زعم انه والد المنذر بالبدء أيضاً ، لأنه ثالث المراقسة في ترتيب اسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امرىء القيس والد المنذر ، فهم لم يشيروا اشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهل هو امرؤ القيس بن النعمان الذي جعله حمزة ملكاً بعد أبي يعفر ؟ لا يستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

ويلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاتين قد أطلقوا على المنذر (Alamoundaros O Sacicus) و (Alamundarus O Sacices). و (Alamundarus O Secicis) وغير ذلك[1] ، مما يفهم منه أنهم قصدوا بـ (Sacicus) و (Secicis). (Sicices) وأمثال ذلك كلمة (شقيقة) (الشقيقة) العربية ، وأنهم ارادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذي نتحدث عنه في رأي المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنذر هي (الشقيقة) (شقيقة) ، وذهب آخرون الى أنها لم تكن امه ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان من آل الشقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بابن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر ببني ماء السماء[2] .

أما الأخباريون فقد جعلوا شقيقة أماً للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشيروا الى ملك اسمه المنذر واسم امه شقيقة ، فأيهما المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاتين والسريان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون ان المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المرار[3] ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولي الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمامة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقتول بوادي القضيب[4] .

---

١ Rothstein, S. 76.
٢ Rothstein, S. 76.
٣ الروض الأنف (١/٢٢) .
٤ البلدان (٧/١١٨) ، (وهو ابن مامة) ، الروض الأنف (١/٢٢) .

ويرى بعض الباحثين ان حكم (المنذر) كان في حوالي السنة (٥٠٨ م) ، أو قبل ذلك بقليل في حوالي السنة (٥٠٦ م) . وأما انتهاء ملكه فكان في حوالي السنة (٥٥٤ م)[١] .

وكان قباذ قد عقد صلحاً في عام (٥٠٦) للميلاد مع الروم بعد الحرب التي استمرت من سنة (٥٠٢) حتى سنة (٥٠٦ م) ، غير ان هذا الصلح لم يدم طويلاً . ففي سنة (٥١٨) للميلاد تجدد الخلاف بين الفرس والروم ، وذلك على أثر مطالبة قباذ القيصر (جستينوس) (يوسطينوس) **(Justinus)** الأول بدفع الاتاوة التي اتفق في صلح (٥٠٦ م) على دفعها للفرس . وبناء على تباطؤ القيصر في دفعها حرّض قباذ المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها في سنة (٥١٩ م)[٢] .

لقد تمكن المنذر في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين هما(ديموستراتوس) (تيموستراتوس) **(Timostratus)** **(Demostratus)** ويوحنا **(Johannes)** [٣]. وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلفاً بين الروم والمنذر، فأرسل – على ما يظهر – رسولاً خاصاً الى المنذر هو (ابراهيم) **(Abraham)** والد الكاتب المؤرخ (نونوسوس) **(Nonnosus)** ، ومعه (شمعون الأرشامي) **(Symeon of Beth Arsham)** و (سرجيوس) **(Sergius)** أسقف الرصافة (بيت رصافة) . وقد وصل الوفد الى المنذر في السنة السادسة (السنة السابعة) من حكم (جستينوس) (يوسطينوس) الموافقة لسنة (٨٣٥) من التقويم السلوقي ولسنة (٥٢٤) للميلاد[٤] . وكان المنذر آنئذ في البادية في موضع اسمه (رمله) (الرّملة) . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و (سرجيوس) هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ، أي شهداء نجران[٥] . وقد دوّنت في عهد أسقفيته على الرصافة أسماء الشهداء على

---

١ J. B. Bury, II, P. 91.

٢ Rothstein, S. 79.

٣ Rothstein, S. 80, Land, Anecd., III, 235.

٤ Kitab Al-Unvan, Histoire Universelle Ecrite, par Acapius (Mahbub), de Menbidj, Seconde Partie, II, P. 425.

٥ Musil : Palmyrena, P. 267, Guidi : La Lettera di Simeone Vescova di Beth Arsham, P. 507.

الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس[1] .

وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذو نواس الملك الشهير المعروف بتعذيبه نصارى نجران الى المنذر ليفاوضه على تعذيب من في مملكته من النصارى . وقد دوّن (شمعون الارشامي) قصة التعذيب هذه مدعياً انه نقلها من الكتاب الذي قرىء على الملك ومن أقوال من عرفه من الحاضرين، دوّنها في صورة كتاب ليقرأ في الكنائس ويطلع عليه المؤمنون . وقد نشر هذا الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك[1] .

وذكر ان القيصر (جستينوس) (يوسطينوس) (Justinus) كتب الى المنذر ابن النعمان طالباً منه اخراج من في أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة[2] . وقد جادلهم في مجلس عقده بحضرة المنذر (شيلا) الجاثليق . فلما سمع هؤلاء بذلك ، هرب بعضهم الى نجران واقاموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس الحيري صاحب المنذر .

يظهر ان امل القيصر في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنه تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب سنة (٥٢٨ م) بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر خطير في هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشأم ، وغنم منها غنائم كثيرة ، ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كعادة سائر الملوك بعد أن أشبع نفسه من غنائم الحرب[3] .

ونجد المنذر يجدد هجومه على بلاد الشأم ، بعد مدة قصيرة من هجومه الأول. لقد هاجمها سنة (٥٢٩ م) وتوغل فيها حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق

---

١ Musil, Palmyrena, P. 265.

٢ Land : Anecd., 3, 235, Assemani : Bibl. Orient., I, 364.

٣ (يوسطينيانس) ، (وفي هذه السنة وجه يوسطينيانس وفدا الى المنذر ملك العرب ليصالحه ، لأنه كان غزا الروم وخرب وسبا • وكان سبب الفتنة بين العرب والروم اضطهاد الملك يوسطينيانس الآباء ، القائلين بالطبيعة الواحدة ، لأن النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير) • ابن العبري • تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨) ، Histoire Nestorienne, (Chronique de Seert), Seconde Partie, P. 143.

٤ Nöldeke :Sasa., II, Anm. 3, Malalas, II, 166, Rothstein, S. 81.

عدداً من المواضع ومنها موضع (خلقيدون) (خلقيدونية) (Chalcedon) . وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعزّى[1] ، وهي دعوى تحتاج بالطبع الى درس .

وقد عرض ابن العبري لتوغل المنذر في أرض الروم ، واستيلائه على أرضين واسعة شملت كل منطقة الحدود ، ومنها أرض الخابور ونصيبين ، حتى بلغ (حمص) (Emessa) و (أباميا) (فامية) (Apamea) وأنطاكية (Antioch) زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان ، وخرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكراً أنه اختار من بين الأسرى أربعمئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير انه لم يذكر أنه قدمهن قرباناً الى العزى[2] .

وقد اضطر هذا الغزو القيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) الذي خلف (يوسطينوس) الى نصب الحارث الجفني (فيلارخا) (فيلاركا) (Phylarch) ، أي عاملاً على عرب بلاد الشأم لحماية الحدود من اعتداءات المنذر وعرب العراق[3].

وقد عوّض قباذ الخسارة التي لحقت به عند موضع (دارا) بربح ناله بواسطة المنذر.لقد قام المنذر وأحد القوّاد الفرس بمهاجمة منطقة الفرات (Euphratesia) وهي منطقة (قوماجين) (Commagene) ، فلما تصدى لها القائد (بليزاريوس) (Belisarius) تراجعا ، ثم التقيا به عند الرقة (Callinikos) فانتصرا عليه. وقد كان ذلك في السنة الرابعة من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) أي في سنة (٥٣١ م)[4] .

وقد اشترك الحارث بن جبلة في هذه الحرب مع الروم ، وأنيطت بـه حماية الجانب الأيمن في القتال الذي اضطرم مع الفرس . أما المنذر وجيشه ، فكان يكوّن الجناح الأيسر لجيش الفرس ، أي الجناح المقابل لعرب الروم[5] .

---

١ Malalas II, 166, Nöldeke : Ghass., II, Theophanes, 273.
Land : Anecd: Syr., III, P. 247, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa, Erster Band, 1893, S. 1281.

٢ Bar Hebraeus, 78, Nöldeke : Aufstäze, 112.

٣ Rothstein, S. 81.

٤ Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa. Erster Halbband, 1893, 1281.

٥ Musil : Palmyrena, P. 274, Procopius : De Bello, I, 17.

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام (٥٣٢ م) بين الفرس والروم ، لم ينقطع النزاع بين الحارث الجفني والمنذر بسبب اختلافهما على الاتاوة التي تجبى من أعراب الـ (Strata) ، أي المنطقة الواقعة في جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم (بروكوبيوس) أن كسرى، حرض المنذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وايجاد سبب لتجديد الحرب ، وأن القيصر يوسطنيانوس (Justinianus) كلف رجلين من ثقاته وهما (ستراتيجيوس) (Strategius) ، وهو من أصحاب الخبرة والحنكة في الشؤون الادارية ، و (سوموس) (Summus) وهو ممن قادوا الجيوش في فلسطين ومن السفراء الذين سبق أن كلفوا القيام بمهمات سياسية فأرسل رسولاً الى نجاشي الحبشة والى ملك حمير (Homeritae) دراسةَ النزاع وايجاد حلّ للمشكلة . فأشار (سوموس) على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالاحتفاظ بالأرض ، أما (ستراتيجيوس) ،فقد رأى ان الموضوع تافه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . وقد مضى وقت طويل دون أن يجزم القيصر برأي[1] .

وفي هذه الأثناء ادعى كسرى ان القيصر قد أخل بشروط الصلح باتصاله بالمنذر (Alamoundarus) وبمحاولته التأثير عليه وجرّه اليه . وبارساله (سوموس) الى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يمنيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم الى الروم ، وبأمور أخرى اتخذها حجة لاعلان اخلال الروم بالصلح[2] . وصار يتهيأ لحرب جديدة حتى تهيأت له الأسباب ، وذلك في عام (٥٤٠ م)[3] .

وبعد مراسلات بين الفرس والروم دوّن بعضها (بروكوبيوس) ، وهي مراسلات جميلة ترينا فن الدبلوماسية ومنطق الملوك في ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدرتهم[4]، وهاجم المنذر بلاد الشأم فبلغ فينيقية ، وتوغل في مناطق واسعة من لبنان[5] .

وقد أشار الطبري الى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ،

---

١ Procopius, II, I, Gibbon, II, P. 607, (The Modern Library).

٢ Procopius, II, 12-15.

٣ Procopius, II, V, Vol., I, P. 295, (Dewing).

٤ Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20.

٥ Procopius, II, XII, XIX, 32-46.

ي أثناء كلامه على الحبشة في اليمن وعلى دخول الفرس اليها، كما اشار الى الموادعة والهدنة التي عقدت بين كسرى أنو شروان والقيصر ، وقد سماه (يخطيانوس) ، أي (جستنيان) (جستنيانوس) (Justinianus) ، فقال : « وكان فيما ذكر بين كسرى أنو شروان وبين يخطيانوس ملك الروم موادعة وهدنة. فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان نائرة . فأغار خالد ابن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله فشكا ذلك المنذر الى كسرى وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد ، فكتب كسرى الى يخطيانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقى المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ويدفع اليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وان لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انتقاص ما بينهما من العهد والهدنة بسببه . وواتر الكتب الى يخطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين الف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة انطاكية وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة فامية ومدينة حمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبى أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد »[1] .

ويظهر من سياق هذه الرواية ان الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد نقل روايته هذه من غير نقد ولا مناقشة . فالشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الحارث بن جبلة ، لا خالد بن جبلة . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه ، فظن انه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث انه اعتمد على كتاب من كتب التأريخ ، لعله من المؤلفات الفارسية أو السريانية، وقد نقل الدينوري منه أيضاً، فذكر خالد بن جبلة[2] .

---

١ الطبري (٢/١٢١ وما بعدها) ، (٢/١٤٩) ، (دار المعارف) .

٢ الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) .

وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر ، فليس في الأخبار التي يرويها الأخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها ان نفوذ الفرس قد شمل هذه الأرضين الواسعة الممتدة من الحجاز الى ساحل الخليج . وليس فيها خبر واحد يفهم منه ان ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز . ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة أهل الأخبار شيئاً عنه،اذ انه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي اتفق الفرس والروم على عقدها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة (٥٤٥ م)[١] . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل الفرس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مباغتة أحد أبناء الحارث : وكان يكلىء خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبيوس ضحية الى العزى (Aphrodite)[٢] . وبعد أن جمع كل واحد منهما كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبكا في حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً،وقتل عدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى ما حل به ، فرّ هو ومن بقي حياً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر[٣].

وقد تكون غارة قيس بن سلمة بن الحارث الكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بآل كندة من خسائر. ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطفة اضطرته الى الهزيمة والالتجاء الى الخورنق مع ابنيه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الهزيمة ، انتقم المنذر لنفسه بغارة أغارها على كندة كلفت الكنديين اثني عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا في أسره في مكان يسمى ذات الشقوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم في الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه لهذه الحادثة جفر الأملاك ، وهو موضع (دير بني مرينا) الذي أشير اليه في الشعر المنسوب لامرىء القيس[٤] .

ويذكر أهل الأخبار أن الشاعر (امرأ القيس الكندي) كان في جملة من

---

١ Procopius, II, 28, 9-11.

٢ Procopius, II, 28, 12-14.

٣ Procopius, II, 28, 13-14.

٤ شعراء النصرانية (ص ٤) .

وقع أسيراً ، الا أنه افلت من الأسر ونجا بنفسه ، فقال شعراً يرثي به من قتل ، منه :

ملوك من بني عمرو بن حجر يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرمّلينا

فهو يتألم ويتأفف من سقوط قومه قتلى ، لا في حرب ولا في معركة ، ولكن في (ديار بني مرينا) ، فأية مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ ملوك أحرار شجعان يقتلون في مثل هذه الديار

وفي رواية أن الذين قتلوا من بني حجر آكل المرار في جفر الأملاك هم تسعة واستشهدت على ذلك بشعر للحارث بن حلزة جاء فيه :

وفديناهم بتسعة أملا ك كرام أسلابهم أغلاء[1]

وأشير في قصيدة هذا الشاعر الى الجون . وهو جون آل بني الأوس ، وهو في شرح الرواة ملك من ملوك كندة ، وهو ابن قيس بن معديكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ، ومعه كتيبة خشناء ، فحاربته بكر ، فهزموه ، وأخذوا بني الجون ، فجاؤوا بهم الى المنذر ، فقتلهم[2] .

وفي بعض الروايات أن المنذر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط ان أي رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما ، فينظر أقربهما اليه ، فتضمن ذلك القتيل . وأخذ من الفريقين رهناً بأحداثهم ، فمتى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن[3] .

وفي عهد هذا الملك وقع (يوم طخفة) بحسب رواية بعض الأخباريين .

---

١ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دار صادر) (ص ١٦٦) .
٢ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب) ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، (ص ١٦٥) (صادر) .
٣ الأغاني (٤٤/١١) (دار الكتب المصرية) .

ويذكر هؤلاء أنه وقع بسبب (الردافة) وقيل : (الرفادة) . فقد كانت ردافة ملوك الحيرة في (بني يربوع) ، وكانت لعتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع في عهد (المنذر بن ماء السماء) . فلما توفي ، صارت الى ابنه (قيس ابن عتاب) (عوف بن عتاب الرياحي) بحكم الوارثة ، وكان حديث السن ، فأشار (حاجب بن زرارة) على الملك أن يجعلها لرجل كهل له سن وعقل ، وأشار عليه باختيار (الحارث بن بيبة المجاشعي) (الحارث بن مرط بن سفيان ابن مجاشع)[1] ولما فاتح الملك (بني يربوع) برأيه هذا : غضبوا وأبوا ، وأصر الملك على رأيه ، والا حاربهم ، فأبوا واستعدوا للقتال ، وساروا الى موضع (طخفة) وتحصنوا به ، فأرسل المنذر في أثرهم جيشاً كبيراً من افناء الناس ، عليه حسان أخوه وقابوس ابنه وبعث معهم الصنائع والوضائع ، اشتبك مع (بني يربوع) في هذا المكان،وصبر بنو يربوع وثبتوا ، ثم أغاروا على جيش المنذر، فانهزم ووقع القتل فيه ، وانهزم قابوس ومن معه،وضرب طارق أبو عميرة (طارق ابن عميرة) فرس قابوس فعقره وأسره،وأراد أن يجز ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجزّ نواصيها ، وأسر حساناً بشر بن عمرو بن جُوين[2] ، فعاد المنهزمون الى المنذر،وكان المنذر قد احتبس (شهاب بن عبد (قيس) بن كياس اليربوعي) عنده. فلما رأى سوء العاقبة ، استدعاه ، فقال له : « يا شهاب ، أدرك ابني وأخي، فان أدركتهما حيين ، فلبني يربوع حكمهم ، وأردّ عليهم ردافتهم ، وأترك لهم من قتلوا وما غنموا ، وأعطيهم ألفي بعير » ، فذهب الى قومه وأعادهما ، ووفى الملك بما قال . ونجد للأحوص وللفرزدق ولأم موسى الكلابية شعراً في هذا اليوم[3] .

وفي عهد المنذر ، كان يوم (أوارة الأول) على قول أهل الأخبار . وسببه

---

١ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) . (٢٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، الاشتقاق (١٤٧) ، (ومنه طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء) ، اللسان (٢١٣/٩) ، (دار صادر) (طخف) .

٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، (بشر بن عمرو والرياحي) ، العمدة لابن رشيق (٢٠١/٢) .

٣ البلدان (٣٢/٦) ، النقائض (٦٦/١ ، ٢٨٥) ، (٩٢٤/٢) ، الأغاني (١٧٦/٣) ، ابن الأثير (٣٩٦/١) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، أيام العرب (٩٤) .

أن تغلب لما أخرجت (سلمة بن الحارث) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ولما بلغ بكراً أذعنت له تغلب ودانت لحكمه ، وقالت له : « لا يملكنا غيرك» فأرسل اليهم (المنذر) يدعوهم الى طاعته ، فلم يجيبوه ، فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم ذبحهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض ، وسار اليهم بمجموعه ليبر بقسمه ، والتقى بهم بأوارة ، فهزمت بكر ، وأسر (يزيد ابن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل خلق كثير من بكر ، وأمر المنذر بذبح الأسرى الرجال على قلة جبل أوارة ، وباحراق النساء ، والى ذلك أشار الأعشى بقوله :

سبايا بني شيبان يوم أوارة على النار إذ تجلى به فتياتها[1]

وختم عام (٥٥٤ م) هذا النزاع العنيف الذي أتعب الحارث والمنذر فاستراح الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان (مونذر بر نعمن) (ملك العرب) صريعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمة ملكه ، ففي منطقة قنسرين على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيان) (Justinianus) هاجم المنذر منطقة (Rhomaye) التابعة لحكم الروم ، فنازله الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين (عودايا) (Wdaja) في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء الحارث ، فدفنه أبوه في قلعة هذا الموضع[2] .

و (عودايا) ، هو (العذية) على رأي موسل ، وهو من مواضع منطقة (بالميرينا) (Palmyrena) ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من أعمال قنسرين[3] .

---

١ الأغاني (١/١٢٢) ، الكامل ، لابن الأثير (١/٢٥٩) ، العقد الفريد (٣/١٥٤) ، العمدة لابن رشيق (٢/٢١٥ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر (١/١٠٠) ، مراصد ، (١/١٢٧) ، اللسان (٤/٣٥) ، البكري ، معجم (١/٢٠٧) ، البلدان (١/٢٧٣) ، أيام العرب (٩٩) .

٢ أمراء غسان (ص ١٨) ، Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76, (The English Translation), London, 1932, Michael the Syrian, Chronicle, Vol., 4, P. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, S. 83.

٣ Musil, Palmyrena, P. 144.

وقد فهم (أوليري) من رواية للمؤرخ (ثيوفانس) ان المنذر كان حيا حتى سنة (٥٦٢ م) ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي[1] .

وقد ذكر (هارتمن) (Hartmann) ان المنذر هذا حارب في صفوف الرومان في أيام القيصر (طيباريوس الثاني) (Tiberius II) ، غير انه خانهم وغدر بهم في احدى المعارك التي قادها (موريقيوس) (Mauricius) ، فلما صار (موريقيوس) قيصراً قبض عليه ، ونفى معه زوجته وبعض أبنائه الى جزيرة صقلية[2] . ولم يقل هذا القول أحد ، وانما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو (ايواكريوس) (Evagrius) منذراً آخر غير المنذر الذي نتحدث عنه[3] .

وسبق لأوليري ان ظن هذا الظن ، فذكر ان المنذر حدس ان في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لديه الأمر، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في احدى المعارك أسيراً في أيدي الروم،نفاه القيصر موريقيوس سنة (٥٨٠ م) ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية[4] . ومصدر وهمها هو اعتمادهما على رواية للمؤرخين (ايواكريوس) (Evagrius) و (نيقيفورس كالستوس) (Nicephorus Callistus) من غير أن يمحصاها . فالمنذر المقصود في هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وانما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفي بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وانه كان السبب في اخفاق الحملة التي قادها (موريقيوس) يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انتقم منه بالنفي .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين فهو : ان قتل المنذر كان في عين أباغ في

---

١ O'Leary, P. 160, Theophanes, P. 203.

٢ Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٣ Evagrius Scholasticus, V, 20, VI, 2, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٤ O'Leary, P. 160, Evagrius, Hist. Eccl., 5, 60, 6, 2; Nicephorus Callistus, 18, 10.

المعركة التي عرفت بـ (يوم عين أباغ)[1] . وعين أباغ بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفة والرقة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة[2] . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ ، وأرسل الى الحارث الأعرج بن جبلة : إما أن تعطيني الفدية فأنصرف عنك بجنودي ، وإما ان تأذن بحرب . فأرسل اليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا. فجمع عساكره وسار نحو المنذر ،فلما التقى به في عين أباغ،اقتتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القتيلين الى الحيرة ، فأنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها ثم عاد[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن (عين أباغ) كانت منازل (إياد) ، وأن (أباغ) رجل من العمالقة نزل ذلك المكان فنسب اليه . وقد اختلفت الأقوال في(عين أباغ) فمنهم من جعلها موضعاً بين الكوفة والرقة ، ومنهم من جعلها عين ماء ، ومنهم من ينكر أنها عين مـاء ، ويرى انها واد وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشأم . ومنهم من يجعلها في (ذات الخيار)[4] .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركـة ان من كان يرى أن اسم الملك الغساني الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلـة بن الحارث ابن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن ماريـة الغساني ، أو هو رجل من الأزد تغلب على غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث

---

١ حمزة (ص ٧٠) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٢٢٢) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ، ديوان الحماسة (٢/٣٤٦) ، اللسان (١٠/٢٩٨) ، أيام العرب (٥١) .

٢ البلدان (١/٧٣) ، (٦/٢٥١) ، (١/٧٣) ، (طهران) ، البكري (١/٦٤)، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٠٩) ، الأغاني (٢٧/١٩٨) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، اللسان (٨/٤١٧) ،
Nöldeke, Ghass., 18, Rothstein, S. 2, 38.

٣ ابن الأثير ، الكامل (١/٢٢٢ وما بعدها) ، (١/٣٢٠ وما بعدها) (المنيرية) . أبو الفداء ، المختصر (١/٩٧) ، ديوان النابغة (٧٤) ، البلدان (١/٧٣) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) .

٤ أبو الفداء ، المختصر (١/٩٧) ، ديوان النابغة (٧٤) ، البلدان (١/٧٣) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) .

الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين[1] . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سموا اسم ملك عرب الشأم ، فدعوه (حرث برجابالا) أي الحارث بن جبلـة (حارث بن جبل) . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة (ملك العرب) للمنذر[2] . كما استعملها غيره من المؤرخين .

ويرى (ابن الأثير) : أن (الحارث) لما بلغ (عين أبـاغ) ارسل الى (المنذر) يقول : إنا شيخان هنا ، فلا تهلك جنودي وجنودك ، ولكن ليخرج رجل من ولدك ، وليخرج رجل من ولدي ، فمن قتل خرج عوضه . فإذا فني أولادك وأولادي خرجت أنا اليك ، ومن قتل صاحبه ذهب بالملك . فتعاهدا على ذلك . فعهد المنذر الى رجل من شجعانه ، فأمره ان يخرج ، ويظهر أنـه ابن المنذر . فلما خرج ، اخرج اليه الحارث ابنه (ابا بكر) . فلما رآه ، رجـع الى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، انما هو عبده او بعض شجعانه . فقال له الحارث: يا بني ، أجزعت من الموت ؟ فعاد اليه وقاتله ، فقتله الفارس ، فألقى رأسه بين يدي المنذر . وعاد فأمر الحارث ابنه الآخر بقتاله والطلب بثأر أخيه ، فخرج اليه ، فشدّ عليه الفارس وقتله . فلما رأى ذلك (شمر بن عمرو الحنفي) ، وكانت أمه غسانية ، وهو مع المنذر ، غضب ، وقـال للمنذر . أيها الملك ، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بابن عمك. فغضب المنذر . وهرب (شمر) الى الحارث فأخبره . فلما كان الغـد ، أرسل الحارث اصحابه ، وحرضهم ، وكانوا اربعين الفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المنذر وهزمت جيوشه . فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحملا على بعير ، وسار الى الحيرة فانتهبها وأحرقها ، ودفن ابنيـه بها ، وبنى الغريين عليها في قول بعضهم[3] . والمعروف ان الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنـذر فوق قبري نديميه .

واشار حمزة ايضاً إلى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عـين اباغ ،

---

١ ابن الأثير (١/٢٢٢) .

٢ مختصر تاريخ الدول (ص ١٤٨) ، (بيروت ١٨٩٠) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76.

٣ الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ،

فقال : وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهاب الجفني يوم عين اباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليمة بسرّ . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليمة هو المنذر بن امرىء القيس . وكان يوم عين اباغ بعد يوم حليمة . والمقتول في يوم عين اباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم ابيه . فقتله الحارث الأعرج ايضاً . وقد سمعنا ان قاتله مرةُ بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي [1] .

وقد ذكر (ابن قتيبة) في (كتاب المعارف) ان الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، هو الذي قتل المنذر بن امرىء القيس ، قتله بـ (الحيار [2]) . ويظهر من خبره هذا ان قتل المنذر انما كان بـ (الحيار) ، لا في (يوم حليمة) ، وأن (الحيار) او (الحيار) موضع اقرب ما يكون الى الحيرة منه الى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء نجدها مدوّنة في الأغاني ، لم تشر الى عين اباغ ولا الى يوم حليمة ، او ذات الخيار ، خلاصتها . ان شمراً ابن عمرو الحنفي احد بني سحيم هو الذي قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، فبعث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الامان على ان يخرج له عن ملكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر الى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره [3] . وذكر (ابن دريد) ان قاتل المنذر الاكبر ، وهو جدّ النعمان بن المنذر ، يوم عين اباغ ، هو (شمر بن يزيد) . وهو من (بني حنيفة) ، وكان في جند الملك الغساني [4] .

وتحدث (ابن خلدون) عن (يوم عين اباغ) ، فقال : « كان جبلة بن النعمان صاحب يوم عين اباغ ، يوم كانت الهزيمة له على المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في ذلك اليوم » [5] . ولكننا نجده يقول في موضع آخر : « عمرو بن

---

١ حمزة (ص ٧٠) .
٢ المعارف (ص ٢٨٣) (طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) .
٣ الأغاني (١١/٤٦) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٢/٦٦) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، البكري (١/٦٤) .
٤ الاشتقاق (٢/٢٠٩) .
٥ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، القسم الثالث (ص ٥٨٦) (بيروت) .

عمرو بن عبد الله بن عبد العزّى ؛ قاتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين اباغ » [1] . وذكر ان (عمراً) هذا هو ابن عم (علي بن ثمامة بن عمر بن عبد العزّي بن سحيم بن مرّة) وهو الذي توّجه كسرى [2] . وقد ذكر ان (جبلة بن النعمان) ، صاحب يوم عين اباغ ، كان منزله بصفين .

وفي رواية اخرى ان (حليمة) كانت قد اخرجت خلوقاً ، فخلقت به الفتيان . ولما خلقت احدهم ، واسمه (لبيد بن عمرو) ، دنا منها فقبلها ، فلطمته وبكت ، فأمسكها ابوها ، ثم ذهب من ذهب وفيهم (شمر بن عمرو الحنفي) وكانت امه من غسان ، الى (المنذر) متظاهرين انهم جاؤوا اليه ليخبروه ان الحارث يدين للمنذر ، وهو يريد ان يعطيه حاجته ، فتباشر اهل عسكر المنذر ، وغفلوا بعض غفلة ، فحمل الغلمان على المنذر وقتلوه ، فقيل : (ليس يوم حليمة بسر) ، فذهب مثلاً [3] .

وذكر (ابن قتيبة) ان « الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الأعرج وجه الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، فيهم الشاعر (لبيد بن ربيعة) ، وأمره عليهم ، فصاروا الى عسكر المنذر ، وأظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل اكثرهم ونجا لبيد ، حتى اتى ملك غسان ، فأخبره الخبر ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم . وهو يوم حليمة . وكانت حليمة بنت ملك غسان . وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس الأضريج » [4] .

وقد جعل بعض الاخباريين عين اباغ (ذات الخيار) [5] ، ويفيد قولهم هذا ان عين اباغ هو موضع يقع في منطقة تسمى ذات الخيار (الخيار) ، ويرى (نولدكه) ان موضع (الحيارات) الوارد في معلقة (الحارث) هو ايضاً هذا

---

١ المصدر نفسه (ص ٦٢٦) .
٢ المصدر نفسه .
٣ الميداني ، مجمع الأمثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .
٤ الشعر والشعراء (ص ١٤٨) ، (طبعة ليدن) .
٥ ابن الأثير (١/٢٢٢) .

المكان[1] . وللتثبت من هذا القول ، لا بد من الوقوف على موضع ذات الحيار (الحيار) و (الحياران) . وقد ذكر ياقوت الحموي ان الحيار صقع من برية قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك اقطعه القعقاع بن خليد بينه وبين حلب يومان[2] . وهذا الوصف لموقع الحيار ينطبق على ما رواه المؤرخون السريان عن موضع مقتل المنذر كما يوافق رأي من جعل عين اباغ ذات الحيار .

وممن ذهب هذا المذهب ، (ابو الفداء) ، فقال في حديثه عن (يوم عين اباغ) . « ومن ايام العرب يوم عين اباغ ، وكان بين غسان ولخم ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب أدراع امرىء القيس ، وقيل : غيره . وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في هذا اليوم ، وانهزمت لخم ؛ وتبعهم غسان الى الحـــيرة ، وأكثروا بينهم القتل . وعين اباغ في موضع يقال له . ذات الحيار »[3] .

وذكر ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هـ ان القتيل في يوم عين اباغ هو المنذر ابن ماء المساء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقبل النعمان بن المنذر ، الذي قربه (عدي بن زيد العبادي) الى كسرى . واما القاتل ، فهو الحارث الغساني[4] . ومرد امثال هذا الاختلاف في اسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه الاسماء اذ يصعب على الرواة ، وهم يعتمدون في رواياتهم على الحفظ ، ان يميزوا بعد مدة بين امثال هذه الاسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

ونجد هذا الرأي عند (النويري) كذلك ، اذ جعله ايضاً والد (النعمان) الملك الاخير من ملوك الحـــيرة ، والذي قتله كسرى كما سنرى فيما بعد[5] . والنويري هو عيال على (ابن عبد ربه) في كثير من الاخبار ، ولا سيما اخبار الايام .

---

١ وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء .
المعلقة . البيت ٨٢ ، شرح الزوزني (ص ١٦٩) ،
٢ البلدان (٣/٣٧٥) .
٣ المختصر في تأريخ البشر (١/٩٧) (بيروت) .
٤ العقد الفريد (٦/١١٠) ، (٥/٢٦٠) (لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ م) .
٥ نهاية الأرب (١/٤٣٠ وما بعدها) .

ويتبين من غربلة الأخبار الواردة عن (يوم أباغ) ، (يوم عين أباغ) ان من الأخباريين من يرى ان يوم عين أباغ ويوم حليمة ، هما يوم واحد، ولا فرق بينهما ، وقالوا انما عرف ذلك اليوم بـ (يوم حليمة) ، لبروز اسم (حليمة) فيه ، وهي بنت ملك غسان ، تخلّق المحاربين وتحثهم على القتال . وان من الأخباريين من جعل (يوم حليمة) يوماً آخر مغايراً ليوم عين أباغ، ثم اختلفوا فيه ، فنهم من جعله قبل يوم عين أباغ ، ومنهم من جعله بعده . وقد ذكروا انه كان يوماً عظيماً ، اشترك فيه عدد كبير من المقاتلين ، (وعظم الغبار حتى قيل : ان الشمس قد أنحجبت وظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس)[1]. وهذا مما يدل على اشتراك عدد كبير من المقاتلين فيه . وممن ذهب الى ان (يوم حليمة) هو يوم آخر (ابن الأثير) ، وقد جعله بعد (يوم عين أباغ) . وقال : انه وقع في موضع يعرف بـ (مرج حليمة) ، وسببه ان المنذر لما قتل أراد ابنه (الأسود) الأخذ بالثأر ، فسار في جيش لجب ، والتقى بجيش (الحارث) في (مرج حليمة) . ولما طالت الحرب ، أمر الحارث ابنته (هند) بأن تخلق فتيان غسان ، ونادى فتيان غسان : من قتل ملك الحيرة زوّجته ابنتي هند . فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أبي أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول ، ثم ركب فرسه ، وشد على الأسود ، فقتله ، وانهزمت لخم ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن ظفر في تفاصيل أخرى لا مجال لشرحها هنا[2] .

فيتبين من خبر (ابن الأثير) هذا ان الموضع الذي وقع فيه القتال اسمه (مرج حليمة) ، وان اسم ابنة الحارث هو (هند) لا حليمة ، وان المقتول فيه هو (الأسود) لا المنذر ، وان هذا اليوم قد وقع بعد (يوم عين أباغ) .

وفي رواية ان الغساسنة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنذر من أسر أحد أبنائه وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام ، فقتلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون[3] . وقد ذهب (كوسان دي برسفال) الى أن هذه الغارة كانت بقيادة أحد أبناء المنذر القتيل ، وانها

---

١ البلدان (٣٢٥/٢ وما بعدها) ، أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) .
٢ الكامل (٣٢٠/١) وما بعدها .
٣ الأغاني (٤٨/١١) .

كانت عارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء[1] .
وقد أشار الحارث بن حلزة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفككنا غل امرىء القيس عنه بعد مـــا طال حبسه والعنـــاء

وقــد زعم الشرّاح أن امرأ القيس هذا كان معرّوفاً بماء السماء[2] أما الملك الغساني القتيل ، فلم يشيروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة (رب غسان) ، هي من باب التفخيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر بعض الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أم قطام ، غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كندة ، غير أن بكراً التي كانت مع امرىء القيس قاتلته ، وقتلت جنوده[3] .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليمة ، قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليمة أن حليمة ابنة الحارث كانت تخلّق قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون الى أنه موضع[4] .

وفي رواية تنسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، فلحقوا بالشأم خوفاً منه . وبقوا هنـــاك ، فمرّ بهم عمرو بن أبـي حجر الغساني في رواية ، أو الحـــارث بن أبـي شمر الغساني في رواية أخرى ، فلم يستقبلوه ، فانزعج من ذلك ، وتوعـــدهم ، وأن عمرو بن كلثوم نهاه عن ذلك[5] .

وقد روى بعض أهل الأخبار أبياتاً من الشعر ، زعموا أن ابنة المنذر قالتهـــا في رثاء والدها ، ففي جملتها :

---

١ Caussin, Essai, II, 116.
٢ الأغاني (١١/٤٨ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .
٣ الأغاني (١١/٤٩) (دار الكتب المصرية) .
٤ البلدان (٣/٣٢٠) ، الكامل ، لابن الأثير (١/٣٢٦ وما بعدها) .
٥ الأغاني (١١/٥٧ وما بعدها) .

وقـالوا : فارساً منكم قتلنـــا ، فقلنا : الرمـح يكلفُ بالكريم
بعـين أباغ قـاسمنا المنايـــا فكـــان قسيمها خـير القسيم[1]

وينسب الى المنذر بناء الغريين في بعض الروايات ، وكان السبب في ذلك كما يقول الأخباريون أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلـة (مضلل) (خـالد بن المضلل) والآخر عمرو بن مسعود (عمرو بن مسعود الأسدي) ، فثمـلا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان فدفنا حيين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما، فغمّه ذلك ، وقصد حفرتيهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهمـا صومعتان . فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ، لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما ، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح في يـوم بؤسه كلّ من يلقاه ويغرّي بدمه الطربالين ، ويحسن في نعيمه الى كل من يلقى مـن الناس ويحملهم ويخلع عليهم . وقد ظل المنذر على عادته هذه الى أن حدث له حادث، أظهر فيه رجل ظهر يوم بؤسه وفاءً عظيماً ، فعفا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر. وكان الرجل الذي برّ بوعده فحضر بعد عام ليأخذه سيف الجلاد نصرانياً،ولذلك تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه اذا ظهر لـه يوم بؤسه . فلما ظهر الشاعر الشهير عبيد بن الأبرص الأسدي ، لم ينجـه شعره من مصير ذلك اليوم[2] . وذكروا أن الرجل كاد يسلمه سوء طالعه الى يد الجلاد، هو حنظلة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابتنى ديراً له هو الدير المعروف بدير حنظلة . وأما الذي كفل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجـل من أشراف القوم هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حنظلة هذا هو عم أياس بن قبيصة الطائي ملك الحيرة[3] .

---

١ اللسان (٤١٧/٨) (بيروت) ٠

٢ البلدان (٢٨٣/٦ وما بعدها) ، الأغاني (٢١٣/٥) (دار الكتب المصرية) ، البكري ، معجم (ص ٦٩٤) ٠ (طبعة ليدن) ، ابن قتيبة ٠ الشعر (ص١٤٤)، الأغاني (٨٦/١٩) ، القالـي ٠ الامالي (١٩٥/٣) ، (طبعة دار الكتـب المصرية) ، ابن هشام (٤٠١/١) ، شرح قصيدة ابن عبدون (١٣٢) ، شعراء النصرانية (ص ٦٠٠) ، الحور العين ، للحميري (ص ٧٦) ، رسالة الغفران (١٨٢) ، طبقات ابن سلام (٣١) ٠

٣ شعراء النصرانية (ص ٨٩) ٠

وورد في بعض الروايات أن (المنذر بن ماء السماء) ، خرج في يوم بؤسه، وكان يوماً يركب فيه فلا يلقى أحداً إلا قتله . فلقي في ذلك اليوم (جابر بن رألان) أحد (بني ثعل) ومعه صاحبان ، فأخذتهم الخيل بالثوية ، فأتى المنذر فقال : اقترعوا ، فأيكم قرع ، خليت سبيله ، وقتلت الباقين . فاقترعوا، فقرعهم جابر ، فخلى سبيله ، وقتل صاحبيه ، فلما رآهما يقادان ليقتلا ، قال عزّ بزّ . ورووا في ذلك شعراً نسبوه الى جابر[1] .

ومن الأخباريين من نسب بناء الغريين الى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبهما الى جذيمة ، وذهب آخرون الى نسبة الغريّ الى الحارث الغساني[2] . ويرينا هذا الاختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغريين .

وقد ذكر (النويري) ان الغريين أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة ، بناهما (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه ، فماتتا ، فأمر بدفنهما ، وبنى عليهما الغريين . وذكر أيضاً ان « المنذر غزا الحارث ابن أبي شمر الغساني،وكان بينهما وقعة عين أباغ،وهي من أيام العرب المشهورة، فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر ، وانهزمت جيوشه ، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير ، وجعل المنذر فوقهما،وقال : ما العلاوة بدون العدلين؟ فذهبت مثلاً ، ثم رحل الى الحيرة ، فانتهبها وحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبنى الغريين عليهما » . وقد ذكر ان (المنصور) أمر بهدم أحدهما ، لكنز توهم انه تحتها ، فلم يجد شيئاً .

وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغريين ، هو من القصص الذي ألفناه ، وعوّدنا أصحاب الأخبار سماعه ، فلا قيمة تأريخية له في نظرنا ، وان أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وانه أمر مسلّم به وشائع معروف ، وان عبيداً لقي حتفه لظهوره يوم بؤس المنذر أو النعمان . وقد يكون ذلك مسلّماً به عندهم ، غير اننا لسنا من السذاجة بحيث نصدق بأمثال هذا القصص لمجرد انه شائع معروف ، فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

---

١ الفاخر (ص ٧٣) .
٢ Rothstein, S. 140.
٣ نهاية الأرب (٣٨٧/١) .

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرانهما أو نكران(الغري) من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذي يرويه الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف ، وهو أمر لم ينفرد به زمان دون زمان ، فما زال الناس يبتدعون قصصاً ثم يروونه ، ويتناقلونه على انه شائع صحيح ، مع ان تأريخ ابتداعه لا يبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحي بهذا القصص عارفون .

أما ان الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منهما رجل حي،لأنه عربد وسكر، وتحدث بكلام غاظ الملك ، وما أشبه ذلك من قصص ، فأمر لا نستطيع أن نقف منه موقفاً ايجابياً ، ولا نسلّم به . ففيه شيء من أثر الصنعة والتكلف . ولكننا نستطيع أن نقول ان الغري أو الغريين من المواضع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان،.ومن الجائز انهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلى بها . وما الغريان الا نصبان من هذه الأنصاب. على ان الأخباريين أنفسهم قد ذكروا ان الغري نصب كان يذبح عليه العتائر ، كما ذكروا ان الغريين كانا طربالين ، والطربال صومعة على رأي ، وشيء مرتفع عند الأكثرين[1] . فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرابين للأصنام .

ويذكر أهل الأخبار أن (شريك بن مطر) ، وهو جد (معن بن زايدة) ، كان من أكبر الناس عند المنذر . وكان له ولد اسمه (الحارث) ويلقب بـ (الحوفزان) وهو من بني (شيبان)[2] .

---

١ البلدان (٦/٢٨٢) .
٢ الاشتقاق (ص ٢١٥) .

الفصلُ الثامنُ والثلاثون

عمرو بن هند

والذي خلف المنذر على ملك الحيرة بعد وفاته،هو ابنه عمرو بن هند المعروف بـ (مضرط الحجارة) ، وهو لقب يشير بالطبع الى قوة ابن هند وشدة بأسه، وقد عرف عمرو بأمه (هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار) ، فهو كندي من جهــة أمه ، وعرف أيضاً بـ (محرق الثاني) على رواية حمزة[1] ، وبـ (المحرق) في رواية لغيره[2] . وقد كان له من الأشقاء من أمـه : قابوس والمنـذر .

ويرى بعض الباحثين احتمال كون (هند) من (آل غسان) ، واليها ينسب دير هند . ويرى أن حكم ابنها عمرو كان فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩م)[3].

وزعم ابن الأثير أن الذي تولى الملك بعد المنذر بن ماء السماء هو ابنه المنذر ابن المنذر بن ماء السماء المعروف بـ (الأسود) ، وأنه لما استقر الأسود وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه ، ونزل برج حليمة. ووصل الحارث الى هــذا الموضع كذلك ، واقتتل الطرفان أياماً ولم ينتهيا الى

---

١ حمزة (ص ٧٢) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥ وما بعدها) ، مفاتيح العلـــوم (٦٩) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٦٣) .

نتيجة . فلما رأى الحارث طول الوقت، نادى في فتيان غسان : « يا فتيان غسان. من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً » . فلما سمع ذلك لبيد بن عمرو الغساني، شدّ على الأسود فقتله ، وانهزم أصحابه ، فنزل لبيد واحتز رأس الأسود، وأقبل به الى الحارث ، فألقى الرأس بين يديه ، فوافق الحارث على اعطاء لبيد ابنته ، ثم إن لبيداً انصرف ليواسي أصحابه ، فرأى أخاً الأسود يقاتل الناس ، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ، ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره . وانهزمت لخم ثانية ، وكثر فيها القتل . وذكر الأخباريون أن هذا اليوم هو من أيام العرب الكبرى إذ سار الأسود بجمع من عنده من عرب العراق ، وأقبل الحارث بجميع من كان عنده من عرب الشأم . فجعلت هذه الرواية بعد المنذر ابنه المنذر الأسود وجعلته صاحب مرج حليمة[1] .

وتذكر رواية ان جيش الحارث الأعرج بن جبلة أسر كثيراً ممن كان مع المنذر من العرب ، وفيهم مئة من تميم ، فيهم شأس بن عبدة . ولما سمع أخوه علقمة ، وفد الى الحارث مستشفعاً وأنشده قصيدة مدح طويلة ، فمنّ عليه، وأطلق له الأسرى من تميم ، وكساه وحباه[2] .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن المنذر ، خلاصتها : ان الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج خطب الى المنذر ابنته هنداً ، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فوافق المنذر على ذلك . غير ان هنداً أبت عليه ذلك ، فحقد الحارث على آل لخم . فلما خرج المنذر غازياً ، بعث الحارث جيشاً الى الحيرة ، فانتهبها وأحرقها ، فانصرف المنذر عن غزاته وسار يريد غسان . وبلغ الخبر الحارث ، فجمع أصحابه وقومه ، فسار بهم ، فتوافقوا في عين أباغ . فاصطفوا للقتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث وفيها ابنه ، فقتلوه وانهزمت الميسرة . وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر ، فانهزم من بها وقتل مقدمها (فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان) ، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه ، وانهزم أصحابه في كل وجه ، وقتل منهم خلق كثير ، منهم ناس من بني تميم ، ومن بني حنظلة،

---

١ ابن الأثير (١/٢٢٣ وما بعدها ، ٢٢٥) ، البلدان (٣/٣٣٠) .
٢ أيام العرب (٥٥ وما بعدها) .

ووقع عددٌ في الأسر ، ومن هؤلاء الأسرى : (شأس بن عبدة) شقيق علقمة ابن عبدة من شعراء الجاهلية المعروفين . فالقتيل في هذه المعركة وعلى هذه الرواية اذن هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، لا المنذر بن ماء السماء .

وقد تشكى ابن الأثير كما تشكى قبله حمزة من اختلاف الأخباريين في الروايات، ومن تضارب الروايات بعضها ببعض ، ومن تقديم الأيام وتأخيرها، وفي الشخص المقتول ، فذكر ان من الأخباريين من يقول ان يوم حليمة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً ، فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء ، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة . وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما . وقد رجح ابن الأثير رواية القائلين ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء ، ورجح أيضاً رواية من يقول ان المنذر بن المنذر لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه[1] .

ويذكر أن (علقمة بن عبدة) الشاعر الجاهلي ، ذهب الى الحارث ، فمدحه بقصيدة شهيرة ، رجاء استعطاف الملك ، ليمنّ عليه بالعفو عن أخيه ، فيفكه من أسره ، فاستحسن الملك شعره وفرح به ، ومنّ عليه بفك أسره ، وبفك أسر جميع من وقع من قومه في الأسر . فلما عادوا الى ديارهم ، أعطوا شأساً أموالاً وأكسية وإبلاً ، فحصل من ذلك له مال كثير[2] .

وفي يوم (حليمة) ورد المثل . (ما يوم حليمة بسرّ)[3] .

أعود بعد الكلام على (المنذر بن المنذر) الى الحديث عن عمرو بن هند شقيقه ، فأقول : يظهر من هذه الروايات المذكورة عنه ، ومن هذا الشعر الوارد اسمه فيه ، أنه كان رجلاً سريع الانفعال ، يتألم بسرعة مما يقال له ، ولذلك حدثت له مشكلات عديدة لم تكن لتحدث لولا هذا الحس المرهف عنده ، الذي جعله عرضةً لهجو الشعراء ، والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد، وقصته مع طرفة بن العبد والمتلمس معروفة مشهورة[4] .

---

١ ابن الأثير (٢٢٥/١) .
٢ ابن الأثير (٣٢٦/١ وما بعدها) .
٣ مجمع الأمثال ، للميداني (٤٠٨/٢) .
٤ (صحيفة المتلمس) ، الأغاني (١٩٤/٢١) ، خزانة الأدب (٤١٢/١) ، اليعقوبي (١٧٢/١) ، الفاخر (ص ٦٠) ، شعراء النصرانية (ص ٣٣٧) .

ويصفه أهل الأخبار بالشدة والصرامة ، بل جعلوه شريراً ، وزعموا أنه كان له يوم بؤس ويوم نعيم ، فيوم يركب في صيده يقتل أول من لقي ، ويوم يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له ، فكان هذا دهره[1] . وقالوا : إنه كان لا يبتسم ولا يضحك . وكانت العرب تسميه (مضرط الحجارة) لشدة ملكه ، وكانوا يهابونه هيبة شديدة ، وكان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً، لأنه حرق بني تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة[2] .

وقد وصف الشاعر (الرهاب العجلي) الملك (عمرو بن هند) بأنه ملك (يعتدي ويجور) وذلك في معرض وصفه للسدير[3] .

وقد أصبحت الحيرة موئل الشعراء في أيام عمرو بن هند ، فلأكثر مشاهير الشعراء الجاهليين خبر مع هذا الملك ، كانوا يحضرون اليه من أماكن نائية لانشاده شعرهم ولنيل جوائزه ، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض، ومن نقد بعضهم شعر بعض ، كالذي حدث بين طرفة والمسيب بن علس على ما يذكره الأخباريون[4] . وقد كانت لمثل هذه المنافسات أهمية كبيرة في مجتمع ذلك اليوم ، لما كان لها من أثر في نفوس القبائل ، وطالما أدت الى غضب القبائل وغضب الملك نفسه ، وغضب الشعراء على منافسيهم وعلى الملك ، لاعتقادهم بتحزبه لأحد الخصمين .

وذكر بعض الرواة أن سبب هجاء (طرفة) عمرو بن هند ان عمرو بن هند كان يتباطأ في مجلسه في استقبال الناس . فإذا جلس لشرابه ، أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى ينتهي من مجلس أنسه ، فيسمح عندئذ لذوي الحاجات بالدخول عليه ، كما كان يصرف وقته بالتلهي بالصيد والقنص ، مما جعل وقته

---

١ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١٢٢) ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، (ص ٣١٧) .

٢ خزانة الأدب (٤١٧/١) ،شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .

٣ أبي القلب أن يهوى السدير وأهله وان قيل : عيش بالسدير غرير
فلا أنذر الحي الذي نزلوا به واني لمن لم يأته لنذير
به البق والحمى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور
الأغاني (٢٩٥/٢١) (القسم الثاني) ، بيروت (١٩٥٧) .

٤ شعراء النصرانية (ص ٣٠٤ ، ٣٥٠ وما بعدها) .

يضيق عن استقبال الناس ، فصاروا يتكالبون على بابه ليجدوا وقتاً يدخلون فيه عليه ، فاستاء طرفة من هذه المعاملة . وقال شعراً يهجوه فيه ، كان في جملة ما جاء فيه .

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تخور
لعمرك إنّ قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخيّ كذاك الحكم يقصد أو يجور

فبلغ الشعر (عمرو بن هند) ، أبلغه إياه (عبد عمرو) ، وكان من سادات الناس في زمانه ، وكان زوج أخت (طرفة) ، وقد هجاه (طرفة) أيضاً . فلما أنشد (عمرو بن هند) هجاء طرفة له على سبيل المزاح والاستخفاف بشأنه ، قال له (عبد عمرو) : أبيت اللعن ! ومما قال فيك أشد مما قال في فأنشده الأبيات . فقال عمرو بن هند : أو قد بلغ من امره ان يقول فيّ مثل هذا الشعر . فكتب الى رجل من عبد القيس بالبحرين ، وهو المعلى ليقتله . فقال له بعض جلسائه : إنك إن قتلت طرفة ، هجاك المتلمس وهو رجل مسن مجرب،وكان حليف طرفة،وكان من بني ضبيعة.فأرسل عمرو الى طرفة والمتلمس فكتب لهما الى عامله بالبحرين ليقتلهما ، وأعطاهما هدية من عنده وحملهما، وقال[1]: قد كتبت لكما بحباء ، فأقبلا حتى نزلا الحيرة ، وارتاب المتلمس بأمر الصحيفة واستقبال عمرو لهما ، ففك ختمها وعرضها على غلام من أهل الحيرة ، فقرأها ، فاذا فيها أمر بقتله ، فأخذ الصحيفة فقذفها في البحيرة وقال :

وألقيتها بالثني من جنب (كافر) كذلك ألقي كل رأي مضلل

وأشار على طرفة بفك خاتم صحيفته أيضاً ليقرأها له ، ولكنه أبى ، وذهب الى صاحب البحرين،فوجد هناك نهايته في قصص منمق محبّر يرويه أهل الأخبار[2].

---

١ الشعر والشعراء (ص ٨٩ وما بعدها) ، (ليدن) .
٢ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، الاغاني (٢١/١٢٥) ، ديوان طرفة بن العبد (ص ٩) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (١٠) ، الشعر والشعراء (ص ٨٥ وما بعدها) .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان قبر طرفة بهجر ، وهو معروف هناك[1] .

وللشاعر (طرفة بن العبد) شعر يعاتب به (عمرو بن هند) ، ويحرضه فيه على الطلب بحق أخيه (معبد) ، الذي أغير على إبـل له ، وكانت في جوار (عمرو بن هند) فانتهبت . ويقول فيه : نحن في طاعتك ، ومضر في طاعتك، فما بالنا أغير علينا ، وكلنا ندين لك[2] .

ولطرفة شعر في هجاء (قابوس) كذلك . ونرى بعض الأخباريـين ينسبون اليه يومين : يوماً يصيد فيه ، ويوماً يشرب فيه ، فيقف الناس ببابه حتى يأذن لهم بالدخول اليه ، ولذلك سئم منه طرفة فهاجاه وهجا عمرو بن هند شقيقه معه[3]. وينسب بعض أهل الأخبار هذه القصة الى عمرو بن هند .

ويتبين من حديث الأخباريين عن صحيفة المتلمس ، ومن قصة نهاية طرفة في البحرين ، ان البحرين كانت تابعة في ذلك العهد لملك الحـيرة . وان حاكمها كان عاملاً لعمرو بن هند[4] . وقد ورد في رواية ان اسم عامل عمرو بن هند هو (أبو كرب ربيعة بن الحرث) ، وهو من ذوي قرابة (طرفة) فلما علم بخبر (طرفة) لم يقتله ، وكتب الى (عمرو بن هند) انه لن يقتله ، وقد اعتزل عمله[5] . فعيّن عمرو عاملاً آخر مكانه اسمه في بعض الروايات (عبد هند) . وتقول رواية أخرى ان قاتل طرفة هو (المكعبر) عامل البحرين ، قتله بكتاب عمرو بن هند[6] . وكان (المكعبر) عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين على رواية هؤلاء الرواة[7] . وتزعم رواية أخرى ان الذي قتله رجل من (الحواثر)

---

١ خزانة الأدب ، (١/٤١٦) ، مجمع الأمثال ، (١/٤١٢) ، الاغاني (٢٣/٥٢٣ وما بعدها) (بيروت ١٩٥٥ م) ، أمالي المرتضى (١/١٨٣ وما بعدها) . الشعر والشعراء (١٣١ وما بعدها) .

٢ لعمرك ما كانت حمولة معبد   على جدها حربا لدينك من مضر
المعاني الكبير (٢/١١١٨) ، شرح القصائد العشر (ص ١٨٢) .

٣ شعراء النصرانية (١/٣٠٥) .

٤ البطليوسي . الاقتضاب (١٠٤) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢١ ، ٣٣٠ وما بعدها) ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، (دار صادر) ، البلدان (٧/٢٠٨) .

٥ مجمع الأمثال (١/٤١٢ وما بعدها) .

٦ معجم الشعراء (ص ٢٠١) ، الاغاني (٣/٥٢٤) .

٧ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنبـاري (ص ١١٦) ، الشعـــر والشعراء (ص ٩١) .

اسمه (التربيع بن حوثرة) (أبو ريشة) (أبو رائشة الحوثري) وكان، (عمرو ابن هند) قد اختاره وعيّنه على البحرين : حين همت (بكر بن وائل) بعامل (عمرو بن هند) . وتزعم رواية أخرى ، ان قاتله هو (المعلي بن حنش العبدي) وان الذي تولى قتله بيده هو (معاوية بن مرة الأيفلي) من (حي طسم وجديس)[1] .

وفرّ المتلمس الى بلاد الشأم حيث الغساسنة أعداء المناذرة ، وصار يمدحهم ويهجو عمرو بن هند ، واستقر بـ (بصرى) الى أن هلك . وقد خلف ولداً اسمه (عبد المنان) . وهناك قصص عن كيفية عودته الى زوجته ، وعن وصوله اليها ساعة عقد قرانها لرجل جديد في كنيسة ، لظن أهلها انه كان قد مات[2] .

وقد سخر (المتلمس) في أشعاره من (عمرو بن هند) ، وأقذع في هجائه حتى قال فيه :

ملك النهار فأنت الليل مومسة . ماء الرجال على فخذيك كالقرس

ووصفه فقال : انه (أخنس الأنف) ، وان أضراسه كالعدس ، الى غير ذلك من هجاء مرّ شديد .

وأود أن أبيّن ان من الرواة من ينسب هذا الهجاء الى شاعر آخر ، قالوا ان اسمه (عبد عمرو بن عمارة) ، وذكروا انه قاله في هجاء (الأبيرد الغساني)[3] .

ويظهر من رسالة الغفران ، أن للناس أقاويل في مقتل (طرفة) ، ورد فيها:

---

١ ديوان طرفة بن العبد (ص ٥) (كرم البستاني) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٣٧ ، ١٤٤) .

٢ راجع عن طرفة . الأغاني (٢١/ ١٢٠ وما بعدها) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للانباري (ص ١١٥ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٩٨) ، رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري (ص ٣٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء) ، طبقات ابن سلام (١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٨٨) ، شعراء النصرانية ، للويس شيخو ، (ص ٢٩٨ وما بعدها) ، شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ديوان طرفة . بيروت ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دمشق ١٩٦٣ م) ، خزانة الأدب ، للبغدادي (١/ ٤١٤) الحيوان (٣/ ٦٦) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٢٠١ وما بعدها) ، المؤتلف والمختلف ، للأمدي (ص ١٤٦) ،

٣ قولا لعمرو بن هند غير متئب . يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس
الأغاني (١ من القسم الثاني ص ٢٩٣) ، الاغاني (١٤/ ٣٠) .

« ولقــد كثرت في أمرك أقاويل الناس : فمنهم من يزعم أنك في ملك النعمان اعتقلت ، وقال قوم : بل الذي فعل به ما فعل عمرو بن هند »[1] .

وتطرق (الشريف المرتضى) في أماليه الى موضوع قتل (عمرو بن هند) لطرفة ، فذكر أن عامل البحرين يومئذ هو (المعلى بن حنش العبدي) وذهب الى احتمال كون قاتل (طرفة) هو (النعمان بن المنذر) ، استدل عـلى ذلك بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منــذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعضِ

قال : « وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصـة مع النعمان »[2] .

هذا وللمتلمس أشعار في هجاء (عمرو بن هند) ، وقد ظل يهجوه الى أن توفي وهو في الغربة في بلاد الشأم . وفي جملة ما قاله فيه .

أطردتني حذر الهجاء ولا واللهِ والأنصاب لا تَئِلُ

فهو يعيره بأنه إنما ابعده عنه وطرده ، لأنه كان يهجوه ، ولأنه كان يحذر هجاءه ويقول في أبيات أخرى .

ألك السدير وبـــارق ومرابض ، ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من ســـداد والنخل المبسّق

* * *

فلئن تعشــق فلتبلغن أرماحنــا منك المُخَنَّق[3]

وللشاعر (سويد بن خذاق) شعر في هجاء (عمرو بن هند) ، وهو أخو الشاعر (يزيد بن خذاق) ، وهما من (عبد القيس) . وذكر أن (يزيد بن

---

١ رسالة الغفران (٣٣٨) .
٢ أمالي المرتضى (١/١٨٣ ، ١٨٥) مجمع الأمثال (١/٣٥٠ وما بعدها) ، ديوان المتلمس (١٧٢ وما بعدها) .
٣ شعراء النصرانية (٣/٣٣٩) .

خذاق) ، كان أول من ذَمّ الدنيا في شعر[1] . وفي جملة ما قاله (سويد) في هجاء (عمرو بن هند) ، قوله :

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله   وإن قيـل عيش بالسـدير غزير
به البق والحُمّى وأسد خَفِيّـة   وعمرو بن هنـدٍ يعتدي ويجور

و (المنخل اليشكري) من معاصري (عمرو بن هند) كذلك . وكان يشبب بـ (هند) اخت (عمرو بن هند) ، واتهم بامرأة لعمرو بن هند ، فقتله على رواية[2] . وذكر انه اتهمَ بالمتجردة امرأة النعمانْ بن المنذر ، وانه كان ينادم النعمان ، وهو الذي اوقع فيما بينه وبين النابغة لحقده عليه . حتّى سبب في فرار النابغة الى (آل غسان) ليخلص نفسه من غضب النعمان عليه[3] . ومعنى هـذا ان (عمرو ابن هند) لم يقتله بل عاش الى ايام النعمان .

وقد مدح (المثقب العبدي) (عمرو بن هند) وكان في زمانه ، بقوله :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهى   وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي
ونجب به من آل نصر سميدعٍ   أغرّ كلون الهندوانيّ رونق

ونعته بالحلم والرزانة (والحلم الرزين) ، وبالفعلات[4] .

وقد عدّ (ابن قتيبة) الشعراء الذين عاصروا (عمرو بن هند) من قدماء شعراء الجاهليـة . فلـما تحدّث عن الشاعرين (سويد) و (يزيد) ، قال : « وهما قديمان كانا في زمن عمرو بن هند »[5] . ولما تحدث عن (المثقب العبدي) قال عنه : « وهو قديم جاهلي . كان في زمن عمرو بن هند »[6] . وعدّ (المنخل اليشكري) من قدماء الشعراء الجاهليين ، فقال عنه : « وهو قديم جاهلي »[7] .

---

١ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
٢ (وقتله عمرو بن هند . وقال قبيل قتله ..) ، الشعر والشعراء (ص ٢٣٩) .
٣ الشعر والشعراء (ص ٢٣٨) .
٤ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
٥ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
٦ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
٧ المصدر نفسه (ص ٢٣٨) .

ويجب أن نتذكر أن الشاعر (امرؤ القيس) كان أيضاً من معاصري (عمرو بن هند) ، وهو شاعر جاهلي قديم ، في نظر علماء الشعر . فيكون زمن أقدم شعر جاهلي ، وصل خبره الينا ، هو النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في سنين لا تبتعد كثيراً عن زمن ميلاد الرسول ، كما سأتحدث عن ذلك في القسم الخاص بالناحية الثقافية للعرب قبل الاسلام .

وورد في إحدى قصائد الأعشى ما يفيد اتساع ملك عمرو بن هند وجباية كل ما بين عمان و (ملح) له[1] . ويذكر بعض الرواة ان المراد بـ (عمان) هنا (عمان) بلاد الشأم ، واما (ملح) ففي اليمامة من بلاد بني جعدة[2] .

ويذكر بعض الأخباريين ان عمرو بن هند كان على (بقة) يدير أعمالها في ايام ابيه المنذر ، واليه لجأ امرؤ القيس الشاعر المعروف مستجيراً به لأنه كان ابن عمته ، فأجاره ، ومكث عنده زماناً . فلما سمع به المنذر ، وكان يتعقبه ، طلبه من ابنه ، فأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى حمير مستجيراً[3] .

وقد نسب الى ابن هند غزوة غزا بها تغلب ، فقيل : طلب (عمرو) من بني تغلب ، حينما تولى الملك مساعدته على أخذ الثأر من بني غسان قتلة أبيه ، وكانوا انحازوا عنه ، وطلب منهم الرجوع الى طاعته والغزو معه ، فأبوا ، وقالوا: مالنا نغزو معك . نحن رعاء لك فغضب عمرو بن هند ، وجمع الجموع . فلما تهيأت ، كان أول عمل قام به غزو تغلب ، فأوجعهم وآذاهم ، انتقاماً منهم ، لامتناعهم عن نصرته ومعاضدته[4] . وقد أشار الى هذا الحادث (الحارث بن حلزه اليشكري)[5] الشاعر الجاهلي احد اصحاب المعلقات .

ويذكر أهل الأخبار أن (الحارث بن حلزة) حضر مجلس (عمرو بن هند) ،

---

١ آفقا يجبى اليـه خرجـه كل ما بين عمان فملح
ديوان الأعشي (القصيدة ٣٦ ، البيت ٩) .

٢ ديوان الأعشي (ص ١٦٠) ، طبعة كاير) (Geyer) ، (ص ٢٣٧) (طبعة الدكتور م. محمد حسين) ، البلدان (١٤٧/٨) .

٣ الأغاني (٦٧/٨) .

٤ الأغاني (١٧٣/٩) (٤٧/١١) (ط. دار الكتب المصرية) .

٥ كتـ[illegible] قومنا اذ دعا المنذر : هل نحن لابن هند رعاء ؟
المعاني الكبير (١٠١٢/٢) ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٢) (طبعة صادر) .

وأنشده معلقته ، أنشده إياها من وراء سبعة ستور ، وذلك لبرص بـه . وكان الملك يأمر بعد خروج (الحارث) بغسل أثره بالماء ، كما يفعل بسائر البُرص . فلما أنشده قصيدته هذه ، طرب لها الملك كثيراً ، فأمر برفع الستور من بينهما ، وأدناه منه ، وأطعمه في جفنته ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ، ثم جزّ نواصي البكريين السبعين الذين كانوا رهناً عنده وسلمها اليه[1] ، تعظيماً لشأنه ، وتقديراً له ولقومه اليشكريين .

وقد حرض (الحارث) في قصيدته تلك الملك على التغلبيين ، وسرد حوادث تأريخية لها علاقة في هذا التعريض مما هاج الملك ، وراد في حدة غضبه عليهم .

ذكره بالأراقم ، وهم بطون من تغلب ، وصورهم كأنهم أناس عزموا على الاعتداء على قومه انتقاماً منهم ، لوقائع وقعت بينهم وبين قومه ما بين (ملحة فالصاقب) ، حيث ثأر قومه بقتلاهم . أما تغلب ، فلم تثأر بقتلاهم ، ثم ذكر التغلبيين خصومه ، بأن قومه أناس أشداء في الحروب ، يعتمدون في القتال على أنفسهم ، ولا يركنون الى أحد . ساروا من البحرين سيراً شديداً ، حتى بلغوا (الأحساء) ، طووا المسيرة سيراً واغارة على القبائل ، ثم لم يكتفوا بذلك ، فأغاروا على (تميم) فلما دخل الشهر الحرام ، كفوا عن القتال ، حرمةً له ، وعندهم سبايا من بنات القبائل صرن إماءً لهم . ثم ذكر الملك بامتناع (تغلب) من الانضمام اليه للحرب معه ، على حين نصره قومه ، وحاربوا معه . وكيف غلبوا على أمرهم ، غلبهم الملك . وكيف ذهبت دماء تغلب هدراً ، لم يؤخذ بثأرها وهو لا يترك قومه دماؤهم هدراً ، إذ يأخذون بالثأر من قتلة قتلاهم . ثم انتقل الى يوم (الشقيقة) ، حيث جاءت (معد) ، ولكل حي منها لواء حول (قيس بن معد يكرب) من ملوك حمير . وبيّن كيف أن قومه تعرضوا لقيس ولمن معهم ، حتى ردّهم بطعن خرج به الدم من جروحهم خروج الماء من أفواه القرب . ثم انتقل الى وصف قتالهم مع (حجر بن أم قطام) ، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروع الكتيبة ، وجلا صدأها ، ثم حدث عن كيفية فكهم غل (امرىء القيس) من حبسه بعد أن طال حبسه ونال منه العناء[2] .

---

١ شرح المعلقات للزوزني ، (ص ١٥٤) ، (دار صادر) ، (بيروت ١٩٥٨ م) .

٢ ويرى بعض علماء الأدب أن المراد (فارسية خضراء) ، دروع وبيض فارسية ، ركبها الصدأ ، شرح الزوزني (ص ١٦٥) (صادر) .

وتعرض المذكر (الجون : جون آل بني الأوس) ومعه كتيبة شديدة العناد. ولّت الأدبار بعد قتالها مع (بني يشكر) قومه . ثم تعرض لقتالهم مع الغساسنة انتقاماً منهم ، لقتلهم (المنذر) والد (عمرو بن هند) وأسرهم تسعةً من الملوك. وأخذهم أسلابهم منهم ، وأسلابهم غالية الأثمان،لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم. ثم انتقل الى ذكر يوم (ذي المَجاز) وكيف جمع (عمرو بن هند) بني (بكر) و (تغلب) وأصلح بينهما ، وأخذ منهما الوثائق والرهون . وكتب العهد بينهما بوجوب الوفاء بما اتفق عليه في هذا اليوم . ثم أخذ يعيرهم ويذكر هزائمهم التي ألحقتها (كندة) و (إياد) و (تميم) و (بنو حنيفة) و (قضاعة) وقبائل أخرى بهم ، ويتهمهم بخرق العهد والمواثيق وبالغدر . وقد جاءت هذه القصيدة معبرة عن حقد (عمرو) على التغلبيين وعن غضبه عليهم لمقاومتهم له .

وغزا عمرو بن هند طيئاً ، بتحريض زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم الحنظلي اياه على غزوها ، ويقول أهل الأخبار ان عمرو بن هند امتنع في بادىء الأمر عن غزو طيء ، لوجود حلف بينه وبينهم ، غير ان زرارة ألح عليه بغزوهم ، فغزاهم وأخذ أسرى منهم[1] .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان عمرو بن هند كان قد عاقد طيئاً ألا ينازعوا ولا يغزوا ولا يفاخروا . ثم غزا اليامة ، فرجع منفضاً ، فمرّ بطيء ، فحرضه زرارة عليهم ، ولم يزل به يحرضه ويغريه بالغنائم ، حتى غزا طيئاً ، وأسر من بني عدي رهط حاتم الطائي سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة . فلما بلغ عمرو بن هند الحيرة،توسط (حاتم) لديه في فك الأسرى فوهبهم له[2] .

وغزا (عمرو بن هند) تميماً فقتل من (بني دارم) مئة نفس انتقاماً منهم لقتلهم أخاه سعداً أو ابنه مالكاً في رواية أخرى . وكان ذلك في يوم أوارة الثاني[3] (يوم أوارة الأخير) . ويزعم الأخباريون انه ألقى بالقتلى في النار،ولهذا السبب عرف بـ (المحرق) (محرق) (المحرق الثاني)[4] . ولبعض الأخباريين تفاسير

١ الأغاني (١٩/١٢٧ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .
٢ أيام العرب (١٠٢) .
٣ حمزة (ص ٧٣) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥) ، البلدان (١/٣٩٢) ، الكامل (١/٢٥٩) ، العقد الفريد (٣/١٥٤) ، الأغاني (١/١٢٢) .
٤ الأغاني (١٩/١٢٩) ، الكامل (١/٢٢٨) ، الميداني (١/٢٦٦) ، اللسان (١٠/٤٢) .

أخرى في منشأ هذا اللقب[1] ، تحاول ايجاد مخرج لمعنى (محرق) التي ترد مقرونة بأسماء بعض ملوك (آل جفنة) و (آل لخم) .

وفي كتب الأمثال مثل هو : « إن الشقي وافد البراجم » ، زعم أصحاب الأخبار ان قائله هو الملك (عمرو بن هند) قاله يوم قتلت (البراجم) — وهم أحياء من (تميم) : عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم ، وهم (بنو حنظلة بن زيد مناة) تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع — شقيق (عمرو ابن هند) ، فسار اليهم وآلى أن يحرق منهم مئة ، فقتل تسعة وتسعين،وأحرق القتلى بالنار ، فر رجل من البراجم وراح رائحة حريق القتـلى ، فحسبه قُتار الشواء ، فمال اليـه ، فلما رآه عمـرو قال له : ممن أنت ؟ قال : رجـل من البراجم فقال : ان الشقي وافد البراجم . وأمـر فقُتل وألقي في النار ، فبرت به يمينه[2] .

وورد ان عمراً بقي ينتظر وافداً من البراجم ليلقي به في النـار فيكمل بذلك العدد ، حتى اذا طال انتظاره قيل له : لو تحللت بامرأة منهم ، فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم اسمها الحمراء بنت ضمرة بن جابر ، فأمر بالقائها في النار . فكمل بذلك العدد[3] .

وكان سبب قتل أسعد أو سعد أخي عمرو بن هند أو ابنه مالك،انه لما ترعرع مرت به ناقة كوماء سمينة ، فرمى ضرعها ، فشدّ عليه ربُّهـا سويد أحد بني عبدالله بن دارم فقتله ، ثم هرب سويد فلحق بمكة ، واستجار بأهلها. فبلغ الخبر عمرو بن هند ، وكان زرارة بن عدس التميمي عنده ، فاغتاظ زرارة من هذا العمل ، اذ كان الملك قد وضع (سعداً) (اسعد) في بيته ، وانتهز زعماء طيء هذه الفرصة وحرضوا عمرو بن هند على مهاجمة بني دارم قتلته للأخذ بثأرهم منه[4].

---

١ الاقتضاب (ص ٣٥٩) ، العمدة (٢/٢١٦) .

٢ البرقوقي (ص ٥٥) ، العمدة ، لابن رشيق (٢/٢٠٥) ، الأمثال للميداني (١/٩٥) ، ابن الأثير (١/٣٣٤) ، النقائض (٦٥٢ ، ١٠٨١) ، اللسان (١٠/٤٢) ، (حرق) .

٣ أيام العرب (١٠٥) .

٤ العمدة (٢/٢٠٥) ، الأغاني (٢٢/١٨٦) ، (بيروت) ، المسعودي ، مروج (١/٢٣) ، اليعقوبي (١/١٧١) ، ابن خلدون (٢/٥٦٦) ، خزانة الأدب (٣/١٤٠) ، نهاية الأرب ، للنويري ، (٣/١٨) ، البكري ، معجم (١/٢٠٧)، النقائض (٢/٦٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية أخرى تنفي تحريق عمرو بن هند للمذكورين من بني دارم والرجل الآخر من البراجم ، وترى انهم قتلوا ، قتلوا بأمر عمرو بن هند[1] .

وأوارة الموضع الذي أحرق فيه المذكورون من بني تميم ، أو قتلوا فيه ، هو اسم ماء أو جبل لبني تميم قيل انه بناحية البحرين[2] .

وكان (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي أصاب (بني تميم) مع (عمرو ابن هند) يوم أوارة ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، وكان وفاداً الى الملوك[3] .

والأعشى الشاعر ممن ذكر هذا اليوم في شعره . وعيّر الشاعر جريرُ الفرزدقَ بيوم أوارة[4] .

وتذكر بعض الروايات عن يوم (أوارة) أن (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي حرض (عمرو بن هند) على غزو بني دارم ، وأنه شاركه في غزوهم. وقد أشير الى ذلك في شعر للطرماح الطائي يفاخر به الفرزدق ، وهو شاعر من بني تميم[5] . وسبب ذلك أن طيئاً كانت تطلب عثرات زرارة وبني أبيه ، لأنه كان قد حرض عمرو بن هند عليهم . فلما بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، أنشأ (عمرو ابن ملقط) شعراً ، بلغ عمرو بن هند، فتأثر به ، وقرر السير على زرارة وقومه للانتقام منهم بقتلهم شقيقه[6] .

ويفهم من بعض الرواة أن (يوم الشقيقة) كان قد وقع في عهد عمرو بن هند ، إذ تذكر أن قوماً من شيبان جاؤوا مع قيس بن معديكرب ومعهم جمع عظيم من أهل اليمن ، وقصدوا إبلاً لعمرو بن هند ، فردّهم بنو يشكر، وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى الإبل[7] .

---

١ البلدان (٣٩٣/١) ، العمدة (٢٠٥/٢) . قال جرير :
أين الذين بسيف عمرو قتلوا — أم أين اسعد فيكم المسترضع ؟
٢ البلدان (٣٩٣/١) .
٣ ذيل الامالي (٢٤) .
٤ معجم ما استعجم (٢٠٧/١) (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ م) .
٥ واسأل زرارة والمأمون ما فعلت — قتلى أوارة من رعلان واللدد
ودارم قد قذفنا منهم مئة — في جاحم النار اذ يلقون في الخدد
ديوان الطرماح (ص ١٤٥) .
٦ أيام العرب (١٠٣) .
٧ الأغاني (٤٨/١١) (دار الكتب المصرية) .

وقد رأى بعض أهل الأخبار ، استناداً الى قصيدة للنابغة مطلعها :

أتاركة تدللهـا قطـامِ وضنّـاً بالتحيـة والكلام

أن الذي قام بالغزو المذكور فيها هو (عمرو بن هند) . وأن غزوه بلـغ حتى جبال حمى[1] . غير أن الأبيات تدل على ان صاحب تلك الغزوة كان قـد دَوّخ العراق ، وأنه حارب قبائلـه ، ولهذا لا يعقل أن يكون صاحبها عمرو ابن هند ، بل لا بد أن يكون ملكاً من آل غسان غزا العراق والى هذا الرأي ذهب المستشرق (نولدكه)[2] .

وفي بعض الروايات أن عمراً توسط بين بكر وتغلب ابني وائل فأصلح بينهما بعد حرب البسوس، وأخذ رهائن من كل حيّ من الحيين مئة غلام من أشرافهم، ليكف بعضهم عن بعض ، فكانوا يصحبونه في السلم والحرب[3] .

ويرى فريق آخر من الأخباريين أن الذي توسط لعقد الصلح بين القبيلتين هو المنذر بن ماء السماء[4] .

وذكر أن أناساً من تغلب جاؤوا الى (بكر بن وائل) يستسقونهم، فطردتهم بكر للحقـد الذي كان بينهم ، فرجعوا عطاشاً ، فمات سبعون منهم ، فاجتمع بنو تغلب واستعدوا لملاقاة بكر ومحاربتهم ، ثم خاف عقلاء الطرفـين من عودة الحرب الى ما كانت عليه ، فتداعوا الى الصلح ، فتحاكموا الى الملك (عمرو بن هند) ، فطلب منهم سبعين رجلاً من أشراف وائل ليجعلهم في وثاق عنده ، فإن كان الحق لبني تغلب ، دفعوا اليهم ليأخذوا ثأرهم ، وإن لم يكن رجعـوا سبيلهم، فجاءت تغلب وعلى رأسها عمرو بن كلثوم، وحل الخصومة عمرو بن هند[5] .

وفي رواية يذكرها (ابن دريد) : أن (بني الحارث بن مُرّة) قتلوا ابناً

---

١ شعراء النصرانية (ص ٧١٥) .
٢ الأغاني (١٩/١٢٧) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .
٣ الأغاني (١١/٤٢ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانيـة (ص ١٩٨ وما بعدها) .
٤ الأغاني (١١/٤٤ وما بعدها (دار الكتب المصرية) ، (٩/١٧٢) (مطبعة التقـدم) .
٥ جمهرة أشعار العرب (١٢٠) ، شرح القصائد السبع للزوزني (١٤٦ وما بعدها) .

لعمرو بن هند ، فرهن (سيّار بن عمرو) قوسه بألف بعـير ، وضمنها للملك من ملوك اليمن ، فعرف لذلك بـ (ذي القوس)[1] . أما (السكّري) ، فذكر أن سياراً ذا القوس، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث بن ظالم، من النعمان الأكبر[2] .

ويفهم من الموارد الأعجميـــة أن عمراً كان قد أغار على بلاد الشأم في سنة (٥٦٣ م) ، وكان على عربها الحارث بن جبلة[3] . والظاهر أن الباعث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل اسكاتهم عن مهاجمة الحدود . فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة (٥٦٢ م) ، وهدأت الأحوال ، لم يدفعوا لابن هند ما تعودوا دفعه لوالده ، فأثر امتناعهم هـــذا في نفسه ،وطلب من الفرس مساعدته في ذلك . فلما طالت الوساطة ، ولم تأت بنتيجة ، هاجم تلك المنطقة ، ثم أعاد الغارة في سنة (٥٦٦ م) وسنة (٥٦٧ م) على التوالي . وقام بهاتين الغارتين أخوه قابوس بأمر أخيه .

ويعزو (ميننـدر) **(Mânander)** أسباب الغارة الأخيرة الى سوء الأدب الذي أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذي ذهب الى القيصر(يوسطينوس) **(Justinus)** لمفاوضته على دفع المال[4] . وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبـــل ذلك الى الفرس للبحث في هذا الموضوع ، أحدهما اسمه بطرس ، والآخر اسمه يوحنا ، غير انهما أنكرا للفرس حق ملك الحيرة في أخذ إتاوة سنوية من الروم . فلما عومل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين[5] .

وتذكر رواية من روايات أهل الأخبـار ان (عمرو بن هند) جعـــل أخاه (قابوس بن المنذر) على البادية ، ولم يعط أخاه (عمرو بن أمامة) شيئـــاً ، وكان مغاضباً له ، فخرج (عمرو) الى اليمن ، فأطاعته مراد ، وأقبل بها يقودها نحو العراق ، ولكنها ثارت عليه ، ثار عليه المكشوح وهو (هبيرة بن يغوث) فلما أحيط به ضاربهم بسيفه حتى قتل[6] .

---

١ الاشتقاق (٢/١٧٢) .

٢ المحبر (٤٦١) .

٣ Rothstein, S. 96, Theophanes, 371, Noldeke, Sassa., 172, Ghassan., 20.

٥ Rothstein, S. 96, Menander, By Dindorf, Histo. Min., II, 45.

٤ Rothstein, S. 96.

٦ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

أما (أمامة) أم (عمرو بن أمامة) ، فانها (أمامة بنت سلمة بن الحارث الكندي) عم امرىء القيس[1] .

ويفهم من بعض الروايات ان عدي بن زيد العبـــادي كان من المقربين عند عمرو بن هند ، وكان يصحبه مع من يصحبه من الرؤساء في الصيد[2] .

وانتهت حياة عمرو بن هند بالقتل ، وهو مسؤول عن قتل نفسه إن صحت القصة . وخلاصتها : ان الغرور أخذ مأخذه من صاحبنا عمرو . وأراد يوماً أن يظهر فخره أمام الناس ، فقال لجلسائه : هـــل تعلمون ان أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه الا أن يكون عمـرو بن كلثوم التغلبي ، فان أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت وأضمرها في نفسه . ثم بعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره أن تزور أمه ليلى أم نفسه هند . فقدم عمرو مع أمه ، فأنزلها منزلاً حسناً ، ثم أمر بالطعام فقدم للحاضرين . وكان عمرو قد قال لأمه: اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف ، فنحي خدمك عنك ، فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها . فصاحت ليلى عندئذ : وأذلاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، وثار الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق ، فأخذه وضرب به رأس مضرط الحجارة ، ونادى في التغلبيين فأخذوا ما تمكنوا من أخذه ، وعادوا من حيث أتوا[3] . وهكذا جنى عمرو بن هند حصاد مـــا زرعه إن صحت الرواية . ويروي الرواة في تأييدها هـــذا المثل :

---

١ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

٢ الأغاني (٢/١٥٤) .

٣ ابن الأثير (١/١٢٦) الأغاني (٩/١٧٥) ، (١١/٥٣) (دار الكتب المصرية)، ابن خلدون ، القسم الأول ، المجلد الثانـــي (٥٦٦) ، (بيروت ١٩٦٥ م) المحبر (٢٠٢) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٨٥) ، الأمالي ، للقـالي (١/١٩٣) .

« أفتك من عمرو بن كلثوم » . كما افتخر بها الشعراء التغلبيون[1] .

ويقال إنّ أخا عمرو بن كلثوم : (مُرّة بن كلثوم) ، هو قاتل (المنذر ابن النعمان بن المنذر) . وفي ذلك يقول الأخطل :

ابـني كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا

يعني بعمّيه عمراً ومُرّة ابني كلثوم[2] .

وذكر الشاعر (أفنون) واسمه (صريم بن معشر) ، وهو من بـني تغلب (عمرو بن هند) في شعر رواه (ابن قتيبة) على هذا النحو :

لعمرك ما عمرو بن هنـد اذا دعا لتخـدم أمّي أمـه بموفق[3]

وفي هذا البيت اشارة الى مقتل (عمرو بن هند) ، بسبب أم الملك . وقد وقع فيه تحريف ولا شك ، صير الأم التي طلبت منها أم عمرو بن هند خدمتها ، أم الشاعر المذكور ، بينما هي (ليلى) أم الشاعر (عمرو بـن كلثوم) ، قاتل عمرو بن هند . كما يرويه علماء الشعر على لسان (أفنون) أيضاً ، ولكن على هذا الشكل :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليـلى أمه بمـوفق[4]

(وعمرو بنَ كلثوم ، هو القائل :

ألا هُبّي بصَحنك فاصبحينا

---

١ قانون أفنون التغلبي .

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخـدم ليـلى أمـه بموفـق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا وأمسـك من ندمانـه بالمخنـق
وجلله عمرو على الـرأس ضربة بذي شطب صافـي الحديدة رونق

ابن الأثير (/٢٢٦) ، الاغاني (١٨٣/٩) ، شعراء النصرانية (٢٠٠) .
وقال الأخطل مفتخرا :

ابنى كليب ، ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

الأغاني (١٨٣/٩) ، ابن دريد . الاشتقاق (٢٠٤) ، خزانة الأدب (٥٢٠/١) حمزة (ص ٧٢) .

٢ الشعر والشعراء (ص ١١٩ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١١٩ ، ٢٤٩) .

٤ الأغاني (١٨٣/٩) ، ابن الأثير (٢٦٦/١) .

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب القديم واحدى السبع ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها ، قال بعض الشعراء :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم[1]

والى هند أم الملك ينسب دير هند الكبرى من أديرة الحيرة ، وقد أرخ بناؤه في عهد خسرو أنو شروان وفي عهد الأسقف مار افرايم . وقد لقبت فيه بالملكة بنت الأملاك وام الملك عمرو بن المنذر[2] . واذا صحت قراءة الأخباريين هذه ، كان بناء هذا الدير في ايام ابنها عمرو .

وكان الملك من نصيب قابوس بن المنذر بعد وفاة عمرو بن هند أخي (قابوس) وأمه هند . أما المسعودي فجعل امه بنت الحارث من آل معاوية بن معد يكرب[3]. وقد ملك على رواية حمزة أربع سنين في زمن أنو شروان[4] . وذكر حمزة ان من الأخباريين من قال انه لم يملك . (وانما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين). وقد وصفه بالضعف وباللين ، ولذلك قيل له (فتنة العروس) و (قينة العرس) في بعض الروايات . وقد قتله رجل من يشكر ، وسلب ما كان عنده وعليه[5] .

وليس بصحيح ما زعمه حمزة نقلاً عن بعض الأخباريين من أن قابوساً لم يكن ملكاً ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه وأخاه كانا ملكين . فقد نعته (يوحنا الأفسوسي (John of Ephesus) في تأريخه الكنسي بـ (ملكا) أي ملك،ويوحنا الأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس للميلاد . وقد توفي سنة (٥٨٥ م)تقريباً . ولم يكن لينعته بـ (ملكا) لو لم يكن قابوس ملكاً على الحيرة حقاً[6] .

---

١ الشعر والشعراء (ص ١٢٠) ، شرح التبريزي على المعلقات (٢٣٨) ، امالي المرتضى (١/٥٧ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٣٢٧ ، ٥٥٩) .
٢ الحيرة (ص ٤٧) .
٣ مروج (٢/٢٤) ، (دار الرجاء) .
٤ حمزة (٧٣) ، المحبر (٣٥٩) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
٥ حمزة (٧٣) ، وجعل المسعودي مدة حكمه ثلاث سنين ، مروج (٢/٢٤) ، ابن الأثير (١/٢٠٠) ، المعاني الكبير (٢/١١٨) .
٦ John of Ephesus : Eccl. Histo., 354, II, 3, (Cureton ed.)
6, Rothstein, S. 102.

ويظهر أن الصورة التي رسمها الأخباريون لقابوس إنما حصلوا عليها من شعر الهجاء الذي قيل فيه،وأن ما أورده عنه من لين وضعف هو في حاجة الى دليل، إذ يظهر من الموارد الأخرى مثل التواريخ السريانية أنه كان على العكس[1] . وقد يكون لتوليه الحكم ، وهو رجل متقدم في السن ، أصل في ذلك الهجاء . فالذي يظهر من أخباره انه ولي الحكم وهو شيخ كبير . وأما اللقب الذي لقب به،وهو قينة العرس ، فقد انتزعه الأخباريون من شعر منسوب الى طرفة هجا فيه عمرو ابن هند وقابوساً ، وهو قوله :

يأت الذي لا تخاف سبته　　　عمرو وقابوس قينتا عرس[2]

وقد ذكر المؤرخ (مارسليانوس) (Marsilianus)رجلاً سماه (Chabus) ، ذكره مع المنذر الثالث في حوادث سنة (٥٣٦ م)[3].ويرى (روتشتاين) أن المراد به رجل آخر غير قابوس . فلو كان هو المقصود به كان قابوس إذن شيخاً هرماً حين انتقل الملك اليه ، ولكنه لا ينفي مع ذلك عدم جوازه[4] . وقد أشرت الى ارسال أخيه عمرو اليه في حملة انتقامية على عرب الشأم ، وذلك في سنة (٥٦٦) وسنة (٥٦٧ م) .

ولما تولى قابوس الحكم ، أغار على بلاد الشأم ، وكان يحكم عرب الشأم المنذر ابن الحارث بن جبلة اذ ذاك . وقد ذكر (ابن العبري) أن المنذر بن الحارث (منذر برحرت) كان نصرانياً وان جنوده كانوا نصارى كذلك . ولم يشر الى نصرانية قابوس . ويفهم من جملة ابن العبري . (وقد أغار قابوس على العرب النصارى) ما يؤيد هذا الظن . وقد ظفر قابوس بغنائم عديدة أخذها وعاد بها غير ان المنذر جمع جيشه وسار يتعقبه . فلما التقى به ، تغلب عليه ، وأخذ منه أموالاً كثيرة وعدداً كبيراً من الجمال . ولما أعاد قابوس الكرة ، انهزم ، فذهب الى الفرس يلتمس منهم عوناً ومدداً[5] . ويظهر من رواية أخرى أن انتصار المنذر على قابوس كان في سنة (٨٨١) من التقويم السلوقي وهي توافق سنة (٥٧٠) للميلاد[6].

---

١ Rothstein. S. 102, Caussin, Essai, II, 129.

٢ اليعقوبي (١/١٧٢) .

٣ Nöldeke : Sassa., 345, Rothstein, S. 102.

٤ Rothstein, S. 103.

٥ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 79.

٦ Land : Anecd. Syr. I. 13.

ويظهر من رواية لـ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) ان الملك قابوساً انتهز الفرصة عند وفاة الحارث بن جبلة ، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجيء في عقر دارهم ، فأسرع عندئذ المنذر بن الحارث وجمع جمعه ، وفاجأه بهجوم مقابل لم يتمكن قابوس من الثبات له ، فانهزم هزيمة منكرة بحيث لم ينسج من أصحابه الا القليل . وقد فر هو ومن سار معه من الناجين في اتجاه نهر الفرات تاركاً عدداً من الأمراء اللخميين أسرى في أيدي المنذر . غير ان المنذر سار في أثرهم حتى كان على ثلاث مراحل عن الحيرة[1] ، ويرى نولدكه ان هذه المعركة هي معركة عين أباغ[2] .

وبعد قليل من هذه الهزيمة جرب قابوس حظه مرة اخرى ،غير انه مني بخسارة جديدة ، وكانت هذه الغارة حوالي سنة (٥٧٠ م)[3] .

وجـرب قابوس حظه مرة أخرى منتهزاً فرصة القطيعـة بين المنذر والقيصر (يسطينوس) (Justinus) ، وهي قطيعة لا نعلم أسبابها على وجه التحقيق ، وانما يعزو ابن العبري سببها الى مطالبة المنذر للقيصر بدفع مال اليه ليتمكن بـه اعداد جيش قوي منظم يستطيع الوقوف به أمام الفرس[4] . فأغار على حدود الروم وتوغل في الأرضين التابعة لهم حتى وصل أتباعه الى منطقة (انطاكية)[5] . وقد دامت تحرشات (عرب الفرس) بحدود الروم ثلاث سنين هي مدة القطيعة ،حيث كان المنذر قد ذهب مع اتباعه الى الصحراء فاحتمى فيها ،ولم تنقطع هذه التحرشات الا بعد مصالحة الروم له في الرصافة . حينئذ جمـع المنذر اتباعـه وفاجأ المناذرة بهجوم خاطف كابدت منه الحيرة الأمرين ، وأطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم . وقـد وقعت هذه المفاجـأة حوالي سنـة (٥٧٨ م) . ويظن (روتشتاين) انها وقعت بعد وفاة قابوس في عهد المنذر الرابع أخي (قابوس) وخليفته في الملك[6] .

وقد ذكر (البكري) بيتاً من الشعر لأبـي دؤاد وردت فيه اشارة الى غزوة

---

١ John of Ephesus, VI, 3, Rothstein, S. 103.
٢ Rothstein, S. 103.
٣ Rothstein, S. 103.
٤ Bar Hebraeus, I, P. 79.
٥ John of Ephesus. P. 348, Rothstein, S. 104.
٦ Rothstein, S. 104.

غزاها قابوس عرفت بـ (يوم قحاد) . ويظهر ان خصوم قابوس أخذوا بثأرهم من هذا اليوم بغزوة قاموا بها على تنوخ[1] .

ويفاجئنا بعض الأخباريين بذكر رجل يقال له (فيشهرت) أو (السهرب) او (السهراب) ، قالوا انه هو الذي تولى الملك بعد قابوس[2] . وقد جعل حمزة مدة حكمه سنة واحـــدة في ايام (كسرى أنو شروان)[3] . ولم يشر الأخباريون الى الأسباب التي ادت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكاً على الحـيرة دون سائر آل لخم ، ومنهم المنذر أخو عمرو بن هند وقابوس ، فلعل اضطراباً حدث في المملكة او نزاعاً وقع بين اولاد قابوس او بين آل لخم ادى الى تدخـل الفرس فقرروا تعيين رجل غريب عن اهل الحيرة لأمدٍ حتى تزول أسبـاب الخلاف ، فقرروا تعيين واحد منهم . فلما زالت تلك المواقع ، عيّن المنذر ملكاً على الحيرة وبذلك عاد الملك الى آل لخم .

ويلاحظ ان بعض الأخباريين لم يذكروا اسم فيشهرت او السهراب،بل ذكروا ان الملك انتقل الى المنذر بعد وفاة اخيه قابوس[4] . وذكر المسعودي في كتابـه : مروج الذهب النعمان بن المنذر مباشرة بعد قابوس[5] .

واذا صحت رواية حمزة من ان حكم المنذر كان ثمانية أشهر في عهد (كسرى أنو شروان) وثلاث سنين واربعة أشهر في ايام (هرمز بن كسرى) ، فيجب ان يكون حكمه قد امتد من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٨٣) للميلاد[6] ، تقريباً لأن نهاية حكم (أنو شروان) كانت في سنة (٥٧٩) للميلاد عـلى رأي المؤرخين ، وحكم (هرمز) من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٩٠) للميلاد[7] .

ويظهر من شعر منسوب الى الشاعر (المرقّش) ان (المنذر) كان ينقب عنه أي : يستقصي في طلبه ، ولم يذكر سبب ذلك ، ولعله كان قد هجاه ، او ان

---

١ البكري . معجم (٣/١٤٩) (طبعة السقا) .
٢ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، الطبري (٢/٢١٣) (دار المعارف) .
٣ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (فيسهرب الفارسي) ، مفاتيـح العلوم (٦٩) .
٤ اليعقوبي (١/١٧٢) .
٥ مروج (٢/٢٤) .
٦ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (ثم ولي بعده المنذر ابو النعمان اربع سنين) ، الطبري (٢/٢١٣) .
٧ Ency., 4, 178.

جماعة وشت به عنده ، فصار يبحث عنه للايقاع به . وقد طلب في شعره هذا من الملك المذكور أن يكف عن طلبه ويسكت عنه ، وتمنى لو انه في (الزج) وهو موضع ، أو (بالشام ذات القرون) . وذلك لأن بلاد الشام بلاد كانت تحت حكم الروم ، فليس للمنذر حكم عليها ، فهو يكون بها في بلاد العدو بعيداً عن المنذر . وذكر (ابن قتيبة) ان معنى (ذات القرون) الروم ، وأراد قرون شعورهم[1] .

ويظهر من شعر لـ (سويد بن خذاق) أن (قابوس بن هند) وأخاً من إخوته لم يذكر الشاعر اسمه ، غزوا قومه ، وهم من عبد القيس ، وانتصرا عليهم وانزلا بهم خسارة فادحة ، يوم العُطيف : فَفَرَّقا القبائل ، وكانت أحلافاً متحالفة ، وشتتا الشمل . ودعا (الله) أن يجزيهما شرّ الجزاء بما فعلا ، وأن يحبس لبن (لبون الملك) ، فلا تدر عليه ، جزاء وفاقاً لما قاما به نحو قومه[2] .

أما الذي خلفه على الحيرة ، فهو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس . وقد كنّاه بعض الشعراء بـ (أبي قبيس)[3] . كما كنّاه بعضهم بـ (أبي منذر)[4]. ويذكر أهل الأخبار ان الناس كانوا إذا دخلوا على النعمان أو كلّموه ، قالوا له: (أبيت اللعن) . وذكر المسعودي : انه (هو الذي يقال له : أبيت اللعن)[5] .

اما أم النعمان ، فهي (سلمى بنت وائل بن عطية بن كلب) . او (سلمى بنت عطية)[6] . وقد نسبها بعض الأخباريين الى سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ. وقالوا إنها من فدك ، وزادوا في ذلك انها كانت امة للحارث بن حصن بن ضمضم ابن عدي بن جناب من كلب من دومة الجندل[7] . فهي بنت صائغ من فدك على رواية بعض ، وأمة من دومة الجندل على رواية بعض آخر . وهي في كلتا الحالتين من طبقة وضيعة لا تليق بأسرة مالكة ، ولعلها من أصل يهودي[8] ، إذ

---

١ المعاني الكبير (٢/٧٩٧) .
٢ الشعراء والشعراء (ص ٢٢٩) ، (ليدن) .
٣ في شعر النابغة ٣٠ ، ٧ ، ٣١ ، ١ ، علقمة ١٢ . Rothstein, S. 107.
٤ Rothstein, S. 107.
٥ مروج (٢/٢٤) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٦ مروج (٢/٢٤) ، الاغاني (١١/١٣) (دار الكتب المصرية) ، الاغاني (٢/١٠٦) ، (القاهرة ١٩٢٨) .
٧ الطبري (٢/١٤٧) .
٨ Rothstein, S. 108.

كان أكثر اهل فدك من اليهود . وكانوا يحترفون الحرف ومنها الصياغة . وقد دعي النعمان بأمه. فقيل له ابن سلمى في شعر الهجاء . وقصدهم من ذلك إهانته .

وقد تولى النعمان الثالث ، وهو النعمان الذي نتحدث عنه ، الحكم في حوالي السنة (٥٨٠) أو السنة (٥٨١) للميلاد . ودام حكمه حتى السنة (٦٠٢ م)[١] .

والظاهر من وصف الأخباريين له أنه كان دميم الخلقة ، فقالوا : إنه كان أحمر ، أبرش ، قصيراً[٢] . وهذا مما قوى جانب خصومه في التهكم به ، يضاف الى ذلك أصل أمه ، وقد أثر هذا النقص الذي لا يد له فيه ، في نفسية النعمان، وفي سلوكه ، ولا شك ، فصيره سريع الغضب ، أخاذاً بالوشايات ، فوقع من أجل ذلك في مشكلات عديدة . وقد يكون تسرعه الى تصديق ما قاله الواشون عن عديّ بن زيد ، وتأثره بأقوالهم من غير تحقيق ولا امتحان وقتله له ، من جملة تلك العوامل التي أدت الى هلاكه . وقد يكون اللقب الذي لقب به ، وهو (الصعب)[٣] ، وصفاً لتلك السجايا التي اتصف بها الملك ، والتي تعبر عن عقدة (مركب النقص) التي كانت ملازمة له .

وقد كان لقبح النعمان ودمامته ولأصل امه دخل ولا شك في تكوين الخلق العصبي فيه ، فصار يهيج ويتأثر به ، ويأخذ بأقوال الوشاة من غير تمحيص ولا ترو ، فنقمت منه الناس ، وهجاه بعض الشعراء .

اما اخوته وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً عدا النعمان ، فقد اشتهروا بالجمال والهيبة والوسامة ، ولذلك نعتوا بالأشاهب ، فوصفهم الأعشى بقوله :

وبنو المنذر الأشاهب بالحـ ـيرة يمشون غدوة بالسيوف[٤]

وقد أثرت شهرة اخوته بالأشاهب وبالوسامة في طبع النعمان المذكور ، وزادت في عصبيته وفي حدة طبعه وفي تأثره بأقوال الناس .

ويظهر من وصف الشعراء واهل الأخبار للنعمان انه كان صاحب شراب، يحب

---

١ Brockelmann : Die Araber, I, S. 10.

٢ الطبري (٢/١٤٧) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

٣ المعاني الكبير (٢/٨٧٨ ، ١٠٢٧) .

٤ الطبري (٢/١٩٤) (دار المعارف) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

الخمر ويجالس ندماءه ليشرب معهم ، غير ان الخمر كانت تؤثر فيه وتستولي على عقله ، فتدفعه الى السكر والعربدة والتطاول على ندمائه، مما ازعج اصدقاءه وحوّلهم الى خصوم وأعداء بسبب اهانات لحقت بهم منه في اثناء فقده وعيه وعدم تمكنه من حفظ اتزانه[1] .

وقد عبّر الشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) عن النعمان بـ (الصعب ذي القرنين) في شعره ، مما يدل على ان لقب (الصعب) الذي لقبه به كان معروفاً شائعاً بين الناس[2] . وقد يكون معبّراً عن معنى آخر غير معنى الصعوبة في الملك، كأن يكون اطلاقهم له من قبيل اطلاقهم لفظة (تبع) على من ملك من حمير . وأما (ذو القرنين) فقد قيل : إن القرنين هما الضفيرتان ، وان القرن الضفيرة. وقد دعي بذلك لأنه كان قد ربّى ضفيرتين[3] .

وقد جاء في رواية اخرى ان (الصعب ذا القرنين) لم يكن النعمان المذكور كما ذهبت اليه الرواية المتقدمة ، وانما هو (المنذر بن ماء السماء ، وانه هو ذو القرنين)[4] .

ويظهر من بيت الشعر الذي نتحدث عنه وهو :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث ، أميم ، مقيم

ان (الصعب ذا القرنين) كان قد ثوى في قبره ، فهو يرثيه ويذكره . وذهب الشراح الى ان (الحنو) اسم بلد ، ومعنى هذا ان الملك الذي يشير اليه (لبيد) قد دفن في هذا الموضع ، والذي نعرفه من بعض الروايات ان قبر (النعمان) كان بالحيرة ، وان ابنته هنداً قد دفنت الى جانبه .

ومن الشعراء الذين نسب اليهم هجاء النعمان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وله فيه وفي أمه هجاء مرّ . وقد وصف خاله بأنه ينفخ الكير ، ويصوغ القروط بيثرب أي انه كان من صاغة تلك المدينة ،وهو مما يؤيد روايات الأخباريين في أصل امه[5].

---

١ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ٢٥٧) .

٢ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٠٩) .

٣ المصدر المذكور .

٤ شرح ديوان لبيد (ص ١٠٩) .

٥ الاغاني (١١/٥٨ وما بعدها) .

لم ينتقل الملك الى النعمان بسهولة ، فقد كان للمنذر جملة أولاد حين أتتـه المنية ، عدتهم ثلاثة عشر ولداً معظمهم طامع في الملك . والظاهر ان المنذر كان عارفاً بالخلاف الذي كان بين اولاده ، فلم يشأ ان يزيده بتعيين احـد ابنائه . ولا ندري لِمَ لم ينص على اكبرهم جرياً على السنة المتبعة في انتقال الملك . ولعله كان عارفاً بحراجة الموقف وضعف مركز ابنه الكبير ، وعدم تمكنـه من فرض نفسه عليهم إذا عينه ونصبه ، لذلك وكل أمره كله إلى اياس بن قبيصة الطائي، فتولاه أشهراً حتى انفرجت المشكلة على النحو التالي على حد رواية ابن الكلبي .

دعا كسرى بن هرمز عديّ بن زيد العبادي ، فقال له : من بقي من بني المنذر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال عدي : بقيتهم في ولد هذا الميت، المنذر بن المنذر ، وهم رجال . فبعث اليهم يمتحنهم . فلما وفدوا على كسرى، أنزلهم على عدي بن زيد . فاحتال عدي على هؤلاء الأخوة كما يقول الأخباريون وتظاهر انه يفضلهم على ربيبه النعمان، واوصاهم ان يجيبوا جواباً معيناً حين يسألهم كسرى ، وامر النعمان ان يجيب جواباً آخر يختلف عن جواب اخوتـه . وهو جواب يعتقد ان كسرى سيرضى عنه ويعينه . فلما ادخلوا على كسرى واجابوا بجواب واحد هو الجواب الذي لقنهم إياه عدي ، وهو : « إن سألكم الملك . أتكفونني العرب . فقالوا نكفيكهم إلا النعمان ، وقـال للنعمان : ان سألك الملك عن اخوتك فقـل له : ان عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز » ، رضي كسرى بجواب النعمان وسر به ، فملكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمتـه ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب[1] . فانتصر بذلك النعمان على اخوته، وسر عديّ بن زيد بتولي ربيبه الملك .

وفي خبر لأبـي الفرج الأصبهاني ان عدي بن زيد اخذ النعمان الى (جابر بن شمعون) ، وهو من (بني الأوس بن قلام بن بطـين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب) ، وكان أسقفاً على الحيرة ، فاقترضا منه مالاً لتدبير امورهما به ، وذكر ان جابراً هو صاحب القصر الأبيض الذي بالحيرة[2] ، وكان

١ الطبري (٢/١٤٧) ، (٢/١٩٥ وما بعدها) (دار المعارف) ، الاغاني (٢/١٠٦ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .

٢ الاغاني (٢/١١٥) (دار الكتب المصرية) .

ذا سلطان واسع في بني قومه ، ولذلك فقد يكون لأخذ عدي للنعمان اليه للحصول على تأييده أثر في نجاحه في تولي العرش .

ويروي المفضل الضبي ان عدي بن زيد العبادي لما قدم على النعمان صادفه لا مال عنده ولا اثاث ولا ما يصلح للملك ، وكان آدم اخوته منظراً ، وكلهم اكثر مالاً منه ، فقال له عدي : كيف اصنع بك ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلة الا ما تعرف انت ، فقال له : قم بنا نمضي الى ابن قردس – رجل من أهل الحيرة من دينه – فأتياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى ان يقرضهما وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون ، وهو الأسقف وهو أحد بني الأرس بن قلام بن بطين بن جمهر بن لحيان من بني الحارث بن كعب ، فاستقرضا منه مالاً ، فأنزلهما عنده ثلاثة ايام ، يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع ، قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امره عند كسرى ، فقال : لكما عندي ثمانون الفاً ، ثم اعطاهم اياها ، فقال النعمان لجابر : لا جرم ، لا جرى لي درهم الا على يديك إن انا ملكت[1] !.

ولكن انتصار النعمان ادى الى هلاك عدي بن زيد على ما يقوله الأخباريون ، فقد كان لعدي ، كما لكل رجل كبير صار له نفوذ وجاه ومركز خطير ، اعداء في مقدمتهم رجل اسمه كاسمه ودينه مثل دينه ، هو (عدي بن اوس بن مرينا) ، وبنو مرينا اسرة لها مكانتها وخطرها في الحيرة . وكان لهذا الرجل شأن يذكر في ايام المنذر ، وكان يميل الى الأسود بن المنذر لأنه ربيب بني مرينا ، فنصحه ان يتجنب الأخذ برأي عدي بن زيد ، لأنه رجل لا ينصح . فلما اخفق الأسود في الامتحان ، وعجز عن نيل التاج ، صار يدبر المؤامرات لخصمه عدي ، ويَشي به الى النعمان ، ويغري آخرين بالتظاهر بأنهم من محبي عدي ، ليثق النعمان بهم ، فإذا أمن بهم ، عادوا فوشوا بعديّ عنده ، ثم لم يكتف بذلك فوضع رسائل على لسان عدي الى قهرمان لعدي فيه مكر ومؤامرة بالنعمان ، ثم دسّ له حتى اخذ الكتاب ، فجاء به الى النعمان ، فلما قرأه صدق بما جاء فيه ،وغضب على عديّ وقرر الانتقام منه[2] .

---

١ الاغاني (٢/١١٥ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/١٤٧ وما بعدها) ، اليعقوبي (١/١٧٣) ، الاغاني (٢/١٠٨ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .

جرت كل هذه المؤامرات على ما يقوله الأخباريون ، وعديّ عند كسرى يقوم بوظيفته لا يدري بها . فلما كتب النعمان اليه : « عزمت عليك الا زرتني ، فإني قد اشتقت الى رؤيتك » . صدّق كلامه ، واستأذن كسرى فأذن له . وسار الى منيته وهو لا يدري ما يخبئه له القدر . فلما وصل الى من كان مشتاقاً الى رؤيته ، ألقاه في سجن منفرد لا يدخل عليه فيه أحد ، وهو لا يدري بمَ سجن . وفي السجن أخذ ينظم أشعاراً يتضرع فيها الى النعمان أن يفك أسره ، ويعظه فيها بالموت وبمن هلك قبله من الملوك الماضين ، وكاد يطلقه لولا وشاية أعدائه به . فلما طال سجنه، كتب بشعر الى أخيه (ابي) وهو مع كسرى يستجير به للتوسط لدى كسرى أن يكتب الى النعمان يأمره بفك أسره . فلما كتب كسرى بذلك كتاباً أرسله مع شخص الى النعمان ، كتب خليفة النعمان عند كسرى اليه يبلغه بمجيء الرسول ، وعرف أعداء عديّ من (بني بقيلة) من غسان، فقالوا للنعمان : اقتله الساعة قبل وصول الرسول اليك ، فان لم تفعل فسيذهب الى كسرى فلا يستبقي أحداً لا أنت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات في سجنه بالصنّين . ولما وصل الرسول ، رُشي بهدايا كثيرة نفيسة ، فعاد الى كسرى يخبره أن عدياً مات قبل وصوله بأيام[1] .

وقد أحس عديّ بن زيد كما يقول الأخباريون بامتعاض خصمه عديّ بن أوس بن مرينا من الحيلة التي دبرها لنجاح النعمان وبمحاولته الغدر به ، فأراد مصالحته واسترضاءه كما يقول الاخباريون فعمل له طعاماً دعا اليه من أحب عديّ ابن أوس بن مرينا حضوره ، وحلف بعد انتهاء الطعام في البيعة أنه لن يحقد عليه ، وأنه سيتناسى ما حدث ، ورجا من خصمه أن يفعل مثله . فقام عديّ ابن أوس الى البيعة ، فحلف مثل يمينه أن لا يزال يهجوه أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي ، وقد كان[2] . وهم يروون شيئاً من هذا التهاجي الذي وقع بين الخصمين. ويذكر أهل الأخبار ان عدي بن مرينا صار يحرض الأسود ويحثه على الأخذ

---

١ الطبري (٢/١٥٢) ، اليعقوبي (١/١٧٣) ، مروج الذهب (٢/٢٥ وما بعدها) الاغاني (٦/٦٥) (دار الكتب المصرية) ، الكامل لابن الاثير (١/٢٨٦ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) ، المعاني الكبير (٣/١٢٦١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/١٤٧) .

بثأره من عدي بن زيد ، فكان يقول له : « أما اذا لم تظفر ، فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل باك ما فعل ، فقد كنت أخبرك ان معداً لا ينام كيدها »[1] . وعدي من تميم ، وتميم من معد .

وهناك روايات أخرى في أسباب غضب النعمان على عدي وحبسه له في الصنين. لا تخرج في جملتها عن حدود هذه المنافسة التي دبرها عدى بن مرينا وخصوم عدي له ، ولكنها تجمع كلها على قتل النعمان لعدي[2] .

وفي كتاب الأغاني رواية تذكر ان النعمان أرسل ذات يوم الى عدي بن زيد ان يأتيه ، فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب ، وأمر به فسحب من منزله حتى انتهى به اليه، فحبسه في الصنّين بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ، وبقي هناك حتى لاقى حتفه[3] .

ويظهر من شعر ينسب الى عدي ، قاله لابنته يوم باتت عنده مع أمها في السجن ، وهي جويرية صغيرة ، ان النعمان كان قد أمر بوضع الغلّ في يديه[4] .

والقصة كما يرويها الأخباريون قصة طريفة تصلح أن تكون موضوعاً لشريط سينمائي اختلط فيها التأريخ بالخيال ، والواقع بالابداع . أما نحن فلا يهمنا من أمرها الا النتيجة ، وهي ان الفرس قبضوا على النعمان ملك الحيرة وسجنوه ، وان حادثاً وقع بعد ذلك كان وقعه عظيماً في نفوس العرب ، لا في العراق وحده ، انما دوى صداه الى جميع جزيرة العرب كلها ، هو حادث وقعة ذي قار ، وهي من الوقائع الفاصلة في تأريخ الجزيرة كان لها أثر في فتح الاسلام للعراق .

وندم النعمان كما يقول الأخباريون على ما صنع ، واجترأ أعداء عدي عليه ، وهابهم هيبة شديدة . وبينما كان يوماً في صيده ، اذ به يشاهد غلاماً ظريفاً ذكياً ففرح به فرحاً شديداً . فلما عرف انه زيد وانه ابن من أبناء عدي، قرّبه وأعطاه وحباه ، ثم أرسله الى كسرى ، وكتب معه كتاب توصية رقيقة يشير فيه الى منزلة عدي منه والى خسارته بوفاته والى عظم المصيبة ، ويوصي كسرى بالولد خيراً . فلما وصل زيد الى كسرى ، جعله مكان أبيه وصرف عمه الى عمل آخر ،

١ الاغاني (٢/١٠٩) (دار الكتب المصرية) .
٢ شعراء النصرانية (ص ٤٥٠) .
٣ الاغاني (٢/١١٥ وما بعدها) .
٤ مجالس العلماء (١٦٢ وما بعدها) .

فكان هو الذي يلي ما يكتب به الى أرض العرب وخاصة الملك . ولما مضى وقت على زيد في هذه الوظيفة ، وقع عند الملك بهذا الموقع مكاناً حسناً،وتعالت منزلته عنده . ولما اطمأن الى مركزه أخذ يدبر مكيدة الانتقام من النعمان قاتل أبيه حتى نجح في مسعاه ، اذ قبض عليه كسرى فبعث به الى سجن خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه . وفي رواية انه مات بساباط[1] . وقد رجح الطبري رواية خانقين ، وانه مات بسحق الفيلة له . وفي رواية أخرى انه سجن في القطقطانه في البر[2] . وهكذا نجد الرواة يذهبون جملة مذاهب في سجن النعمان.

والذين يروون ان حبس النعمان كان بساباط يستشهدون بشعر للأعشى جاء فيه:

فذاك وما أنجى من الموت ربه   بساباط حتى مات وهو محرزق[3]

وقد ذكر المسعودي قصة حبس النعمان ووفاته فقال : « وأمر كسرى النعمان فجلس في مجلسه بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمي تحت أرجل الفيلة ، وقال بعضهم : بل مات في محبسه بساباط »[4]،مما يدل على ان وفاته كانت في المدائن.

وفي رواية سريانية ان كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده سقاهم سماً فماتوا ، وعصى عندئذ العرب الفرس وأخذوا يهاجمونهم . فأرسل كسرى قائداً سمته الرواية بـ (بولر) تولى أمر الحيرة ، ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها ، لشدة أهلها ، فانصرف عنها وترك أمرها لمرزبان اسمه (رزوبى

---

١ البلدان (١٢٥/٧) ، ابن الاثير (١٧٣/١) ، (هو ساباط كسرى بالمدائن ، اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .

٢ البلدان (١٢٥/٧) ، الاغاني (٢٨/٢) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة (٢٥١) .

٣ الاغاني (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل ، لابن الاثير (١٨٥/١ وما بعدها) ، مروج الذهب (١٠٠/٢ وما بعدها) ، (هوساباط كسرى بالمدائن ، وبالعجمية بلاس آباد ، وبلاس اسم رجل ، ومنه قول الاعشى :

فأصبح لم يمنعه كيد وحيلة   بساباط حتى مات وهو محرزق

يذكر النعمان بن المنذر وكان (أبرويز حبسه بساباط ثم القاه تحت أرجل الفيلة . وساباط : موضع ، قال الاعشى :

هنالك ما اغنته عزة ملكه   بساباط ، حتى مات وهو محرزق) ،

اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .

٤ مروج (٢٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (ثم النعمان بن المنذر . وهو الذي قتله أبرويز تحت ارجل الفيلة ، وهو اخر ملوك لخم) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

مرزوق) ، أقام في برية الحيرة في حصن حفنة ، وأخذ يقاتل منه الأعراب[1] .

وفي رواية لـ (حمزة الأصفهاني) أن كسرى لما سخط على النعمان بن المنذر واستدرجه اليه من وسط البادية ، رمى به الى أرجل الفيلة ، واستباح أمواله وأهله وولده ، وأمر ان يباعوا بأوكس الأثمان[2] .

وتذكر بعض الروايات سبب غضب (كسرى) على النعمان ، أن (زيد) ، وهو ابن المقتول (عدي بن زيد) الذي نال مكانة عظيمة عند كسرى ، أو عمه ، كانا قد دبّرا مكيدة الإيقاع بالنعمان . فلما طلب (ابرويز) النساء، دخل عليه (زيد) ، فكلمه فيما دخل فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك كتب في نسوة يُطلبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال: فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرّمون عن العجم ، فأنا أكره أن يغيّبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً من العجم من حرسك يفقه العربية ، حتى أبلغ ما تحبه . فبعث معه رجلاً جليداً فخرج به زيد حتى بلغ (الحيرة) . فلما دخل على الملك النعمان ، قال : إنه قد احتاج الى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث اليك . فشق عليه ، فقال لزيد : أما في بقَر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا؟ فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ؛ ولو علم أنّ هذا يشق عليك ، لم يكتب اليك به . وعادا . فلما دخلا على (كسرى) ، وقصّا عليه ما وقع وحدث ، عرف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع . وسكت (كسرى) على ذلك أشهراً ، ثم فعل ما فعل بالنعمان[3] . وانتقم (زيد) بهذه المكيدة من النعمان قاتل والده .

وقد أشير الى مصرع النعمان في شعر عدد من الشعراء مثل سلامة بن جندل ،

---

١ Histoire Nestorienne, IIme Partie, pp. 539, 546.

٢ حمزة (ص ٤٢) .

٣ الطبري (٢/٢٠١ وما بعدها) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، رسالة ابي غرسيه (ص ٢٥٠ – ٢٥١) ، رسالة أبي يحيى بن مسعدة (ص ٢٧٧) ، رسالة لابي الطيب بن من القروي (٣١٩ وما بعدها) .

وقد ورد فيه ذكر القاء كسرى للنعمان تحت أرجل الفيلة[1] . ويتفق هذا الرأي مع رأي ابن الكلبي ويعارض رواية لحمّاد جاء فيها أنه مات بحبسه في ساباط[2] .

وذكر أن هانيء بن مسعود الشيباني كان في جملة من رثى النعمان في شعر . وقد نعته بـ (ذي التاج) ، ويفهم من رثائه له أن موته كانت تحت أرجل الفيلة ، حيث داست على رأسه . وورد في شعر شعراء آخرين أن (فيول الهند) تخبطته وداست عليه[3] .

وهناك قصيدة نسبها بعضهم الى زهير بن أبي سلمى ، ونسبها آخرون الى صرمة الأنصاري . ذكر فيها كيف ذهب النعمان — قبل ذهابه الى كسرى — الى من كان يحسن اليهم ، ويغدق عليهم الألطاف ، فلما غضب عليه كسرى لم يجره هؤلاء ، ولم يساعدوه إلاّ ما كان من بني رواحة من عبس ، فشكرهم النعمان وودعهم وأثنى عليهم،وقال لهم : لا طاقة لكم بجنود كسرى ، فانصرفوا عنه[4].

وساباط : هو على ما يذكره أهل الأخبار ، موضع بالمدائن ، به كان حبس النعمان على رواية من صرح بأنه كان محبسه لا موضعاً آخر ، ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة . وذكر (ابن الكلبي) أنه إنما سمي بساباط نسبة الى (ساباط بن باما) أخي النخير جان الذي لقي المسلمين في أهل المدائن[5] .

ويظهر من شعر (الأعشى) ان (كسرى) أمر بالنعمان فحبس بـ (ساباط) ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . يقول الأعشى :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه نحور الفيول بعد بيت مسردق[6]

وللبيد بن ربيعة العامري قصيدة نظمها في رثاء النعمان . من أبياتها :

له الملك في ضاحي معد،وأسلمت اليه العباد كلها ما يحاولُ

---

١ شعراء النصرانية (ص ٤٩١) .
٢ شعراء النصرانية (ص ٤٦٤) .
٣ مروج الذهب (٢/١٠١) .
٤ شعراء النصرانية (ص ٥٨٤) ، الكامل ، لابن الاثير (٦/٢٨٧) (الطباعة المنيرية) ، مروج الذهب (٢/١٠١) .
٥ ديوان الاعشى ، قصيدة ٢٦ ، (ص ١٢٨) ، اللسان ، (٧/٣٠٨) بيروت ١٩٥٦ م ، البلدان (٣/١٦٦) ، دائرة المعارف الاسلامية ، لمحمد فريد وجدي (٧/٢٤) .
٦ المعارف (ص ٦٥٠) .

وضاحي معد ، بمعنى ظاهر معد، لا في معد نفسها ، لأن (ربّ معد) في ايامه هو (حذيفة بن بدر) . أما النعمان فهو ملك على ما وراء ديار معـــد . والعباد هنا هي القبائل النصرانية المعروفة من أهل الحيرة[1] .

وقد ذكر الأخباريون انه كان يتوقع ان يدبر له كسرى مكيدة ، فقرر أن ينجو بنفسه قبل حلولها به ، فلحق بجبلي طيء ، وكان متزوجـــاً اليهم ، فأراد النعمان ان يدخلوه الجبلين ويمنعوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل (ذو قار) في بني شيبان سراً ، فلقي هانىء بن مسعود الشيباني ، وكان سيداً منيعاً ، فأودعه أهله وماله وسلاحه ، ثم توجه بعد ذلك الى كسرى ، حيث لقي مصرعه[2] .

أما زوجة النعمان هذه ، فهي ابنة (سعد بن حارثة بن لأم الطائي) ، وهو من أشراف طيء البرص ، وكان (النعمان) قد جعل لبني لأم بن عمر ربـــع الطريق طعمة لهم ، وذلك بسبب زواجه المذكور[3] .

وذكر ان أحد أولاد (النعمان بن المنذر) كان شاعراً،وقد عرف بـ (المحرق) فلما سمع بقتل (كسرى) لأبيه ، قال شعراً يخاطبه فيه ، منه قوله :

قولا لكسرى ، والخطوب كثيرة : إنّ الملوك بهرمز لم تحبر[4]

ويروى ان النابغة الذبياني لما سمع بمقتل النعمان ، رثاه بأبيات . وهي إن صح انها من شعر النابغة حقاً ، تدل على ان هذا الشاعر قد عاش أيضاً بعد مقتـــل النعمان[5] . وروي ، ان (زهير بن أبـي سلمى) رثى النعمان كذلك[6] .

ويروي أهل الأخبار شعراً زعمـــوا أن (عدي بن زيد) قاله لأهـــل بيت النعمان ، هو :

---

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٧) .
٢ الكامل (١/١٧٣) .
٣ المحبر (ص ٣٠١) ، الاغاني (حاتم الطائي) .
٤ المؤتلف (ص ١٨٥) .
٥ العقد الثمين ، (ص ١٦٤) ، شعراء النصرانية (ص ٨٢٠) ، النابغة الذبياني ، لعمر الدسوقي (ص ١٠٨) .
٦ الكامل ، لابن الاثير (١/٢٨٥ وما بعدها) .

فلا يميناً بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر المـاجد الزارا

وقد علق (ابن قتيبة الدينوري) عليه بقوله : « ذات الودع . صنم كان بالحيرة ، ويقال : بل هي الإبل التي تسير الى مكة ، يعلق عليها الودع، ويقال: إن مكة ، يقال لها : ذات الودع . وواجه قبر النعمان الزار ، وهي الأجمة ، أي : دُفِنَ حذاءها [1] ».

إذَنْ لبؤتم بجمع لاكفـاء له أوتاد ملك تليـد ، جدّه بارا

قال : « أي لو مات لغزتكم الجيوش ، فأقررتم ، أو رجعتم بجيش لا مثيل له ، أوتاداً لملك قديم قد سقط جده ، أي : صرتم كذلك . وهو منصوب على الحال ، ولا يجوز أن يكون منصوباً على النداء ، لأنه لا يجوز أن يدعوهم بذلك، والنعمان لم يمت » [2] .

وذكر أن ملك النعمان بلغ اثنتين وعشرين سنة . وعلى رأس ثلاث سنين وثمانية أشهر مضت من ملكه ، كان الفجار الأكبر ، فجار البراض ، وهو لتمام عشرين سنة من مولد الرسول ، ولثماني عشرة سنة وثمانية أشهر مضت مـن ملك النعمان بُنيت الكعبة. وذلك لاحدى عشرة سنة مضت من ملك أبرويز كسرى بن هرمز [3].

ولا نعلم عن أعمال النعمان الحربية في بلاد الشأم شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه غزا (قرقيسياء) (Circesium) ، ولكنه لم يعين تأريخ وقوعها ، ويقصد بذلك بالطبع غارة أغارها على أرض الروم [4] . ولم ينسب غيره من المؤرخين العرب أو السريان اليه حروباً أخرى أجج نارها في بلاد الشأم .

---

١ المعاني الكبير (٢/٨٣٨) ، (والودع : وثن · وذات الودع : وثن أيضا · وذات الودع : سفينة نوح ، عليه السلام ، كانت العرب تقسم بها فتقول : بـذات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا ، يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر الماجد الزارا

يريد سفينة نوح ، عليه السلام ، يحلف بها ويعني بالماجد النعمان بـن المنذر ، والزار أراد الزارة بالجزيرة ، وكان النعمان مرض هناك · وقال أبـو نصر : ذات الودع مكة لانها كان يعلق عليها في ستورها الودع ، ويقال : أراد بذات الودع الاوثان) ، اللسان (٨/٣٨٧) ·

٢ المعاني الكبير (٢/٨٣٨) ·

٣ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٤) ، مروج الذهب (٢/٢٤) ·

٤ حمزة (ص ٧٣) ·

وقد ورد في حديث الطبري عن قصة سجن النعمان لعدي ما يفيد أن النعمان خرج يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان، فأصاب في الحيرة ما أحب. وقد قيل: إن هذا الرجل هو (جفنة بن النعمان الجفني)[1] . ولعل هذه الغارة هي واحدة من جملة غارات قام بها الغساسنة على الحيرة . وفي شعر النابغة الذبياني اشارات الى أمثال هذه الغارات[2]. ويفيد خبر رواه المؤرخ (ثيوفلكتس) (Theophylaktus) ان عرب الروم أغاروا على عرب الفرس حوالي سنة (٦٠٠ م) ، أي في أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس[3] .

وقد ذكر (الطبري) ان هذه الغزوة كانت في أيام وجود عدي بن زيد في سجنه فلما سمع عدي بها قال :

سما صقر فأشعل جانبيها والهالك المروحُ والغريب[4]

وقد ورد اسم (السيلحون) في جملة المواضع التي كان يجبيها النعمان ، وذلك في شعر لأعشى قيس[5] . ويقع السيلحون في البرية بين الكوفة والقادسية . كما ورد اسم هذا الموضع في شعر لهانيء بن مسعود الشيباني يرثي فيه النعمان ويذكر قتل كسرى اياه[6] . ويظهر انه كان من جملة المسالح التي تحمي الحدود من البادية . والمسالح هي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود والمسلحون لحماية الحدود من الأعداء[7] .

ولم يكن النصر حليف النعمان في اليوم المعروف بيوم الطخفة (يوم طخفة). وهو يوم نسبه بعض الأخباريين أيضاً الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء . كما نسبه

---

١ الطبري (١٤٨/٢) .

٢ ديوان النابغة (٢٧ ، ٣٥) (طبعة Ahlwardt) ‏, Rothstein, S. 112

٣ Theophylaktus. VIII. I, Nöldeke, Ghass., S. 39, Rothstein, S. 112.

٤ الطبري (١٩٨/٢) (دار المعارف) .

٥ ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطى القطوط ويأفق
وتجبى اليه السيلحون ودونها صريفون في انهارها والخورنق
شعراء النصرانية (ص ٣٨٣) ، البكري ، معجم (٧٧٢/٣) ، تاج العروس (٢٣١/٩) ، مراصد (٧٦٧/٢) .

٦ البلدان (١٩٦/٥) .

٧ البلدان (١٩٨/٥) وما بعدها .

بعض آخر الى المنذر بن ماء السماء . وخلاصة الحادث : ان حاجب بن زرارة الدارمي التميمي سأل النعمان أن يجعل الردافة للحارث بن بيبة بن قرط ابن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي . وكانت لبني يربوع ، يتوارثونها صغيراً عن كبير ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك . فلما سأل النعمان موافقتهم على نقل الرادفة منهم ، أبوا ذلك ، لما لها من منزلة ومكانة ، فبعث اليهم قابوساً ابنه وحسان أخاه على رأس جيش كثيف فيهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة ، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانهزمت جموع النعمان ، وأخذ قابوس وحسان أسيرين . فلما بلغ خبر هذه الهزيمة سمع النعمان طلب من أحد بني يربوع — وهو شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي — أن يذهب عاجلاً الى بني يربوع ليفك أسر ابنه وأخيه مقابل اعادة الردافة اليهم وأداء دية الملوك وهي ألف بعير للرجل الواحد . وبذلك صالح مرغماً (بني يربوع) . وهذا اليوم من الأيام التي يفاخر بها أبناء يربوع . وقد ورد ذكره في شعر مالك بن نويرة[1] والأحوص[2] وجرير[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) طلب (مالك بن نويرة) ، وكان قد أراد استرضاءه ، وهو من (بني يربوع) ، فأبى ، وهرب منه ، وقال فيه شعراً يهجوه ، منه :

لن يذهب اللؤم تاج قد حُبيت به　　من الزبرجد والياقوت والذهب[4]

ويدل ذلك على أن (النعمان) ، كان يتوج رأسه بتاج ، فيه ذهب وأحجار كريمة .

وكان (مالك بن نويرة اليربوعي) من (بني تميم) ، لأن (بني يربوع) منهم ،وقد لقب بـ (الجفول) . وهو شاعر شريف ، وأحد فرسان بني يربوع ورجالهم المعدودين في الجاهلية ، ومن أرداف الملوك ، أي ملوك الحيرة . وقد أدرك الرسول . فأسلم ، وعينه على صدقات قومه فلما بلغه وفاة الرسول ، أمسك

---

١ ابن الاثير . الكامل (٢/٢٧٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/١٠٢) .
٢ البلدان (٣/٥١٨) .
٣ البكري (١/٤٥٢) .
٤ الجواليقي (ص ٣٥٦) .

الصدقة ، وفرقها في قومه ، وجفل إبل الصدقة ، فسمي الجفول . قتله (ضرار ابن الأسود الأسدي) بأمر خالد بن الوليد[1] .

وكان نصيب النعمان من يوم السلان كنصيبه من يوم الطخفة ، وسبب وقوع هذا اليوم هو أن بني عامر بن صعصعة، وكانوا حمساً لقاحاً متشددين في دينهم لا يدينون للملوك، تعرضوا للطيمة كان الملك النعمان بن المنذر يريد ارسالها الى عكاظ لبيعها في السوق . وكان من عادته ارسال لطيمة الى عكاظ كل عام لتباع هناك. فلما بلغ النعمان الخبر ، غضب فبعث الى أخيه لأمه ، وهو (وبرة بن رومانس الكلبي) ، والى صنائعه وهم من مكان يصطنعه من العرب ليغزو بهم،والوضائع وهم الذين كانو شبه سادة القبائل ، وأرسل الى بني ضبـــة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف ، فاجتمعوا كلهم في جيش عظيم . وأرسل النعمان معهم تجارة ، وأمرهم ألا يتحرشوا ببني عامر الا بعد الانتهاء من عكاظ ومن الأشهر الحرم . فلما انتهوا من عكاظ ، أحست قريش بنيات جماعة النعمان، فأخبروا بني عامر وحذروهم فاستعدوا للقتال . فلما وصل أصحاب النعمان اليهم ، قاتلوهم عند موضع السلان ، وهو موضع قريب من منازل بني عامر ، وتغلبوا عليهم ، وأسروا وبرة بن رومانس الكلبي وعـدداً من رؤساء القوم ، وانهزمت جماعة النعمان ، ورضي عندئذ من حملته هذه بدفع دية أخيـه وبرة ودية عدد من الرؤساء[2] .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان الذي أعلم (بني عامر) بعزم الملك النعمان على الانتقام منهم ، هو وجيه مكة وثريها : عبدالله بن جدعان[3] .

---

١ معجم الشعراء (ص ٣٦٠) .

٢ صبح الاعشى (١/٣٤٠) ، جمهرة ، ابن حـــزم (١/٣٨١) ، ابن خلـــدون (٢/٢٥٥) ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، الاشتقاق (٢٣٧) ، (الطبعة الاولى بمصر) ، ابن الاثير (١/٢٦٨ وما بعدها) ، البلدان (٥/١٠٤) ، سبائـــك الذهب ، للسويدي (١١٧) ، المسعودي مروج (٢/٥٤) ، الطبري ، (٢/١٤٧)، اليعقوبي (١/١٤٣) ، البكري ، معجم (٣/٧٤٩) ، (لجنة) المختصر ، لابي الفداء (١/١٠٢) (بيروت) ، الروض الانـــف ، للسهيلـــي (١/١٣٣) (الجمالية) نهاية الارب ، للنويري (١٠/٤١٢) ، ذيل الامالي للقالي (٣/١٤٧) مراصد (٢/٧٢٦) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) .

٣ الكامل فى التاريخ لابن الاثير (١/٢٩٥) .

وكان الذي أسر وبرة (يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق) ، وقد أبقى (يزيد) (وبرة) لديه حتّى افتدى نفسه منه ، أي من يزيد بن الصعق بألف بعير وفرس . فاستغنى يزيد . فلما أسر (وبرة) ، ثبت جيشه (ضرار بن عمرو الضبي) ، فقام بأمر الناس ، ولكنه وقع في الأسر ، ثم وقع رجل آخر من كبار الجيش في الأسر ، وهو (حبيش بن دلف) ، الذي افتدى نفسه بأربع مئة بعير ، وهزم جيش النعمان[1] .

وقد تعرضت لطيمة النعمان مرة أخرى الى النهب حينما وكل أمر حمايتها الى رجل من هوازن ، فتربص بها رجل خليع معروف اسمه (البراض بن قيس بن رافع) من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقتل حامي القافلة وساق الركاب[2] . وكان من عادة النعمان أن يشتري بثمن اللطيمة الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني من سوق عكاظ[3] .

وذكرت احدى الروايات ان الذي كان يجيز لطيمة النعمان له هو (سيد مضر)[4] ولم تذكر اسم سيد مضر اذ ذاك .

وورد ان (البراض) وهو (رافع بن قيس) كان من فتاك الجاهلية المعروفين. وكان حالف بني سهم من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه بنو سهم ، ثم جاء الى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب الى اليمن ، ثم جاء مكة بعد سنة ، فاذا الهُذَليّون والخزاعيون يطلبونه وقد خلع ، فلحق بالحيرة ، فوافق وفود العرب بالحيرة عنده . فأقام يطلب الاذن معهم ، فلم يصل اليه حتى خرج النعمان فجلس للناس بالحيرة وكانت لطائمه التي توافي سوق الموسم اذا دخلت تهامة لم تهج ، حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس الكناني ، فجعل (بلعاء) يعترض لطائمه فينتهبها . فخاف النعمان على لطيمته ، فقال يومئذ : من يجير هذه العير ؟ فقال البراض : أنا أجيرها لك . فقال الرحال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب : أنا أيها الملك أجيرها لك من الحيين كليهما ، وسخر من الرحال وازدراه . فدفع النعمان اللطيمة الى عروة

---

١ أيام العرب (١٠٨) ،
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٤٨) .
٣ الاغاني (١٩/٧٥) .
٤ الاغاني (١٩/٧٥) .

الرحال ، فتعقبها البراض ، حتى اذا انتهى عروة الى أهله دوين الجريب بمـاء يقال له (أوارة) ، أنزل اللطيمة ودخل قبته فنام ، ووثب عليه البراض فقتله، ثم أتى خيبر ، فكان بسببه حروب الفجاء بين كنانة وقيس[1] .

وقد عرف بعض العلماء اللطيمة بأنهـا (سوق المسك) أو العير التي كانت تحمل المسك ، ولكن اللطيمة قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة ، ولا سيما النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ خاصة لبيعها هناك ، وكانت تعود محملـة بما تشتريه من تجارة اليمن والحجاز ، وما يأتي به العرب وسائر التجار الى السوق في أثناء الموسم . وهي تجارة ثمينـة تعود على النعمان بأرباح طائلة وثروة كبيرة . ولوصولها سالمة الى السوق ثم لعودتها سالمة من السوق الى الحيرة ، كان لا بـد من حمايتها بوضعها في جوار سادات أقوياء شجعان يتعهدون بامرارهـا بسلام في أرض قبائلهم ثم تسليمها الى سادات الأرض التي تليهم ، وهكـذا الى السوق أو العكس . وقد يقوم مجير اللطيمة نفسه بتولي اللطيمة في الذهاب والأوبة ، لمقامه ولوجود عهود جوار بينه وبين سادات القبائل الأخرى ، وإلا تعرضت اللطيمـة للسلب والنهب . وإذا ما أغضب الملك خفراء اللطيمة ، أو انتزاع الخفارة منهم فأعطاها لأناس آخرين،أو أزعج بعض سادات القبائل التي تمر القافلة في أرضهم، فلن ينفعه ملكه في حماية سلامة القافلة ، فتنهب فلا يقبض منها شيئاً مـا ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن سلطانه لا يصل الى كل مكان[2] .

وفي أيام النعمان كان يوم شعب جبلة ، وهو لعامر وعبس على ذبيان وتميم . وهو من أيام العرب المشهورة في نظر الأخباريين . وقد اشترك النعمان فيه بمساعدته لقيط بن الجون الكلبي ملك هجر ، وإرساله أخاه لأمـه حسان بن وبرة الكلبي لمعاونة لقيط . ويلاحظ أن الرواة قد لقبوا لقيطاً بلقب ملك ، وأشاروا الى اشتراك جملة ملوك في هذا اليوم[3] .

وكان حسان بن وبرة شقيق النعمان لأمه رئيساً على ضبة . وقد أسره يزيـد ابن الصعق في الغارة التي قامت بها بنو عامر على تميم وضبة ، وانهزمت فيهـا

---

١ المحبـر (ص ١٩٦) .
٢ الكامل في التاريخ (١/٣٥٨) .
٣ العقد الفريد (٦/١٠ وما بعدها) (طبعة العريان) .

تميم . وقد فادى حسان نفسه من يزيد بن الصعق بألف بعير هي فدية الملوك . كما سبق أن ذكرت . وأغار يزيد بعد ذلك على عصافير النعمان وهي إبل معروفة شهيرة كانت اذ ذاك بمكان يسمى ذا ليّان[1] .

ويذكر أن (يوم العذيب) كان في عهد حكم (النعمان) . وكان (النعمان) قد بعث الى (الأصهب الجُعْفي) ينكر عليه بلوغ (سعد بن زيد مناة) و (عنزة) العذيب ، فحشد (الأصهب) لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتله (الأحمر ابن جندل) ، وانهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأُخذ منهم مال كثير وسبي[2] .

وروى أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) لما توج واطمأن بـه سريره ، دخل عليه الناس ، وفيهم أعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا سُسْتَ قوماً فاجعل الجود بينهم وبينك تأمَنْ كلَّ ما تتخوفُ
فإن كشفت عند الملمات عورة كفاك لباس الجود ما يتكشف

فقال : مقبول منك نصحك ، ممن أنت ؟ قال : أنا رجل من جرم ، فأمر له بمئة ناقة ، وهي أول جائزة أجازها[3] .

ويقال ان (المنذر) أحد أبناء النعمان بن المنذر سقط قتيلاً على يد رجل من تغلب يدعى مرة بن كلثوم ، وهو أخو عمرو بن كلثوم ، ويقال انه قتل أيضاً ابناً آخر من أبناء النعمان[4] .

وكانت للنعمان كتائب يقاتل بها هي : الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب والدوسر. وقد اشتهرت هذه الكتيبة الأخيرة بالشدة وبقوة البطش،فقيل في أمثالهم (أبطش من دوسر)[5] .

أما الصنائع ، فقد ورد في بعض الروايات انهم جماعة كان يصطنعهم الملك من العرب ليحارب بهم ، وكان يأخذهم من (بني ثعلبة) خاصة،يتخذهم كالحرس لا يبرحون بابه . وأما الرضائع ، فألف رجل من الفرس ، يخدمون الملك ليقاتل بهم ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة .

---

١ العقد الفريد (٦/٤١ وما بعدها) .
٢ العمدة (٢/٢١٧) .
٣ الامالي للقالي (١/٣٢٩) « بيروت » .
٤ Rothstein, S. 112.
٥ الميداني . مجمع الامثال (٧٨١) .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للنعمان بن المنذر أخ من الرضاعة يقال له (سعد القرقرة) من أهل (هجر) كان من أضحك الناس وأبطلهم، وكان يضحك النعمان ويعجبه[1]. وذكر ان أناساً من البطالين المضحكين كانوا يأتونه لإضحاكه ولنيل جوائزه. وذكروا منهم (العيّار بن عبد الله الضبي). وكان بطالاً، يقول الشعر، ويضحك الملوك[2].

وقد كان النعمان بن المنذر مثل عمرو بن هند محباً للشعر والشعراء، والخطب والخطباء، وقد جعله الأخباريون من خير خطباء زمانه، كالذي يظهر من كلامه مع كسرى، وقد ذكر انه قال له في مجلس كان حافلاً بوفود الروم والهند والصين، اجتمعوا عند كسرى. كما نسب اليه وفد ضم أكثم بن صيفي وحاجب ابن زرارة التميمي، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معديكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المرّي، وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام في تلك الأيام[3].

وروى الأخباريون شعراً من الشعر الذي قاله أصحابه في حضرة النعمان أو في مدحه وفي مدح آل لخم، كما رووا شعراً في هجائه، ورووا بعض ما قيل في حضرته من حديث وبعض ما صادفه الشعراء حين كانوا يقصدونه لنيل ما يبتغون مثل حديث حسان بن ثابت الشاعر المخضرم المعروف[4] فقد زاره ومدحه غير أن هواه كان الى الغساسنة أكثر منه الى آل لخم. فقد كان يفتخر بهم، ويسامي الناس بهم، وينال جوائزهم حتى وإن لم يكن عندهم. يرسلونها اليه إن لم يكن في استطاعته أن يشخص اليه[5].

وقد جــاء في شعر[*] لـ (حسان بن ثابت) أنه زار (ابن سلمى)، أي

---

١ الفاخر (ص ٥٦).

٢ وفد على النعمان بن المنذر فقال له :

ابيت اللعن واسعدك الهك   سلخ التيس وذبحه مستهجن

الفاخر (ص ٥٦).

٣ العقد الفريد (١/٢٥٣ وما بعدها) (طبعة العريان)، بلوغ الارب (٣/١٤٧ وما بعدها).

٤ العقد الفريد (١/٢٦٧)، الاغاني (١٥/٢٧) (دار الكتب المصرية)، العقد الفريد (٢/٢٢).

٥ العقد الفريد (٢/٢٢).

(النعمان بن المنذر) ، وأنه أكرمه وقدره وحباه ، وتكلم اليه في جماعة من قومه. كانوا في سجنه مقيدين مكبلين بالسلاسل حتى صفح عنهم ، وأطلق لهم حريتهم. وهم أبي ونعمان وعمرو ووافد ، وهم جماعة من أهل يثرب ، كانوا قد حبسوا في سجن (النعمان) . فأما (أبي) ، فهو (أبي بن كعب بن قيس بن معاوية) من (بني النجار) . وأما (نعمان) ، فإنه (نعمان بن مالك بن قوقل ابن عوف بن عمرو) ، وأما (وافد) ، فإنه (وافد بن عمرو بن الاطنابة ابن عامر) من الخزرج . ولم يذكر (حسان) سبب حبس (النعمان) لهم ، ووضعهم في السجن مكبلين بالحديد ، مقفولاً عليهم[1] .

وقد ذهب (نولدكه) الى احتمال كون (ابن سلمى) أميراً من أمراء الغساسنة ، كما ذهب الى أن (أبياً) الذي كان في جملة المحكومين هو (أبي ابن ثابت) وهو شقيق حسان[2] .

ويظهر من كلام أهل الأخبار أن النابغة الذبياني كان من أكثر الشعراء صلة بالنعمان . وفي الشعر الذي يرويه الأخباريون عنه وينسبون قوله اليه ، شيء كثير من المناسبات التي وقعت بين الملك وبين هذا الشاعر ، وقد استاء خصوم النابغة من قربه من النعمان ، ونيله جوائزه وألطافه ، فسعوا به اليه حتى غضب عليه ، وهمّ بقتله ، ولم ينجه من القتل إلا هربه من آل جفنه ملوك عرب الشأم ، فبقي في كنفهم مدة ، ثم عاوده الحنين الى صاحبه وحاميه القديم النعمان ، فاعتذر اليه ، وتنصل من التهم التي ألصقها خصومه به ، وعاد يأخذ جوائزه ونعمه كما كان[3] .

وذكر ان النعمان بن المنذر كان يكرم (النابغة) ويحبوه دوماً ، أمر له مرة بمائة ناقة بريشها من نوق عصافيرة ، المعروفة بهجائن النعمان ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا اذا حبا الملك بعضهم بنوقٍ يغمزون في أسنمتها ريش النعام ليعلم انها حباء الملك[4] . ذكر (حسان بن ثابت) انه وفد على النعمان بن المنذر فمدحه

---

١ البرقوقي (ص ١١٤ ، ٣٧٧) ، ديوان حسان (p. 17) (هرشفلد) .
٢ غسان (ص ٤٧) .
٣ الاغاني (١٥/٢٧ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٦٤١ ، ٦٤٩ وما بعدها) ، المعاني الكبير (٢/١١٣٠) ، أمالي المرتضى (١/٢٦٤) .
٤ أمالي المرتضى (١/٢٦٥ وما بعدها) .

وأجازه الملك على مدحه وأكرمه . وبينا هو جالس عنده ذات يوم . اذ بالنابغة يدخل قبة الملك ، وكان يوم ترد فيه النعم السود . ولم يكن بأرض العرب بعير أسود الا له ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

كأنك شمس والملوك كواكب   إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فما حسدت أحداً حسدي النابغة ، لما رأيت من جزيل عطيته وسمعت من فضل شعره[1] .

ويذكر المسعودي ان النابغة دخل على النعمان يوماً ، وكان عنده نديمه خالد بن جعفر الكلابي ، وكان ممن يعطف على النابغة ، فمدح النعمان بشعر ، « فتهلل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشي فوه جوهراً ، ثم قال : بمثل هذا فلتمدح الملوك »[2] .

وتذكر رواية أخرى ان النابغة لما سأل حاجب النعمان الاستئذان للدخول عليه. قال له الحاجب : الملك على شرابه . ولما سأله : من عنده ؟ قال : خالد بن جعفر بن كلاب ! فتوسل اليه بأن يبلغه تحية النابغة ، وأن يسهل له الدخول على الملك ، ففعل وأمر النعمان حاجبه بادخاله عليه . فلما دخل ، سلّم عليه وحيناه بتحية الملك ، وجلس وهو يقول : « أيها الملك . أيفاخرك صاحب غسان ؟ فوالله لَقَفاك أحسن من وجهه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولأمك خير من أبيه ولغدك أسعد من يومه . فضحك النعمان . ثم قال لخالد : من يلومني على حب النابغة ؟ ألك حاجة ؟ قال : نعم . فقضى حوائجه بأسرها ، وأحسن جائزته ، فانصرف داعياً له »[3] .

ويذكر الأخباريون ان آخر مرة اتصل بها النابغة بالنعمان كانت في أثناء مرض الملك النعمان . وكان النابغة هارباً آنذاك على أثر الوشاية به . فلما سمع النابغة بمرضه آثر السفر اليه ، والاعتذار منه . فلما وصل الحيرة ، كان الملك لا زال مريضاً، شديد المرض . وقد حمل سريره على العادة المتبعة عند مرض الملوك مرضاً شديداً،

١ الشعر والشعراء (ص ٧١ ، ٧٥) ، (النابغة الذبياني) .
٢ مروج (٢/٢٥) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) .
٣ مجالس العلماء (٢٥٩ وما بعدها) (عبد السلام محمد هارون) ، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي .

يشرف فيه على الموت . فاستأذن للنابغة في الدخول عليه وانشاده ما نظمه في مدحه فسمح له بالدخول . وأنعم النعمان بالنعم عليه . وهناك روايات تذكر انه عاد اليه قبل هذا الحادث ، فقبل عذره وعفا عنه[1] .

وفي جملة من كان له شرف الاتصال بالنعمان ، وبنيل هباته وجوائزه من الشعراء : المنخل اليشكري ، والمثقب العبدي ، والأسود بن يعفر ، وحاتم الطائي وأمثال هؤلاء .

والأسود بن يعفر شعر معروف ، ذكر فيه (آل محرق) و (الخورنق) و (السدير) . وله أشعار أخرى ذكرها الرواة . وكان قد أقام مدة عند النعمان ينادمه ويؤاكله[2] .

ويذكر أن المنخل اليشكري كان ينادم النعمان وينشده القصائد ، وكان النعمان يكرمه ويقربه اليه ، غير أنه يؤثر شعر النابغة على شعره ، وهذا مما غاظ المنخل وجعله يسعى للايقاع به[3] . فأوغر صدر النعمان عليه ، حتى همَّ بقتله ، فهرب النابغة منه ، وخلا المنخل بمجالسة النعمان ، وأصبح من أقرب المقربين اليه. ولكن الدنيا كما يقول الناس لا تدوم ، فما لبث مدة حتى انقلب الحظ على المنخل ، فدفع به الى (عكب) صاحب سجن النعمان ، وهو من بني تغلب ، فسجنه وعذّبه ثم قتله . وقيل بل دفن حياً أو أغرق . ومهما يكن من شيء ، فلم تكن خاتمة هذا الواشي خاتمة حسنة ، وضرب بنهايته المثل كما ضرب بالقارظ العنزي وأشباهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خبر[4] .

ويروى أن (يزيد بن خذاق) الشاعر ، وهو من (الهيصم) ، كان قد هجا (النعمان بن المنذر) ، فبعث النعمان كتيبته التي يقال لها (دوسر)، فاستباحت قومه[5] .

ويذكر أن (لبيد بن ربيعة) كان في وفد زار (النعمان بن المنذر) ، فيه

١ الاغاني (١٥/٢٨ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (ص ٧٧) .
٢ الاغاني (١١/١٢٨ وما بعدها) (مطبعة التقدم) ، الشعر والشعراء (١٧٦) ، المعارف (ص ٦٤٦ وما بعدها) ، ابن هشام ، سيرة (١/٩١) ، الامالي للقالي (١/٢٥ ، ٧١) .
٣ شعراء النصرانية (ص ٦٤١ وما بعدها) .
٤ شعراء النصرانية (ص ٤٢١ وما بعدها) .
٥ الاشتقاق (٢/٢٠٠) .

أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ملاعب الأسنة ، وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ، لقضاء بعض حوائج لهم ، فوجــدوا عنده (الربيع بن زياد العَبْسي) ، وكان يسمى الكامل ، يأكل مع النعمان تمراً مع زبد ، وكان ينادمه ومعه رجل من أهل الشأم ، يقال له (سرجون بن توفل) (نوفل) ، وكانَ حريفاً للنعمان ، من (الربيع) ومعها (النطاسي) وهو طبيب كان له ، ومن ندمائه ، فنظم (لبيد) أبياتاً نابية منفرة في (الربيع بن زياد)، جعلت (النعمان) يعاف من مؤاكلته فتركه[1] . ولما كتب (الربيع بن زياد) الى النعمان في ذلك ، كتب النعمان اليه : « إنك لست قادراً على ردّ ما تكلمت بــه الألسن ، فالحق بأهلك » ، ثم كتب، اليه شعراً ، كان مما جاء فيه :

قد قيل ما قيل إن حقاً وان كذبا   فـــا اعتذارك من قول إذا قيلا[2]

ويقال إن (النعمان بن المنذر) ، نظر الى (شبق بن ضمـرة) ، المعروف بـ (ضمرة بن ضمرة) ، وهو من رجال (بني تميم) في الجاهلية ، وله لسان وبيان وكلام ، فقال (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) (تسمع بالمعيدي خـــير من أن تراه) . فقال (ضمرة) . (أبيت اللعن ، إن الرجال لا تكال بالقفزان، ولا توزن بالميزان) . واليمانية تجعل هذا للصقعب النهدي ، سيد بني نهد ، الذي أخذ مرباعهم دهراً .

وإلى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل عبيد بن الأبرص ، وذلك لظهوره في يوم بؤس النعمان[3] . وقد عدّ يوم عبيد من أيام الشؤم ، وضرب به المثل ، فقيل (يوم عبيد) . وإلى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل (عمرو بن مسعود) و (خالد بن نضلة) ، وقد استولوا عليه بشعر لبرة بن عمرو الأسدي[4] .

---

١ الفاخر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغاني (١٦/٢٢) ، نزهة الجليس (٢/٥٠٧ وما بعدهــا) .

٢ نزهة الجليس (٢/٥٠٩ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١/١٨٩ وما بعدها) .

٣ حمزة (ص ٧٣) ، مجاني الادب (٣/٣٠٩) ، شعراء النصرانية) (ص ٦٠٠)

٤ قال ابو تمام :

من بعد ما ظن الاعادي أنه   سيكون لي يوم كيوم عبيد

شعراء النصرانية (٦٠٢) ، اللسان (٤/٢٦٧) ، (خ ي د) .

وقد نسب حمزة الى النعمان بناء الغريين وغريهما بدم من يقتله في يوم بؤسه[1] . وقد رأينا فيما سلف ان الأخباريين من نسب بناءهما وقصة يومي البؤس والنعيم الى المنذر بن ماء السماء .

وذكر الأخباريون انه كانت للنعمان عادات ، منها انه اذا غلب الرجل عنده وفلج على خصمه ، زاده وسادة ، وأمر فلقم عشر لقمات من طعامه قبل أن يأكل أحد[2] .

وللنعمان حاجب ، اشتهر حتى خلد اسمه في الشعر وفي كتب الأدب . واسم هذا الحاجب (عصام) ، وهو من رجال (جرم) ، وفيه قيل : « نفسُ عصام سوّدت عصاماً » ، وكان النعمان اذا أراد أن يبعث بألف فارس ، بعث بعصام . ولخطر مركزه ، ولأن في استطاعته ادخال من يريد الوصول الى النعمان أو تأخيره أو منعه ، كان الناس يتوددون اليه ليوصلهم الى الملك . وقد أشار (النابغة) ، اذ قال :

فإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام ؟[3]

وكان النعمان في أول عهده عابد وثن ، يتعبد للعُزى،ويذبح الذبائح للأوثان، ثم رأى رأياً فغيّر دينه ، ودخل في النصرانية . ولبعض مؤرخي الكنيسة ولبعض الأخباريين قصص في كيفية اهتدائه الى النصرانية ، مرجعها قصص نصارى أهل الحيرة على ما يظهر . يحدثنا أصحاب تواريخ الكنيسة ان النعمان ولع به الشيطان وأصيب بلوثة ووسوسة ، فحاول الشفاء منها بالتجائه الى كهنة الأصنام . فلما عجزوا من شفائه ، أشير عليه بالالتجاء الى آباء الكنيسة ، فلجأ الى شمعون ابن جابر أسقف الحيرة ، والى (سبريشوع) أسقف (لاشوم) و (ايشو عزخا) (ايشوع زخا) الراهب فانتفع بهم ، فغيّر دينه ، فتنصر واعتمد وحسن ايمانه، وطرد اليعاقبة من سائر أعماله وتقوت بذلك النسطورية . وكذلك تنصر ولده ، ومنهم الحسن والمنذر . وكان الحسن أشد الجماعة تمسكاً بالنصرانية . وقد سبقته

---

١ حمزة (ص ٧٢) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٤٠٤) .
٣ الاشتقاق (٣١٨/٢) .

أختاه هند ومارية الى الدخول في هـذا الدين . وهذه رواية النساطرة في كيفية تنصر النعمان[1]

أما الأخباريون فينسبون تنصره الى تأثير عدي بن زيد عليه . وهم يروون أنه خرج ذات يوم راكباً ومعه عدي بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر ، فقال له عدي بن زيد : أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيهـا الركب المخبّون على الأرض المجدّون
مثل ما أنتم حيينـا وكـما نحن تكونون

ثم قال :

ربّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالمـاء الزلال
ثم أضحوا لعب الـدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فأثر هذا القول – على حد قول الأخباريين – في نفس النعمان ، وارعوى ، وتنصر[2] .

وقد كان تنصر (النعمان) في حوالي سنة (٥٩٣ م) تقريباً ، وصار يعد نفسه من حماة المذهب النسطوري الذي انتشر في العراق، كما صارت الحـيرة من معاقل هذا المذهب أيضاً لـدخول أناس من أصحاب الجاه والسلطان فيه . ومن الحيرة خرج (سرجيوس) (Sergios) في أواسط القرن السادس ، فذهب الى اليمن ، الى نجران ، حيث قام بالتبشير هناك ، مدة ثلاث سنوات حتى وافته منيته بعد ثلاث سنين[3] .

وينسب الى النعمان أبو قابوس دير اللج ، وقـد دعي بـ (دير اللجـة) في (تأريخ سعرت) ، ونسبه الى اللجة ابنة النعمان . وذكر ان في هـذا الدير قبر

---

١ Histoire Nestorienne, Seconde Partie, P. 468, 478, Evagrius, IV, 22, Pauly-Wissowa, 33, 1936, 1254, Die Araber, I, S. 198.

٢ حمزة (ص ٧٣ وما بعدها) ، ذكر صاحب الاغاني هذه الابيات مع شيء مـن الاختلاف ، الاغاني (٢/٩٦) (دار الكتب) ، معجم الشعراء (ص ٢٤٩) .

٣ Die Araber, I, S. 198.

(مار آبا الكبير) الجاثليق[1] .

وينسب أهل الأخبار (شقائق النعمان) الى (النعمان بن المنذر) فيقولون : « وكان خرج الى الظهر وقد اعتمّ نبته من بين أحمر وأخضر وأصفر ، واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال : ما أحسنها ! احموها . فحموها فسميت : شقائق النعمان »[2] .

وذكر ان النعمان كان يعتني بتربية الخيل والإبل والماشية ، فكان يشتري خير فصائلها ويحميها لنفسه ، ولا يسمح لأحد بالحصول عليها أو تلقيح نعمهم أو خيولهم منها الا باذنه . وقد اشتهرت اليحموم والدُّفوف من جملة خيوله[3] .

وبينما نقرأ في شعر لمالك بن نويرة اليربوعي ، ان تاج النعمان بن المنذر كان من ذهب وزبرجد وياقوت[4] ، نرى (المعري) يشير الى انه كان خرزات ، ولم يكن كتاج المنذر[5] . وخرزات الملك : جواهر تاجه[6] .

ونجد في كتب الأخبار والأدب ، ان وفود العرب كانت تفد على (النعمان ابن المنذر) ، فيكرمها ويحبوها ، ويقضي حوائجها . وكان يتخذ للوفود عند انصرافها مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون . وقد يتفاخر رؤساء الوفود بعضهم على بعض ، فيحكمونه في أيهم أفضل . وقد تتحول تلك المفاخرات الى مخاصمات ومهاترات بسبب ترجيح الملك رئيساً على آخر[7] .

ونسب حمزة الى النعمان أربع بنات . هن : هند ، وحرقة ، وحريقة ، وعنفقير[8] . وهند هي البنت الوحيدة التي نعرف عنها شيئاً من بنات النعمان ، وقد

---

١ الحيرة (٢٠٣) ، Histoire Nestorienne, (Chronigue de Seert), Second Partie, I, P. 155.

٢ المعارف (ص ٢٦٤) ، اللسان (١٨١/١٠ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (ص ١٣٨) ، (ليدن) .

٣ ذيل الامالي والنوادر ، للقالي (ص ١٨٥) .

٤ الجواليقي ، المعرب (٣٥٦) .

٥ رسالة الغفران (٤٧١) ، (بنت الشاطىء) .

٦ اللسان ٣٤٥/٥) .

٧ العمدة (٢٢٠/٢ وما بعدها) .

٨ حمزة (٧٤) .

ورد في بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت أخته[1] . وذكر أيضاً أن والدها النعمان زوّجها من عدي[2] . وقد عاشت حتى أدركت الإسلام ، وكانت مترهبة ، فلم تقبل الدخول فيه . ولما ماتت دفنت في ديرها الى جانب قبر أبيها النعمان . وقد بقي الدير والقبران معروفين مدة طويلة في الإسلام .

ويذكر أن (الحرقة) (حرقة) رأت الدنيا كيف أدبرت عن أهلها،ونظرت في حالها بعد هلاك أبيها فقالت :

فبينا نسوس الناس ، والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّفُ
فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ

و (السوقة) هم العامة وسواد الناس .

وقد ذكر المسعودي هذه الأبيات،وقال إنها قالتها لـ (سعد بن أبي وقاص) يوم أتته في جماعة من قومها ، وقد قال إنها كانت « اذا خرجت الى بيعتها ، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشي ، ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها . فلما هلك النعمان لفها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة »[3] . وقد سماها (خرقاء بنت النعمان بن المنذر) . ولعله قصد (حرقاء) أو (حُرَقة) ، فحرف النساخ الكلمة وصيّرها (خرقاء) .

وكانت للنعمان جملة نساء ، منهن : زينب بنت أوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وقد ولدت له ولداً وبنتاً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، وصار يتجول بين القبائل ليمنعوه[4] . ومارية الكندية، وهي أم هند التي تزوجها عدي بن زيد[5] .

ويذكر (ابن قتيبة) انه كانت للنعمان دار في الحيرة عرفت بـ (الزوراء) . وقد بقيت قائمة الى ايام أبي جعفر المنصور ، فأمر بهدمها ، ولم يذكر السبب

---

١ الاغاني (١/٣٤) .

٢ Assemani, Bibl. Orient., III. 109, Rothstein, S. 125. Rothstein, S. 125.

٣ مروج (٢/٢٧) .

٤ الاغاني (١/١١٥) ، (دار الكتب المصرية) .

٥ الاغاني (١/١١٩) .

الذي حمله على ذلك . وقد ذكرها (النابغة) فقال :

بزوراء في أكنافها المسك كارعُ[1]

وذكر ان في جملة وزراء النعمان عمرو بن بقيلة والد عبد المسيح، وهو صاحب قصر بني بقيلة بالحيرة . وكان عبد المسيح في جملة من اشترك في المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح وتسليم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة في موضع يقال له الجرعة عرف بـ (دير الجرعة) وبـ (دير عبد المسيح)[2] .

وقد ورد ذكر زوجة من زوجات (النعمان بن المنذر) في كتب الأدب ، هي (المتجردة)[3] . ويظهر أن (جلم بن عمرو) ، كان قد تعرض لها ، فبلغ أمره (النعمان) فحمله على أن يركب فرسه (اليحموم) ، فأرداه[4] . وقد وصفها (النابغة) في (الدالية) المنسوبة اليه . وسمع (النعمان) بالقصيدة كما يذكر أهل الأخبار ، بدسّ حساد النابغة القصيدة والأشعار الأخرى الى النعمان ، فانزعج منها . ولما بلغ (النابغة) الخبر ، فرّ الى الغساسنة لينجو بنفسه من عقابه . وكان النعمان متيماً بـ (المتجردة) وللشعراء فيها قصائد مشهورات[5] .

ويذكر أهل الأخبار أن سيفاً من سيوف (النعمان بن المنذر) جيء به الى الخليفة (عمر) ، فأعطاه (جبير بن مطعم)[6] .

أما عدي بن زيد ، فهو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة . وأما والده فهو زيد بن حماد (حماز) بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي الأصل[7] . وكان لزيد ثلاثة أولاد هم : عدي هذا الذي تحدثنا عنه ، وعمار (حمار) (حماد) واسمه أبي

---

١ المعاني الكبير (١/٤٦٥) ، اللسان (٣٣٨/٤) ، (صادر) ، (زور) .

٢ الاغاني (١١/١٥) ، السجستاني (٣٨) ، البلدان (١/٦٥١ ، ٦٧٧) ، شعراء النصرانية (١٥) .

٣ اللسان (١١٦/٣) ، (صادر) ، (جرد) .

٤ رسالة الغفران (١٩٦) ، اللسان .

٥ رسالة الغفران (١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧) ، الاغاني (٨١/١) ، الشعر والشعراء (٧٦ ، ٢٣٨) .

٦ اللسان (٤٨٧/٢) .

٧ الطبري (١٤٦/٢) ، الاغاني (٩٧/٢) (دار الكتب المصرية) ، معجم الشعراء للمرزباني (٢٤٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٤٣٩/١ وما بعدها) .

وكان مع كسرى وعمرو واسمه سميّ ، ولهم أخ من أمهم يدعى بن حنظلة، وهو من (طيء)[1] .

وكان أيوب جد عدي من أهل اليمامة على رواية الأخباريين ، كان يقيم في بني امرىء القيس بن زيد مناة ، ولكنه اضطر الى ترك اليمامة والهجرة الى الحيرة لإصابته دماً ، فخاف على نفسه من القتل ، والتجأ الى أوس بن قلام ، وكان بينه وبين أوس نسب في النساء . فلما قدم أيوب الحيرة ، نزل في دار أوس ، وأقام عنده أمداً . ثم أقام في دار أخرى بعد أن حباه أوس وأكرمه ، وصار له شأن في البلد ومقام . فاتصل بالملوك وتقرب اليهم وغدا من علية القوم[2] .

وصار لزيد بن أيوب شأن يذكر في البلد ، وتزوّج امرأة من آل قلام ولدت له ولداً دعاه حمّاداً . وبينما كان زيد يتصيد في البادية ، اصطاده رجل من بني امرىء القيس ، فقتله بسهم أخذاً لثأر قومه من أبيه أيوب . وعلم حمّاد (حماز) الكتابة والقراءة ، فكان أول من كتب من بني أيوب في رواية الأخباريين ، وغدا من أكتب الناس في الحيرة ، ولذلك اختير كاتباً لملك الحيرة ، واتصل بكبار الفرس ومنهم (فروخ ماهان) الذي تكفل زيد بن حماد بعد وفاته ، وربّاه مع أبنائه . ثم أوصله الى كسرى أنو شروان فجعله على البريد ، لما تبين له من ذكاء زيد وقدرته في العربية والفارسية . وهي وظيفة لم تكن تعطى لغير أبناء الفرس[3] .

وتزوّج زيد امرأة من طيء ولدت له عدياً ، وقد ربي هذا تربية طيبة ، فأرسل الى الكتاب ، فلما حذق ومهر فنه بالعربية ، أرسل الى كتاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة ومنهم شاهان مرد الفارسية حتى صار من الحاذقين بها العارفين بفنونها ، ثم تعلم الرماية ولعب الصولجان ، واتصل بكبار الفرس . وقد ساعده مركزه هذا على التقرب من آل لخم . والى (زيد بن حمّاد) أوكل

١ الطبري (٢/١٤٦) ، الاغاني (٢/١٠٥) (دار الكتب المصرية) .
٢ الاغاني (٢/٩٨) (دار الكتب) ، شعراء النصرانية (ص ٤٣٩) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، الشعر والشعراء (١١١) ، رسالة الغفران (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٦٠٦) .
٣ الأغاني (٢/٩٦ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (١/٤٤١) .

تدبير شؤون ملك الحيرة بعد سياحة النعمان على رواية بعض الأخباريين الى أن انتقل الملك الى المنذر بن ماء السماء[1] .

وقرب عدياً الى كسرى أنو شروان المرزبان فروخ ماهان ، فعهد اليه الكتابة بالعربية ، فتولاها وصار له شأن يذكر عند الفرس ، كما صار له مركز خطير في قصور آل لخم . ولما توفي كسرى أنو شروان ، وملك هرمز ابنه ، أرسل عدياً الى قيصر الروم (طيباريوس) (طبريوس) بمهمة سياسية ، فأظهر لباقة وحنكة وحكمة ، مما جعل القيصر يحترمه ، فأكرمه ، وحباه ، وأراه أطراف مملكته ، وذهب الى دمشق ، وأقام فيها أمداً ، وهو على صلات حسنة بالروم، وفي أثناء اقامته بالشأم ، أراد أهل الحيرة قتل المنذر والخروج عليه ، لظلمه وأخذه أموالهم بغير حق . فلما علم بذلك المنذر ، طلب من زيد والد عدي أن يتولى هو الأمر ، وفرح الناس على ما يذكره الرواة بهذا القرار ، فجاؤوه يحيونه بتحية الملك ، ولكنه أبى أن يسمى ملكاً ، ورضي بالحكم بغير هذا الاسم ، وسر المنذر بهذا الحل ، ورضي به . وبقي في هذا المركز الى ان هلك ، وابنه بعيد عنه في دمشق .

فلما جاء عدي من الشأم ، لم ينس المنذر فضل أبيه عليه ، وانقاذه الملك بهذا الحل ، وسلمه ما كان قد تركه أبوه ، واستقبله استقبالاً عظيماً حينما قدم الحيرة قادماً من المدائن بعد زيارته لكسرى لتقديم هدية القيصر اليه . وأقام في الحيرة سنين يتصيد ويلهو ويلعب ، ويبدو في فصلي السنة ، فيقيم في حفير ، ويشتو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم. وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر[2] .

---

١ الاغاني (٢/١٠٠) (دار الكتب المصرية) شعراء النصرانية (ص ٤٤٣) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) الشعر والشعراء (ص ١١٣ وما بعدها) (عدي بن زيد العبادي) .

٢ الاغاني (٢/١٠٢ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ، ١٩٤٤ ، (ص ٤٦ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١/ ٤٣٩ وما بعدها) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) .

وأمها (مارية الكندية) فهي من كندة من جهة الأم . ثم أمره (النعمان) بالافتراق منها وتطليقها بعد ما غضب عليه وألقاه في السجن .

وروى الأخباريون لعدي شعراً زعموا انه قال أكثره في حبسه وفي معاتبته للنعمان وفي توسله اليه بأن يطلقه من حبسه ، وفيه مواعظ تذكر النعمان بأن الدنيا زائلة ، وانها دار فناء ، وان الملك لا يدوم ، وأمثال ذلك . وهو شعر لم ينظر اليه علماء الشعر نظرتهم الى شعر الشعراء الفحول ، وذلك لأنه كان قروياً ، أي من أهل الحضر ، ولذلك أيضاً لم يستشهد به علماء اللغة في ضبط قواعد اللغة[1] .

هذا ويذكر (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) ان في جملة مؤلفات (ابن الكلبي) الكثيرة مؤلفاً اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)[2] ، وهو كتاب لم يصل الينا حتى الآن . ولعله كان في جملة الموارد الرئيسية التي اعتمد عليها المؤرخون وأهل الأدب والأخبار في تدوينهم أخبار ذلك الشاعر السياسي الأديب .

ونجد في (رسالة الغفران) شعراً لعدي . وقد دعي بـ (السروي) في موضع منها ، حين تحدث مؤلفها (المعري) عن المنادمة وعن باطية الخمر[3] . وكُنّي بـ (أبي سوادة) في موضع آخر[4] .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان الى رجل غريب لم يكن من لخم ، اسمه إياس بن قبيصة الطائي[5] ، أو إياس بن قبيصة بن أبي عفراء ، أو إياس بن قبيصة بن النعمان بن حية بن سعنة[6] . وله خال اسمه حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان . ويقال انه كان نصرانياً . وقد ذكر له أخ اسمه قيس بن قبيصة كان نازلاً بعين التمر[7] . وذكر ان والده كان من شعراء جرم ،وجرم رهط من طيء[8] .

---

١ الاغاني (٢/١٠٩) (دار الكتب المصرية) ، الشعر والشعراء (ص ١١٤) ، (عدي بن زيد العبادي) .
٢ الفهرست (ص ١٤٧) .
٣ رسالة الغفران (ص ١٨٥) .
٤ رسالة الغفران (١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٣) .
٥ حمزة (ص ٧٤) ، (اياس بن قبيصة بن أبي عفراء بن النعمان بن حية بن سعية بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنى بن عمرو بن غوث بن طيء) ، شعراء النصرانية (ص ١٣٥) ، ديوان الاعشى (ص ١٦٢) (طبعة الدكتور م . محمد حسين) .
٦ الاشتقاق (٢٣١) .
٧ Rothstein, S. 119.
٨ شعراء النصرانية (ص ٩٣) .

وآل قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق أن عهـدت الى إياس ادارة مهمات الحكومة بعد وفاة المنذر ، فمكث أشهراً ملكاً يدير أمور الملك الى أن أعطي التاج للنعمان أبي قابوس . ويظهر من روايات الأخباريين انه كان مقرباً من كسرى لأنه ساعده حينما هرب من بهرام ، وأهدى اليه فرساً وجزوراً، ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم[1] . فلما فرّ أبناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك مدة ، تذكر كسرى فضل هذا الرجل عليه فعيّنه ملكاً على الحيرة، وعيّن معه رجلاً فارسياً اختلفوا في اسمه ، فقالوا : (الهمرجان) و (البحرجان) و (النخرجان) و (التخرجان)[2] . وهو اختلاف يسير ، يعود سببه على ما يظهر الى عدم تمكن النسّاخ أو الرواة من ضبط الكلمة . والظاهر انها وظيفة ومركز، حسبها الرواة اسم علم ، فأطلقوها على شخص[3] . وقد كان كسرى قد عيّنه مدة أشهر على الحيرة ، وذلك قبل أن ينتقل الملك الى النعمان[4] .

وذكر الأخباريون ان كسرى بن هرمز كان يتيمن بـ (إياس) ، ويفزع اليه في حروبه ويعجبه ، وانه استنجد به في حربه مع قيصر ، فتعقبه حتى أدركه في موضع (ساتيدما) فأثخن القتل في جنوده ، ونجا قيصر في خواص من أصحابه بصعوبة . وأصيب إياس بمرض في هذه السفرة ، أشار الأعشى في شعره اليه[5] . وللأعشى قصائد في مدح إياس ، وكانت له صلة به ، وقد أغدق عليه نعمه[6].

وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصبهاني أن كسرى كان قد عين إياساً عـلى عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطىء الفرات[7] . ويظهر من هذه الرواية ومن رواية وفاته في عين التمر ووجود أخيه فيها أن عين التمر كانت من مناطق نفوذ هذه الأسرة حتى في أيام ملك آل لخم .

وذكر (الدينوري) أن كسرى ولي أياس بن قبيصة الطائي ثمانيـة أشهر ،

---

١ الطبري (٢/١٥٢) .
٢ حمزة (ص ٧٤) ، ابن الاثير (١/٢٠٠) شعراء النصرانية (١٣٧) .
٣ Nöldeke, Sassa. 152, Rothstein, S. 120.
٤ شعراء النصرانية (١٣٥) ، الطبري (٢/١٩٤) (دار المعارف) .
٥ ديوان الاعشى (ص ١٥٩) (طبعة كاير) البلدان (٥/٦) (مادة ساتيدما) .
٦ ديوان الاعشى ، القصائد ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٧٩ .
٧ الاغاني (٢١/١٣٤) .

واضطرب أمر كسرى وجاء الاسلام ومات إياس بعين التمر ، وفيه يقول زيد الخيل :

فان يكُ رب العين خلى مكانه فكل نعيم لا محالة زائل

وذكر بعض أهل الأخبار أن حكم إياس دام تسع سنين[1] .

ولا نعرف شيئاً مهماً قام به إياس في أثناء توليه الملك ، ويظهر أن حكمه لم يكن يتجاوز هذه المنطقة التي أشار اليها الاخباريون ، ولم يشر الأخباريون الى قيامه بغارات على عرب الشأم . أما الشيء المهم الذي وقع في أثناء توليه الحكم ، فهو يوم ذي قار .

ذو قار :

وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط[2] . وبالقرب منه مواضع منها حنو ذي قار وقراقر وجبابات ذي العجرم وجذوان وبطحاء ذي قار[3] . ويقع حنو ذي قار على ليلة من ذي قار[4] .

يرجع الاخباريون سبب وقوع ذي قار الى مطالبة (كسرى ابرويز) هانىء ابن قبيصة بن هانىء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان بتسليم الودائع التي أودعها النعمان لديه اليه . فلما أبى هانىء تسليم ما اؤتمن عليه لغير أهله ، غضب كسرى ، فبعث الى الهامرز التستري ، وهو مرزبانه الكبير ، وكان مسلحه في القطقطانه . والى جلابزين وكان مسلحه في بارق ، كما كتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى استعمله على سفوان بأن يرافقوا إياساً فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيلة عليها الأساورة ، فالتحموا بأرض ذي قار . فلما كان اليوم الأول، استظهر الفرس على العرب ، ثم جزعت الفرس في اليوم الثاني من العطش ، فصارت الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وباقي العربان ، فعطش الأعاجم ، ومالوا الى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب ، وانهزمت الفرس ، وكسرت كسرة هائلة ، وقتل

---

١ المعارف (ص ٢٨٤) ، المحبر (٣٥٩ وما بعدها) .

٢ البلدان (٨/٧) .

٣ Rothstein, S. 121.

٤ البلدان (٨/٧) .

أكثرهم وفيهم الهامرز وجلابزين ، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً ، وانتصفت فيه العرب من العجم[1] .

ويوم ذي قار لم يكن اذن يوماً واحداً ، أي معركة واحدة وقعت في ذي قار وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس ، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم ختمت بـ (ذي قار) ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك من ثم الى هذا المكان . ومن بهذه الأيام : يوم قُراقر ، ويوم الحنو . حنو ذي قار ، ويوم حنو قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي العُجرم ، ويوم الغذوان ، ويوم البطحاء : بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار[2] .

أما متى وقع يوم ذي قار ، فالمؤرخون مختلفون في ذلك ، منهم من جعله في يوم ولادة الرسول،ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى[3]، ومنهم من جعله قبل الهجرة[4] . وقد ذهب (روتشتاين) الى انه كان حوالي سنة (٦٠٤ م) ، وذهب نولدكه الى انه بين (٦٠٤) و (٦١٠ م)[5]. وأكثر أهل الأخبار انه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثاً قالوا إن الرسول لما بلغه من هزيمة ربيعة جيشَ كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبي نصروا »[6] .

والذي يستنتج من روايات أهل الأخبار عن معركة ذي قار ان (هانيء بن مسعود الشيباني) ، لم يكن قائد بني شيبان ولا غيرها من العرب يوم ذي قار ، بل تذهب بعض الروايات الى انه لم يدرك هذا اليوم ، لأنه هلك قبله،وانما هو:

---

١ الطبري (١٥٢/٢ وما بعدها) (المعارف) (ص ٦٠٣) ، البلدان (٨/٧ وما بعدها) شعراء النصرانية (ص ١٣٧) ، مجمع الامثال (٣٥٢/٢) ، العمدة ، لابن رشيق (١٦٩/٢) ، حمزة (ص ٩١) ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، (١٠١/٢) ، (دار الكتاب اللبناني) ، مروج الذهب (٢٣٦/١) ؛ (وكتب كسرى الى قيس بن خالد ، وكان عاملا له على الطف) ، العمدة (٢١٨/٢) (وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى) ، العمدة (٢١٨/٢) .

٢ الطبري (١٩٣/٢) وما بعدها .

٣ البلدان (٧/ ٩ وما بعدها) ، التنبيه والاشراف (ص ٢٤١) . (بيروت ١٩٦٥) ، اليعقوبي (١٨٤/١ وما بعدها) (طبعة النجف) .

٤ المحبر (ص ٣١٠) .

Rothstein, S 123.

الطبري (١٩٣/٢) (دار المعارف) ، التنبيه ص (٢٤١) (بيروت ١٩٦٥ م) ، الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .

(هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود)[1] . وترى روايات أخرى أن (هـانيء ابن مسعود) ، كان يخشى عاقبة هذه الحرب وانه لم يكن يريد مقابلة الفرس، وكل ما كان يريده هو الاحتفاظ برهينة النعمان ، وأن الفرس عنـدما دنوا من العرب بمن معهم : « انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً ، فقال له : أعط قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعـل . فقسم الدروع والسلاح في ذوي القُوى، والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانيء : « يا معشر بكر . إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب . فاركبوا الفلاة ». فتسارع الناس الى ذلك . فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : انما أردت نجاتنا ، فلم تزد على أن ألقيتنا في الهلكة . فرد الناس وقطع وضُن الهـوادج ، لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا — فسمي مقطّع الوُضن — ، وهي حزم الرحال . ويقال : مقطع البُطُن ، والبطن حزم الأقتاب ، وضرب حنظلة على نفسه قبة ببطحاء ذي قار ، وآلى ألا يفر حتى تفر القبة . فمضى من مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا مـاءً لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالحنـو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت الى الجبابـات ، فتبعتهم بكر وعجل»[2] ، «فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم ، فمـالوا الى بطحاء ذي قار ، فأرسلت إياد الى بكر سراً — وكانوا أعواناً عـلى بكر مع إياس بن قبيصة : أي الأمرين أعجب اليكم . أن نطير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل تقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم » . فلما التقى القوم في مكان من ذي قار يسمى (الجب) اجتلدوا والتحموا ، فانهزمت (اياد) كما وعدتهم ، وانهزم الفرس[3] .

ويذكر (الطبري) في رواية من رواياته عن (ذي قار) أن الناس توامروا فـولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي ، وكانوا يتيمنون به ، فقال

---

١ الطبري (٢/٢٠٦) ، معجم (٣/١٠٢٤) ، الكامل (١/٢٨٥ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/٢٠٦) ، (معجم ٣/١٠٤٢) ، (الكامل ١/٢٨٥ وما بعدها) .

٣ الطبري (٢/٢٠٨ وما بعدها) ، العقد الفريـد (٣/٣٨٣ ومـا بعدها) ، (٥/٢١١) ، الكامل ، (١/٢٨٥ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (١٥/٤٣١ وما بعدها) ، صبح الاعشى ، (١/٣٩٢) (دار الكتب) .

لهم : لا أرى إلا القتال . فتبعوا أمره . وهو الذي تولى إدارة القتال . فكان له شأن كبير فيه . وقد قاد قومه من (بني عجل) في ذلك القتال ، فله النصيب الأكبر منه[1] . وقد احتل (حنظلة) ميسرة (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) رئيس بكر في القتال الذي جرى في ذي قار في موضع الجب[2] .

وكان (هانيء بن قبيصة) رئيس بكر يشغل القلب في أثناء الهجوم على الفرس يوم الجب في ذي قار ، وكان على ميمنته (يزيد بن مسهر الشيباني) ، و (حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي) على ميسرته يحميه من كل هجوم جانبي يقع عليه من الميسرة ، كما ذكرت[3] .

وكان (يزيد بن حمار السَّكُوني) ، وهو حليف لبني شيبان ، قد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار هو الجب ، فلما جاء إياس بن قبيصة مع الفرس الى هذا المكان ، خرج مع كمينه ، فباغت إياساً ومن معه ، وولت إياد منهزمة ، فساعد بذلك كثيراً في هزيمة الفرس[4] .

فهؤلاء المذكورون اذن هم الذين قادوا نصر العرب على الفرس . وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن الحرب الرئيسية دارت على بني شيبان ، ورئيس الحرب هو (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) . أما (حنظلة) فكان صاحب الرأي[5] . ولكن الذي يظهر من دراسة مختلف الروايات ان شأن حنظلة في القتال كان أهم وأعظم من شأن هانيء فيه ، حتى لقد ذكرت بعض الروايات انه هو الذي ولي أمر القتال بعد هانيء ، وان القوم صيّروا الأمر اليه بعد هانيء في معركة (جب ذي قار) وانه هو الذي قتل (جلابزين) ، وان كتيبته (كتيبة عجل) قامت بأمر عظيم في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة الفرس[6] .

وكان حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي من سادات قومه ، وهو صاحب قبة،

---

١ الطبري (٢/٢٠٧ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢/٢٠٩) .
٣ الطبري (٢/٢٠٩) (دار المعارف) ابن خلدون (٢/٦٢٦) (دار الكتب اللبنانية) .
٤ الطبري (٢/٢٠٩) (دار المعارف) .
٥ الكامل ، لابن الاثير (١/٢٨٥ وما بعدها) .
٦ الطبري (٢/٢١٠) (دار المعارف) .

ضربت له يوم ذي قار ويوم فلج[1] ، ولا تضرب قبة الا للملك أو سيد . وكانت له بنت يقال لها (مارية) ، كانت معه في هذه المعركة ، وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أبجر . وأورد الطبري شعراً في يوم ذي قار نسبه الى (يزيد بن المكسّر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار) ، واذا كان يزيد هذا هو حفيد حنظلة كما يظهر من سياق النسب ، يكون حنظلة اذ ذاك كبيراً في السن . وقد نسب الطبري الى حنظلة شعراً ذكر انه قاله في يوم ذي قار[2] .

وذكر ان (النعمان بن زرعة التغلبي) هو الذي أشار على كسرى بمهاجمة (هانيء بن مسعود الشيباني) في ذي قار ، وكان يحب هلاك بكر بن وائل ، وان إياداً وهي في الحرب اتفقت سراً مع بكر على الهرب ، فهربت حين كان إياس بن قبيصة والفرس يقاتلون بكراً ، فاضطرب صف العجم،وولوا الادبار ، فقتل منهم من قتل ، وأسر عدد كبير . وأسر (النعمان بن زرعة التغلبي)[3] .

والروايات عن معركة ذي قار ، هي على شاكلة الروايات عن أيـام العرب وعن حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً،من حيث تأثرها بالعواطف القبلية وأخذها بالتحيز والتحزب . فنرى فيها تحيزاً لبني شيبان يظهر في شعر (الأعشى) لهم، اذ يمدحهم خاصة ، مما أدى الى غضب غيرهم مثل (اللهازم)[4] ، ونرى فيها اعطاء فخر لفلان وحبسه عن فلان . ولذلك يجب عـلى الباحث عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزواتها أن يفطن لذلك .

وشعر الأعشى ، أعشى بكر ، في ذي قار ، ومدحه قومه (بني بكر)، شعر مهم للوقوف على حوادث تلك المعركة وكيف جرت[5] . ولبكير : أصم بني الحارث ، شعر أيضاً يمدح فيه بني شيبان ويمجد عملهم وفعلهم في هذا اليوم[6] .

وقد هجا (أعشى بكر) في قصيدة له عن يوم ذي قار وعن مقام عشيرته

---

١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
٢ الطبري (٢/٢٠٩ وما بعدها) .
٣ ابن الاثير (١/١٧٣ وما بعدها) ، الطبري (١/٦١٢) ، الاغاني (٢/١٢٧) ، ابن خلـدون ، القسم الاول ، المجلـد الثاني (ص ٥٥٦) ، (منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر) بيروت ١٩٥٦ م . العمدة (٢/٢١٨) .
٤ الطبري (٢/٢١١) .
٥ الكامل (١/٢٨٥ وما بعدها) .
٦ الطبري (٢/٢١١) (دار المعارف) الكامل ، لابن الاثير (١/٢٨٥ وما بعدها)

ومكانته فيه تميماً وقيسَ عيلان ، ثم تعرض لقبائل معد ، فقال :

لو أن كل معد كان شارَكنا   في يوم ذي قار ، ما أخطاهم الشرف[1]

ونجد شعراً للعديل بن الفرخ العِجليّ ، يفتخر فيه بقومه ويتباهى بانتصارهم على الفرس في هذا اليوم ، فيقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة   إلا اصطلينا ، وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به   للناس أفضل من يوم بذي قار
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة   يوم استلبنا لكسرى كل أسوار[2]

وكان هانىء بن قبيصة ، من أشراف قومه ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة[3] . أما (قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدّين) ، فكان سيد قومه في أيامه ، وذلك قبل الإسلام . وكان كسرى استعمله على (طف سفوان)[4] .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن هناك يوماً آخر ، عرف بيوم (ذي قار) ، وقد وقع أيضاً بين العرب والفرس ، فانتصر فيه العرب أيضاً ، وقد وقع قبل اليوم المذكور ، فعرف لذلك بيوم ذي قار الأول ، وبيوم صيد ، وبيوم القبة . وكان سببه أن بكر بن وائل أصيبت بسنة (أي قحط) فخرجت حتى نزلت بذي قار ، وأقبل حنظلة بن سيار العجلي ، حتى ضرب قبته بين ذي قار وعين صيد ، وكان يقال له (حنظلة القباب) ، وكانت له قبة حمراء ، إذا رفعها انضم اليه قومه ، فأتاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منه ، فأبوا ، فقاتلهم فهزموه وانتصروا عليه[5] .

وقد نسب الى (زيد الخيل) شعرٌ ، زعم انه قاله يذكر إياس بن قبيصة الطائي هو :

---

١ الكامل (١/٢٨٥ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٥/٤٣١ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٣٧٥) .
٣ الاشتقاق (ص ٢١٦) .
٤ الطبري (٢/٢٠٧) (دار المعارف) .
٥ البكري (٣/١٠٤٢) .

أفي كل عــام سيد يفقدونه تحكك من وجــد عليه الكلاكل ؟
ثم يكون العقل منكم صحيفــة كما علقت على السَّليم الجلاجل ؟

وقد قال (ابن قتيبة الدينوري) في تفسيره : « كان كسرى أرسل الى مال إياس ليأخذه فنفرت عن ذلك طيء ، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم . فلــما رأى ذلك كسرى ، كتب لهم كتاباً في أمان ، فقال زيد شعراً ، هذان البيتان فيه ، يحض قومه ، وينهاهم أن يقبلوا كتابه ، أو يطمئنوا الى قولــه»[1]. وليس في هذا الشرح كما نرى تفسيراً للسبب الذي دفع كسرى الى المطالبة بمال إياس . هل كان ذلك بسبب اختلافه معه ، أو بسبب آخر . ولا يعقل أن تكون هــذه المطالبة في حالة صلح وعلاقات طيبــة بين الجهتين ، بل لا بد أن تكون عن ظروف سيئة لم يتطرق لها (ابن قتيبة) .

وعندي ان هذه الحادثة ان صحت روايتها ، وجب أن تكون قد وقعت بعد موت (إياس) ، وتركه ثروة وأملاكاً طائلة ، فأراد الفرس الاستحواذ عليها، وأخذ ما جمعه من مال ، فحدث ما حدث .

وذكر الأخباريون بعد (إياس) رجلاً فارسياً قالوا انه هو الذي حكم (الحيرة) وملكها في زمن (أبرويز) ، وفي زمن شيرويه بن أبرويز ، وفي زمن أردشير ابن شيرويه ، وفي زمن بوران بنت أبرويز ، وذكروا ان مدة حكمه سبع عشرة سنة أو أقل من ذلك . وسمّوا هذا الرجل (أزادبه بن ماهيبيان بن مهرا بنداد)[2] أو (أزاذبه بن يابيان بن مهر بنداذ الهمذاني)[3] ، أو (آزادبه بن ماهان بن مهر بنداد الهمذاني) أو (زادويه الفارسي) . حــكم سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمـــز أربــع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً[4] . ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً ، فلا نعرف من أعماله أي شيء مع طول مدة حكمه ان صحت رواية الأخباريين .

---

١ المعاني الكبير (١٠٠٨/٢) .
٢ (زاديه بن ماهيبان بن مهرا بنداد الهمداني) ، حمزة (ص ٧٤) ، المحبــر (٣٦٠) .
٣ الطبري (١٥٦/٢) .
٤ الطبري (٢١٣/٢) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

وأرى ان (دادويه الفارسي) الذي ذكر (حمزة الأصفهاني) انه كان قد ملك الحيرة ، هو (زادويه) المذكور ، وان النسّاخ قد أخطأوا في كتابة الاسم فصيّروه على هذه الصورة ، او ان (حمزة) نفسه قد أخطأ في التسمية ، أو هو نقلها من كتابين مختلفين أو من مصدر واحد كتبها بصورتين ، فشايعه حمزة ولم ينتبه الى انه صيّر الاسم الواحد اسمين .

وذكر بعض أهل الأخبار ان الذي حكم بعد (آزاذبه) هو (المنذر بن النعمان ابن المنذر) المعروف بـ (الغرور) أو (المغرور) ، وهو المقتول بالبحرين يوم جُواثا)[1] ، « فكان ملكه وملك غيره الى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر »[2] . وهو كلام مشكوك فيه . ففي الاخبار أن المنذر لم يحكم الحيرة، وإنما حكم البحرين في أثناء الردة ، وذلك بأن ربيعةَ حينما ارتدت عن الاسلام قالت : نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر . فلما حارب المسلمون المرتدين، منوا بهزيمة منكرة ، وسقط المنذر أسيراً في أيدي المسلمين . ويقال إنه أسلم على أثر ذلك ، وسمى نفسه (المغرور) بدلاً من (الغرور) ، وهو اللقب الذي كان يعرف به قبل اسلامه[3] .

ويظهر أن النصرانية كانت هي المتفشية في البحرين وفي بني عبد القيس ، وقد كان المنذر الغرور مع المرتدين ، الذين تركوا الاسلام وعادوا الى النصرانية بعد دخولهم في الإسلام[4] .

وقد ذكر (الطبري) في حديثه عن يوم المقر وفم فرات بادقلي : أن الذي كان يلي أمر الحيرة هو (الآزاذبه) ، وقال فيه : « كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى الى ذلك اليوم »[5] . وقد كان من أشراف الفرس وسادتهم ، وذكر أيضاً: أن قيمة قلنسوته خمسون ألفاً ، وقيمة القلنسوة عند الفرس تدل على مكانة صاحبها وشأنه عند الساسانيين . وانه لما سمع بدنو (خالد بن الوليد) من الحيرة تهيأ لحربه ، وقدم ابنه ، ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسد الفرات ، ولكن خالداً فاجأه وأصاب جيشه فلما بلغ أباه خبر ما حل

---

١ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٥) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٢ الاغاني (١٤/٤٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٢/١٥٤) .
٣ الطبري (٣/١٣٦ وما بعدها) (دار المعارف بمصر) .
٤ الطبري (٣/٣٥٩) .
٥ الطبري (٣/٣٥٩) .

به ، هرب من غير قتال ، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض ، وتمكن بذلك خالد بن الوليد من فتح الحيرة[1] .

فيفهم من حديث الطبري عن فتح الحيرة أن المنذر بن النعمان لم يكن قد ولي حكمها ، وأن ما ذكره من توليه الحكم ثمانية أشهر . يناقض ما ذكره هو فيما بعد عن فتح الحيرة وبقية أرض العراق ويخالف كذلك ما ورد في بقية كتب أهل الأخبار عن فتوح العراق .

وكان ملوك الحيرة مثل غيرهم من الملوك ، كالغساسنة والساسانيين والروم ، يتراسلون مع القبائل وعمالهم بالبريد . وكانت برد ملوك العرب في الجاهلية الخيل[2] ، تنطلق في مراحل ، فإذا بلغ البريد المرحلة المعينة استراح ، وتولى البريد الثاني نقل الرسائل الى المكان المقصود ... وبذلك تتم المراسلات .

ومن الأسر المعروفة في الحيرة ، العدسيون ، وهم من (كليب)،وقد نسبوا الى أمهم على ما يذكره أهل الأخبار .

ومن سادات الحيرة وأشرافها (بنو الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير (جمهر) بن لحيان) ، وكان منهم (جابر بن شمعون) الأسقف من أساقفة الحيرة المعروفين ، وهو صاحب القصر الأبيض بالحيرة[3] .

وقد اشتهرت الحيرة بسوقها ، إذ كان الأعراب وتجار جزيرة العرب يقصدون السوق لبيع تجارتهم وشراء ما فيها من سلع نفيسة مطلوبة في بلاد العرب . وقد اشتهرت بنوع خاص من السيوف ، قيل لها (السيوف الحاربة) ، كما عرفت بصناعة الأنماط[4] .

واشتهرت الحيرة بقصرها المعروف بـ (الخورنق) . وهو قصر يقع على ثلاثة أميال منها ، ويقال إنه بني على نهر : بناه للنعمان المعروف بالأعور بناءٌ رومي اسمه (سنمار) في عشرين سنة . وقد لقي البناء مصرعه بسبب هذا القصر ، في

---

١ الطبري (٣/٣٥٩ وما بعدها) .

٢ قال امرؤ القيس الكندي :

على كل مقصوص الذنابي معاود ... بريد السرى بالليل من خيل بريرا

الكامل ، للمبرد (١/٢٨٦) .

٣ الاغاني (٢/١١٥) .

٤ مروج الذهب (٢/٩٠ وما بعدها) ، البلدان (٢/٣٢٨) ، فتوح البلدان (٢٤٥)

قصص يرويه عنه أهل الأخبار ، ويضربون به المثل في المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح[1] .

ولأهل الأخبار آراء في التسمية : منهم من يقول إنها عربية ومن أصل عربي ومنهم من يقول إنها فارسية ، وأن اللفظة معربة .

وارتبط باسم (الخورنق) اسم قصر آخر هو (السدير) . وقد بني في البرية، فهو أبعد من الخورنق عن الحيرة[2] . ولأهل الأخبار كعادتهم في تعليل الأسماء العادية مذاهب في التسمية. ويرجح المستشرقون انها من الألفاظ المعربة عن الفارسية[3] . وقد كان ذا قباب ثلاث ، ويتألف من ايوان ينتهي الى غرفه ، وعلى جانبيه غرفتان . ويظهر من روايات أهل الأخبار انه كان أقدم عهداً من الخورنق، وان ملوك آل لخم كانوا يقيمون فيه في قديم الزمان[4] .

وذُكر ان (السدير) نهر بالحيرة ، قال عدي :

سرّه حالُه وكثرة ما يمـ ـلك ، والبحر مُعرِضاً ، والسديرُ[5]

وفي شعر ينسب الى الأسود بن يعفر ، ذكر للقصرين المذكورين،رثى الشاعر فيه حال (آل محرق) ، وتألم وتوجع لما نزل وحلّ بهم ، كما توجع لإياد ، اذ قال :

ماذا أؤمل بعد آل محرقٍ تركوا منازلهم ، وبعدَ إياد ؟
أرض الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سنداد[6]

---

١ القاموس (٣/٢٢) تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، (١/٧٩) ، مراصد الاطلاع (١/٤٩٨) ، اللسان (١/٧٨) ، اليعقوبي (١/١٧٠) ،امثال العرب ، للمفضل الضبي (ص ٩٦) .

٢ الجوهري ، تاج اللغة (١/٣٣٠) ، البكري ، معجم (١/٧٢٩) ، ابن سيدة ، المخصص (٥/١٢٦) ، الديارات ، للشابشتي (١٥٢) ، مراصد الاطلاع (١/٦٩٩) .

٣ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهد لي ، أي ثلاث شعب ، أو ثلاث مداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية) ، اللسان (٤/٣٥٥) .

٤ الديارات (١٥٢) .

٥ اللسان (٤/٣٥٥) ، (صادر) ، (سدر) .

٦ اللسان (١١/١٨ وما بعدها) ، (صادر) ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء (١١٦ وما بعدها) .

ويجب أن يكون هذا الشعر قد نظم بعد نكبات حلت بـ (آل محرق) ، حملتهم على ترك ديارهم وعلى زوال سلطانهم عنها ، أي بعد النكبة التي حلت بالنعمان بن المنذر بعد زوال دولة المناذرة .

وبارق : اسم موضع على مقربة من الكوفة ، وموضع آخر في السَّواد على مبعدة من الكوفة[١] . أما (سنداد) فمن مواضع إياد .

ومن الأماكن التي تنسب الى ملوك الحيرة موضع يعرف باسم (الدوسر) ، قيل انه من أبنية أحد أمراء الحيرة . وقد ملكه (جعبر بن مالك) ، وهو من (بني قُشير) ، فنسب اليه ، وعرف بـ (قلعة جعبر) . ويظن انه موضع (Dausara) الذي ذكره (اسطيفان البيزنطي) . ويقع على الشاطيء الأيسر لنهر الفرات. ومن أسمائها عند اليونان (Dauses) و (دونه) (Daune) و, (Dabanae)[٢].

ومن المواضع القريبة من الحيرة موضع يعرف بـ (الخصوص) ، تنسب اليه (الدنان) ، ذكر في (صادية) (عدي بن زيد العبادي)[٣] . وموضع (عمير اللصوص) وهو قرية من قرى الحيرة . ودير قرة ، وهو بإزاء (دير الجماجم) منسوب الى (قرة) ، وهو رجل من لخم بناه على طرف البر ايام النعمان[٤] .

وقد تأثر فن بناء القصور في الحيرة وما والاها من قصور (آل لخم) بالفن الساساني فصار في القصر رواق في الوسط هو مجلس الملك، وهو الصدر، وجناحان هما كُمَّان يُكوّنان طرفي الرواق ، ميمنة وميسرة . وقد صار هذا الطراز من البنـاء سمةً من سمات بناء قصور الحيرة ، وكذلك تأثر تزويق جدران بيوت الحيرة ونقشها بطريقة الفن الساساني في تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها . وقد أثرت طريقة أهل الحيرة هذه في فن البناء في مدينة (سامراء)[٥] .

وفي كتاب (مروج الذهب) إشارة الى قصر المتوكل المعروف بـ (الحيري)

---

١ اللسان (١٨/١١ وما بعدها) ، (صادر) ، البكري ، معجم (٢٢١/١) ، تاج العروس (٢٨٥/٦) ، مراصد الاطلاع (١٥١/١) ، المعارف (٦٤٧) ، (ثروت عكاشة) ، العقد الفريد (٣٨٤/٣) ، مقاييس اللغة (٢٢٧/١) .

٢ رحلة بنيامين ، (ص ١٢٣) .

٣ ابلغ خليلي عبد هند فلا   زلت قريبا من سواد الخصوص
رسالة الغفران (١٨٦) .

٤ رسالة الغفران (١٨٧) .

٥ Die Araber, I, S., 607, Franz Altheim und Futh Stiehl. Asain und Rom, Tübingen, 1952, S., 49.

والكمّين ، قال فيه : « وأحدث المتوكل في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سمّاره حدثه في بعض الليالي : أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة على صورة الحرب وهيأتها للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك ، وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكُمّان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة . واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله ، واشتهر الى هذه الغاية »[1] . وفي هذا الوصف وصفه لذلك القصر الذي بناه أحد النعامنة . ولكن أي نعمان هو ؟ هل هو النعمان صاحب الخورنق أو هو نعمان آخر بنى قصراً آخر في عاصمته الحيرة .

وقد وجد بعض المؤرخين في هذا الوصف دلالة على احتمال كون القصر المعروف بـ (قصر المشتى) ، هو من بناء أحد ملوك الحيرة ، إذ وجد في خطة بنائه، وفي هذا الوصف شبهاً حمله على القول باحتمال كونه من أبنيتهم[2] .

قوائم ملوك الحيرة :

يصعب تصوّر حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة وعددهم ومددهم ، لدعواهم انهم أخذوا علمهم بهم من كتب كانت مدونة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفرس ، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قوله : « ذكر هشام عن أبيه انه لم يجد الحادث فيمن أحصاه كتّاب أهل الحيرة من ملوك العرب ، قال : وظنّي انهم انما تركوه لأنه توثب على الملك بغير اذن ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، وانما كان سيارة في أرض العرب »[3] . ومثل ملاحظة أخرى

---

١ مروج (٣٦٩/٢) . (القاهرة ١٣٤٦ هـ) (طبعة عبد الرحمن محمد) ، (٤/٤ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .

٢ Die Araber, I, S. 595.

٣ حمزة (ص ٧١ وما بعدها) .

لابن الكلبي أشرت اليها سابقاً، هي دعواه انه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها[1]. فدعاوى مثل هذه لا تصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة: ومبالغ أعمارهم وتأريخ سنيّهم وأمثال ذلك، مع إننا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وفي ترتيب توليّهم الحكم ومقدار سنيهم وأمثال ذلك. والعجب أنهم يعتمدون على مورد أو موارد مشتركة قد يشيرون اليها، ثم إذا بهم يختلفون في أمور ما كان ينبغي وقوع اختلاف ما فيها لأخذها من مورد مشترك أو موارد مشتركة.

وعدة ملوك الحيرة قد يزيد على العشرين ملكاً بقليل عند بعض الأخباريين، وقد ينقص عن هذا العدد عند بعض آخر. وقد ذهب المسعودي الى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس، وأن مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر[2]؛ وذهب حمزة الى أن مدة ما حكمه ملوك الحيرة منذ عهد عمرو بن عديّ الذي اتخذها منزلاً الى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمسمائة وبضع وثلاثون سنة[3].

ونحن اذا فحصنا القوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة، وفحصنا ما ذكروه من مدة حكم كل ملك إجمالاً، ثم قابلناه بما ذكروه بالنسبة الى حكم ذلك مجزءاً على مدد حكمه بالقياس الى من حكم في زمانه من ملوك الفرس، نجد اختلافاً بين ما ذكروه إجمالاً ثم ما ذكروه تفصيلاً، كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الاجمالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها لحكم كل ملك أيضاً على وجه الاجمال، مما يدل على انهم لم ينتبهوا الى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين.

ونجد قائمة (ابن الكلبي) لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ومقدار حكم كل ملك بالنسبة الى من عاصره من ملوك الفرس مدوّنة في تأريخ الطبري وفي تأريخ حمزة وفي تواريخ أخرى. ولاقتصار ابن الكلبي على ذكر مدد حكم ملوك

---

١ الطبري (٣٧/٢).
٢ مروج (٢٨/٢).
٣ حمزة (ص ٦٦).

الحيرة إجمالاً . ثم ذكرها تفصيلاً بما يقابل ذلك من سني حكم الأكاسرة دون الاشارة أبداً الى ما يقابل ذلك أيضاً بالقياس الى القياصرة ، نستطيع أن نقول إن ابن الكلبي لم يغرف من موارد تأريخية استندت الى تواريخ الروم أو السريان ، وانما غرف من مناهل تأريخية فارسية أو معتمدة على الموارد الفارسية، ومن موارد أهل الحيرة وهي موارد يظهر انها لم تكن تعتمد على أصول قديمة مدونة لتواريخ الحيرة ، لأن أكثر ما رووه لا يختلف في طبيعته في الغالب عن النوع الذي ألفناه من أخبار الأخباريين .

وقد جزأ الطبري قائمة ابن الكلبي لملوك الحيرة ، فوضعها قطعاً قطعاً في ثنايا حديثه عن ملوك الفرس وفي المناسبات،ولم يذكرها جملة واحدة في مكان واحد ، أو في فصل مستقل خاص كما فعل غيره من المؤرخين ، وتبلغ جملة ملوك الحيرة عشرين ملكاً ، وقد ذكر مع كل ملك مقدار ما حكمه من سنين وأسماء من عاصرهم ذلك الملك من الأكاسرة .

أما هؤلاء الملوك فهم :

١ ــ عمرو بن عدي ، وقد عاش مئة وعشرين سنة وحكم على حد قول ابن الكلبي مئة سنة وثماني عشرة سنة من ذلك في زمن (أردوان) و (ملوك الطوائف) خمس وتسعون سنة وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة . من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي زمن سابور بن أردشير ثماني سنين وشهران .

٢ ــ امرؤ القيس البدء ، وقد عاش مملكاً في عمله مئة سنة وأربع عشرة سنة من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً،وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة ايام،وفي زمن بهرام بن هرمز بن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة ايام،وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثماني عشرة سنة . ولكنك اذا جمعت هذه المدد وقابلت حاصل الجمع ، وجدت فرقاً كبيراً بين ما زعمه ابن الكلبي من انه حكم ١١٤ سنة ، ثم ما زعمه هو نفسه من حكم هذا الملك مجزءاً بالنسبة الى ملوك الفرس .

٣ ــ عمرو بن امرؤ القيس ، وقد حكم على رواية ابن الكلبي أيضاً ثلاثين سنة . وعاصر من الملوك سابور وأردشير بن هرمز بن نرسي وبعض أيام سابور بن سابور.

٤ ــ أوس بن قلام ، وقد حكم خمس سنين في أيام سابور بن سابور وبعض ايام بهرام بن سابور ذي الأكتاف .

٥ ــ امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرىء القيس ، وقد حكم خمساً وعشرين سنة . حكم في أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف ، وهلك في عهد يزدجرد الأثيم .

٦ ــ النعمان بن امرىء القيس ، وقد ملك تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام بن يزدجرد أربع عشرة سنة . وينقص ذلك أربعة أشهر عن العدد الاجمالي الذي ذكره ابن الكلبي.

٧ ــ المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ ــ الأسود بن المنذر ، وقد حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين .

٩ ــ المنذر بن المنذر بن النعمان وقد ملك سبع سنين .

١٠ ــ النعمان بن الأسود بن المنذر ، وكان ملكه سبع سنين .

١١ ــ أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل ، وكان ملكة ثلاث سنين .

١٢ ــ المنذر بن امرىء القيس البدء ، وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة.

١٣ ــ عمرو بن المنذر ، وكان جميع ملكه ست عشرة سنة .

١٤ ــ قابوس بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين : ثمانية أشهر منها في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان .

١٥ ــ السهرب .

١٦ ــ المنذر بن المنذر أبو النعمان ، وقد ملك أربع سنين .

١٧ ــ النعمان بن المنذر أبو قابوس ، وقد ملك اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في زمن هرمز بن أنو شروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

١٨ – إياس بن قبيصة الطائي ومعه النخير جان ، وقد ملك تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز .

١٩ – آزاذبه بن بابيان بن مهر بنداذ الهمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة: في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً .

٢٠ – المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك ثمانية أشهر .

هذه هي قائمة أسماء ملوك الحيرة كما رواها الطبري عن ابن الكلبي[١] .

ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة) :

١ – مالك بن فهم .
٢ – جذيمة الأبرش .
٣ – عمرو بن عدي .
٤ – امرؤ القيس ، ويقال : بل ملك الحارث بن عمرو بن عدي .
٥ – النعمان بن امرىء القيس .
٦ – المنذر بن امرىء القيس .
٧ – المنذر بن المنذر بن امرىء القيس .
٨ – عمرو بن هند .
٩ – النعمان بن المنذر .
١٠ – إياس بن قبيصة[٢] .

أما (محمد بن حبيب)، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل : (عمرو بن عدي بن نصر) و (امرؤ القيس البدء) وهو الأول ، فابنه (عمرو) ف (أوس بن قلام بن بطينا بن حمير بن لحيان) ، و (امرؤ القيس) البدء،

---

١ الطبري (٢/٢١٣ وما بعدها) ، (ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند) ، (دار المعارف) .
٢ المعارف (ص ٦٤٥ وما بعدها) .

وهو (محرق الأول) ، فـ (النعمان بن امرىء القيس البدء) ، فابنه (المنذر)، فابنه (الأسود) ، فأخوه (المنذر) ، فابن أخيه (النعمان بن الأسود) ، فـ (أبو يعفر بن علقمة بن مالك) ، فـ (المنذر بن امرىء القيس)، فـ (عمرو ابن المنذر بن امرىء القيس) ، فـ (قابوس بن المنذر) ، فـ (السهرب) الفارسي ، فـ (المنذر بن المنذر) ، فـ (أبو قابوس النعمان بن المنذر) ، فـ (إياس بن قبيصة الطائي) ، فـ (آزاذبه) ، فـ (الغرور المنذر بن النعمان بن المنذر) ، وهو المقتول بالبحرين يوم (جواثا)[1] .

ملوك الحيرة بحسب رواية اليعقوبي :

١ — عمرو بن عدي ، وقد ملك خمساً وخمسين سنة .
٢ — امرؤ القيس بن عمرو ، وقد ملك خمساً وثلاثين سنة .
٣ — الحارث بن عمرو ، وقد ملك سبعاً وثمانين سنة .
٤ — عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك أربعين سنة .
٥ — المنذر بن امرى القيس .
٦ — النعمان .
٧ — المنذر بن النعمان ، وقد ملك ثلاثين سنة .
٨ — عمرو بن المنذر .
٩ — عمرو بن المنذر الثاني .
١٠ — قابوس بن المنذر .
١١ — المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين .
١٢ — النعمان بن المنذر[2] .

ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي:

١ — عمرو بن عدي ، وكان ملكه مئة سنة .

---

١ المحبر (ص ٣٥٨ وما بعدها) .
٢ اليعقوبي (١٦٩/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

٢ ــ امرؤ القيس بن عمرو بن عدي . وقد ملك ستين سنة .
٣ ــ عمرو بن امرئ القيس . وقد ملك خمساً وعشرين سنة .
٤ ــ النعمان بن امرئ القيس ، وقد حكم خمساً وستين سنة .
٥ ــ المنذر بن النعمان ، وكان حكمه خمساً وثلاثين سنة .
٦ ــ المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر . وقد ملك أربعاً وثلاثين سنة .
٧ ــ عمرو بن المنذر ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .
٨ ــ قابوس بن المنذر ، وقد ملك ثلاثين سنة .
٩ ــ النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .
١٠ــ إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ملكه تسع سنين .

هذه هي أسماء ملوك الحيرة الذين ذكرهم المسعودي ، وقد نص هو على أن عدة ملوك الحيرة ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس، ومدة ملكهم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر[1] . ونص في كتابه (التنبيه) ، على أن « عدة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيفاً وعشرين ملكاً،ملكوا خمس مئة سنة واثنتين وعشرين سنة وشهوراً »[2] .

قائمة حمزة لملوك الحيرة :

١ ــ عمرو بن عدي ، وكان جميع ما ملكه مئة وثماني عشرة سنة . ذلك في زمن ملوك الطوائف خمسة وتسعون سنة، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ، منها في أيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي أيام شابور بن أردشير ثماني سنين وشهران .

٢ ــ امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك مئة وأربع عشرة سنة ، منها في زمن شابور بن أردشير ثلاث وعشرين سنة ، وفي زمن هرمز بن شابور سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر، وفي زمن

---

١ مروج (٢/١٦ وما بعدها) .
٢ التنبيه (ص ١٥٨) .

بهرام بن بهرام ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي زمن بهرام بن بهــرام بن بهرام ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ، وفي زمن نرسي بن بهرام بن بهرام تسع سنين ، وفي زمن هرمز بن نرسي ثلاث عشرة سنة ، وفي زمن شابور ذي الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر .

٣ ـــ عمرو بن امرىء القيس ، وقد ملك ستين سنــة ، من ذلك في زمان شابور ذي الأكتاف إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهــر ، وفي زمن أردشير أخي شابور خمس سنين ، وفي زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر .

٤ ـــ أوس بن قلام ، وقد ملك خمس سنين في زمن أردشير أخي شابور .

٥ ـــ امرؤ القيس ، وقد حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، من ذلك في زمن شابور بن شابور خمس سنين ، وفي زمن بهرام بن شابور إحدى عشرة سنة ، وفي زمن يزدجرد بن شابور خمس سنين وثلاثة أشهر .

٦ ـــ النعمان بن امرىء القيس ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، من ذلك في زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

٧ ـــ المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنــة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهــرام ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ ـــ الأسود بن المنذر ، وقد ملك عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد ابن فيروز ست سنين .

٩ ـــ المنذر بن المنذر ، وقد ملك سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٠ ـــ النعمان بن الأسود ، وكان ملكه أربع سنين في زمن قباد .

١١ ـــ أبو يعفر بن علقمة الذميلي : وكانت مدة حكمه ثلاث سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٢ ـــ امرؤ القيس بن النعمان ، وكان ملكه سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٣ ـــ المنذر بن امرىء القيس ، وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة ، من ذلك في زمن قباد بن فيروز ست سنين ، وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباد ستاً وعشرين سنة .

١٤ – الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .

١٥ – عمرو بن المنذر . وكان ملكه ست عشرة سنة .

١٦ – قابوس بن المنذر . وكان حكمه مدة أربع سنين في زمن أنو شروان.

١٧ – فيشهرت . وقد حكم سنة في زمن أنو شروان .

١٨ – المنذر بن المنذر . وقد ملك أربع سنين ، منها ثمانية أشهر في زمن أنو شروان . وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن كسرى أنو شروان .

١٩ – النعمان بن المنذر . وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك سبع سنين وثمانية أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان ، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر في زمن كسرى بن هرمز .

٢٠ – إياس بن قبيصة ومعه (البحر جان) (النخر جان) ، وكان ملكه مدة سبع سنين في زمن أبرويز .

٢١ – زاديه بن ماهبيان بن مهرا بنداد الهمداني ، وقد ملك سبع عشرة سنة ، من ذلك أربع عشرة سنة وثمانية أشهر في زمن أبرويز ، وثمانية أشهر في زمن شيرويه بن أبرويز ، وسنة وسبعة أشهر في زمن أردشير بن شيرويه، وشهراً واحداً في زمن بوارن بنت أبرويز .

٢٢ – المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان ملكه وملك غيره الى أن ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر[١] .

وقد ذكر حمزة أن جميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة خمسة وعشرون ملكاً حكموا في مدة ستمائة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً . لكنه ذكر في مكان آخر أن الحيرة عمرت « خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة الى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الاسلام[٢] » .

وقد استند حمزة في تأليف قائمته هذه على رواية ابن الكلبي في تأريخ الطبري، وعلى رواية محمد بن حبيب وعلى ابن قتيبة ، ولذلك خالفت قائمته هذه بعض المخالفة قائمة الطبري في الأسماء وفي السنين .

---

١ حمزة (ص ٦٥ وما بعدها) ، (٧٥) .

٢ حمزة (ص ٦٥) .

ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي :

وأما (الخوارزمي) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :

١ – مالك بن فهم .
٢ – ثم ابنه جذيمة الأبرش .
٣ – ثم عمرو بن عدي .
٤ – ثم امرؤ القيس البدء .
٥ – ثم ابنه عمرو ، وهو ابن هند .
٦ – ثم أوس بن قلام .
٧ – ثم امرؤ القيس البدن . وهو محرق الأول .
٨ – ثم ابنه النعمان الذي بنى الخورنق والسدير . وفارس حليمة، وهو السائح والأعور .
٩ – ثم ابنه المنذر .
١٠– ثم ابنه الأسود .
١١– ثم المنذر بن المنذر .
١٢– ثم النعمان بن المنذر .
١٣– ثم النعمان بن الأسود .
١٤– ثم أبو يعفر بن علقمة .
١٥– ثم امرؤ القيس بن النعمان . وهو صاحب سنمار .
١٦– ثم ابنه المنذر ، وهو ابن ماء السماء .
١٧– ثم الحارث بن حجر الكندي ، آكل المرار .
١٨– ثم المنذر بن ماء السماء .
١٩– ثم ابنه عمرو بن هند ، وهو مضرط الحجارة ومحرق الثاني .
٢٠– ثم ابنه قابوس بن المنذر .
٢١– ثم فيسهرب الفارسي في زمن أنو شروان .
٢٢– ثم المنذر بن المنذر ، وأخوه عمرو بن هند .

٢٣ – ثم النعمان بن المنذر . وهو آخر ملوك لخم .
٢٤ – ثم إياس بن قبيصة الطائي .
٢٥ – ثم زادويه الفارسي .
٢٦ – ثم المنذر بن النعمان بن المنذر[١] .

١ مفاتيح العلوم (٦٨ وما بعدها) .

الفصل التاسع والثلاثون

مملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)[1] .

وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)[2] ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان[3] . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً[4] .

و (كندة) هي (كدت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المسند ، مثل نص (أبرهة)[5] . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

---

١ الاشتقاق (٢/٢١٨) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (١٠/٤،٥) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢/٢٧٦) نهاية الأرب (٢/٢٨٧) ، البيان والتبيين (٣/٣٢٨) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، Enc. II, p. 1018.

٢ (كندة حي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فأخبرني عن كندة ، قال : (ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٢/٣٢٥) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢/٢٥٧) .

٤ الطبري (٣/١٣٩) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S. 55, Gunnar Olinder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.
وسيكون رمزه : Olinder

اذ ورد في النص : (Jamme 635) . المدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كدت) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ربعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وانه كان ملكاً على (كدت) كندة وعلى (قحطن) أي (قحطان)[1] .

فنحن على هذا النص أمام مملكة كندية كانت قد تكوّنت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جارينا رأي (جامة) وسرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)[2] . وقبل هذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكمنس) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ربعت ذا الثورم) أي (ربيعة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر انهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة او بيت او عشيرة من كندة ، فصيروه الجد الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

ويلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة). ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصيّروه جد العرب القحطانيين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم بـ (REP. EPIG., 4304) . هذا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)[3] . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صانعه وضعه لغاية واضحة هي اثبات أن ما يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وانه وارد مذكور في المسند . وبين (صنعاء) و (زبيد) مدينة تعرف بـ (قطحان)[4] .

---

١ السطر ٢٧ من النص : .(Jamme 635)

٢ Mahram, P. 391.

٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.

٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كدت) مستقلة وعلى رأسها ملك،في أيام (الشرح يحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين المعادين للملك (الشرح يحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذي ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البرّ والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذْ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرت) ، في الأسر . وسيقوا الى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتىوافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذي ريدان) وعلى اعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذي ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على اعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأفرج بذلك عنهم[1] .

وقد فقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديده الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص،وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، اذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) انها كانت تابعة اذ ذاك لحكم هذه الدولة . يخبر النص : (Jamme 660) ، ان كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شمر يهرعش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب اوم) (وهب أوم) (وهب أوام)، وان ذلك الحاكم كان يدير بالاضافة الى كندة قبائل حضرموت ومذحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك انه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جملتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ[2] .

ويخبرنا النص : (Jamme 665) ، ان رجلاً من (جدنم) (جدن) كان كبيراً (كبر) على (اعراب ملك سبأ) (أعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كدت) و (مذحج) وعلى (حررم) (حريرم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) . وعلى كل

---

١ Jamme 576, MaMb 212, Mahram. PP. 67, Geukens 3.

٢ السطر الثاني من النص : Jamme 660, MaMb 156, Mahram. P. 164.

أعراب سبأ (وكل اعرب سبأ) وعلى حمير وحضرموت ويمنت[1] . وقــد عيّنه بدرجة (كبر) أي (كبير) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر يهنعم) وابنه (ذرأ أمر أيمن) . ومعنى هذا ان كنـــدة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئيين ، وان ذلك الكبير كان يدير منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامة) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشمم) (قشم) (قشام) (القشم) ، وذلك لأن النص : **(Jamme 660)** يضعها بين (حضرموت) و (مذحج) ، فيرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع[2] .

والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيـــين على وجه لا يقبـــل الشك أو الجدل ، هو (نونوسوس) ، وقد دعاها باسم **(Kindynoi)** أي (كندة) ، وذكر انها وقبيلة (مادينوى) **(Maddynoi)** (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه **(Kaisos)** اي (قيس)[3] .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تأريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتأريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات اخرى لها علاقة بهذه القبيلة[4] ، وابو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبّة ، وأمثالهم ممن سترد اسماؤهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي اخبار تمثل جملة نزعات واتجاهات تصور تحزب اولئك الأخباريين وميـــولهم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد اهل اليمن ، وبينها اخبار ترجح كفة (كنـــدة) ، وبينها اخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها اخبار تؤيد بني اسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون مـن روايات عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بحذر شديد .

---

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .

٢ Mahram, P. 318, 372.

٣ Olinder, PP. 114.

٤ راجع ايضا مقدمة (أوليندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تأريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد ، الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة انه نقل اخبار ملوك كندة من (كتاب أخبار كندة)[1]، وأظنه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت اليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي تفيدنا في تدوين تأريخ كندة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (المفضليات) و (الأغاني) و (النقائض) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

ويذكر الأخباريون أن مواطن (كندة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت[2] . وقد أطلق (الهمداني) عليها (بلد كندة من أرض حضرموت)[3]. وذكر ياقوت أن كندة مخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كندة[4] ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تقيم في دهرها الأول في (غر ذي كندة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا من نسبهم في عدنان، وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كندة من قبائل عدنان[5] ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كندة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأنساب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في (غمر ذي كندة) وكيف وصلوا الى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم الى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث اليعقوبي عن حرب وقعت بين كندة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و(شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون . وهؤلاء من كندة ، و (مسعر بن مستعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربه حضرموت ، وكان القتل قد كثر فيها ، فصارت كندة الى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

---

١ حمزة (ص ٩٢) ، (كندة) (السكون) (السكاسك) ، الفهرست (١/ ٩٨) ، (طبعة فلوكل) .
٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/ ٢٥٧) .
٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .
٤ البلدان (٧/ ٢٨٤) .
٥ البلدان (٦/ ٣٠٤) . الاغاني (١١/ ١٦٠) . المفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور) فملك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور ، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المرار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة بالذنائب وتولى الملك[1] فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي ان « أول من أنسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك ان مالك بن كنانة نكح الى معاوية بن ثور الكندي ، وهو يومئذ في كندة ، وكانت النسأة قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرداف المقاول »[2] . وتدل هذه الرواية على ان هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة الى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع ان النسابين يعدونها من قبائل قحطان .

وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المرار)[3] ، وهو ينسب الى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية[4] ، والى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى[5] .

---

١ (الذنائب) ، الصفة (ص ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) ، البلدان (٤/١٩٧ وما بعدها) ، اليعقوبي (١/١٧٦ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

٢ الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١/١١٨) (المطبعة الماجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .

٣ المرار : عشب مر اذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها ، قيل سمي حجر آكل المرار لكشر كان به ، وقيل لان ابنة له سباها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المرار ، تعني كاشرا عن أنيابه ، وقيل : انه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المرار حتى شبع ، فعرف بآكل المرار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١/١٧٧) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (١/٧٤) ، شرح ديوان امرىء القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام (ص٦) ، لحسن السندوبي ، اللسان (٤/١٧١) .

٤ حمزة (ص ٩٢) .

٥ ابن خلدون (٢/٢٧٣) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف[1] . وذكر انه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه . فلما دوّخ (حسان) بلاد العرب ، وسار في الحجاز ، وهمّ بالانصراف ، ولّى أخاه (حجراً) على (معد بن عدنان) كلها ، فدانوا له ، وسار فيهم أحسن سيرة[2] .

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين ان التابعة كانوا يصاهرون (بني معاوية ابن عنزة) من كندة ، وكانوا يملكون في (دمون) ، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز ، فكان أول من ولي منهم (حجر آكل المرار) ، ولاّه (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة ، وولى بعده ابنه (عمرو بن حجر)[3] . فيفهم من هذه الرواية ان (بني معد) كانوا أتباعاً للتبابعة يعيّنون عليهم من يشاءون من الناس .

وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي ، مفادها ان تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً الى العراق نزل بأرض معد ، فاستعمل عليها (حجراً آكل المرار) ، ومضى لوجهه . فلما هلك ، بقي حجر لحسن سيرته مطاعاً في مملكته . وملك الشأم يومئذ (زياد بن الهبولة السليحي) والملك الأعظم في بني جفنة ، وزياد كالمتغلب على بعض الأطراف ، فقتله حجر . وقد بقي حجر حتى خرف، وله من الولد : عمرو ومعاوية[4] .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان حجراً كان معاصراً لـ (زياد بن الهبولة السليحي) وهو ملك عرب الشأم يومئذ ، ويذكر حمزة ان (حجراً) قتله[5] .

وفي رواية أخرى ان حجراً هو أول ملوك كندة . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليها بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدّد أموالها وساسها احسن سياسة ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض (بكر ابن وائل) . وبقي حجر كذلك حتى مات[6] . فـ (حجر) على هذه الرواية

---

١ الاغاني (١٥/٨٢) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٣) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٣٠٨) .
٣ ابن خلدون (٢/٢٧٦) .
٤ حمزة (ص ٩٢) ، ابن خلدون (٢/٢٧٣) ، الاغاني (١٥/٨٢) المحبر (ص ٣٦٨ وما بعدها) .
٥ حمزة (ص ٩٢) .
٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (١/٧٤) (المطبعة الحسينية) .

أول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائهـــا تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب)، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كلى كرب بن تبع)[١] . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) الى أن (حسان تبع) هذا هو (شرحبيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه الى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد[٢] ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر[٣] ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقصه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخميين ،واستخلص أرض بكر منهم[٤] . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة[٥] .

ويحدثنا بعض الرواة أن حجراً بينما كان يغزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهيم (الأيهم) بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقينة من أحب قيانه اليه ، وانصرف، فقال للقينة : «ما ظنك بحجر؟» فقالت : « لا أعرفه ينام إلاّ وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل مراراً ، فان رأيت ان تنجو بنفسك فافعل » ، فلطمها الغساني فما لبثوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القينة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعـــد أن بلغه غارة الغساني : « لا غزو إلا بالتعقيب »[٦] وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هـــذه الرواية دون

---

١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .
٢ Handbuch, S. 104, Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.
١ Olinder, P. 40.
٤ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .
٤ البلدان (٩٨/٦) ، Olinder, P. 42.
٥ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير الى اسم الغساني ، او اسم الموضع الذي كان حجر يغزو فيه[1] . وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأهيم (الأيهم) بن الحارث الغساني[2] .

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن مندلة الضجعمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)[3] .

وفي رواية أخرى ان الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشأم ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء اغارة حجر في كندة وربيعة على البحرين ، فأخذ الحريم والأموال ، وسبى (هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وربيعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، و (عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمراً ؟) بـ (البردان) دون عين أباغ ، وقد أمن الطلب ، فنزل حجر في سفح جبل،ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له (حفير) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين[4] . وتقول الرواية انه بعد ان انتقم وانتصر ، عاد الى الحيرة[5] . وقد عرفت هذه المعركة بـ (يوم البردان)[6] .

ويلاحظ ان ابن الأثير اورد في روايته عمراً بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشأم كما هو مقتضى الكلام،وأورد في نهاية القصة هذه الجملة « ثم عاد الى الحيرة» وهي تشعر ان موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد انه كان فيها .

---

١ الصفة (ص ٨٦) .

٢ الأغاني (١٣/٦٣) ، Olinder, P. 44.

٣ Olinder, P. 45.

٤ ابن‌الأثير (١/٢٠٧) ، الأغاني (١٥/٨٢ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣/٣٢٨) (لجنة) ، Olinder, P. 43.

٥ ابن الأثير (١/٢٠٨) ، (البردان) ، تاج العروس (٢/٣٠٠) ، القاموس (١/٢٧٧) .

٦ ابن الأثير (١/٢٠٧ وما بعدها) .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها، او انه خلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير الى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء : ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشأم غزا حجراً . وهـذا غير صحيح ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشأم مما يلي البر من فلسطين الى (قنسرين)،والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم ، كما كان ملوك الحيرة عمـالاً لملوك الفرس.على البر والعرب ، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشأم ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقـدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبـي أنو شروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو ثلاثين ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشأم بعد سليح ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعد سليح ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليح ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه،وحيث اطبقت رواة العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف الشأم . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً ان حجراً عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فـإنه استعمل الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار،كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنو شروان، عزل الحارث ، وأعاد اللخميين . ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هـذا تعصباً ، والله أعلم .

ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم . ولم يذكر أن ابن هبولة من سليح ، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده الى الحيرة ، فزال هذا الوهم »[1].

---

[1] ابن الأثير (٢٠٨/١ وما بعدها) .

وبهذا التعليق لراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام . ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدد وما شاكل ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا نعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي بـ (بطن عاقل) وبه دفن[1] . ويرى (أولیندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث حفيد (حجر) بسنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الضجاعمة من (بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد[2] .

ويرى بعض الباحثين ان (حجراً) هو (Ogarus) المذكور في بعض التقاويم في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد . وقد ذكر معه اسم أخ له عرف بـ (Badicharimus) أي (معديكرب) ، كما ذكر أحد احفاده وهو (Aretha) اي الحارث[3] .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم ابن وهب بن الحارث بن معاويـــة) ، وتعرف بـ (هند الهنود) ، و (أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني) وهي ام (الحارث بن حجر)[4]، واما الثالثة فمن حمير[5] .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابي خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها (عمرو بن ام اناس) ، أو (ام أياس)[6] ، وهو من (كندة) . وام اناس هي ابنة (عوف بن محلم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : « لا حر بوادي عوف » . وهو من بيت شرف قديم ، لهم قبة يقال لها (المعاذة) من لجأ اليها أعاذوه[7] . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

---

١ ابن الأثير (٢٠٩/١) .

٢ Olinder, P. 46.

٣ Provincia Arabia, III, S. 286.

٤ الاغاني (١٥٩/٩) (٨٢/١٥) ، جمهرة ابن حزم (٣٢٣) ، الزوزني ، شرح القصائد العشر (٧) .

٥ Olinder, P. 41.

٦ بالياء في ديوان بشر بحسب تحقيق الناشر .

٧ الاشتقاق (٢١٥) .

والمانح المئة الهجان بأسرها تُزجى مطافلها كجنة يثرب
ولرب زحف قد سموت بجمعه فلبسته رهواً بأرعن مُطنب
بالقوم مجتابي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شزب[1]

ويستفاد من هذه القصيدة ان الممدوح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب المئات من الإبل الهجان الطيبة الأعراق ، وانه كان صاحب جيش قوي . وينطبق هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباقه على (عمرو بن الحارث) جدّ (امرىء القيس) ، وذلك على رواية من زعم أنه كان للحارث جدّ الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم اناس) ابنة (عوف ابن محلم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي نزلت بعصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم . فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع له جيش لجب . خاصة وأن الرواة لم يذكروا اسمه في جملة أسماء ابناء الحارث الذين ملكهم على القبائل في حياته او الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جدّ (عمرو بن هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنته . وذكر أن (أم عمرو بن حجر) هي (أم اناس بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة) ، وانه هو المذكور في شعر الحارث بن حلزة ، اذ يقول :

وولدنا عمرو بن ام أناس من قريب لما أتانا الحباء[2]

وقد اختلف أهل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حمل الناس على تلقيب (حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء حديثهم عنه[3] .

---

١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (١٥/٨٢ وما بعدها) .
٢ كتاب المعاني الكبير (١/٥٣١ وما بعدها) .
٣ الأغانى (٨/٦٠) (طبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص٤)، الجاحظ ، البيان والتبيين (٣/٣٢٨) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، الكامل ، لابن الأثير (١/٣٠١) ، (الطباعة المنيرية) ، دائرة المعارف ، للبستاني (١/١٢٢) ، الأغانى (١٥/٨٣) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد ابيه. ويقولون إنه انما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك ابيه ، او لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، وبذلك سمي المقصور[1] .

وكان لـ (عمرو) كما يقول الأخباريون اخ اسمه (معاوية) ، ويعرف بـ (الجون)[2] (الجوف)[3] ، كان نصيبه (اليمامة) . ويظهر من هذا الخبر انه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر اهل الأخبار ان (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)[4] . ويظهر من هذا النسب انها كانت من أسرة يمانية رفيعة ومن البيوتات التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية ان (عمراً) غزا الشأم ومعه ربيعة ، فلقيه الحارث بن أبي شمر الغساني فقتله . ولم يضف (اليعقوبي) صاحب الرواية المذكورة الى هذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور[5] . أما (حمزة) ، فلم يشر اليه بشيء[6].

وفي رواية ان ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبد ينكف الحميري) على ربيعة ، فأمده بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله[7] . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول ان الحارث بن شمر الغساني هو الذي قتله .

واذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك على الرغم من المساعدة اليمانية التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقيبه بلقب : (المقصور) ومن

---

١ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، المحبر (ص ٣٦٩) ، المفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغاني (٨/٦٠) .
٢ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، الاغاني (١٥/٨٢) ، المحبر (ص ٣٦٩) .
٣ (الجوف) ، الأغاني (٨/٦١) ، وهو تصحيف ، والصحيح (الجون) ، (٩/٧٩) (طبعة دار الكتب) .
٤ الأغاني (٨/٦٠) .
٥ اليعقوبي (١/١٧٧) ، الأغاني (٨/٦٥) .
٦ حمزة (ص ٩٢) .
٧ يوم القنان ، المفضليات (ص ٤٢٩) ، البلدان (٧/١٦٥) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمراً) لم يكن قوياً صاحب عزم وارادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أبيه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان يخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقبه بلقب ملك، بل قال: إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر ان (حسان بن تبع) حين سار الى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما اراد عمرو اكرامه به وتصغير بني اخيه حسان ان زوّجه ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج الى اهل ذلك البيت احد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) الذي عيّنه (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب ابن تبع الأقرن) ، أي خال (الحارث) على بلاد معد[1] .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي ان الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (النعمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) اربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (ام الملك)[2] .

وانتقل الملك على رأي اكثر الأخباريين من عمرو الى ابنه الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرّاب) على بعض الروايات[3] . وقد ورد في شعر للشاعر (لبيد) هذا البيت :

والحارث الحرّاب خلّى عاقلاً دارأً أقام بها ولم يتنقل

وقد ذهب الأصمعي الى ان الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرّاب) الحارث الذي نتحدث عنه . وذلك لأن (عاقلاً) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرىء القيس)[4] . واذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا ان نفترض انه كان قد اقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

---

١ الطبري (٢/٨٦) .
٢ الطبري (١/٩٠٠) ، حمزة (ص ٦٩) .
٣ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري(ص ٥٥ ، ٢٧٥) .
٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)[1] . وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا اللقب لـ (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)[2]،وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)[3] او (ام اياس)[4] بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من تغلب[5] .

وفي رواية اخرى ، ان (ام اناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أماً للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينهما . ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اذن شقيقاً لعمرو بن حجر[6] .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عربياً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، يظن (أوليندر) انه (الحارث الكندي)[7] ، ويرجح لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيبان ، وشيبان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة الاستعمال عند العرب في بادية الشأم وفي بلاد الشأم ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبانية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي)،بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان).

وقد ذكر كتبة اليونان والسريان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

---

١ حمزة (ص ٩٢) .
٢ الطبري (١/٩٠٠) ، حمزة (ص ٦٩) .
٣ المفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغاني (٦٢/٨) .
٤ Olinder, P. 48.
٥ المفضليات (ص ٤٢٩) .
٦ الاغاني (٨٣/١٥) .
٧ Olinder, P. 48.

للروم . فورد (طايوي ربيث رومرين دبيث ثعلبة) ، أي (العرب الذين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد[1] .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت بـ (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل). و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف بـ (ثعالب طيء). ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيبان) من بطون (تميم)[2] . وقد عرف (بنو (شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيبان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة) بـ (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيبان) كان (حارث بن عباد) سيد شيبان في حرب البسوس . وقد عرفوا بـ (Thalabenes) عند الروم[3] .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخته بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى (النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون[4] .

ولا نعرف من الأسماء المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) . ويرى (هارتمن) (Hartmann) أن الأخباريين ارادو به (شرحبيل يكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف) المذكور اسمه في النص المؤرخ بسنة (٤٦٧)[5] .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة أن الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً،وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

---

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) ، Rothstein, S. 74.
٢ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٢٧) . ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .
٣ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٣١ وما بعدها) ، (القسم الثاني : ٤٢٢/٢) .
٤ الطبري (٨٦/٢) .
٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت الى اعتماد الحارث على (تبـع) في تولي الملك . ولو صحت هذه الرواية كان معناها انه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه الى الاستعانة بـ (تبع) او بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصراً عـلى كندة ومن في حلفها ، او لأنه لقي مقاومة من أشقائه واقربائه ، مما دفعه إلى الاستعانة بالغرباء في تنصيب نفسه ملكاً عـلى كندة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيما بعد .

ولدينا رواية اخرى ، تذكر ان الذي ساعد (الحارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب)،وذلك ان معداً لما انتشرت تباغتت وتظالمت ، فبعثت الى صهبان تسأله ان يملك عليها رجلاً يأخذ لضعيفها من قويها مخافة التعدي في الحروب ، فوجّـه اليها الحارث بن عمـرو الكندي ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، امه امرأة من بني عامـر بن صعصعة ، فسار الحارث اليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولى ابنه حجر ، وهو أبو امرىء القيس الشاعر على أسد وكنانة ، وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم ، وولى ابنه معدي كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكندي على ربيعـة ، فكثوا كذلك الى أن مات الحارث ، فأقر صهبان كل واحـد منهم في ملكـه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي ، والى ربيعة لبيد بن النعمان الغساني ، وبعث برجـل من حمير يسمى أوفي بن عنق الحيـة وأمره ان يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة ، استعـدوا . فلما بلغ أوفي ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلحق بصهبان ، وبقي معدي كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة [1] .

اما صهبان ، فهو رجل لم يكن من اهل بيت الملك في حمير ، بل كان قـد وثب على الملك واخذه عنوة ، وذلك حينما تضعضع امر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) اخاه (حسان بن تبع) ، فانتهز صهبان هذه الفرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر اليه [2] .

---

١ الدينوري : الأخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية اخرى تذكر ان (صهبان بن محرث) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة . سوى انها عينت اسم والد صهبان ، بأن نصت عليه ، فجعلته (محرثاً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي خرب) . و (ذي خرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فنرى ان نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فنزل بطن عاقل[1] .

ويدرك من هذه الروايات انه كان للتبابعة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورها ، وتحتكم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولى الحكم على كندة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كندة وبكر وعلى قبائل اخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أوليندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد[2] .

وليس من السهل تعيين اسم (التبع) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات اليمانية بالاستناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفي تهامة) المواضع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى مختارة طائعة الى الحارث تلتمس منه ان

---

١ نهاية الارب (١٥/٢٠٦) ، العقد الفريد (٦/٧٨) ، (طبعة العريان) .
٢ Olinder, P. 56.

يتفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنتقض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امراءها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب الى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعترف برئاسة الحارث عليها، وبتاجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا بعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيديه ، وهو منطق السياسة في الصحراء . وبهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو امارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت بهذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تتجزأ الفقاعة وتذوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

ويذكر الأخباريون أن الحارث الكندي جمع الى ملكه ملك الحيرة وآل لخم، وذلك في زمن قباذ . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وطرده لملكها الشرعي وتولى الحكم دونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤاتياً لـ (قباذ) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ في المملكة بيد الموابذة ، ولموبذان موبذ الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللاقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباذ الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) الا ينـازع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص ظل الموابذة والمتنفذين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين[1] . وكان مزدك وأصحابه يقولون ان الناس تظالموا في الأموال والأرزاق ، فاغتصبها بعضهم من بعض ، وان الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء « وانهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترص السفلة ذلك ، واغتنموه ، وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلي الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

١ Noldeke, Aufsatze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم »[1] . هكـذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكيـة جاءت مقوضة لرجال الدين والاقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباذ المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبذان موبذ) والعظماء على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، وعيّنوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة لملك قباذ ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكـه في عام (٤٨٨ م)[2] . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م)[3] . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباذ الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباذ بذلك ملكه[4] . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

وتذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباذ طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاغتاظ قباذ وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابه ، فاستعمله على الحيرة . وطرد المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد[5] . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجد[6] . فتربط هذه الرواية كما نرى بين زندقة قباذ وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الحيرة، بقبوله مذهب قباذ.

وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل لخم) ، وكان قد وجد ان (قباذ) ضعيف الهمة فاتر العزم ، غير ميال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل لخم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وباغت سادة الحيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

١ الطبري (٨٨/٢) .
٢ Ency. Brita., Vol., 17, P. 574, Ency., 4, P. 178.
٣ Noldeke, Aufs., S. 109.
٤ الطبري (٨٧/٢) .
٥ ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٦٩) .
٦ حمزة (ص ٩٢) .

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتّى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وتبدّل سياسة الحكومـــة بتولي (كسرى أنو شروان) الملك. فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه[1].

وذكر (حمزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشتراكها معه في مهاجمة (آل لخم) وانتزاع الحـــكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل (ربيعة) ، فينكى فيهم، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الحطائر) فثارت به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مـرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقـــه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن وهن أمر الملك (قباذ) ،فعندها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فملكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب[2] .

وبهذه الكيفية شرح (حمزة) كيفية تولي (الحارث) عرش الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل لخم ، بغضاً دعاها إلى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل لخم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكـر ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك،فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر ابي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتّى مات في إياد ، وترك ابنـــه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتنطلق ربيعة الى كنده . وكـان الناس في الزمن الأول يقولون ان كندة من ربيعة . فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فملكوه على بكر بن وائل ، وخشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبـى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي، وأنت أحق من ضمّني واكتنفني ، وانا متحول اليك . فحوّله اليه ، وزوجـــه

١ حمـزة (ص ٧٠ وما بعدها) .
٢ حمـزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

ابنته هنداً . ففرق الحارث بن عمرو بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، وصار غلفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رقيّة أم لهم ينسبون اليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، تشتّت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش ... »[1] .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوّنها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب أن ألقاك .

وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج اليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الفيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف ، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا الفرات ، فيغيروا في السواد ، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال : هذا من تحت كنف ملكهم. ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يحب لقاءه ، فلقيه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيج . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ،

---

[1] المفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) ، النقائض (ص ١٠٧٢ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) .

فاجمع الجنود ، وأقبل ..... فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة،وقرب من الفرات ، فـآذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الى النجف ، وهو نهر الحيرة ، فنزل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح الى قباذ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري » . وقد ترك ابن الكلبي الاشارة الى الحارث وطفر الى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته الى القسطنطينية ، ثم الى رومة (رومية) ، ثم الى عودة (تبع) وتهوده بتأثير أخبار يثرب ، ثم الى علم (كعب الأحبار) الذي استمده على حد قوله من بقية ما أورثت أحبار يهود[1] .

ويرى (موسل) ان التقاء (الحارث) بـ (قباذ) (٤٨٨ — ٥٣١ م) عند قنطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد[2] . والفيوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)[3] .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه ان الحارث التقى بملك الحيرة (النعمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (النعمان) وفرار المنذر ابنـه ، وعن انتصار عرب الحارث على عرب الحيرة،واستيلاء الحارث على ما كان يملكه النعمان . فلما حدث هذا ووقع ، اضطر (قباذ) الى ملاطفــة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، أقطعه منه ستة طساسيج . فليس في هذه الرواية اشارة الى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا الى طرد النعمان من ملكـه نتيجة لرفضه اتباعه في دينـه ، انما هو ضعف قباذ وعجزه عن مساعدة صاحبه النعمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك النعمان .

أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كنـدة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، والى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة اليمانيين .

يستنتج من كل هــذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكنـدي اغتصب عرش الحيرة أمداً ، اغتصبه من (النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة) ، أو

---

١ الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) .
٢ Musil, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٦/٤١٤) .

(المنذر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبر ذو القرنين)، و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)[١] ، أو (النعمان ابن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة)[٢]،وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس . ويقصد بـ (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على ما جاء في الأخبار[٣] . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد[٤].

ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك (الأسود بن المنذر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المنذر بن المنذر ، وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه ام الملك بنت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين. ثم أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان ابن امرىء القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المنذر بن امرىء القيس المعروف بالمنذر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنتين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة حكمه ، انما قال : « ذكر هشام عن ابيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني انهم انما تركوه لأنه توثب على الملك بغير اذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ولم يعرف له مستقر وانما كان سيارة في أرض العرب »[٥] . ولم يذكر حمزة مدة حكم (قباذ)[٦] .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة)

---

١ المفضليات (ص ٤٢٧) .
٢ Olinder, P. 58.
٣ الطبري (٢/٨٩) .
٤ Ency., IV, P. 178.
٥ حمزة (ص ٦٩ ـ ٧٢) .
٦ حمزة (ص ٣٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أنو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أنو شروان) ، بعث الى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر[1] .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وناقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف اليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل الى (أنو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيعيده الى ملكه،وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فمر بـ (الثوية) ، فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بـ (جفر الأميال)[2] (جفر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دير بني هند والكوفة[3] .

ترى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددها ،حتى ان الراوية الواحد مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت ان قباذ طرد المنذر من مملكته،وأحل الحارث محله،ومنها ما زعمت ان المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوّله اليه ، وزوّجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت ان الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة ، وان المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وان الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الحيرة وان قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فماذا نستخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها ان الحارث استبد بملك آل لخم ، في أيام قباذ،وكان مركز هذا الملك صعباً بسبب ضعفه ، وبسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمداً : يظهر انه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

---

١ الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) .
٢ ابن الاثير (١/١٧٥) .
٣ البلدان (٤/١٢٧ وما بعدها) .

تغيرت به الأحوال . فعاد أصحاب البيت الى بيتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا نعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حمزة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دونها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنو شروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنو شروان)[1] . فأي ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم،فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القاتل هو (الحارث) ، أو تعمدوا نسبة القتل اليه للرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل[2] ؟

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حد قول (يوشع العمودي) هم من أتباع الحارث، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) او انهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، او انهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن ان (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

---

١ الطبري (٢/٩٤) .

٢ (قرقيسياء) ، البلدان (٧/٥٩) ،
Olinder, P. 59, Ency., II, P. 765, Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون بـ (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانتهبوها ، وكانت حاميتها ضعيفة ففرت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر انها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وانها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه انسحاب عاجل لتأمين سلامة ما ينهبونه وايصاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات التي ستأتي لمعاقبتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وسنة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران[١] . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، او على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يغتنمها من الروم ، ووجد بكراً وتغلب قد زحفتا اذ ذاك من مواطنهما القديمة في اليمامة ونجد نحو الشمال تريدان النزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل[٢] .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافسين أقوياء في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نياته وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف[٣] .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتودده الزائد الى قباذ ، وقد يكون لأسباب أخرى

---

١ Olinder, P. 65.

٢ O. Blau, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG., Bd., 23, (1869), S. 579.

٣ حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65.

مثل تردد ملك الفرس وضعفه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا الفتور الى استفادة الحارث منه واستغلاله ، فتقرب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباذ) وتولى (كسرى أنو شروان) الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه .

وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد اغتصابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار[1] . وبينما يذكر (حمزة) ان الحارث حينما بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فتبعته خيل المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجده يقول في موضع آخر : « ان الحارث كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، انما كان سيارة في أرض العرب »[2] . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة[3] .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنو شروان) كان شراً على الحارث،وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنو شروان) مناقضة لسياسة قباذ بسبب المزدكية . وقد ظهر اختلافهما هذا في السنين الأخيرة من سني حكم قباذ[4] . وقد أدى هـــذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (مـــلالا) (John Malalas) ان سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على بلاد الشأم[5] . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية (ثيوفانس) (Theophanes)[6] . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨) للميلاد[7] . ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبـــل

---

١ اليعقوبي (١٧٧/١) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الاغاني (٦٢/٨) (طبعـــة الساسي) .

٢ حمـــزة (ص ٧٢ ، ٩٣) ، Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88.

٣ الاغانـــي (٦٢/٨) .

٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 462, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Olinder, P. 65.

٥ John Malalas, Chronographia, Lib., XVIII, Col. 653, Olinder, P. 65.

٦ Olinder, P. 54, 65.

٧ Olinder, P. 54.

القضاء على المزدكية بمدة غير طويلة ، وان المنذر كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد قد قام بغارته على بلاد الشأم[1] .

ويستدل من اشـارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة (٥٢٨ م) ومن تلقيبه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه عـلى التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم الروم ، فاتصل بهم وذلك في أيام (قباذ) ، او في ايام (كسرى انو شروان)[2] .

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له بنتيجة او بفائدة تذكر . اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميدس) (Diomedos) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، اي (الحارث) على التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق، حيث كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس) (Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens) الخاضعين لنفوذ الفرس، هجم على الحارث فقتله، وغنم امواله وما ملكه، وأسر اهله. فلما بلغ النبأ للقيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (فينيقية) (Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنـذر ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام، وفي جملتهم سيد قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبلة الغساني على ما يظهر[3] .

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث) ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه[4] .

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي . حدث صاحب (الأغاني) ان (أنو شروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

١ Olinder, P. 65.

٢ Olinder, P. 66.

٣ Olinder, P. 53, Nöldeke, Sasaniden, S. 171.

٤ Olinder, P. 66.

أي أتباع مزدك . « فقتل منهم ما بين جازر[1] الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم »[2] ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب « الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده ، فمرّ بالثوية[3] ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء وإياد، فلحق بأرض كليب ، فنجا وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدمت بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بـ (جفر الأملاك) (حفر الأملاك) في ديار بني مرينا العبادين بين دير هند والكوفة ..»[4]. وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر أن (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجاءت بهما الى المنذر في (ديار بني مرينا) فقتلهم[5] .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما اقبل « من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمراً ، وقتلوا ابنه مالكاً بهيت ، وصار الحارث بمسحلان فقتلته كلب » . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف انفه[6] . وذكر (حمزة) الروايات المدوّنة في كتاب (الأغاني) بحذف بعض كلماتها[7] .

ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : « ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث . وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه[8] . ويشعر على كل حال

---

١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من اعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر ، البلدان (٣/٣٦) ، الاغاني (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) ، (١٩٣٦) ، الاغاني (٨/٦٢) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها أغلاط عديدة .

٢ الاغاني (٨/٦٢) ، (مطبعة التقدم) ، (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) .

٣ الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها . وقيل انه كان سجنا للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله ، البلدان (٣/٢٨) .

٤ الأغاني (٨/٦٢) ، (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) .

٥ ابن الاثير (١/٢٠٩) ، (جفر الاملاك) ، البلدان (٣/١١٥) ، ابن الاثير (١/٣٠٤ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) .

٦ الاغاني (٨/٦٢) ، Musil, Middle Euphrates, P. 350.

٧ حمزة (ص ٩٣) ، (مسحلان) ، البلدان (٨/٥١) .

٨ اليعقوبي (١/١٧٨) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في ايام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتّى توفي فيما بينهم حتف أنفه[1]. وقد أضافت الرواية التي تنسب الى (أبي عبيدة) الى هذا الخبر انه دفن بـ (بطن عاقل)[2] . والظاهر ان اضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فيما بين (حجر) الذي زعم انه دفن بـ (بطن عاقل) وبين (الحارث)[3] .

وجاء في رواية أن الحارث خرج يتصيّد ، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدّ عليها ، وانفرد منها حمار فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتي به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار واطعم من كبده وهي حارة ؛ فمات[4] .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصبغة . فكلب تدعي انها هي التي قتلته ، وكندة تنكر ذلك مدعية انه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون انهم هم الذين قتلوه،قتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج الى الصيد فالظ بتيس من الظباء ، فأعجزه فآلى أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأتي بعد ثالثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده ، فأكلها حارة فمات »[5] .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين: (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقته لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو ان مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته نرجح هذه الرواية على غيرها من الروايات.

---

١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه) ، الاغاني (٨/٦٢) ، أبو الفداء (١/٧٤) .

٢ العقد الفريد (٣/٧٧) ، نهاية الارب (١٥/٤٠٦) ، العقد الفريد (٦/٧٨ وما بعدها) (طبعة محمد سعيد العريان) ، Olinder, P. 68.

٣ Olinder, P. 68.

٤ أيام العرب (٤٦) .

٥ الاغاني (٨/٦٢) ، ابن الاثير (١/٢١٠) .

ويظهر من غربلة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) انها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، انه قتل وان قاتله هو (المنذر بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر انه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر أنه هلك ، وانه لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه[1] . والذي أرجحه انه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب المنذر بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملوكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من انه وزّع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) انه حينما نزل ببكر بن وائل ، أقام بـ (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة اللخميين ، وملوك الشأم الغسانيين ، وفيه كانت نهايته[2] .

ويفهم من بيت في ديوان (امرىء القيس) ان ملك الحارث قد امتد من العراق الى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تتحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرئاسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومنزلته من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، انهدّ كيان ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والفخر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدويخهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المفتخرين .

ويحدثنا (ابن الكلبي) انه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي ان أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »[3] . وزوّجه بعض

---

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/٢٠٨) .
٢ نهاية الارب ١٥/٤٠٦) ، العقد الفريد (٦/٧٨) (طبعة العريان) .
٣ المفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخباريين بامرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والدة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن ام اياس)[1] . وفي رواية (ابن السكيت) ان (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عنزة)[2] .

وقد دوّن لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة، ومحرق ومالك وعمر[3] . وأم (حجر) هي : (أم قطام)[4] .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للحارث ابن ، حجّ ففقده ، فاتّهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر منادياً فنادى من آوى أسدياً فدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصا أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا الى تهامة ومع كل رجـــل منهم عصا . فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسموا عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها[5] .

ويذكر أهل الأخبار انه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والدة الملك (عمرو بن هند) وشقيقـة (قابوس) وعمة الشاعر امرىء القيس[6] .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وفشا بينها الشرّ ، فجاء أشرافها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا اليه أن يملّك عليهم أبناءه ، فملّك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعـــلى

---

١ ابن الاثير (٢٠٧/١) .
٢ الاغاني (٦١/٨) .
٣ الاغاني (٦٢/٨ وما بعدها) ، المفضليات (ص ٤٣٢) ، ابن الاثير (٢٠٩/١).
٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٧) .
٥ ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (ص ١١٥ وما بعدها) ، مجمـع الامثـــال ، للميداني (١٩/٢ وما بعدها) .
٦ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (ص ٤٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلــة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني درام بني تميم والرباب ، وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلــة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب ، وملّك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملّك ابنــه سلمه على قيس عيلان[1] . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائــل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بــني عمرو بن تميم والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنــو رقية ، وسلمة في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة[2] .

وقد اكتفى (حمزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فلكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد »[3] . وهنالك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف[4] ، سأشير اليها في أثناء البحث عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها الى (أبي زياد الكلابي)،خلاصتها أنِ (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم ، فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر) ملك،ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم،ثم اتفقوا على أن يتخذوا ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى (بني آكل المرار) من كندة ، فملكت بنو عامر شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكــل المرار ، وملكت بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملكت وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت) أيضاً ، هي ان سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ، وأما (غلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس)،

---

١ الاغاني (٨/٦٢ وما بعدها) ، (٩/٨٢) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان (٤/٤٧٢) (كلاب) ، نقائض جرير والفرزدق (١/٤٥٢) (تحقيق بيفـان) (ليدن ١٩٠٧) .

٢ المفضليات (ص ٤٢٨) ، Ency., II, P. 1018.

٣ حمــزة (ص ٩٢) .

٤ خزانة الادب (٢/٥٠٠) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرىء القيس[1] .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرىء القيس) . وقد يعود الفضل الى هذا الشاعر في ذيوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هـذه الأسرة من كندة . وهو أكبر أولاد الحارث ، واليه انتقلت عامة كندة بعد وفاة والده[2] . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كندة[3] .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع مواطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبلي طيء (أجأ) و (سلمى) ، ويسميان جبل شمر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير ان بطونها متفرعة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة الى نهر الفرات[4] . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة[5] . ويظن انها (استينوى) (Asatynoi) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطلميوس[6] . وتعدّ هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر) ، وهي شقيقة (الهون) و (كنانة)[7] .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنسطاسيوس) (Anastasius) ، هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبيلتين ، هما : (جبلس) (Gabalas) (Jabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتاس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanys) ، ويظن أن (Gabalas) هو (جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

---

١ البلدان (٣/٤٢٩) .
٢ Olinder, P. 76.
٣ المفضليات (ص ٤٢٩) .
٤ O. Blau, Arabien Im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., BD., 23, S. 579, Olinder, P. 74.
٥ Olinder, P. 74, Ency., I, P. 474.
٦ Ency., I, P. 474.
٧ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الغساني . وأما (Ogaros) ، فيرى بعض المستشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكندي) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . ويرى (أوليندر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد[١]. ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (معديكرب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنسطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فخيم الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية[٢] . وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنسطاسيوس) أرسل جدّه الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (معديكرب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنسطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ[٣] .

وورد أن حجراً أغار على اللخميين في أيام امرىء القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً انما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، واعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه[٤] .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر انهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدّث (ابن الكلبي) انه كان لحجر على بني أسد اتاوة في كل سنة مؤقتة . فلما كان بتهامة ، أرسل جابيه الذي كان يجبيهم ، فمنعوه ذلك ، وضربوا رسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

---

١ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

٢ Olinder, P. 51, 74.

٣ Olinder, P. 75.

٤ Olinder, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I. S. 80.

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيّرهم الى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثـر ذلك في نفوس « بني أسد وأضمروا له الانتقام »[1] . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد ، فلما دنا منهم ،وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد الى (نوفل بن ربيعة) ، فهجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أزجر لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرّض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الخيمة التي احتبس حجر بها فطعنه طعنة أصابت مقتلاً[2] .

ويزعم أهل الأخبار ان (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيـد العصا) ، وقد أشير الى هذه التسمية في الشعـر ، ويذكرون أيضاً ان (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم الى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجـراً وسينتقمون منه ومن أهله فصدقوا بنبوءته وعادوا الى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشدوا على هجائنه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، انهم هجموا على عسكر حجر ودخلـوا قبته ، فطعنه علباء بن الحرث الكاهلي ، فلما قتل ، استصلحت أسدٌ كنانة وقيساً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجار (عمرو بن مسعود) عيال حجر. وقيل أجارهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة[3] .

---

١ الاغاني (٢/٦٣) ، ابن خلدون (٢/٢٧٤ وما بعدها) ، ابن الاثير (١/٢١٠)، الاغاني (٩/٨١) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الاثير (١/٣٠٤)، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/٢١٨) (القاهرة ١٩٣٢) .

٢ أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .

٣ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) ، (دار الثقافـة بيروت ، ١٩٦٤) ، الاغاني (٨/٦) (التقدم) ، البلدان (٤/١٢٧ ومـا بعدهـا) ، خزانة الادب (١/١٥٩ وما بعدها) .

وهناك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (الهيثم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في كيفية قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، فقضت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سببت وفاته[1] .

وتذكر رواية أن (حجراً) لما علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأيهم لم يجزع يدفع اليه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس[2] .

ونجد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرىء القيس . وقد دعاه بـ (ابن ام قطام) في احدى قصائده ، وقال ان قومه علوه بالسيوف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية[3] . ودعاه بـ (حجر) في قصيدة أخرى ، وافتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسياف مهندة رقاق[4] . وذكر في قصيدة أخرى أن قومه ضربوا خيل حجر بجنب الرده . والرّده موضع في ديار قيس ، والظاهر أنهم قتلوا حجراً بجنب الرده[5] .

وأما (شرحبيل) ، فقد ملكه ابوه على (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين[6] . وليس بين الذي

---

١ الكامل ، لابن الاثير (٣٠١/١ وما بعدها) ، الاغاني (٦٤/٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) ، (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Olinder, p. 82.

يروي الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كيفية مقتله ونهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الحارث بن عمرو تشتت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم، ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب المنذر الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ببكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، فنزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحاسد ، وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يتزحزحا ، وأبيا إلا التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت وثبتت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله[1] .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منهما وضع جائزة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنش) وهو عصم ابن النعمان بن مالك (عصيم بن مالك الجشمي) ، فطعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنش) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنش اللبن اللبن ، فقال أبو حنش : قد هرقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش أملك بسوقة[2] . وذلك ان دم الملوك

---

١ المفضليات (ص ٤٢٨ وما بعدها ، ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (١٥/٤٠٦ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٢٢٧) ، العقد الفريد (٦/٧٨) ، البلدان (٣/٢٦٩ وما بعدها) ، نقائض جرير والفرزدق (١/٤٥٢) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (١/٢٣١) (الطباعه المنيرية) ، البكري : معجم (٤/١١٣٢) ، اليعقوبي (١/١٨٣ وما بعدها)العقد الفريد (٥/٢٢٢) (لجنة) ، نقائض (٢/١٠٧٣) ، الكامل لابن الاثير (١/٣٧٩) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (١/٤٥٢) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوقة . وان الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن ان (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد[١] .

ويقول الرواة ان (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ الى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرىء القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كنـدة . ان الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقيل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدّم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزازا)[٢] فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إنْ غشيك العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وهجمت مذحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة اليهم، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، ان الذي أوقد النـار على خزاز (خزازا) هو الأحوص بن جعفـر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي ان أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له انه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر ان (كليباً) كان على نزار[٣] . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي ان (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاعة) في يوم خزاز الى اليمن[٤] .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر[٥] .

---

١ Naval, P. 233.

٢ ويعرف أيضا بيوم خزازا ، ويوم خزازي ، البلدان (٣/٤٣٠) النقائض (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١٠٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الاثير (١/٣١٠) ،العقد الفريد (٦/٩٧) (العريان) ، نهاية الارب (١٥/٤٢٠ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب) .

٣ البلدان (٣/٤٣٠) .

٤ المحبـر (ص ٢٤٩) .

٥ البلدان (٣/٤٣٠) .

ويعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى النزعات القبلية التي كان يحملها الرواة . فـ (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما نرى لـ (بني كلاب)، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواة ربيعة وينكرونه عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواة بين رواة ربيعة ورواة مضر حسماً للنزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات البين .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وانه اول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزل منذ هذا اليوم ممتنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام[1] .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان للمنذر بن ماء السماء ولبني تغلب وقضاعة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وان المنذر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قيل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رهطه وهم من بني تغلب آبوا بالنهاب وبالسبايا وبالملوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك المأسورين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله: « وأبنا بالملوك مصفدينا » (بني آكل المرار)[2] .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي ان ذلك اليوم كان بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة اخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، انما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معدّ ، ولا علاقة له بسلمة وببني آكل المرار أو المنذر بن ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معدّ على اولاد قحطان[3] .

---

١ البلدان (٣/ ٤٣٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (ص ٨٨٧) ، من بيت لعمرو بن كلثوم :

وآبوا بالنهاب وبالسبايا   وأبنا بالملوك مصفدينا

٣ ابن الاثير (١/ ٣١٠) ، العقد الفريد (٣/ ٣٦٤) ، نقائض جرير والفرزدق (٢/ ١٩٣) ، البكري ، معجم (٢/ ٤٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز». وأم عمرو بن كلثوم ، هي ابنــة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب وائل)[1] . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في ابقاء اسمه في ذاكـرة الناس ، حتى دوّن خبره في الاسلام .

وليوم (أوارة) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنـذر ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون ان تغلب لمـا أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر ابن وائل أذعنت له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا غـيرك . فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسيرن اليهم ، فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة . وسار اليهم في جموعه ، فالتقوا بأوارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر[2] .

وأما (شراحيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعـدة بن كعب بن ربيعة ابن صعصعة)[3] .

ويحدثنا (يعقوب بن السكيت) انه كان لحجر والد امرىء القيس جملة أولاد أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرؤ القيس) ، وبين الأكـبر والأصغر جملة أولاد ، غير انه لم يذكر أسماءهم[4] . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعـر لامرىء القيس[5] .

وذكر (ياقوت) ولداً لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : انه أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي) فهزمه، حتى أدخله الخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو . فمكث ذو القرنين حولاً، ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر ابن عمرو وكانوا يتصيدون ، وأفلت منهم امرؤ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

---

١ البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .
٢ ابن الاثير (١/٢٢٨) .
٣ البلدان (٣/٤٣٨ وما بعدها) .
٤ الاغانـــي (٨/٦٥) .
٥ الاغانـــي (٨/٦٥) . Olinder, P. 94.

القوم فلم يقدروا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الجفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير الى مقتلهم في شعر لامرىء القيس[1] .

كندة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة ان ملك كندة لما انخرق،وهلك من هلك منهم ، قام « عمرو أقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كندة . إنكم قد اصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت »[2] .

ويذكر الرواة ان الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس، وهو الذي اتى النبي في ستين او سبعين راكباً من اشراف كندة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كندة قد توجته عليها[3] .

ويذكر (حمزة) ، ان المنذر بن ماء السماء تتبع غابرهم ، فقتل عامتهم . وصارت رياسة كندة في (بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين)، ثم في (معديكرب بن جبلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)[4] .

وقد ذكر (ابن حبيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرّارين من اليمن[5] . والجرّارون من كان يرأس ألفاً[6] ولا يعد الرجل جرّاراً

---

١ البلدان (٤/١٢٧ وما بعدها) ، (٢/٦٤٨) (طبعة وستنفلد) ، التاج (٩/٣٥٣) .
٢ المحبر (ص ٣٧٠) .
٣ الطبري (٣/١٣٩) ، المفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) ،
٤ حمزة (ص ٩٣) .
٥ المحبر (ص ٢٥١) .
٦ المحبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً [1] . وذكره في باب (أعرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر بـ (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلح ، فغزاهم فأسروه، ففدى نفسه بمائتي قلوص ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهدم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث ايضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي) ، انه كان من « أعرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد وَلثٌ الى أجل ، فغزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يحمل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد لمهرة صلحاً ، فغزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فملأوه حصى » [2] .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الحاذق في الحرب وأمورها [3] .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حلزة اليشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلئمين بكبش   قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشرّاح إن قيساً جاء على رأس جيش لجب ومعه راياته متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، قد لبسوا الدروع ، فردهم (يشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم [4].

ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يفد على (قيس بن معديكرب)

---

١ المحبر (ص ٢٥٣) .
٢ المحبر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .
٣ قيس أبو الاشعث بطريق اليمن   لا يسأل السائل عنه ابن من
اللسان (١٠/٢١) (طبعة بيروت) الاغاني (٨/٧٨) ، البيان والتبيين (١/١٨) ، الاغاني (١١/١٢٦) ، الامالي للقالي (١/٩٢) .
٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ، كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٣) .

من الشعراء . وقد رووا له شعراً قاله لقيس[1] . في جملته قوله :

وجلنداء في عمانَ مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف[2]

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أسر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان[3] .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا ردافتهم في (بني سدوس)[4] .

وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد غلب على اهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً مملكة) . وذكر انه خاصمهم عند (عمر) في ايام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم[5] .

امرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجراً) لم يكن راضياً عن ابنه (امرىء القيس) فطرده من عنده وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل . فإذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيّد ، ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر ابيه ومقتله وهو بـ (دمّون) من ارض اليمن ، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أتاه بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمّون دمّون ، إنا معشر يمانون
واننا لأهلها محبّون

---

١ الاغاني (٧٨/٢) ، الامالي (٩٢/١) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٣) .
٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
٣ المحبر (ص ٢٥٢) .
٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
٥ اللسان (٤٩٣/١٠) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً . اليوم خمر . وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي . لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذْ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً فلما صحا آلى ألاّ يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره[1] .

وفي رواية أخرى انه طرد لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع،وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً ، فلم يصل اليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل). فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده[2] . وهناك من يزعم انه انما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء ابيه[3] .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرىء القيس بن حجر الكندي) الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)[4] .

وللرواة أقوال في اسم (امرىء القيس) ، فقد سمّاه بعضهم (حندجاً) ، ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو معروف عندهم بالاجماع بـ (امرىء القيس) ، وهو لقبه[5] . ويكنى بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث وذي القروح[6] .

ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويظن (أوليندر) انه ولد حوالي

---

١ الاغاني (٨/٦٥) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزانة الادب (١/١٥٩ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٩) ، المحبر (ص ٣٥٢) ، نزهة الجليس (٢/١٤٨ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢).

٣ Olinder, P. 96.

٤ الاغاني (٨/٦١) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزانة ، للبغدادي (٣/٤٣٢) ، سرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيق (١/٤١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الاغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠١) .

٥ المزهر (٢/٢١٤) ، الآمدي : المؤتلف والمختلف ، (ص ٩) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٩) ، (القاهرة ١٩٢٦) ، طبقات فحول الشعراء: (دار المعارف) شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٣٤٩) الاشتقاق (٢/٢٢٢) ، القاموس المحيط (١/٥٤٦) ،

٦ السندوبي (ص ٦ وما بعدها) . Olinder, P. 95.

سنة (٥٠٠) للميلاد[١] . أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير، أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبيين[٢] . وورد في بيت شعر ينسب الى هذا الشاعر : (امرىء القيس بن تملك)[٣] . وقد استنتج بعض العلماء منه ان أمه هي (تملك) ورجعوا نسبها الى (عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معديكرب)، ويرى بعض المستشرقين انه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وانه يعود الى شاعر آخر اسمه (امرىء القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، ستة عشر شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)[٤] . ويلاحظ أن من زعم من الرواة ان أم امرىء القيس هي (تملك) جعل نسبه (امرأ القيس بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كندة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر انه ولد ببلاد بني أسد ، وانه كان ينزل بالمشقر وهو موضع ذكر في شعره[٥] . وروى (ابن قتيبة) ان (امرأ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد[٦] . وقد تنقّل هذا الشاعر في مواضع متعددة من الجزيرة ، ووصل الى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس بـ (دمّون) حينما جاء اليه نبأ مقتل والده على رواية[٧] . ودمّون من قرى حضرموت للصدف في رواية[٨] . وفي رواية أخرى مرجعها (الهيثم ابن عدي) ان امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

---

١ Olinder, P. 95.

٢ ابن الاثير (١/٢١١) ، الاغاني (٨/٦٠) ، Ency., II, P. 477

٣ ألا هلّ أتاها والحوادث جمة ... بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

ديوان امرىء القيس (٢٠ : ٣٧) ، الاغاني (٨/٦١) ، Olinder, P. 95.

٤ AhlWardt, Bemerkungen über die echtheit der alten Arabischen Gedichte, S. 73.

راجع أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام : تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ١٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعرا ويسمى بـ (امرىء القيس) .

٥ الاغاني (٨/٦١) ، البلدان (٨/٦٥) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، Olinder, P. 95.

Maritm, Arabien, S. 53.

٧ الاغاني (٨/٩٥) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (١/٣٤٨) ، (وساكن دمون هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٤/٨٥) .

حنظلة مقيماً ، لأن ظئره كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حينما بلغه النبأ ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنعما
فقلت لعجلي بعيد مآبة ابن لي وبين لي الحديث المجمجما
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلما[1]

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أتاه به رجل اسمه (عجل) ويعرف بعامر الأعور[2] .

أما صيلع ، فموضع من شق اليمن ، كثير الوحش والظباء . ورد اسمه في خبر مجيء وفد همدان الى الرسول[3] . وقد صرح (ياقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرىء القيس بمقتل أبيه حجر[4] .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي عندهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب الى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وانه هرب على فرس له وتمكن من النجاة[5] .

ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكراً وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنذروا بالعيون ولجأوا الى بني كنانة ، ثم أدركوا ان امرأ القيس يتعقبهم ، ونصحهم (علباء بن الحارث) بالرحيل بليل ، وألاّ يعلموا بني كنانة ، ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا.

فلما وصل امرؤ القيس الى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم ، نادى : يالثارات الملك . يالثارات الملك ؟ فأخبروه انهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتلى حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

---

١ (أباحوا حمى حجر فأصبح مسلما) ، السندوبي (١٨١) ، الاغاني (٦٦/٨) .
٢ الاغاني (٦٥/٨) .
٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
٥ Olinder, P. 96.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بـلى ، ولكنك رجل مشؤوم ، وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير[1] .

ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على فرسه الشقراء ، لجأ ابن عمته (عمرو ابن المنذر) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهـل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنـذر بـ (بقة) ، فمدحه وذكر صهره ورحمه ، وانه قد تعلق بحباله ، ولجأ اليه فأرجاه ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده ، وأنذره عمـرو ، فهرب حتى أتى حمير[2] .

وفي رواية يرجعها الرواة الى (ابن الكلبي) و (الهيثم بن عدي) و (عمر ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرأ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد الى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن الحميري) ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمـده على بني أسد ، فأمده بخمسمئة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له : قرمل بن الحميم ، وكانت أمـه سوداء ، فردد امرؤ القيس ، وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف ... فأنفـذ له ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم الى بني أسد ، ومرّ بـ (تبالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ، فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الآمر والناهي والمتربص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخـرج الناهي ، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ، ثم خرج فظفر بـ (بني أسد)[3] .

فلما ظفر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قـولا لدودان عبيـد العصا   مـا غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قرت العينـان من مالك   ومن بني عمرو ومن كاهـل

---

١ الاغاني (٨/٦٧) ، ابن الاثير ، الكامل (١/٣٠٦ وما بعدها) .
٢ الاغاني (٨/٦٧) .
٣ الاغاني (٨/٦٧ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/٢١٩) .

ومن بـني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم عـلى السافل

* * *

حلت لي الخمر وكنت امـرأ عن شربها في شغل شاغـل
فاليوم أشرب غـير مستحقب إثمـاً من الله ولا واغـل

وهي أبيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غنم بن دودان) ، وهي بطون من بـني أسد،هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قرمل بن الحميم الحميري) وانه ألبسهم الدروع المحماة ، وكحلهم بالنـار ، فبرّ بيمينه ، وحل له شرب الخمر[1] .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، والى ثعلبة هذا تنسب الثعلبية التي بين الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب[2] .

والى (قرمل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبـل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)[3] .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن رجالاً من قبائـل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قدموا عـلى امرىء القيس بعد مقتل أبيه ، ليعتذروا اليه وليسووا قضية قتل والـده ، فرفض إلاّ الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، واني لن أغتاض به جملاً أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبّـة الأبد وفت العضد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقاً»[4] . وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاء دام ثلاثة أيام ، وهو في قبـاء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبدر اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتذراً ، طالباً الصفح عنهم ، ودفع الديـة عن

---

١ السندوبي (ص ١٥١) ، الشعر والشعراء (٤٣ وما بعدها) Olinder, P. 102.
٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .
٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ ، ٣٠٩) .
٤ الاغاني (٨/٧٢ وما بعدها) .

حجر ، أخبرهم ، أن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثأر ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة ، فيهجم عليهم[1] .

وهناك رواية أخرى تنسب الى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني اسد) اجتمعت « بعد قتلهم حجر بن عمرو الى ابنه امرىء القيس على أن يعطوه ألف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولاً . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد إلي ألف من بني اسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤاً لحجر . وأما النظرة فلكم ، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى اشفي نفسي وأنال ثأري »[2] .

ولم تشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) الى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني اسد) ، ولكننا إذا ما اردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع ان نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرىء القيس) بـ (بكر) و (تغلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني اسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم لـ (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً . وان نربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والهيثم بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحقة بهذه الرواية ، والروايه القائلة بذهاب (امرىء القيس) الى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنونة) و (مرثد الخير بن ذي جدن الحميري) بعد ان امتنعت بكر بن وائل وتغلب عن ملاحقة بني اسد.

وقد أشار (ابن قتيبة) اشارة مختصرة الى هجوم (امرىء القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر انه اوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني اسد ، فقال :

يا لهف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
تالله لا يذهب شيخي باطلا[3]

١ الاغاني (٧٢/٨ وما بعدها) .
٢ الاغاني (٨٥/١٩) .
٣ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢١٨/٢) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للانباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرىء القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥٧٨/٥) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرأ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها ، نزل بجمعه ذلك ، فذعر القطا ، فطار عن مجاثمه فمر ببني أسد ، فقالت بنت (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر . فقال علباء : « لو ترك القطا لغفا ونام » فأرسلها مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكنانة ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يالثأرات حجر ! فقالوا : والله ما نحن الا كنانة . فتركهم وهو يقول :

ألا يالهف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب[1]

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرىء القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع من كان معه عن الذهاب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : « ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة ، رفع عقيرته وقال :

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعوّد بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقراقر وأعياه ثأر كان يطلب في حجر
وذاك لعمري كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أخا أهل الحجاز ، من قائل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسمئة من مذحج ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقبائل معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه، وقال امرؤ القيس في شعر له :

---

١ اليعقوبي (١/١٧٨) .

قولا لدودان عبيد العصا : ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائــل عن شأننا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلــت لي الخمر وكنت امرءاً عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأ القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبته بنو أسد وقبائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عامــلاً لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ، فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء مرة وفي جديلة مرة وفي نبهان مرة حتى صار الى (تيماء) فنزل بالسموأل بن عادياء فأودعه أدراعه وانصرف عنه الى قيصر[1] .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرأ القيس) سار صريخاً الى (بني بكــر) و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر ابن امرىء القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرىء القيس) في (كنانة) ، فأثخن فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بنى أسد) الى أن أعيا ولم يظفــر منهم بشيء ، ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جسدن) من ملوك حمير صريخاً بنصره بخمسمئة من حمير ، وبجمع من العرب سواهم . وجمع المنذر لامرىء القيس ومن معه ، وأمده كسرى أنو شروان بجيش من الأساورة،والتقوا ، فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حمير ومن كان معه ، ونجا بدمه ، وما زال يتنقل في القبائل والمنـذر في طلبــه ، وسار الى قيصر صريخاً فأمده ، ثم سعى بــه (الطمّاح) عند قيصر انه يشبب ببنته،فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة[2] .

و (أبو الفداء) من الذين نفوا كذلك خبر ايقاع (امرىء القيس) بـ (بني اسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بــني أسد) هربت حينما علمت بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تخاذلتا عن (امرىء

---

١ اليعقوبـي (١/١٨٠) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٤ وما بعدها) .

القيس) ، وتركتاه . ولما عرفت جموع (امرىء القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقــل من أناس الى أناس حتى قصد (السموأل بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار الى قيصر مستنجداً به[1] .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، خبر انتقام امرىء القيس من بني اسد، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤيــدة لبني اسد تنكر اخذ امرىء القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك أبياتــاً تنسبها اسد الى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعره انـه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

ياذا المخوفنا بقتل أبيه ... إذلالاً وحَيْنــــا
أزعمت انك قد قتلتَ ... سراتنا كــذباً ومينا[2]

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابـن الكلبي) وأضرابه انه قال أبياتاً يتوسل فيها الى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبـل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة الى مواطنها . وكان قد امر باجلائها الى تهامة ، لأنهـا أبت دفع الاتاوة الى جابـي (حجر) ، وضربته ، وضرجته ضرجاً شديداً . ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني ... أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رَقَّ على (بني اسد) ، فبعث في اثـرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة[3] . وهو قول فيه تحيز على بني أسد .

ويفهم من هذه الأبيات :

كأني إذ نزلت عــلى المعلّى ... نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق عــلى المعلّى ... بمقتــدر ولا الملك الشآمي

---

١ أبو الفداء (١/٧٥) ، خزانة الادب ، (٣/٥٣٢) ، الكامل لابن الاثير (١/٣٠٨ وما بعدهــا) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) (دار الثقافـة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١/١٥٨وما بعدها) تاريخ اليعقوبي (٢/١٨٩) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة ليدن) .

٣ الاغاني (٨/٦٣) .

أصد نشاص ذي القرنين حتى   تولى عــارض الملك الهــمام
أقر حشا امرىء القيس بن حجر   بنو تيم مصـــابيح الظــلام

أن امرأ القيس نزل على (المعلّى) احد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه . ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشآم أي ملك الغساسنة ، اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر الى الارتحال عنه [1] . فذهب ونزل عند (بني نبهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل بـ (عامر بن جوين الطائي) وهو احد الخلعاء والفتاك ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فتغفله ، وانتقل الى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوقعت الحرب بين (عامر) وبين (الثعلي) ، فخرج ونزل برجل من (بني فزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن) فأشار هذا عليه بالذهاب الى (السموأل بن عادياء) بتيماء،فوافق فأرسله في صحبة رجل من (فزارة) اسمه (الربيع بن ضبع الفزاري) كان يأتي السموأل،فيحمله ويعطيه. فنزل عنده وأكرمه ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، ليوصله الى قيصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله، وأقام ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج[2] . وكان للــذي أشار على (امرىء القيس) بالتوجه الى قيصر هو ذلك الرجل الفزاري[3] .

ويظهر من غربلة كل هذه الروايات ، ان مطاردة (المنـذر بن ماء السماء) لامرىء القيس كانت أعنف شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته وجعلته يتنقل من قوم الى قوم . فرّ عنه من انضم اليه من عصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل المرار،حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة ومعه أدراعه الخمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنـــة ، والخريق ، وام الذبول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مئة من أصحابه يوعده بالحــرب أن يسلم بني آكل المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعـــه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند . والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى الى أرض طيء

---

١ الاغاني (٦٨/٨) ، السندوبي (ص ١٧٩) . Olinder, P. 108.
٢ الاغاني (٧٠/٨) .
٣ الاغاني (٦٨/٨ وما بعدها) .

ونزل عند المعلّي بن تيم الذي مدحه شاعرنا . فأقام عنده . واتخذ إبلاً ، ثم خرج فنزل بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت[1] .

ويذكر الأخباريون ان (عمرو بن قميئة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره الى (القسطنطينية) . وقد أشير اليه في شعر (امرىء القيس) كذلك . ويذكرون انه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية « وانه أول من قال الشعر من نزار ، وهو اقدم من امرىء القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه ، فمات معه في طريقه . وسمته العرب : عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب »[2] . بل روى انه كان من أشعر الناس[3]. وانه كان من خدم والد امرىء القيس ، وانه بكى وقال لامرىء القيس غررت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه[4] .

أما خبر (امرىء القيس) مع الغساسنة في طريقه الى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً،وليس في شعره ما يشير الى انه ذهب اليهم رجاء التوسط في الوصول اليه .

ويظهر من شعر لامرىء القيس ، انه سلك طريق الشأم في طريقه الى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)[5] وبعلبك وحمص وحماة وشيزر[6] . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من امره شيئاً .

ويقول الرواة ان قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له منزلة عنده ، وأنه دخل معه الحمّام ، وان ابنته نظرت اليه فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه ، وانه

---

١ الاغاني (٦٨/٨) .
٢ الاغاني (١٥٨/١٦ وما بعدها) .
٣ الاغاني (١٥٩/١٦) .
٤ (ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه . فبكى ابن قميئة ، وقال : غررت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا)

الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) ، امالي الشريف المرتضى (٦٢٩/١) .

٥ فلما بدت حوران والآل دونها ... نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
سندوبي (ص ٧٠)

٦ لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ... ولابن جريج في قرى حمص انكرا
سندوبي (ص ٧٠) ، (ابن جريج) ، Olinder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمتُ قيصر في ملكه فأوجهني وركبتُ البريدا [1]

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمده بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطمّاح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرىء القيس،وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « ان العرب قوم غدر ولا نأمن ان يظفر بما يريد ، ثم يغزوك بمن بعثت معه » . وفي رواية لابن الكلبي انه ذهب الى قيصر ، وقال له : « ان امرأ القيس غوي عاهر ، وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من من مزل منزل . فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قولهم هذا بشعر امرىء القيس [2] .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عاوده في ديار الروم ، وهو عائد الى دياره ، فلما وصل الى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فمات هناك . وانه رأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال في ذلك شعراً .

---

١ الاغاني (٨/ ٧٠) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (١/ ٥٩١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Olinder, P. III, FR. Ruckert, Amrilkais der Dichter und Konig, Hannover, 1924.

الاغاني (٨/ ٧٠ وما بعدها) ، (الطماح بن قيس الاسدي) ، الشعر والشعراء (١/ ٥٠ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) . قولــه :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيا لك نعمى قد تحـول أبـؤسا

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات فدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك[1] .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرىء القيس) الى (القيصر) (يوسطنيانوس). كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد[2] .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هـذه الحوادث الّتي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرىء القيس الى القسطنطينية ، وطلبه النجدة من القيصر وموته في انقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلّى) الطائي احد بني تيم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصابيح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عدّاد الوافين من العرب . قيل ان (المعلّى) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلّى وقد أجاره ، فركب حتّى اتى (ابن المعلّى) . فعمد ابن المعلّى حتّى انتهى الى القبة الّتي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلّى ولست واصلاً اليها » . ونادى في قومه ، فمنعوه ، فقال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تيم) وذكر نعتهم (مصابيح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراق على المعلّى   بمقتدر ولا الملك الشآمي[3]

واما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امرؤ القيس عنده ، فهو من

---

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل ، فأقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبة مسحنفره   وطعنة متعنجره
وجعبة متحيره   تدفن غدا بأنقره

ورأى قبرا لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبه فخبر بخبرها ، فقال :

اجارتنا ان المزار قريب   واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب)

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) ، الاغاني (٨/٧١) ،
Ency., II, P. 477.

٢ Ency., II, P. 477.

٣ المحبر (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(طيء) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبّل عامر امرأة امرىء القيس ، فأعلمته بذلك، فسار امرؤ القيس الى (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلى) المعروف بـ (أبـي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « انا أجيرك من الناس كلهم إلاّ من أبـي حنبل » . فرضي بذلك وتحول اليه . فلما قدم ابو حنبل رأى كثرة أموال امرىء القيس وأعلمه ابنـــه بما شرط له في الجوار . فاستشار في اكله نساءه . فكلهن أشرن عليه بذلك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه خالفهن بعد ان فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، فعقد له جواراً ثم ركب في اسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، فقـــال له : « قبّل امرأته كما قبّل امرأتك . افعل »[1] .

وذكر اهل الأخبار ان (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضغن عـــلى (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجار (امرأ القيس) ايام كان مقيماً بالجبلين، وقال كلمته التي يقول فيها :

هنالكَ لا أُعطي مليكاً ظلامـة ولا سوقةً حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لخم. ودخل عليه ، أنّبه على فعلته وهدّده بغزو قومه ، وبانزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد ان قال له: « إن البغي اباد عَمْراً ، وصرع حجراً، وكان أعزَّ منك سلطاناً ، وأعظم شأناً ، وان لقيتنا لم تلقَ انكاساً ولا أغساساً، فهبّش وضائِعَكَ وصنائعك ، وهلم اذا بدا لك، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم اتى راحلته ، وانشأ يقول ابياتاً يتوعد فيها الملك[2] .

ويشير اهل الأخبار الى ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (ابي جبر) . قالوا عنه ، انه كان ملكاً شديد البأس ، خرج الى (كسرى) يستجيشه عـــلى قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا الى بلاد العرب قالوا : اين يمضي بنا هـــذا الرجل ، وعمدوا الى سمّ ، دفعوه الى طبّاخه ،

---

١ المحبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بـــين المنذر بن النعمان الاكبر وعامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فألقاه في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه، مرض وتوجع ، فجاء الأساوره اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم، فرجعوا وخفّ ما بــه ، فخرج الى (الطائف) الى (الحارث بن كلدة الثقفي) ، ليداويه فداواه وبرىء ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة اسمها (كبشة) فرثته[1] .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرىء القيس) الذي يعود اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرىء القيس وديوانه وصحيحه وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ، ولهم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فعلى مقالاتهم المعوّل في هذه الأمور .

يتبين للقارىء بعد غربلة الأخبار المتقدمة ، ان كنــدة كانت قد تمكنت من الهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها، بلغت أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد. الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزاؤه تتساقط، وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البادية إلى الانفصال عنهـا وإلى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخسرت كندة ملكها الذي شمل نجداً ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجوئهم الى حضرموت ، ويقدر بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي ثلاثين الف رجل ، نزل اكثرهم في (دمون)[2] .

السموأل :

ولا بد من الاشارة باختصار الى (السموأل) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا على (امرىء القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعــر ،

---

١ نزهة الجليس (١/٤٨٤) .

٢ Beiträge, S. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مقره (الأبلق) بـ (تيماء) يعرف بـ (السموأل بن عاديا) وبـ (السموأل بن غريض بن عاديا) (عادياء) اليهودي[1] . وبـ (السموأل بن حيّان (حسان) ابن عادياء[2]) وبـ (السموأل بن عادياء بن حيا)[3] ، وبـ (السموأل بن حيا ابن عادياء بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)[4] ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عادياء)[5] . ويظهر من بيتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار الهمام له   في جحفلٍ كسواد الليل جرّار
جار ابن حيّا لمن نالته ذمته   أوفى وأمنع من جار ابن عمّار

أن المراد بـ (ابن حيّا) السموأل ، اي ان اسم والد السموأل هو (حيّا) .

واختلفوا في نسب (عاديا) (عادياء) ، فقالوا : (عادياء بن حباء) وقالوا (عادياء بن رفاعة بن جفنة)،وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)[6] ، وقالوا عن قبيلته إنه كان من (بني غسّان)[7] . ونسبه (دارم ابن عقال) الى (رفاعة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من غسان »[8] . ونسب السموأل الى الأزد[9] .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

---

١ (عادياء) ، الاغاني (٩٨/١٩) ، ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Ency., IV, P. 133.

٢ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد٣ اذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (١٧٦/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .

٣ المعرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .

٤ الاشتقاق (٢٥٩) .

٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .

٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١٣١/١) .

٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .

٨ الاغاني (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .

٩ المعرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)[1]. ولم يذكر الأخباريون اسم الولد الذي زعم ان (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن ظالم) قتله لرفض (السموأل) دفع أدرع الكندي اليه ، على نحو ما يذكره الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة انه قالها مستجيراً بـ (شريح بن السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه القصيدة ، فجاء شريح الى (الكلبي) ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) : « إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلبي) ان الذي وهبه لشريح (الأعشى) ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه »[2] .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة : أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وحبسه ، واجتمع عند (الكلبي) شَرْبٌ فيهم (شريح بن عمرو الكلبي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلبي : من هذا ؟ فقال خَشّاش التقطته . قال : ما ترجو به ولا فداء له ! خلّ عنه . فخلّى عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فأراد استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل اذ طاف الهمام به في جحفل كهزيع الليل جرّار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدّار[3]

---

١ المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣ اذار ، (ص ١٦٣) .
٢ الاغاني (١٩/٩٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (ص ١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق رودلف كاير) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م. محمد حسين) .
٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) ، (الاعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجير (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حيّا بن عاديا)[1] ، فصار (السموأل) جداً من أجداد (شريح) لا والداً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرىء القيس) اليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغسّاني)[2] . وزعم بعض آخر أنه (الحـــارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأبلق ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجهه بـ (الحارث بن ظالم) في خيل ، وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، وزعم انه (الأبرد) وهو الملك الغساني. وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر بعين أباغ ، وجه ابن عمّـه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرىء القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع اليه ، فامتنع ، فذبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، انما ذكروا انه كان بعض ملوك الشأم[3] .

واذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعـه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع الى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تيماء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الدرس[4] . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرتادون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولـــد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة الى امرىء القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرىء القيس) ، ابتداؤها :

طرقتك هند بعد طولِ تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

---

١ ديوان الاعشى (١٢٥) ، (تحقيق كاير) .
٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الاغاني (١٩/٩٩) .
٣ الاغاني (١٩/٩٩) ، ديوان الاعشى (١٢٦) ، (كاير) ، المحبر (٣٤٩) .
٤ البلدان (٣/٤٤٢) ، الحيوان للجاحظ (٦/١٨٨) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كـلام امرىء القيس ، والتوليد فيها بيّن ، ومـا دوّنها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا ... »[1] . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) ان قصة الوفاء هـذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمـة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرؤ القيس[2] .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن امارة كندة،من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسبه أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بنجد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف تشتت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هـذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الخصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سيما (المنذر) لساداتها ، وانفضاض القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سيما حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فنزحت اليها واستوطنت بها . وكوّنت لها امارة كندية بحضرموت .

---

١ الاغانـي (٨/٧٠) .
٢ H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mittel. der Vorder Asia. Gesel., 1901, S. 112. 6 Jahrgang.

وهـذا القول يجب ألا يفسر على أن مجيء كندة الى العربية الجنوبية انما كان بعد سقوط حكومتهم وتشتت أمرهم ، فقد أشرت فيما سلف في مواضع الى وجود كندة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمن طويل ، وأشرت الى ورود اسمها في نصوص المسند والى الأدوار التي لعبتها في ايام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الاسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيما سلف ورود اسم (كندة) (كدت) في نص أمر بتدوينه الملك (معديكرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في النجاد وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)[1].وقد دوّن ووضع في موضع (مأسل الجمح)[2] لمناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع (كتا) لمحاربة (مذر) أي (المنذر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحمير و (رحبت) (رحبة) وحضرموت و (يمنت) (اليمن) والأعراب و (كدت) أي (كندة) و (مَذْحج) . واشترك مع المنذر (مذر) بنو ثعلبة (بن ثعلبت) و (شبيع ؟) . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيضن) (ذو قيض) (ذو القيض) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد[3] .

ويظهر من هذا النص أن (المنذر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدة ملكه ، وانه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمحن).ولعله كان يتعقب عشائر كندة ومن كان يؤازرها ويعادي ملك الحيرة، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطاً أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة « سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والمنخفضات » . ولهذا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كندة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كدت) كندة مع مراد ومذحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسأر) على الأحباش في مدينة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

---

١ كدأبك من أم الحويرث قبلها — وجارتها أم الرباب بمأسل

٢ (بما سلم جمحن) .

٣ Le Muséon. LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

نص سجله القيل (شرح ايل يقبل بن شرحب ايل يكمل) من (ال يزن) (آل يزن) (آل يزأن) بالاشتراك مع (جدن) (جدنم) و (حيم) (حب) و (نسأ) (نسان) (نسن) و (جبا) (جبأ) لهذه المناسبة .

ويتبين من هـذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف أسأر) هاجم (ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلسن) (القلّيس) ، ثم سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعيّن القيل على رأس جيش ، ثم سار الى (مخون) (مخا) فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع حصون (شمر) ومعاقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) . وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر الف قتيل ، وأخذ تسعة آلاف وخمسمئة اسير ، واستولى على (٢٨٠) الف من الإبل والبقر والمعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

أمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ايل يقبل) (شرح ال يقبل) بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء (بني أزأن) (آل يزأن) (بن يزن) وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج وأعرابها . فتغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد هناك من الأحابيش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحيعت برخم) و (سميفع أشوع) و (شرحب ايل أسعد) . وقد دوّن هذا النص في شهر (ذ قيضن) (ذو القيض) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد[١] .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية في أيام استيلاء الحبش على العربية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخاص المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فتبعهم أتباعهم ، كما يرد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

١ Ryckmans 508, Le Muséon, LXVI, PP. 295., Bulletin, P. 458.

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا اجممهم ، وتكحلوا ، عليهم جبب الحبرة ، قد كفّفوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفتخر بجده (آكل المرار) ، وبـ « أن كندة كانت ملوكاً »[1] .

وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وانما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آبائه إلاّ ملك أو رئيس . وكان كريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت[2] .

وكان (مخوص) (مخوس) ومشرح وجمد وأبضعة بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الاسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بواد ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحماء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي[3] . وقتلوا في الردة[4] .

ويرجع النسابون نسب كندة الى جدّ أعلى قالوا له (عُفير بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة[5] . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأشرس ، وامهما هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن نزار[6] . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تأريخها بها ، وتملكها عليها قبل الاسلام بزمن. وهو تملك جعل (كندة) تفتخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك). ويذكر (الهمداني) ، ان الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفتخر ويقول :

لا ينكر الناس منّا يوم نملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أربابا[7]

---

١ الطبري (٣/١٣٨ وما بعدها) ، (قدوم الاشعث بن قيس في وفد كندة) .
٢ الاكليل (١/٩٠) .
٣ ابن الاثير (٢/١٥٨ وما بعدها) ، البلدان (٣/٢٩٤) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٢/٥٦) ، القسم الثاني : الوفود .
٤ الاشتقاق (٢٢٠) .
٥ الاكليل (١/١٤٦) .
٦ الاكليل (١/١٤٥) .
٧ الاكليل (١/١٤٥) .

وان (تبّعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، عيّن حجراً آكل المرار على معد كلها ، فالملك على (معد) لكندة . وان (كندة) كانت تقول : « لم تزل لها نزار ومن نزل الحيرة والشأم من العرب طعمة ورعية » .

وقد نسب بعض النسابين (كندة) الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان[1] . ونسبه بعض آخر الى (كندة بن عفير بن الحارث) ، الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ، وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كندة[2] .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة ،ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان[3] .

و (الأشرس بن مرتع)،هو أخو (كندة) ، وهو ابو السكون والسكاسك[4]. ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير)[5]. ومن السكون (تجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . ومنه تعلم أهل مكة الكتابة[6] .

ويذكر أهل الأخبار أن كندة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كندة ، نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تذكرت الأواصر والقرابات التي كانت تربطها بـ (الصدف) فصارت تحارب معها[7] ،وجعل (الهمداني) أهل حضرموت من كندة والصدف وحمير .

---

١ جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٤/١٠) ، الانباه (١١٤) ، الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، صبح الاعشى (٣٢٨/١) ، نهاية الارب (٣٠٣/٢) ، الروض الانف (٣٤٥/٢) ، تاج العروس (٤٣/١) ، (٢٨٧/٢) ، اللسان (٣٨٦/٤) .

٢ الاكليل (٥/١٠) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الاكليل (٣٥٨/١) .

٥ الانباه (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ،تاج العروس (١٤١/٧) ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٢٨١/٤) .

٦ جمهرة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٧ الاكليل (١٥/٢ فما بعدها) . Beiträge, S. 133.

فلسطين الثالثة :

لقـــد ذهب (كوسان دى برسفـــال) (Caussin de Perceval) الى أن (كيسوس) (Kaisus) (Caisus) المذكور عند (بروكوبيوس) و(نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)[١] .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوسطنيـانوس) (Justinianus) ، أرسل رسولاً هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Esimiphaaeus) (السميفع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Caisus) على (معــد) (Maddeni) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكـــة الفرس[٢] . وكان (كيسوس) هذا قد قتل أحـــد أقارب (Esimiphaaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يقم أي منهـــما بالغزو ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كيسوس) هذا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباذ) اي قبل سنة (٥٣١ م)[٣]. وفي الخبر اشارة الى شجاعة (قيس) وكفاءته وحزمه ، لهذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) ان القيصر (يوسطنيانوس) كلفه الذهاب في سفـارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الحارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائـل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyoi) كنـــدة و (معد) (Maadynoi) لمواجهته ودعوته للذهاب الى الانبراطور اذا أمكنـــه ذلك . فذهب اليه ، ونفذ أوامر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنسطاسيوس) (Anastasius) قد كلف جـــد (نونوسوس) أن يذهب الى الحارث ليعقد عهداً معه ، كما ان القيصر (يوسطينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهام) (ابراهيم) أن يذهب الى (المنذر) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه،هما (تيموستراتوس)

---

١ Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Essai., II, P. 317.

٢ Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13.

٣ Olinder, P. 114.

و (يوحنا) . ثم كلف مرة ثانية في عهد (يوسطنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، لعقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد ومعه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Maulas) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوسطنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (Aumros) (عمرو) ، ونال من الانبراطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه[1] .

وقد ذكر (ملخوس الفيلادلفي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sareceni) هو بطن (Nokalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطلب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الخاضعة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الخاضعة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو الآيبة منها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجبيها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة والواقعة في العربية الحجرية وأعالي الحجاز[2] .

---

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢١ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م ، (ص ١٠٠٥) ، شيخو ،النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٣٣ وما بعدها) ،
Migne, Patrol. Gree., Phot., Bibl. CIII, 46-47, Olinder, P. 114.

٢ Musil, Hegaz, P. 306.

وأراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ، الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف (بطرس) أسقف قبيلته ، ليكون رسوله الى القيصر . وقد نجح هذا الأسقف في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرىء القيس) لزيارة القسطنطنية ، فلما وصل اليها استقبل بها استقبالاً لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيا بعد أن أعلن دخوله في النصرانية ، فأنعم عليه القيصر بالهدايا والألطاف وعينه (عاملاً) (Phylaechus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية ثم عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم النازحين من مناطق أحد الطرفين في أرضين الطرف الثاني[١] .

ويحتمل على رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من (الوديان) و (الحجرة) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب (العربية الحجرية)، والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) ويتوسع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe) المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للاتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم الذي يربط ديار الشأم بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ عظيم[٢] .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطلميوس) ، أخذ تسميته هذه من (حينو) (حاينو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط[٣] . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت) أن سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)[٤] .

ويحدثنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

---

١ Musil, Hegaz, P. 306.

٢ Musil, Hegaz, P. 306.

٣ Musil, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ البلدان (٢/٣٥٢) Musil, Hegaz, P. 306.

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديد[1] . ويدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرىء القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرىء القيس عليها . ولعلهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهز الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokalian) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام[2] ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في ايام (يوسطنيانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعينه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب ،ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هـذا الرئيس ، يدعون بـ (Maddeni) أي (معـد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون[3] . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة لحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأييد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين.

وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قيساً) هو (امرؤ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انهما لمسمى واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قيساً) كان رئيساً على قبيلتي (كندة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كندة) أو انه كان حتماً (امرأ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

---

١ Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307.

٢ البلدان (٢٧٦/٨ وما بعدها) . Blau, in ZDMG., 22, 1868, S. 578.

٣ Procopius, De Bello Persico, I, 19, Musil, Hegaz, P. 307.

الفصل الأربعون

مملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عربٌ عرفوا بـ (آل غسان) ، وبـ (آل جفنة) وبـ (الغساسنة) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشأم، زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوهم في العراق .

وقد نقلت كلمة (غسّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان)، ببلاد (عك) بزبيد وربيع ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، أخذوا اسمهم منه، فسموا (غسان)[1] ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان) .

ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السدّ . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشأم . وحادث تصدع السدّ لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الازد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السدّ مراراً ورم

---

١ حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٢/٣٠) ، القاموس (٤/٢٥٣) ،
أما سألت فانا معشر نجب ... الازد نسبتنا والماء غسان
البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لابي سعيد السكري ، (ص ٣٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ديوان حسان (ص) (هرشفلد) .

مراراً . والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هذا التصدع كان قد وقع قبل الإسلام بزمن ، وقد بقيت ذكراه عالقة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّ أعلى يدعونه (جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر) على رأي[1] ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن[2] . ويذكر (ابن دريد) ان (جفنة) إما من (الجفنة) المعروفة ، أو من (الجفن) ، وهو (الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر ان المثل المشهور بين الناس : « وعند جهينة الخبر اليقين » ، هو خطأ تقوله العامة ، وان صوابه : « وعند جفينة الخبر اليقين »[3] .

ولم نظفر حتّى الآن باسم غسان في نصوص المسند ، كذلك لم نظفر بــه في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون ان الذي قاد الغساسنة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ (مزيقيا) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[4] . ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات[5] .

وروى (ابن قتيبة الدينوري) ان (عمرو بن عامر مزيقياء) لما خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم (سملقة) (سلمقة) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام حتّى يبعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم روّاداً فمات عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده وروّاده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو ، وان رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سلمقة (سملقة) ،

---

١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
شرح ديوان حسان بن ثابت ، (اخراج البرقوقي) ، (طبع المطبعة الرحمانية) ، القاهرة ١٩٢٩ م ، (ص ٣٠٩) شمس العلوم (حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢) ، اللسان (٩١/١٣) ، (جفن) .

٢ شمس العلوم ، (حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، اللسان (٩١/١٣) ، (صادر) ، (جفن) .

٤ حمزة (ص ٧٧) .

٥ مروج (٣٠/٢) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلت عك أبرح قتل وخرجوا هاربين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاة البيت ، فنزلوا بطن مرّ وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلتهم جرهم ، فنصرت الأزد عليهم ، فأجلوهم عن مكـة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار (قصي) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانه قيصرٌ عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجمعاً ، وأقامت الأزد زماناً[1] .

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فملكوا بها . منهم (جذيمة بن مالك بن الأبرش) ومن تبعه. وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشأم، فهم (آل جفنة) ملوك الشأم . وصار جـذع بن سنان قاتل سلمقة الى الشأم أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قيصر قدم عليهم ليجبيهم فطـالبهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن نعطيك . فقال له العامل: اجعله في كذا وكـذا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذعٍ ما أعطاك ، فذهبت مثلاً .

فمضى كاتب العامل الى قيصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزد من أطاعـه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وتقووا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولمـا صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، حالفوهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نقضت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزد[2] .

وللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزيقياء . وقد ذكر (حمزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وتزعم الأزد أن عمراً انما سمي مزيقياء لأنه كان يمزق كـل يوم من سني ملكه حلتين لئلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزيقياء . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزيقيا ، لأن الأزد

---

١ المعارف (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
٢ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ »[1] . ومال (نولدكه) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »[2].

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدّهم (عمرو) واقتداره[3] . وأما ما ذهب اليه (نولدكه) ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفرق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزح معهم من اليمن قومهم من الأزد ، فنزل المدينة رهط « ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج،ونزل مكة رهط حارثة ابن عمرو بن عامر ،وهم خزاعة،ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام،وهم الغساسنة ونزل لخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر »[4] . فوصل أهل الأخبار بذلك تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل لخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث (سيل العرم) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لنفر من الأنصار ، ورد فيه انتساب أهل يثرب الى (عمرو بن عامر) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر للشاعر الأنصاري المعروف (حسان ين ثابت) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقى[5]

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الأنصار هو :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدي أبوه عامر ماء السماء[6]

---

١ حمزة (ص ٧٧) ، (وهو مزيقياء · كان يمزق كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده) ، الاشتقاق (ص ٢٥٨) ·

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، نولدكه : أمراء غسان ، (ص ٣) ، ملحوظة ١ (الترجمة العربية) ·

٣ أمراء غسان (ص ٣ وما بعدها) ، (ص ٥) من النص الالماني ·

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) ·

٥ البرقوقي (ص ٢٨٦) ·

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) ·

فالأنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الغساسنة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سيل العرم على نحو ما رأيت .

وافتخار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لخم،مع انهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افترقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ونجد لحسان بن ثابت شعراً في الغساسنة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر ان لقرب الغساسنة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الغساسنة بيسر وسهولة، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لغسان على آل لخم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « انه انما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزد مخمصة ، فمانهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا بدل ماء السماء »[1]. وقد عرف أشخاص آخرون بـ (ماء السماء) من غير غسان ، منهم (المنذر بن امرىء القيس اللخمي) و (ماء السماء بن عروة) من ملوك (الحيرة) على زعم (ابن الكلبي)[2] . وقد نعت (حسان بن ثابت) الغساسنة الذين جاءوا من بعده بـ (أولاد مـــاء المزن) . و (المزن = المطر) . يريد بذلك (أولاد ماء السماء) ، أي : (بني ماء السماء) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصد الشاعر بذلك ان (آل غسان)، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جدّ الغساسنة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنعت بهذا النعت الــدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلازمتهم حتى اليوم[3] .

ونسب آل غسان الى جد آخر ، يعرف بـ (ثعلبة) . وقد أشير الى (عرب الروم من آل ثعلبة)[4] . وقـــد ذكر (محمد بن حبيب) ، أن رئيس غسان

---

١ حمزة (ص ٧٧) (مانهم – أي احتمل مؤنتهم ، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب) البرقوقي (ص ٢٨٧) .
٢ المحبـــر (ص ٣٦٥) .
٣ كحفنة والقمقام عمرو بن عامـر وأولاد ماء المزن وابني محـرق
البرقوقي (ص ٢٨٧) .
٤ غسان (ص ٤) .

الذي قضى على (الضجاعمة) . وانتزع الملك من (سليح) ، هو (ثعلبة) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد[1] . ومن نسله كان ملوك غسان . فهو اذن (ثعلبة) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ (الضجاعمة) ، وهم من (سليح ابن حلوان)[2] .

وبنو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى (سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة)[3] . وقد نسبهم (ابن دريد) الى (سليح بن عمران ابن الحاف) ، وجعل لـ (سليح) شقيقاً هو (تزيد) جدّ (التزيديين)[4] . ونسبهم (السكري) الى (سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة)[5] . ولكن اختلاف النسابين هذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في (قضاعة) حيث يتفق الكل أن (سليحاً) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستدرك على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة »[6] .

وقد ذكر أهل الأخبار ان (بني سليح) بقوا في بلاد الشأم ، اذ ذكروهم في أخبار الفتوح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشأم . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في (قنسرين) في ايام المهدي[7] .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهبولة ملك الشأم، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المرار ، وذكروا انه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم، فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية . فلما سمع

---

١ المحبر (ص ٣٧١) .
٢ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
٣ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) ، الاكليل (١٨٢/١) .
٤ الاشتقاق (٣١٤/٢) .
٥ المحبر (ص ٣٧٠) .
٦ المعارف (ص ٢٧٨) ، (أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو من غسان ، ويقال من قضاعة) ، (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
٧ فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ١٥٢) (طبعة القاهرة (١٩٠) .

حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعمرو بن أبـي ربيعة ابن ذهل بن شيبان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ (البردان) دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر عـلى أتباع (ابن الهبولة) ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل[1] .

وتذكر رواية ان (حجـراً) أرسل (سدوس بن شيبان) و (صليع بن عبد غنم) الى عسكر (زياد) يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً، فشد (سدوس) على زياد واعتنقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه (عمرو بن أبـي ربيعـة) حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيره ، وطالب بديته ، دية الملوك ، فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله[2] .

ويقتضي على هذه الرواية ان يكون ملك (زياد بن الهبولة) في وقت متأخر اذ لا ينسجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من ان ملك (بني سليح) كان قبل الغساسنة[3] . ولو أخذنا بالخبر المتقـدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في ايام الغساسنة لا قبل ذلك .

وقد ذكر (ابن الأثير) أن (زياد بن هبولة) لم يكن ملكاً على الشأم ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشأم مما يلي البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشأم ولا بشبر واحـد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلص من قوله برأي توفيقي ، بأن افترض ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم او متغلباً على بعض أطراف الشأم ، فهو غير ذلك الملك المذكور[4] .

---

١ ابن الاثير (٢٠٨/١) ، حمزة (ص ٩٢) ، الاغاني (٨٢/١٥) ، أيام العرب (٤٢) .
٢ أيام العرب (٤٥) .
٣ ابن الاثـير (٢٠٨/١) .
٤ أيام العرب (٤٥) .

وقد تحدث (أبو عبيدة) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان[1] .

وقد تحدثت بعض الروايات عن (زياد بن هبولة) على هذا النحو : « منهم داوود اللثق بن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرّق بالنار »[2] . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه (هبالة) ، وجعلت (داوود اللثق) شقيقاً له . أما الروايات الشائعة ، فتجعل (داوود اللثق) ابناً لـ (هبالة) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف)، فهبولة على هذا وهبالة أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم[3] .

وأما ملوك (سليح) على رواية (ابن قتيبة الدينوري) ، فهم : (النعمان ابن عمرو بن مالك) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان دانوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم (عمرو) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد (عمرو) الى الغساسنة[4] .

ونسب الأخباريون (الضجاعمة) الى (بني ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة)[5] . فهم على هذا النسب ، ومن (بني سليح) ومن قبايل قضاعه ، وقد حكموا بعد حكم (بني سليح) .

ونسب بعض الأخباريين (ضجعم) الى (سعد بن سليح) ، أي باسقاط اسم (حماطة) من النسب ، بأن جعلوا (سعد بن سليح) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم (داوود اللثق بن هبولة بن عمرو) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان (داوود بن هبولة) هو شقيق (هبالة بن عمرو ابن عوف بن ضجعم)[6] .

---

١ أيام العرب (٤٥) .
٢ الاشتقاق (٢/٣١٩) .
٣ الاشتقاق (٢/٣١٩) .
٤ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (ص ٦٤٠) ، (ثروت عكاشة) .
٥ المحبر (ص ٣٧٠) ، الاشتقاق (٢/٣١٩) ، ابن خلدون (٢/٢٧٩) ، حمزة (٧٦) ، غسان (٦) ، الاكليل (١/١٨٢) .
٦ الاشتقاق (٢/٣١٩) .

ويظهر ان (داوود اللثق) كان قد عتنق النصرانية . وكان قد عمل للروم . واليه ينسب (دير داوود) (دير الدوود)[1] .

ويظهر من بعض الروايات ان (زيد بن هبولة) الذي حارب (حجر آكل المرار) . كان أخاً لـ (داوود) . ويظهر من روايات أخرى انه كان ابن عم له[2] . واذا اخذنا برواية من زعم ان (زياداً) هذا حارب (حجراً آكل المرار) ، فمعنى هذا ان (جفنة) . وهو مؤسس إدارة آل جفنة ، أي الغساسنة ، قد حكم بعد (زياد) . وقد زعم (حمزة) ان ملكاً من ملوك الروم اسمه (نسطورس) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام[3] . وذهب بعض أهل الأخبار الى ان القيصر الذي عيّن (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنسطاسيوس) (Anastasius) الأول . الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد . فتكون نهاية حكم الضجاعمة وبداية حكومة (آل جفنة) في هذا العهد[4] .

و (ضجعم) هو (Zocomus) أحد (العمال) (Phylarch) الذين نصبهم الروم على عرب بلاد الشأم ، حرّف اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره (ثيوفلكتوس) (Theophylactus) على هذه الصورة : (Zeokomos)[5] . وذكر انه هو وقبيلته دخلوا في النصرانية وان الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى[6] .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا مثل سائر القبائل المستعربة المستنصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل) في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد، وكان رئيسهم اذ ذاك هو (ابن الحدرجان)[7] .

لقد أشار المؤرخون اليونان والسريان الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Mauia) (Mavia) (Mawiya) ، حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشأم، وهاجمت

---

١ Die Araber, II, S. 331.

٢ الاشتقاق (٢/٣١٩) ، ابن الاثير (١/٣٧٢) ، ابن خلدون (٢/٢٧٨) .

٣ حمـزة (ص ٧٧) .

٤ Die Araber, II, S. 332.

٥ Sozomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, S. 330.

٦ غسان (ص ٦) ، (ص ٨) من النص الالماني ،
Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 30, Rufinius, II, 6, Theodoretus, 40, 21.

٧ الطبري (٣/٣٧٨) (خبر دومة الجندل) .

فلسطين و (فينيقية) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر (والنس) (Valens) (٣٦٤ – ٣٧٨ م) انطاكية وذلك سنة (٣٧٨ م)[١] .
وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسَقَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشأم ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هـذا الراهب كاثوليكياً معارضاً لمذهب أريوس[٢] .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أنزلت الدمار والخراب بقرى وبمدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و (الحدود العربية) (Arabici Limites) . وتذكر أن عربها كانوا من الـ (سارسين) (سرسين) (Saracene)[٣] .

وقد وليت (ماوية) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينهما وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينها ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم. ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترضيتها على نحو ما ذكرت[٤] .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم[٥] .

وقد حكم قبل (ماوية) (عامل) عربي أشار اليه المؤرخ (أميانوس) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من (السرسين) ، (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)[٦] ، وقد حكم

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV, 36, Sozomenus, VI, 38, Eusebios, 2, 2.

٢ المشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، (ص ٥٢٤) ، Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

٣ Die Araber, II, S. 328.

٤ Die Araber, II, S. 328.

٥ Die Araber, II, S. 330.

٦ Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabia, III, S. 286.

في أيام (يوليان) (جوليان) (Julian) (٣٦١ – ٣٦٣ م) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ (اسانيته) (Assanitae) الغساسنة ، أي ان الكلمة من أصل (غسان)[١] .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة (ماوية) ، كان في أيام الغساسنة ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه (آل جفنة) على عرب بلاد الشأم . وهذا ما لا تؤيده الموارد التأريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي (الغساسنة) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشأم ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت (فينيقية) و (مصر) ، ولم يكن حكم الغساسنة متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشأم يعود الى أيام (فالغ بن هور) (فالغ ابن يغور) . وقد صيّره من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) (سومات) ، وهو (أيوب بن رزاح) . ثم انتقل ملك الشأم على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشأم ، وانضافوا الى ملوك الروم،فملّكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشأم من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تنوخ بالشأم . ثم ملك بعده عمرو ، ثم (الحواري بن النعمان) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان[٢] .

وقد كانت سليح – كما يذكر الأخباريون – يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشأم حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم:إن أقررتم بالخرج،وإلاّ قاتلناكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجبونهم لكل رأس ديناراً،وديناراً ونصفاً،ودينارين في كل سنة على أقدارهم فلبثوا يجبونهم حتى قتل (جذع بن عمرو الغساني) جابي سليح،وهو سبيط بن المنذر بن عمرو

---

١ Musil, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج (٢/٢٩ وما بعدها) ، (٢/٨٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

ابن عوف بن ضجعم بن حماطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتقوا بموضع يقال له (المحفف) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الـروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل الى ثعلبة ، فقال : أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قتلتم هذا الحي ، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة وإني جاعلكم مكانهم ، وكاتب بيني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين الف مقاتل من الروم بأداتهم ، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة ، وكتب الكتاب بينهم . فملك ثعلبة وتوجه . وكان ملك الروم يقال له (ديقيوس)[1] .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هـذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القائل ، وهو منصوص عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبيط ، وقال آخرون : انه سبطة[2] ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم[3] .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ، ان اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضجاعمة هو (يوم حليمة) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الضجاعمة والغساسنة للسبب الذي ذكرته ، وقالوا « خذ من جذع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنـة جميلة يقال لها (حليمة) ، فأعطاها خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغساسنة بذلك اليوم على الغساسنة . فقالوا : « ما يوم حليمة بسر »[4] .

ونسب ابن خلدون (سبطة) القتيل الى المنذر بن داوود[5] ، ويظهر انه قصد (داوود اللثق) . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يـدل على انه كان نصرانياً[6] ، كما أشرت الى ذلك قبل قليل .

وعندي أن (سبطة) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

---

١ المحبر (ص ٣٧٠ وما بعدها) ، حمزة (ص ٧٦) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٩) .
٣ اليعقوبي (١/١٦٧) (طبعة النجف) .
٤ البلدان (٢/٣٢٥ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) .
٥ ابن خلدون (٢/٢٧٩) .
٦ غسان (ص ٧) ، الاصل الالماني (ص ٨) .

الذي قيل إنه كان عاملاً (فيلارك) (Phylarch) عربياً من عمال الفرس ، فأغار على (الكورة العربية) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استولى عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها [1] .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم انه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكا على عرب الشأم . فلما ملك ، قتل قضاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ، ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم ، وبني جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر [2] .

وقد ابتدأ (حسان بن ثابت) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه [3]. وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة (آل جفنة) ، كما سُمّي خصومهم (المناذرة) بـ (آل لخم) . والى هذا الرأي ذهب (الأصمعي) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، واليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره » [4] . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه أوصى بها بنيه في كيفية السير بالناس ، وتسيير الملك [5] .

وعند المسعودي ان اول من ملك من بني غسان بالشأم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Euthymii Vita, Ed : Coteierius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221.

٢ حمزة (ص ٧٦) ، (جفنة بن علية بن عمرو بن عامر) ، اليعقوبي (١/١٦٧) (طبعة النجف) (جفنة بن مزيقيا) ، ابن خلدون (٢/٢٨١) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، للبطليوسي (ص ٦) ، التنبيه (ص ١٥٨) .

٣ أولاد جفنة حول قبر أبيهم — قبر ابن مارية الكريم المفضل
الاصمعي ، تأريخ ملوك العرب الاولية ، (ص ١٠٢) ، (محمد حسن آل ياسين)
كجفنة والقمقام عمرو بن عامر — وأولاد ماء المزن وابني محرق .
البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الاصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولية (ص ١٠٢) .

٥ المصدر نفسه (ص ١٠١) .

ذات القرطين[1] . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ (محرّق) . وسمي بمحرّق لأنه أول من حرّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر[2] .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، (هو محرّق ، وهو أول من عذّب بالنار)[3] . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذّب وحرق الناس بالنار .

وذهب (محمد بن حبيب) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشأم هو (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) ، وذلك بعد فتك (جذع) بالضجاعمة فعهد اليه ملك الروم (ديقيوس) أمر تولي رئاسة عرب بلاد الشأم ، وملّكه وتوّجه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك غسان[4] ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و (جفنة) الذي صيّره حمزة أول من ملك من غسان ، هو (جفنة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرّق ، وثعلبة وهو العنقاء (العنقاه) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعوف ، وذهل ، وواكل[5] . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشأم .

وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند[6] .

أما (الأصمعي) فقد أورد اسم (الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو) ، بعد اسم (جفنة) . وقال عنه (وهو الحارث الأكبر) ثم ذكر له وصية وصى

---

١ مروج (١/٢٩٨) (طبع المطبعة البهية) .

٢ المعارف (ص ٢٨٠) ، (وولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٤ المحبر (ص ٣٧١ وما بعدها) .

٥ ابن خلدون (٢/٢٧٩) ، الاشتقاق (٢٥٩) .

٦ حمزة (ص ٧٧) .

بها ابنه (عمرو بن الحارث) وهي وصية نظمها شعراً . وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم[1] .

وأما (محمد بن حبيب) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنذر ابن الحارث ثم للمنيذر بن الحارث ، ثم لجبلة بن الحارث[2] .

وأما (ابن قتيبة) ، الذي جعل (الحارث بن عمرو بن محرّق) أول ملوك آل غسان ، فقد وضع (الحارث بن أبي شمر) من بعده . وقال : انه الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأيمنهم طائراً ، وأبعدهم مغاراً . وكان غزا (خيبر) ، فسبى من أهلها ، ثم أعتقهم بعد ما قدم الشأم . وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئة الف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فيهم لبيد الشاعر وهو غلام ، وأظهر انه انما بعث بهم لمصالحته ، فأحاطوا برواقه فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموهم، وكانت له بنت يقال لها (حليمة) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليمة بسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأتاه النابغة ، فسأله اطلاقهم ، فأطلقهم ، وأتاه علقمة ابن عبدة في أسارى من بني تميم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة[3] .

وروى (ابن قتيبة) أيضاً ان (علقمة بن عبدة) قال في (الحارث بن أبي شمر) هذه الأبيات :

الى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيَيْنْ وجيبُ
وفي كل حيّ قد خَبطت بنعمة فحقّ لشأس من نداك ذُنوب

فقال الحارث : نعم وأذنبة[4] .

---

١ الاصمعي ، تاريخ (١٠٣ وما بعدها) .
٢ المحبر (ص ٣٧٢) .
٣ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٤ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (ثروت عكاشة) .

وزعم (ابن قتيبة) ان الذي ولي الملك بعد (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) ، هو ابنه (الحارث بن الحارث بن الحارث) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هـذا غلام حسن وجهـه مستقبل الخـير سريع التمام
للحرث الأكبر والحارث الأصغر والحرث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان خرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها[1]

وقد وهم (ابن قتيبة) في (الحارث بن أبي شمر) إذ صيّره الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنه (الحارث بن جبلة) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . ووهم في (الحارث الأصغر) أيضاً حين صيّره في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء[2] . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة[3] .

ثم تولى من بعده (الحارث) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبن شيئاً . ثم ذكر من بعده (جبلة بن الحارث) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين[4] . وجعل (البطليوسي) مدة حكمه عشر سنين أيضاً[5] .

---

١ المعارف (ص ٢٨٠) .
٢ حمزة (ص ٧٧) .
٣ البطليوسي (ص ٦) .
٤ حمزة (ص ٧٧) .
٥ البطليوسي (ص ٦) .

وجبلة هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو (جبلس) (Jabalac) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد[١] . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطليوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالا إنه حكم عشر سنين[٢] . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جبلة بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطا مارية »[٣].

وجاء بعد (جبلة) ابنه (الحارث بن جبلة) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) (اريتاس) (Aretas) (Arethas) الذي ذكره المؤرخ السرياني (ملالا) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم[٤] . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً[٥] . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد[٦] . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هذا عند أهل الأخبار بـ (الحارث الأعرج) وبـ(الحارث الأكبر) .

وذكر حمزة والبطليوسي وآخرون أن والدة الحارث هي (مارية ذات القرطين، بنت عمرو بن جفنة)[٧] . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها (مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) . واستدرك (محمد بن حبيب) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كندة »[٨] . وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وقد

---

١ غسان (ص ٨) ، Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
٢ حمزة (ص ٧٧) ، البطليوسي (ص ٦) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
٤ غسان (ص ٩) ، Malalas, (Melalas), 2, 166.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
٦ Provincia Arabia, III, S. 352.
٧ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٦) .
٨ المحبر (ص ٣٧٢) .

ضرب المثل بحسنها . فقيل : « خذوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيها مئتا دينار[1] .

وذكر البطليوسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى (الحفير) ومصنعة بين (دعجان) وقصر أبير ومعان[2] . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة[3] . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدّر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد[4] .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبنية المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بنائه للقصر الأبيض في (الرحبة). ولقصر الطوبة[5] .

وجعل (ابن دريد) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والمنيـــذر وجبلة وأبا شمر ، ذكر انهم ملوك كلهم[6] .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية الغساني ، كان قد اجتبى أخوين من بني نهد اسمها حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جناب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له انهما عين للمنذر ذي القرنـــين عليه حتى قتلهما . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهـــير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطق زهير عـــلى ذلك صبراً ، حتى تخلّص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ما كان عليه[7]. وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا ان الحارث بن جبلة حاربت (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهـــر نيسان من سنة (٥٢٨ م)[8] ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : (جنوفاس) (Jnophas) ،

---

١ المحبر (ص ٣٧٢) ، البرقوقي (ص ٣٠٩) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) ، Provincia Arabia, II, S. 8.
٣ البطليوسي (ص ٧) ، حمزة (ص ٧٨) .
٤ Provincia Arabia, II, S. 174.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174.
٦ الاشتقاق (٢٥٩) .
٧ الاغاني (٥/١١٨ وما بعدها) .
٨ غسان (ص ١٠) . Melalas, 2, 166.

و (نعمان) (Naaman) . ويرى (نولدكه) ان (جنوفاس) هو (جفنة) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين[1] .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، الا انه وهم في اسمه فصيّره (خالد بن جبلة) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النعمان نائرة ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى يخطيانوس[2] ، الا انه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر (يخطيانوس) عندئذ الى عقد صلح معه ، والى ارضائه .

ويرى (نولدكه) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخمد ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة (٥٢٩)[3] .

وقد ورد في تأريخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان المنذر ملك العرب (سركينوى) (Sarakynou) الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انبراطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Duxe) وسادات القباب من أرباب لقب (فيلارخ)(Phylarchus) المحالفين للروم عن صدّه والوقوف أمامه، رأى القيصر(يسطانوس) (Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليقف بوجه (المنذر) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشأم والعبث بها مدة طويلة من الزمن[4] . وقد ذهب (نولدكه) الى أن هذه الحوادث

---

١ غسان (ص ١٠) .

٢ الطبري (٢/١٤٩ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ غسان (ص ١٠) ، O'Leary, P. 164, Malalas, 2, 180.

٤ Procopius, I, XVII, 43-48, J. B. Bury, II, P. 91.

كانت في سنة (٥٢٩ م)[١] .

وقد بلغ المنذر في هجومه على بلاد الشأم أسوار (انطاكية) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به[٢] . ويشك نولدكه في رواية بروكوبيوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم[٣] .

ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) ، فقد لقبت بـ (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارخوس) (Phylarkos) (Phylarque) (Phylarcos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب (ملك) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي[٤] . ولكن نولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لاثبات أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح اطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) (Patricius) ، ولقب (عامل) أو سيد قبيلة (فيلارخوس) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقروناً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة (فلارخوس المنذر) ، و (المنذر البطريق الفائق المديح) ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)[٥] .

ولقب (البطريق) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يحبذون الحصول على هذا اللقب من القيصر[٦] . وقد منح القيصر

---

١ غسان (ص ١١) .
٢ J. B. Bury, I, P. 81.
٣ غسان (ص ١٢) ، المشرق . السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .
٤ غسان ; ص ١٢) .
٥ غسان (ص ١٢ وما بعدها) .
٦ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

(يسطنيانوس) (Justinianus) (الحارث) هذا اللقب ، وكذلك لقب (فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنح هذين اللقبين اللذين انتقلا منه الى أبنائه فيما بعد[1] .

ويلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة ما ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولاً عنه الى مدينة مأرب ليهنئه بترميمه سد مأرب ، لم يدوّن كلمة (ملك) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر (ورسل حرثم بن جبلت) ، أي : (ورسول الحارث بن جبلة)[2] . فلم يلقبه بلقب (ملك) ، ويدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقرراً دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥٤٢ م) .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملالا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة (٥٣١ م)، وانتهت باندحار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)[3] . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة (قائد) (Dux) [4] .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة (٥٤١ م) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب[5] . وهذا مما حمل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهم وإلحاقه الأذى بهم واتفاقه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة (٥٤٤ م) ، وانتهى

---

١ Provincia Arabia, II, S. 174.

٢ راجع النص الموسوم Glaser 618.

٣ غسان Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8. Malalas, 2, 199.

٤ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 202.

٥ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18, Musil, Palmyrena, 266.

بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة (٥٥٤م) ، على مقربة من (قنسرين) بالقرب من الحيار . وهذه المعركة هي معركة يوم حليمة على رأي نولدكه[١] . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشأم ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المنذر ، تنازعهما على ارض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشأم وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشأم . وقد ألف (جستنيان) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام على الفرس[٢] .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن (برحيرت) ، (Bar-Herath) أي (ابن الحارث) سقط قتيلاً في الحرب[٣] . وكان قد ذكر قبل كلمات ان المنذر بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله (الحارث بن جبلة) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قنسرين . ثم ذكر ان ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة[٤] .

ونجد في شعر (حسان بن ثابت) إشارة الى (زمين حليمة) أي زمن حليمة[٥] . كما نجد في الأمثال (ما يوم حليمة بسر)[٦] ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار (المنوفستيين) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال انه سعى لدى الانبراطورة (ثيودورة)

---

١ غسان (ص ٢٠) .
٢ J. B. Bury, II, P. 92.
٣ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.
٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.
٥ البرقوقي (ص ١٤٦) .
٦ كذلك (ص ١٤٦) .

في تعين (يعقوب البرادعي) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة (٥٤٢ — ٥٤٣ م) ، وبذلك وطد هذا المذهب في بلاده[١] .

ونسب المؤرخ السرياني (ميخائيل الكبير) الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق (افرام) (٥٢٦ — ٥٤٥ م) في السريانية أو اليونانية في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة (٥٧٨ م) . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلب بأدب ولطف على خصمه البطريق[٢] .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للانبراطورية عدّ الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوسطنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر[٣] ، الا ان الحارث سعى جهد امكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشأم[٤] .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر (يوسطينوس) (**Justinius**) بعد خرفه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه[٥] . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

---

١ François Nau, Les Arabes Chrestiens, PP. 52.

٢ المشرق ، المجلد ٣٤ (السنة ١٩٣٦) ، الجزء الاول (ص ٦١ وما بعدها) .

٣ E. Gibbon, Der Sieg, S. 66.

٤ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٦) .

٥ غسان (ص ٢٠) .

J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huart, I, 60, Les Arabes Chrestiens, PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة[1] .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثأر حسب رواية الأخباريين . واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرىء القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرىء القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرىء القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم[2] . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرىء القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر (الجمحي) أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) هو الذي طلب الى (السموأل بن عادياء) أن يدفع اليه سلاح (امرىء القيس) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه[3] . وقد ذكر (أبو زبيد الطائي) أنه زاره ونعته بأنه (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم) . وقد كان (أبو زبيد) هذا « من زوّار الملوك ، ولملوك العجم خاصة . وكان عالماً بسيرها »[4] .

وقد تعرّض (ابن قتيبة) لموضوع (امرى القيس) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة »[5] . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من اهل بيته يقال له (الحارث بن مالك) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

---

١ غسان (ص ٢٠) .
٢ الاغاني (٦/٣٣١ وما بعدها) .
٣ طبقات الشعراء (ص ٧٠) .
٤ طبقات الشعراء (ص ١٣٢) .
٥ الشعر والشعراء (ص ٥٠) .

الحارث ، وقـال للسموأل : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلته ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئـاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء»[١] .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج – وهو في روايتهم هـذه الحارث بن أبي شمر الغساني – غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هـذا الغزو مروره بجماعات منهـا لم تهتم به كما كان يجب ان يكون . وقـد نصحه الشاعر (عمرو بن كلثوم) – على حدّ قولهم – بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقُتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث[٢] .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافـة الكبرى لا الملك يوسنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ (بروكوبيوس) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له في هذه المدينة،على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقديس (سرجيوس) المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى في نفوس نصارى عرب الشأم[٣] .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حربها،ووقع بينها يوم اليحاميم حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق[٤] .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه (أبو كرب ابن جبلة) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص (أبرهة) ، حيث كان (أبو كرب) قد أرسل اليه رسولاً لتهنئته بترميمه سد مأرب . والأمـير (قيس) (Kaisus) وكان عاملاً على (فلسطين الثالثة) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث[٥] .

---

١ الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (طبعة ليدن) .
٢ ابن الاثير (٢٢٢/١) .
٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, S. 167.
٤ أيام العرب (٦٠) .
٥ غسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

وعثر في احدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى (شرحيل بن ظالم) يرى نولدكه انه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كنـدة ويرجع تأريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة (٥٦٨ م) . وقد دُوّنت عند تدشين هذا العامل بناءً اقامه للقديس يوحنـا المعمدان ، فيكون (شراحيل) شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة[١] . ويستنتج نولدكـه من ذلك ان عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتّى بعد تألق نجم آل غسان. ويرى ان ذلك ممـا يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة امراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض[٢] .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبـوه بـ (Talemus) وكان يحكم (اللجاة) ، فيظهر من ذلك ان إمارات كانت تنافس امارة الغساسنة في هذا العهد[٣] .

وقد توفي الحـارث في سنة (٥٦٩ م) او (٥٧٠ م) على رأي نولدكه ؛ استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها الى سنتي (٥٦٨ و ٥٦٩) ، والى ربيع سنة (٥٧٠ م) حيث حل اسم ابنه المنـذر في محلّه ، فاستدل من هذا التغيير على أنه توفي في هذا الزمن[٤] .

وقد حكم (المنذر) من سنة (٥٦٩ – ٥٧٠ م) حتّى سنة (٥٨١ م) ، على تقدير بعض الباحثين[٥] .

وقد عرف المنذر بـ (Alamoundaros) (Alamundaros) عند اليونان والسريان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر ان عرب الحـيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م[٦].

---

١ غسان (ص ١٧) ، Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 563, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان (ص ١٦) ، النص الالماني (ص ١٦) .

٣ Provincia Arabia, III, S. 268, Waddington 2464, Nöldeke, S. 13, Anm : 2.

٤ غسان (ص ٢٥) .

٥ Die Araber, I, S. 10.

٦ غسان (ص ٢٥) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركـــة أخرى فيما بعد[1] . ويرى نولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ[2] .

والمنـــذر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني غثر عليه في احدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما: يعقوب البرادعي وصاحبه[3] .

لقد حدث سوء تفاهم بـين القيصر (يسطينوس) (Justinus) وبين المنذر تطوّر حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القصر قد دبّر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) (Marcianus) بأن يحتال عليه ليقتله ، تمرّد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وايقاع الرعب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم عـــلى مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجوّ أرسلوا اليه البطريق (يوسطنيانوس) ليجتمع به في مدينة الرصافـــة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله. وعند القبر المقدّس عقد الصلح بينهما في صيف سنة (٥٧٨ م) . فعـــاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشأم[4] .

وقد أشار ابن العبري الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب (طيايـة) كانوا منقسمين الى جماعتين : جماعة المنذر بن الحارث (منذر برحيرت (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهـاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغساسنة ، واستاق ما وجده أمامه منْ ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمـــع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بغنائم عديـــدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المنذر ، غير أنه مُني بهزيمة ثانية اضطرته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتله ، لظنـه

---

١ J. of Ephesus, 6, 3.

٢ غسان (ص ٢٧ وما بعدها) ، Provincia Arabia, III, S. 355.

٣ غسان (ص ٢٧) Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان (ص ٢٦) J. of Ephesus, 6, 3-46, Provincia Arabia, II, S. 174.

أنه كان السبب في غزو الفرس لـ (Rhomaye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة (نصيبين) (Nisibis) أن يتربص بالمنذر فيقبض عليه، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة،فأرسل الرسالة الخاصة بالبطريق مرقيانوس الى المنذر،وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى البطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف بما أراد القيصر أن يفعله به،غضب غضباً شديداً،وتصالح مع قابوس،وصارا يهاجمان بلاد الشأم.فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خانه،وانه أخبر المنذر بالمؤامرة، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ولما صار (طيباريوس) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدّره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطاف سنيّة ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق[1] .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر (طيباريوس) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشأم من قبل الا (الاكليل) ، ودرجته دون درجة (التاج)[2] . وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وفضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما أنعم على ولديه بدرجات عسكرية[3] .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب (الطبيعة الواحدة) والمدافعين عنه، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة (٥٨٠ م) لمعاضدة هذا المذهب والدفاع عنه،كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطاركة رغبتهم في ذلك وعدم ممانعتهم فيه[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 80, 82.

٢ غسان (ص ٢٦) . J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271.

٣ J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

٤ غسان (ص ٢٧) ، المشرق ، السنة ٣٤ جـ ١ (ص ٦٤) ، السنة ١٩٣٦ ، J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريج لايصال الماء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذي المكانة العظيمة عند عرب الشأم . وظهر من كتابة عثر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدّد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي[1] .

ولم تمنع قدسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غزو المدينة[2] ، وهدّم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولحمايتها من الهجمات أحاطها القيصر (يوسطنيانوس) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم[3] .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بناء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا اليه أحسن المعمارين والبنّائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم(البرج). وقد عثر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء[5] .

ولما حاول الروم غزو حدود الفرس في سنة (٥٨٠ م) ، وجدوا الجسر المنصوب على نهر الفرات مهدّماً ، فاضطروا الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع الفرس ، وانه هو الذي أوعز بهدم الجسر ، ليكتب للحملة الاخفاق ، وقرروا القبض عليه والايقاع به ، انتقاماً منه للخيبة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً اياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم ، ورغبته في الخروج على طاعتهم، فقرروا الانتقام منه بقتله، فأصدروا الى حاكم بلاد الشأم (ماكنوس) (Magnus) صديق

---

١ Kirchengeschichte., V, S. 315, H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrestiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264, 323.

٢ ديوان الاخطل (ص ٣٠٩) ، (طبعة الصالحاني) ، Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

٣ Musil, Palmyrena, P. 264, Rusafah, P. 12.

٤ Provincia Arabia, II, P. 175.

٥ Wetzstein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنذر أمراً سرياً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بنـــاء كنيسة في (حوارين) ، وقد عزم (ماكنوس) عـلى تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الاقامة فيها مع احدى نسائه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان يكرهه ويعاديه ، أمر بنفيهما الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام[١] .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين، ونسب اليه بناء (حربا) وموضع (زرقا) على مقربة من الغدير[٢] . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك المدة ، فقد حكم عـلى رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد[٣] .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد (ماكنوس) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعدّ ليتولى مقام أخيه ، غير انه توفي بعد أيام . ولمـا كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلتـــه ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه[٤] .

وكان موضع (حوارين) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعـد ارتحال (ماكنوس) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين، ثم عادوا بغنائم كثيرة الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم[٥] .

---

١ غسان (ص ٣٠ وما بعدها) .
Evagrius, 6, 2, Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82, J. J. of Ephesus, Eccl. His., III, PP. 40, 42, 54, Provincia Arabia, II, P. 175.

٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

٣ Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان (ص ٢٢ وما بعدها) .Evagrius, 6-2.

٥ Musil, Palmyrena, P. 38.

وذكر ابن العبري ان النعمان لما بلغته رسالة القائد ماكنوس لم يذهب اليـه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان. فلما وصل الشاب الى القائد ، سألـه : أأنت النعمان ؟ فقال لـه : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدوّ الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين للقائد أنـه لم يكن النعمان ، همّ بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير[1] .

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتذر اليه،وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه (موريقيوس) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية (طياية) هي على المذهب الحنيف (الأرثدوكس) (Orthodox) ، وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفـل راجعاً ، قبض عليه ونفي[2] .

لقد تصدّع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم،وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو (٥٨٤ م) على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العبري الى انهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكـر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث[3]،وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائـل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين عـلى التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائـل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82.

٢ Bar Hebraeus, I, P. 82.

٣ غسان (ص ٣٣ ، ٣٥) .

٤ Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143.

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر حمزة ان الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة سنة وستة أشهر[1] .

وزاد في رَبْك وضع الغساسنة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد الشأم سنة (٦١٣ – ٦١٤ م) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشأم ، وصار عرب بلاد الشأم أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الغساسنة ومنافسيهم .

وقد تمكن الغساسنة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة (٦٢٩ م) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا عليها ومن إجلائهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار أبت ان تبقيهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشأم ، فأكرهتهم على فتح أبوابها للإسلام ، فتساقطت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الخريف . وصارت دمشق درة بلاد الشأم من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الغساسنة ، فقد ولى ، ولم يبق للغسانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خمد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان، فعُدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ، حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم وتنازعهم بينهم. أما الموارد الاسلامية ، فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى ايام الفتح الاسلامي . ومن هذه الموارد تأريخ حمزة الاصفهاني، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان حتى انتهى بآخرهم وهو جبلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ، لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من المؤرخين .

وأنا لا استطيع أن اوافق حمزة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

---

١ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

وفي ترتيبهم على النحو المدوّن في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً،وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تمسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخـاصمهم ، ولهذا كثرت أسماؤهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مدّ حكمهم وانكمش فاقتصر على البوادي، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكناهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمـزة ان أبين رجـل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ (الأصغر) ثم (عمرو بن الحارث) ، وهو الذي مدحه (النابغة) ، ثم (النعمان بن الحارث) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للنابغة الذبياني ، ثم (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، و (جبلة بن الأيهم) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فإننا نجاريه في ترتيبه لهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين (المنذر بن الحارث) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقّبه بلقب (الأصغر) وكنّاه بـ (أبي شمر)[1] .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ (حارب) ونسب اليه بناء (قصر حارب) و (محارب) و (صنيعة) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب اليه بناء (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف)[3] .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحـد

---

١ حمزة (ص ٧٨) ، المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .
٣ حمزة (ص ٨٧) .

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل السدير ، وبنى قصر (الفضا) (قصر الفضة) و (صفاة العجلات) و (قصر منار)[1] .

وعمرو هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني،وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة أنشأ في دمشق وضواحيها – على حد قول أهل الأخبار – عدة قصور شامخات ، منها : قصر الفضة ، وقصر (صفات العجلات) ، وقصر منار . وقد صوّر في بعض هذه القصور مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته ، وأشكال صورته . ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة[2] .

ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مدح عمرو بن الحارث ، قصيدته البائية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وقد أوغل فيها في مدح الغساسنة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عيون شعره . وقد قال هذا الشعر حينما اختلف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي وصف به زوجة النعمان (المتجردة) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا به الى النعمان ، فهرب منه ، وانحاز الى خصومه آل غسان . ولجأ الى زعيمهم في تلك الأيام ، وهو (عمرو بن الحارث)[3] .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني) ، في جملتها أبيات يعتذر النابغة فيها اليه من وشاية أثارت حنق عمرو عليه ، فنظمها في استرضائه، وقد ذكر فيها انه اكرمه وحباه بمئة من الابل ، وانه يريش قوماً ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم[4] .

ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل بروضته نعمى فذات الأجاول

---

١ حمزة (ص ٨٧) .
٢ البطليوسي (ص ٧) .
٣ ديوان النابغة الذبياني (ص ٩ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٢٩) .
٤ ديوان النابغة (ص ٤٦) (بيروت ١٩٢٩) .

خبر غزو قام بـه (عمرو بن الحارث) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها على ما يظهر من هذه القصيدة[1] .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعـد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد. وذكر أنه كان سيّارة جوّاباً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما[3] .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً، وانما كان غازياً يغزو بها بالجيوش، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء (السويدا) و (قصر حارب)[4] .

وذكر حمزة ان (عمرو) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر انه ، أي النابغة (ذكر أباه المنذر بقوله)[5] :

وقصر بصيداء الّتي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه الى أن الشخص الممدوح هو (النعمان بن عمرو) ، فان رواة هذا الشعر يذكرون ان الملك الممدوح الذي قصده النابغة بمديحه ، هو (عمر بن الحارث بن أبـي شمر) المتقدم ذكره ، وهو شقيق (النعمان بن الحارث ابن أبـي شمر) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به[6].

١ ديوان النابغة (ص ٨٥) (بيروت ١٩٢٩ م) .
٢ حمزة (ص ٧٨) .
٣ حمزة (ص ٧٩) .
٤ حمزة (ص ٧٩) .
٥ حمزة (ص ٧٩) .
٦ ديوان النابغة (ص ٩ وما بعدها) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنــه جبلة وزعم ان منزله بـ (صفّين) ، وانه صاحب (عين أباغ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة[١] .

ثم ملك – بعد جبلة – النعمان بن الأيهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لخم خربها ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة[٢] .

ويرى (الويس موسل) ان النعمان هذا كان قــد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦م) ، وانه قد احتمى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لخزن الماء[٣] .

وذكر حمزة اسم (المنذر بن النعمان) بعد النعمان بن الحارث ، وهـو ابنه . قال : ولم يحدث شي في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة[٤] .

ثم صار الحكم من بعده – على رأي حمزة – الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر[٥] .

ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعـل حمزة ملكه اثنتي عشرة سنة . ثم صيّر الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة[٦] .

وصيّر حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر). وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً[٧] .

ثم صيّر حمزة الحكم الى (الحارث بن جبلة) ، وهو على رأيــه ابن الملك المتوفى (جبلــة بن الحارث) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً بـ (الحارث بن أبي شمر) ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

---

١ حمزة (ص ٧٩) .
٢ حمزة (ص ٧٩) .
٣ Musil, Palmyrena, P. 267.
٤ حمزة (ص ٧٩) .
٥ حمزة (ص ٧٩) .
٦ حمزة (ص ٧٩ وما بعدها) .
٧ حمزة (ص ٨٠) .

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[1] . ويجب أن يكون هذا الحارث هو (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً اليـه ، حمله اليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد (الحارث بن جبلة) ، هو ابنه (النعمان بن الحارث) ، وكنيته (أبو كرب) ، ولقبه (قطام) ، وهو الذي بنى مـا أشرف على (الغور الأقصى) . وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثـة أشهر[2] .

وقد أخطأ حمزة في إضافة لقب (قطام) الى النعمان بن الحارث ، ولا نعرف ان أحداً اضاف هذا اللقب اليه .

ونجد للنابغة الذبياني أشعاراً في مدح (النعمان) المذكور،وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومـه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعرابهم . وكان قومه (بنو ذبيان) وحلفاؤهم (بنو أسد) الى جانب عرب الحيرة ، وكانوا ينقمون عـلى الغساسنة ويغيرون دوماً على أرضهم ، فيتدخل النابغة لـدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل اليهم في فك أسرهم . ولما أغار قومه على وادي (ذي اقر) ، نهاهم النابغـة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهوّلهم بكثرة ما لدى (النعمان بن الحارث) ، من جموع وحشود ، غير انهم لم يهتموا بنصح النابغة ، ولم يحفلوا بتخويفه لهم ، بل عدّوا نصيحته هذه لهم من امارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب (النعمان) بقيادة (النعمان بن الجلاح الكلبي) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن (ابن الجلاح) سبى ستين أسيراً وأهداهم الى قيصر الروم[3] . ولم يتطرقوا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة الى اهـداء هؤلاء الأسرى الى الروم . وأعتقد ان اقحام (قيصر الروم) في هذا الاهداء ، هـو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هـذه المبالغات . إلاّ أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم (ابن الجلاح) الذي تعقبهم ، من وقع في أسره الى حاكم من حكّام الروم لتأديبهم .

---

١ حمزة (ص ٨٠) .
٢ حمزة (ص ٨٠) .
٣ ديوان النابغة (ص ٥٤) (بيروت ١٩٢٩ م) .

وقد طلب (النابغة) في شعره في وصف هذه الغارة من (حصن بن حذيفة) سيد (ذبيان) ومن (ابن سيّار) فك من وقع أسيراً من النساء دفعاً للخزي والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي العضاريط من الأتباع والأجراء .

ونجد النابغة يحذّر (النعمان) من غزو (بني حُن بن حرام) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعاب . فلما أبى إلا قتالهم، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمدوا بني حُن ، ففعلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حُن وبنو ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حُنٍ ببرقة صادر
تجنب بني حُنٍ فان لقاءهم كريه، وإن لم تلق إلا بصابر

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويفه اياه من عاقبة هذه الغارة [1] .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حُن بن حرام ، وهم من عذرة ، انهم كانوا قد منعوا (وادي القرى) عن عدوهم ومن أهله وحموه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمنّعوا بثمره ، وطردوا (بَليّاً) ، وهم من (بني القين) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفوهم الى غير بلادهم، وهم الذين ضربوا أنف الفزارى ، وهم الذين منعوها من قضاعة كلها ومن (مضرَ الحمراء) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به (أبا جابر الجلاّس ابن وهب بن قيس بن عبيد) ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون[2] .

ويظهر من شعر للنابغة ان (النعمان) كان قد غزا تميماً وقيس وائل ، وانه أوجعهم ، وقد غزاهم في الربيع[3] .
وللنابغة أشعار أخرى في مدح (النعمان) هذا ، منها أبيات استهلها بقوله :

---

١ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) (بيروت ١٩٢٩ م) .
٢ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) .
٣ ديوان النابغة (ص ٨٢) .

واللهِ واللهِ لنعم الفتى إذ أعرجُ، لا النكسُ ولا الخامل[1]

وقد أدرك النابغة أجل (النعمان بن الحارث بن أبي شمر) ، اذ مات مقتولاً فرثاه بقصيدة ، يظهر منها انه كان يكنى بـ(أبي حجر) ، وانه قبر في موضع يقع بين (بصرى) و (جاسم)[2] .

وقد غزا (النعمان) العراق ، ولا يستبعد (نولدكه) أن يكون هو الذي قصده المؤرخ (ثيوفلكتوس) حين تحدث عن غزوٍ قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة (٦٠٠ م)[3] .

وقد مدح النابغةُ (النعمان بن الحارث الأصغر) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اننا نستطيعها[4]

ورثى (النابغة) النعمان في قصيدة جاء فيها ان شيبان وذهلاً وقيس بني ثعلبة وتميماً سُرّوا بوفاته ، لأنهم أمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم[5]. ويظهر من شعر النابغة فيه انه كان محارباً يغزو القبائل ، ولذلك هابته . وقد بكاه بقوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه وجوران منه خاشع متضائل[6]

وذكر (ابن قتيبة) ان النابغة لما صار الى غسان ، انقطع الى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني) والى أخيه (النعمان بن الحارث) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه ان الذي قُذف به عنده باطل ، فبعث اليه من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زبّان بن سيّار ومنظور بن سيار الفزاريين ، وقبل عذره ورحب به[7] .

---

١ ديوان النابغة (ص ٩٠) .
٢ ديوان النابغة (ص ٨٤) .
٣ غسان (ص ٤٢) ، Theophylactus, Historiae, 8, I.
٤ البطليوسي (ص ٥٧) .
٥ البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .
٦ حمزة (ص ٨٠)
٧ الشعر والشعراء (ص ٧٧) (النابغة الذبياني) .

ثم ملك بعده – على رأي حمزة – الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب (تدمر) و (قصر بركة) و (ذات أنمار) وغير ذلك[1] .

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة[2] .

ثم صار الملك الى شقيقه (شراحيل بن جبلة) على رواية حمزة . وكان ملكه خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر[3] .

ثم انتقل الحكم الى (عمرو بن جبلة) بعد وفاة (شراحيل) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين[4] .

ثم حوّل حمزة الحكم الى (جبلة بن الحارث) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة). وهو على رأيه ابن أخيه . وجعل حكمه أربع سنين[5] .

ثم صيّر حمزة الملك الى (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية)، وهو على رأيه آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم ثم تنصر ، ولجأ الى الروم[6] . وقد سرد المسعودي نسبه على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة)[7]،وسرده على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن) في مكان آخر[8] .

وذكره (ابن عبد ربه) على هذه الصورة: (جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني)[9] . وذكر (الذهبي) أن الأصل هو (الأهيم) ، لا (الأيهم) ، وكنّاه بـ (أبي المنذر) ، وقال إنه كان ينزل (الجولان)[10] .

---

١ حمزة (ص ٨٠)
٢ حمزة (ص ٨٠)
٣ حمزة (ص ٨٠)
٤ حمزة (ص ٨٠) .
٥ حمزة (ص ٨١) .
٦ حمزة (ص ٨١) ، المحبر (ص ٣٧٢) ، لسان العرب (١١/٩٦) .
٧ التنبيه (ص ١٥٨) .
٨ مروج (٢/١٠٨) ، (٢/٣٠) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٩ العقد الفريد (١/١٨٧ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) .
١٠ تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢/٢١٤) (نسخة دار الكتب المصرية) .

وقد وُصِف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكـان اذا ركب مسحت قدمه الأرض[1] .

وقد ورد اسم (جبلة بن الأيهم) في أخبار الفتوحات الاسلامية لبلاد الشأم، إذ ذكر في (فتوح البلدان) للبلاذري : أن (هرقل) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم (يوم اليرموك) ، بعث على مقدمتـه (جبلة بن الأيهم الغساني) في مستعربة الشأم من لخم وجذام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن (جبلة) انحاز في القتال الى الأنصار قائلاً : « أنتم إخوتنا وبنو أبينا ، وأظهـر الإسلام »[2] . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار الى (مرج الصفر) ، لقي عليـه غسان ، وعليهم (الحارث بن الأيهم)[3] . ولم يشر الى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقـع للرواة ، فصار (جبلة) عند بعض ، وصار (الحارث) عند بعض آخر ، ولعل مرده الى سهو وقع من النساخ .

ولحسّان بن ثابت شعر في مدح (جبلة بن الأيهم) ، وفي ذكر ملكه وملك (آل جفنة) ، يظهر منه شدة تعلقه بهم على بعده عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالاسلام[4] . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها (جبلة ابن الأيهم) منها :

أشهرنهـا فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل يماني[5]

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار (جبلة ابن الأيهم) ، وعنده (النابغة) و (علقمة بن عبدة) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثمئة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد ، في كل عام مثلها . وتـذكر رواية أخرى ان الشخص الذي زاره (حسان) هو (عمرو بن الحارث الأعرج) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنانير[6].

---

١ المعارف (ص ٢٨١) .
٢ فتوح البلدان (١٤١ وما بعدها) ، (القاهـــرة ١٩٠١ م) .
٣ الطبري (٢/٤١٠) (دار المعارف بمصر) .
٤ مروج (٢/١٣) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البرقوقي (٤١٤ ومـا بعدهـا) .
٥ مروج (٢/٣١) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) .
٦ الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) .

وذُكر ان (جبلة بن الأيهم) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حساناً قد صار مضرور البصر كبير السن ، أرسل اليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية اليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر ... لم يغذهم آباؤهم باللؤم
لم ينسني بالشأم إذ هو ربُّها ... كَسلاً ولا متنصراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل غسان[1].

وقد اتفقت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جبلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب ردته الى ان أعرابياً من فزارة وطىء فضل إزار جبلة وهو يسحبه في الأرض بمكة ، فلطمه جبلة ، فنابذه الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعدّ جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففرّ الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتداً حتى وافته منيته[2] . ولكن رواية (ابن قتيبة) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام، اذ جعلته مدينة (دمشق) ، قالت : « وكان سبب تنصره انه مرّ في سوق دمشق ، فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه ، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة ان هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر اللهُ بالقصاص ، فهي لطمة بلطمة . فخرج جبله ولحق بأرض الروم وتنصر »[3] .

ونجد خبر (ابن قتيبة) المذكور مدوناً في كتاب (الطبقات) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وكتب باسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب،

---

١ البرقوقي (ص ٣٩١ وما بعدها) .
٢ مروج (٢/٣١ وما بعدها) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ابن خلدون (٢/٥٨٦) ، تأريخ الخميس (٢/٦١) ، الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) .
٣ المعارف (ص ٢٨١) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فلطمه، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة،قال : فليلطمه، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر اللهُ، تبارك وتعالى بالقود. قال جبلة : أو ترون اني جاعل وجهي نداً لوجه جدي جاء من عمق ! بئس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشقّ عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام الي عمر بالدرة فضربه بها »[1] .

وذكر بعض أهل السيَر والأخبار ، ان الرسول كتب الى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه[2] . وذُكر أن (شجاع بن وهب) انما بعثه رسول الله الى جبلة ، فأسلم[3] ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجولان[4] .

وتزعم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة (عمر) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه. وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الاكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : انه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة[5] . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسمئة فارس من علك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه[6] .

وقد ذكر (البلاذري) أن (جبلة بن الأيهم) حكم بعد (الحارث بن أبي شمر) . وروى أنه لما قدم (عمر) الشأم سنة (١٧) للهجرة ، حدث أن لطم

---

١ طبقات (١/٢٦٥) .
٢ تأريخ الخميس (٢/٦١) .
٣ ابن خلدون (٢/٢٨١) .
٤ تأريخ الاسلام ، للذهبي (٢/٢١٤) ، (نسخة دار الكتب المصرية) .
٥ ابن خلدون (٢/٢٨١) .
٦ العقد الفريد (١/١٨٧ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(جبلة) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالاقتصاص منه ، فقال : او عينه مثل عيني ! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم[1] .

وتذكر رواية أن (جبلة بن الأيهم) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة[2] .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبينه وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قط والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فإنها قريبة من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعده على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وانما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشأم معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد. وما هذا الذي روي عن اسلامه وعن زيارته ليثرب ولمكة إلا من قصص القصاص وضعوه فيما بعد .

إنّ ما يذكره أهل الأخبار من ملك (جبلة) ، لا يخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال (هرقل) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشأم منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكروه من احتفال الروم في القسطنطينية .ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

---

١ فتوح البلدان (ص ١٤٢ وما بعدها) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٨١) .

الى حين وفاته[1] . بل لقد شك بعض المستشرقين مثل (نولدكه) حتى في موضوع تملكه وتولية الحكم له على عرب الشأم[2] .

ونجد في خبر فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد تزعم قومه وجاء في (طواف من غسان وتنوخ) لنجـــدة أهل (دومة الجندل) . وقد دعاه (الطبري) ، (ابن الأيهم) . ولم يشر الى اسمه[3] .

ونجد في (العقد الفريد) وصفاً لمجلس (جبلة) ولمسكنه في القسطنطينيـــة لا يخلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قـد أرسله الى (هرقل) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الموفد أن (هرقلاً) هو الذي أشار عليه بزيارة قصر (جبلة) فلما ذهب اليه ، وجد عـلى بابه من القهارمة والحجّاب وكثرة الجمع مثل الذي عـلى باب (هرقـل) ، ثم وصف مجلسه وأرائكه المرصعة بالجواهر ، وغناء الجواري في مجلسه بغناء حسان بن ثابت مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك الفارين[4] .

واسم الرسول المذكور هو (جثامة بن مساحق الكناني)[5] . ويـــذكر بعض أهل الأخبار أن الخليفة معاويـــة أرسل (عبدالله بن مسعود الفزاري) الى ملك الروم فوجد عنده (جبلة بن الأيهم)،فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملبس والمأكل والمسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوّ في الكلام ، على نمط ما رأيناه في وصف (جثامة)[6] . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرو ة قد أخطأوا في هذا الخبر ، فنسبوه مرة الى رسول عمر ،ونسبوه مرة أخرى الى رسول معاوية.

ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكاً ، ملكوا ستمائة وست عشرة سنة[7] . أما (المسعودي) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً[8] .

---

١ العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
٢ غسان (ص ٤٥) من النص الالماني ، Provincia Arabia II, S. 174.
٤ الطبري (٣٧٨/٣) (خبر دومة الجندل) .
٣ راجع الوصف في العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
٥ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) .
٦ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) ، البرقوقي (٢٣٤ وما بعدها) ، ابن قتيبـــة ، الشعر (٢٢٣) .
٧ حمزة (ص ٨١) .
٨ مروج (٣٢/٢) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) ، ابن خلدون (٢٨١/٢)

وقد رتّب المسعودي أسماء الملوك على هذا النحو : (الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم (النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) ، ثم (المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة) ، ثم (عوف بن أبي شمر) ، ثم (الحارث بن أبي شمر) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم[1] .

والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الغساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وستمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير ، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة لملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة (ابن قتيبة الدينوري) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة (حمزة) وعن قائمة (المسعودي) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل (الحارث بن عمرو) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج ، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان ، وهو شقيق الحارث الأصغر .

وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال ان فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من يغر الدهر أو يأمنه   من قتيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى   جانبي أيلة من عبد وحر[2]

وقال (ابن قتيبة الدينوري) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، الذي كان النابغة صار اليه حين فارق النعمان بن المنذر ، وفيه يقول النابغة :

---

١ مروج (٢/٣٠) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) ، (٢/٨٣ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

٢ المعارف (ص ٢٨١) .

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة	لوالده ليست بذات العقارب

قال : وكان يقال لعمرو أبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنــذر بن الحارث ، والأيهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان[1] .

وقد ذكر في كتب السيَر والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول اليه شجاع بن وهب ليطلب اليه الدخول في الاسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشأم ، وكان له قصر منيف وحجّاب[2] . وذكر الطبري أنه كان (صاحب دمشق)[3] . وقــد أدخله (محمد بن حبيب) في جملة (العرجان الأشراف)[4] . وقد عرف بـ (الحارث الأصغر) في شعر لحسان بن ثابت[5] .

وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو (الحارث) معاصر (جبلة بن الأيهم) الذي أشار حسان اليه .

وقد كان (حسان بن ثابت) زار الحارث بن أبي شمــر الغساني ، وكان النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة، لقد نبئت أنك تفضل النعمان عليّ فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على النعمان حتى سرّ الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله نثراً فيه في أبيات زادت من سروره ، وحصل على جوائزه وعطاياه[6] .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يفد على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة في أهله . فقال : « لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإنّ له قرابة ورحماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يئس مني أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي الى جبلة » . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم على الحارث ، وقد هيأ له مديحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : « إن الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

---

١ المعارف (ص ٢٨١) .
٢ السيرة الحلبية (٣/٢٥٥) ، (طبعة مصر) ابن خلدون (٢/٣٦) .
٣ الطبري (٢/٦٥٢) (دار المعارف) .
٤ المحبر (ص ٣٠٤) .
٥ البرقوقي (ص ١٨٢) .
٦ البرقوقي (ص ١٨١ وما بعدها) ، مروج (٢/٣١) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميـد) .

فانما يريد أن يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره » . ثم نصحه بنصائح أخرى تنم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته عنده وصار يدعوه ، ثم حياه وأعطاه خمسمئة دينار وكسي وألطافاً وعاد الى أهله[1].

ولو صح هذا الخبر ، فانه يدل على ان أمر الغساسنة في هذا الوقت لم يكن واحداً ، وان حكمهم كان قد تبدد وتشتت . وان جبلة بن جبلة كان يحكم على جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بحلية الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً آخرين كانوا ينازعونهما الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب (ملك) ، اللقب الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو (شيخ) عشيرة في اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا انه كان قائداً من قواد (الحارث بن أبي شمر) ، ودعوه بـ (النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي) ، وذكروا أنه أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبى سبياً من غطفان . وأخذ (عقرب) بنت النابغة الذبياني . فلما سألها ، فانتسبت الى أبيها ، منّ عليها ثم أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة[2] . وسبق أن تحدثت عن (النعمان بن الجلاح الكلبي) في أثناء كلامي على الملك (النعمان بن الحارث) حين أغار قوم النابغة على أعراب (النعمان بن الحارث) بوادي أقر ، وكان النابغة قد نهى قومه وحذرهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه ، فأوقع بهم (ابن الجلاح) خسائر فادحة .

وفي ديوان حسان قصيدة ، مطلعها :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لو كان للحارث الجَفْني أصحاب

يذكر شُرّاحها أنه نظمها في رثاء (الحارث الجفني) ، وقالوا إن الحارث

---

١ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) .
٢ الاشتقاق (٣١٦/٢) ، ديوان النابغة (ص ٣٢ ، ٤٠) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبـي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى بل يظهر من أبياتها أن العدوّ أوقع به فقتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن من معه لم يكونوا من (جذم غسان) وإنما كانوا من (مأشبة الناس) اي جماعة أوشاب الناس وأوباشهم أي الأخلاط التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء لا تكرثهم الهزيمة ، ولا يبالون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا عجب ان أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس[1] .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبـي شمر ، كان قد توفي قبل (جبلة بن الأيهم) . وذلك لرثاء حسان له ولاجماع أهل الأخبار على ان جبلة عاش أمداً بعد ظهور الاسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيداً عن بلاد الشأم وعن أرض آبائه وأجداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول أرسل شجاعاً بن وهب الى رجل من غسان اسمه (المنذر بن الحارث بن أبـي شمر الغساني) . يدعوه الى الإسلام[2] . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور .

وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه (عدياً) ، وقالوا إنه ابن اخت الحارث بن أبـي شمر الغساني ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقيته (بنو سعد ابن ثعلبة بن دودان) بالفرات ، ورئيسهم (ربيعه بن حذار الأسدي) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً[3] . وقد سمي (محمد بن حبيب) هذا اليوم الذي وقع فيه القتال (يوم الفرات)[4] .

وأشار الواقدي الى ملك غساني اسمه (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، وذكر أنه قتل رسولَ رسولِ الله الى ملك بصرى في مؤتة[5]. ويشك (نولدكه) في نسبة هذا الأمير الى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه (سدوس) و (بر) ، ونسبه في هذا الموضع الى الأزد . ثم انه لم يكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم[6] .

---

١ البرقوقي (ص ٢٩) .
٢ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
٣ الاغاني (١٩٩/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) .
٤ المحبر (ص ٢٤٧) .
٥ الواقدي (ص ٣٠٩) ، (طبعة ولهوزن) ، السيرة الحلبية (٦٦/٣) .
٦ غسان (ص ٤٨) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك (غسان) قالوا له (قرص)، لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن (عدي) قالوا : انه ابن (أخي قرص الغساني) ، وكان (عدي) هذا قد غزا (بني أسد) فقتلوه، وأوردوا في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عديّ رماح بني مقيــدة الحمار
ولكـــني خشيت على عديّ رماح الجن أوايّاك حار[1]

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص)، هو (عدي) المتقدم ولا شك .

وقد وفد (حسان بن ثابت) على (عمرو بن الحارث) ، فاعتاص الوصول اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلاّ هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده (النابغة) وهو جالس عن يمينه ، و (علقمه بن عبدة) وهو جالس عن يساره ، فقال له (عمرو) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ، فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هـذين السبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي » ثم تلا عليه شعراً مما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا ان يقول شعراً فيــه ، وطلب من الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال فيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل[2]

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي (جابية الجولان) ، و (البُضيع) أو (البضيع) ، وهو جبل قصير أسود على تـل بأرض البلسة فيما بين (سيل) و (ذات الصنمين) و (حومل) و (مرج الصفرين) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و (جاسم) ، وهي قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

---

١ ديوان حسان ، (ص ٢١٩) ، (البرقوقي) ، (ص ٧٩) (هرشفلد) .
٢ ديوان حسان (ص ٣٠٥) ، (البرقوقي) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها خربت، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح[1] .

ثم تطرق الى ذكر من كان ينادمهم بـ (جلق) ، وهو موضع قيل انه بقرب دمشق ، وقيل انه (دمشق) : كيف كانوا كرماء أجواداً يجودون على من يفد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الحلل القشيبـــة المضاعف نسجها ، ويجيرون من يستجير بقبر أبيهم (ابن مارية الكريم المفضل) ،فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلابهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنست بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من (البريص) ، ومن (بردا) ، وهما نهران بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكـر (قصر دومة) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق متنطف،أي مقرّط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه[2] .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسنة ، ويظهر أن سلطان البيزنطيين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر ببساتينه وبكثرة أشجار الزيتون به، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعـــر أبـي نواس[3] . وكان الغساسنة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار[4] .

وقد ترك الروم ساقتهم بـ (ثنية جلق) ، وعليها صاحب الساقـة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسنة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان[5] .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونَفَسها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر،

---

١ ديوان حسان (ص ٣٠٧) ، (البرقوقي) ، (ص ٣٢) ، (هرشفلد) .
٢ البرقوقي (ص ٣٠٨ وما بعدها) .
٣ اللسان ، مادة (جلق) ، البلدان ، (جلق) .
٤ الموسوعه الاسلامية (٨٦/٧) ، الاغاني (٢/١٤) اللسان (٣٦/١٠) .
٥ الطبري (٣٩٢/٣) .

ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الغساسنة) ، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتله كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حملت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها [1] . ويظهر من سياق الشعر الذي رثي به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أفول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعلّه كان قد قتله بعد احتلال الفرس لبلاد الشام. فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المناوئين لهم ، ولذلك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار (أبو الفرج الأصبهاني) الى أمير غساني سمّاه : (يزيد بن عمرو الغساني) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم [2] . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث الى (النعمان الغساني) ، على حين تنسبه روايات ثالثة الى آل لخم ويرجح نولدكه الرأي الأخير [3] .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ (سلامة بن روح بن زنباع الجذامي) ، وكان يلي العشور للروم . ولا بد أن يكون ذلك في أيام الغساسنة المتأخرين . وقد شبهه بـ (دمية في لوح باب) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معلقاً على لوح باب [4] .

ومن الأماكن التي وردت في شعر (حسان بن ثابت) على أنها من مواضع الغساسنة (الجواء) و (عذراء) ، وهما موضعان بالشأم بأكتاف دمشق . والى (عذراء) هذه يضاف (مرج عذراء) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرها (حصان) في شعره [5] . وذكر كذلك (بطن جلّق) و (البلقاء) ، و (المحبس) و (السند) و (بُصْرى) و (جبل الثلج) [6].

أما ما يفهم من شعر (حسان) وغير حسان من شمول ملك الغساسنة مدينة

---

١ البرقوقي (ص ٣٨٧ وما بعدها) .
٢ الاغاني (١٠/ ٢٨ وما بعدها) .
٣ غسان (ص ٤٨) .
٤ البرقوقي (ص ٢١٩) .
٥ البرقوقي (ص ١ وما بعدها) .
٦ البرقوقي (ص ١١٠) .

(دمشق) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن نحمله محمل المجاز أو محمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تأريخي يقول باستيلاء الغساسنة على (دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التأريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشأم ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأصلح لهم تركها الى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة اليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأملاك اشتراها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في (دمشق) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي اوروبة يقيمون فيها بعض الوقت للتسلية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صوّر الشأم وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان (آل جفنة) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم . وقد أشير الى رجل عرف بـ (أرطبان المرني) ، قيل انه كان (شماساً) في (بيعة غسان)[1] ، مما يدل على انها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى الى الغساسنة ، وذلك بالاضافة الى الأماكن التي سبق ان تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا ان منزل (جبلة بن النعمان) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ[2].

ومن الأماكن المنسوبة الى الغساسنة موضع (حارب) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب الى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر بجلق   وقبر بصيداء التي عند حارب[3]

وورد (قصر حارب) . وقد نسبه (حمزة) الى النعمان بن عمرو بن المنذر[4] .

---

١ الاصابة (١٠٢/١) .
٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الاول ، (ص ٥٨٦) .
٣ البلدان (١٨٣/٢) ، البكري ، معجم (٤١٧/١) ، المعاني الكبير (١٠١٥/٢)
٤ حمزة (ص ٧٩) ، الهمداني ، صفة (ص ١٧٩) .

ويذكر أهل الأخبار (السويداء) في جملة الأماكن التابعة للغساسنة . وقد رجع (حمزة) بناءها الى (النعمان بن عمرو بن المنذر)[1] . وتقع في (حوران)[2] .

والرصافة من المواضع المهمة عند الغساسنة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الغساسنة ، وكانوا يتبركون بزيارة قبره،ويتقربون اليه بالهدايا والنذور . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا باصلاح ما كان يتهدم منها . فقام (النعمان بن الحارث بن الأيهم) باصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان (النعمان بن جبلة) فيمن أقام بها [3] .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيّرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والامارات التي تكوّنت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزماً . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلّص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق،والى فلسطين الثانية و (الكورة العربية) و (فلسطين الثالثة) و (فينيقية لبنان) . والى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان[4] . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير،لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى (خليج العقبة)[5] .

وتعدّ منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قُبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الاداري عند الروم،وبها كان في الغالب مقر آل غسان[6] . وقد اشتهرت (الجابية) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

---

١ حمزة (ص ٧٩) .

٢ الحموي ، المشترك (ص ٣١١) ، مراصد الاطلاع (٢/٧٠ وما بعدها) .

٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .

٤ غسان (ص ٥١) .

٥ المشرق ، السنة الاولى ، حزيران ١٨٩٨ م (٤٨٥) .

٦ غسان (ص ٥١ وما بعدها) ، John of Ephesus, 4, 22.

كما عرفت أيضاً بجابية الجولان[1] .

وقـد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشتى الذي نقلت بعض أحجار جدرانه المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي (البرج) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار (المنذر) . أما بقيـة المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

أمراء غساسنة :

وذكر الأخباريون أميراً جفنيـاً دعوه (جفنة بن النعمان الجفني) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين، فأصاب في الحيرة مـا أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ عديّ بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقرٌ فأشعل جانبيها   وألهاك المروّح والعزيب[2]

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) اسم رجل من غسان ، دعاه (خالد بن جبلة الغساني) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جبَـلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا منذرين ، ونُعمانين ، فالمنذر الأول هو الذي قـام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمّال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلـة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة »[3] . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب (كسرى) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حـتى انتهى الى اليرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر »[4] .

---

١ Ency., I, P. 1029.

٢ الاغاني (١١٧/٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب) .

٣ الاخبار الطوال (ص ٦٨) .

٤ الاخبار الطوال (ص ٩١) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من (جبل الثلج) حتى جانبي (أيلة) ، وانهما غزوا أرض فارس[1] . ويرى (نولدكه) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُنّي بأبي حجر[2] .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عمراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر[3] . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويقتضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة (مشيخات) .

ويرى (ابن الأثير) أن : أبا جبيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وانما كان من (بني غضب بن جشم بن الخزرج) ،ذهب الى غسان فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم ، واليه ذهب (مالك بن العجلان الخزرجي) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأنجده وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان[4] .

ولعل (أبا جبيلة الغساني) ، الذي ذهب اليه الشاعر الجاهلي (الرمق بن زيد ابن غنم)[5] ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم في ديار الشأم[6] ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : «اليك ابن جفنة»[7] ،

---

١ من يغر الدهر أو يأمنه ... من قبيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبلَ الثلج الى ... جانبي أيلة من عبد وحر
الاغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، البرقوقي (ص ٢٠٥) .

٢ غسان (ص ٤٤) .

٣ الاغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

٤ الكامل ، لابن الاثير (٢٧٦/١) .

٥ البيان (٢٣٨/١) .

٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكا ... كراما بالشام ذات الرفيف
ديوان الاعشى (ص ٣١٥) ، (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، (ص ٢١١) (طبعة كاير) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .

٧ اليك ابن جفنة من شقة ... دأبت السرى وحسرت القلوصا
القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الاعشى (ص ٢٠٧) ، (طبعة م. محمد حسين) ، (١٣٩) ، (طبعة كاير) (Geyer) ،

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل الينا اسم أمير من غسان ، هو (الشيظم بن الحارث الغساني) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غرة من القوم،فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض، حتى نزل بحي من (بهراء) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورمحاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدياً ، فأتى قبتة ، وقص قصته،فبعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم[1] .

قوائم ملوك الغساسنة :

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الاشارة الى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت اذا درست هذا الذي رووه عنهم ، وحللته تحليلاً علمياً لا تخرج منه الا بنتائج تأريخية محدودة ضيقة تريك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم الا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار واعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت اذا راجعت التواريخ مثل تأريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التأريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك الى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قيل فيها . فلولاه ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحتى القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً الى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه اظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد

---

١ النوادر ، للقالي (ص ١٧٩) ، (خبر الشيظم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيرا) .

أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية (ابن الكلبي) ، غير أنهم كما يظهر من مدوّناتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى، واستعان بعض آخر بما رواه (ابن الكلبي) وبما رواه غيره وأضافوا اليه مـا عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة (غسان) ، ولم يكونوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها،وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكمات وفي منطق التأريخ .

وقد درس (نولدكه) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلهـا ، وقارن الحاصل بما وجده في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبوكرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر النعمان . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن النعمان .

؟ ؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورتب (ابن قتيبة الدينوري) ، أسماء ملوك الغساسنة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو (الحارث الأكبر)،ويكنى (أبا شمر).

الحارث بن أبي شمر ، وهو (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) . وأمه (مارية ذات القرطين) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان .

ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأيهم بن الحارث . وهو أبو (جبلة ابن الأيهم) ، وجبلة آخر ملوك غسان[1] .

وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملكوا من آل غسان أحد عشر ملكاً ، ذكر منهم :

١ — الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن ماس (مازن) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .

٢ — الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .

٣ — النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

٤ — المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .

٥ — عوف بن أبي شمر .

٦ — الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .

٧ — جبلة بن الأيهم[2] .

وذكر المسعودي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً . ولم يذكرهم في قائمته كلهم[3] .

أما ملوك (الغساسنة) ، على ما جاء في (كتاب المحبر) ، فانهم على هذا النحو : (ثعلبة) ، فابنه (الحارث) ، فابنه (جبلة) ، فابنه (الحارث) وهو المعروف بـ (ابن مارية ذات القرطين) ، و (النعمان بن الحارث) ، و (المنذر) ابنه ، و (المنيذر بن الحارث) ، و (جبلة بن الحارث) ، و (أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن جفنة) ، و (الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

---

١ المعارف (٦٤٢ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٢ مروج (٢/٨٢ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
٣ مروج (٢/٨٦) ، (دار الاندلس) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحسحاس) وهو (حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزْد) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية، فلم يزل الملك فيهم حتّى كان آخرهم (جبلة بن الأيهم بن جبلة) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب[1] .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التى طبعها (هرشفلد) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالحارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الاسلام »[2] .

قائمة حمزة :

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان، القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

١ ــ جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .
٢ ــ عمرو بن جفنة .
٣ ــ ثعلبة بن عمرو .
٤ ــ الحارث بن ثعلبة .
٥ ــ جبلة بن الحارث .
٦ ــ الحارث بن جبلة .
٧ ــ المنذر بن الحارث .
٨ ــ النعمان بن الحارث .
٩ ــ المنذر بن الحارث .
١٠ــ جبلة بن الحارث .
١١ــ الأيهم بن الحارث .

١ المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ ديوان حسان (ص ٩٦) ، (هرشفلد) .

١٢ – عمرو بن الحارث .
١٣ – جفنة بن المنذر الأكبر .
١٤ – النعمان بن المنذر الأكبر .
١٥ – النعمان بن عمرو .
١٦ – جبلة بن النعمان .
١٧ – النعمان بن الأيهم .
١٨ – الحارث بن الأيهم .
١٩ – النعمان بن الحارث .
٢٠ – المنذر بن النعمان .
٢١ – عمرو بن النعمان .
٢٢ – حجر بن النعمان .
٢٣ – الحارث بن حجر .
٢٤ – جبلة بن الحارث .
٢٥ – الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .
٢٦ – النعمان بن الحارث (أبو كرب) .
٢٧ – الأيهم بن جبلة بن الحارث .
٢٨ – المنذر بن جبلة .
٢٩ – شراحيل بن جبلة .
٣٠ – عمرو بن جبلة .
٣١ – جبلة بن الحارث .
٣٢ – جبلة بن الأيهم .

وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي[1] . واكثر اعتماده في النقل على الطبري .

---

١ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبذ التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليح . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة[1] .

وقد ناقش نولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكّن من الحصول عليها،وأظهر ما فيها من خلل ونقص في نهاية ذلك البحث[2] .

١ ابن خلدون (٢/٢٨٠) .
٢ (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، (وصفحة ٥٣) من النص الالماني

الفصل الحادي والأربعون

العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكوّنوا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بأمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال،وفي اليمن جبل يسمى جبل (حُبَيْش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم،أي (حبشت) أو الحبشة[1] .

ويرون أيضاً ان (الجعز) أو (جعيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesani الذين وضع (بليني) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي . هاجر الى الحبشة وكوّن مملكة هناك[2] . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجعزية ، أي لغة الجعز[3] .

---

١ Beiträge, S. 75, 119, Conti Rossini, in Expeditions et Possessions des Habasat en Arabie, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Die Araber, I, S. 114, E. Littmann, in : Handbuch der Orietalistik, III, 2-3, 350, 376.

٢ Die Araber, II, S. 274.

٣ Die Araber, I, S. 114.

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موّنوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها،ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبئيون في القرن الخامس قبل الميلاد . وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل (البطالمة) في البحر الأحمر،وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر. غير أنها لم تنقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة فيما بعد الميلاد أيضاً ، فنزحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك[١] .

وقد تبين أن السبئيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) Ta'izziya من أرض (أريتريا) ونجد الحبشة ، وكوّنوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية[٢] . ولم يقطع هؤلاء السبئيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونه وارسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعلّ ما جاء في أحد النصوص من (مصر) الحبشة ، قصد به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقية[٣] .

وفي القرن السادس قبل الميلاد،كان الأوسانيون قد نزحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba ولـ (زنزبار) Zanzibar وهي (عزانيا) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ، باسم Ausaniteae ، وهو اسم يذكرنا بـ (أوسان) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) ، لحكّام Mapharitis[٤] . ويريد بهم حكام دولة (سبأ وذو ريدان)[٥] .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

---

١ Die Araber, I, S. 126.

٢ Arabien, S. 25.

٣ Glaser 1076, Arabien, S. 25.

٤ Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25.

٥ Arabien, S. 25.

(أكسوم) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهة السبئية (ذت بعدن) (ذات بعدن) (ذات البعد) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (يحا) الواقع شمال شرقي (عدوة) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان ، كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإله (سن) (سين) . وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين[1] .

وعرف ملك الحبش بـ (النجاشي) عند العرب . واللفظة لقب تطلقه العربية على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة (قيصر) ، اللفظة التي يطلقها العرب على ملوك الروم ، و (كسرى) التي يطلقونها على من حكم الفرس ، و (تبع) التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لفظة (ملك) على من ملك الحبشة . وقد ورد (ملك اكسمن)،أي (ملك اكسوم) وورد (ملك حبشت) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب اللفظة من الحبش . وهي في الحبشية بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً[2] . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية اذ لقب به (جدرة) مثلاً[3] .

ويظن ان مملكة (أكسوم) التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية ، قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكة ، دوّن بعض منها باليونانية مما يدل على تأثر ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك نشرت ثقافتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة (أكسوم) (اكسمن) نسبة الى عاصمتها مدينة (اكسم) (أكسوم)[4] .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنيتهم الى القرن الرابع أو ما بعد ذلك للميلاد . ويظن ان الملك (عزانا) Ezana وهو ابن الملك (الاعميدا) Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود الى عهده ، ترينا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وترينا الحديثة منها

١ Handbuch, I, S. 34.

٢ Die Araber, II, S. 293.

٣ Die Araber, I, S. 115, II, S. 295.

٤ Die Araber, I, S. 114.

أنه كان نصرانياً . مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه . ثم اعتنق النصرانية . فأدخل شعارها في مملكته . وذلك بتأثير المبشرين عليه[1] .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتدوين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير الى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الافريقيين بالثقافة العربية الجنوبية،أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الافريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها الى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قريبة من الساحل الافريقي ومن الممكن للسفن الوصول اليها وانزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpitae في جغرافية (بطلميوس)[2] .

وورد في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك (أكسوم) . كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بارساله قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) (الأرحب) (الأرحبية) (أرحب)[3] والـ Kinaidokolpite ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

---

١ Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37, 44, Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ (أرحب : حي أو مكان · وفي المعجم : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان) ، (أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ) ، تاج العروس (٢/٤٩٢) ، (طبعة الكويت) ، (رحب) ·

وفي البحر . ويرى بعض الباحثين أن المراد بـ (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaidokolpite ، هم (كنانة) . وأن السواحل التي استولى الأحباش عليها تمتد من موضع (لويكه كومه) Leuke Komé (القرية البيضاء) الى أرض السبئيين[1] .

ويرى (فون وزمن) أن احتلال الحبش لأرض Kinaidokolpitae ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية (بطلميوس) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعسير من ينبع Ianbia في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال (وادي بيش) ، فشملت الأرض المذكورة والتهائم والساحل كله[2] .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الافريقي المسمى بـ (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحميريين في ذلك الوقت[3] . ومعنى ذلك ان ملك حمير استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمه الى ملكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان فيما بعد .

ووردت جملة (احزب حبشت) في النص الموسوم بـ (CIH 314+954) . وهي تشير الى وجود (أحزاب) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشية وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد[4] . كما وردت في النص الموسوم بـ Ryckmans 535 الذي يتحدث عن حرب أعلنها (الشرح يحضب) على (احزب حبشت) ، و (ذى سهرتن) و (شمر ذى ريدان)[5] .

وأشار (اصطيفان البيزنطي) الى قوم دعاهم Abasynoi ، يظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

---

١ Beiträge, S. 119.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

٤ Die Araber, II, S. 275.

٥ Le Muséon, 1956, P. 154, Die Araber, II, S. 275.

يقيمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بالقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم[1] .

وورد في كتابات تعود الى أيام (علهان نهفان) ، بأن هـذا الملك كان قد تفاوض مع (جدرت) (جدرة) ملك (أكسوم) والحبشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ،أي « وأقيال وسادات وقبائـل ملك الحبشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبشة كان يحـكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وان الملك (علهان نهفان) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحبش ولضمان مساعدتهم في حروبه مـع منافسيه وخصومه[2] . ويرى (فون وزمن) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد[3] .

وقد عقد (علهان) حلفاً مع الحبش ، ويظهر أنه عقده بعـد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حمير . تلك الحرب التي اشترك الحبش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقـد (علهان) الحلف مع الحبش ، كان ابنه (شعر أوتر) قد اشترك معه في الحكم[4] .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين (علهان) وابنه (شعر أوتر) من جهـة والحبش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شعر أوتر) وبين (الحبش) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم (شعر أوتر) . إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزحهم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربـي من اليمن[5] .

وقد جـاء اسم (جدرت) (جدرة) على هذه الصورة : (جدر نجش اكسم) في النصوص . وورد على هذه الصورة :(جدرت ملك حبشت واكسمن) في النص الذي وسم بـ Jamme 631[6] .ومعنى الجملة الأولى (جدر نجاشي أكسوم).

---

١ Die Araber, II, S. 275.

٢ Nami 71 + 73, CIH 308.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47. f.

٤ CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

٦ Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الجملة الثانية (جدرة ملك الحبشة وأكسوم) . وقد قدّر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد[١] .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (ظفار) عاصمة حمير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام (لعزز يهنف يهصدق)[٢]. ولا ندري الى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما يظن . وكان هذا الملك على صلات حسنة بالرومان،ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية النفيسة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو (زوسكالس) Zoskales وقد أدى هذا التغير الى تبدل الحال ، اذ اضطر الحبش الى النزوح من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين ان ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة) وأحلت (زوسكالس) محله . فانتهز أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم،وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolpitae ، ويراد بها ساحل الحجاز وعسير[٣] .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ،لفظة (و ذ ب هـ) (وذبه) ثم ذكرت بعدها جملة : (ملك اكسمن) ، أي (ملك أكسوم) ، أو (ملك الأكسوميين) . وهو الملك الذي استعان به (شمر ذو ريدان) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (وذبه) على هذه الصورة (عذبة) أو (وزبه) . وذهبوا الى أنه مَلِك الحبشة الذي استعان به (شمر ذو ريدان)[٤] ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد[٥] .

ويظهر من اللقب الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)،أي الحبشة Ethiopia وهو الملك (عيزانا) Ezana، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

---

١ Le Muséon, 1958, 147, Die Araber, II, S. 285.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

٤ Die Araber, II, S. 285.

٥ Die Araber, II, S. 295.

لحكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : (ملك اكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحن) ، ويذكر بعد هذا اللقب أسماء ثلاثة مناطق افريقية كانت تحت حكمه ، ثم ختم هذا اللقب بتتمته ، وهي جملة : (ملك الملوك)[1] . و (سلحن) (سلحين) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك (عيزانا) (عزانا) ، قد دخل في النصرانية بتأثير المبشر (فرومنتيوس) ، الذي أرسله اليه الملك (قسطنطين) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية[2] .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعلّه هو الذي أدخلها في حكمه. اذ كان أبوه وهو (الاعميدا) Ella 'Amida ، قد لقب نفسه باللقب المذكور[3].

ويرى بعض الباحثين أن حكم (عيزانا) لم يكن فيما بين السنة (٣٣٠) و (٣٥٠) بعد الميلاد .أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل Kinaidokopitae ،هو الملك (سمبروتس) Sembruthes وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد[4] .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) ، وأن ذلك كان في حوالي السنة (٣٣٥ م) . وأن (ثيوفيلس) نصّر عرب اليمن في حوالي السنة (٣٥٤ م) ، إذ أنشأ كنيسة في (ظفار) . وقد صار رئيس أساقفة (ظفار) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة (نجران) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبية الى الخليج[5] .

وأعرف تدخل للحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمداً حتى ثار أهل اليمن

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

٢ Handbuch, I, S. 35, 36.

٣ Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.

٤ Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.

٥ Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن (شمر) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع (مخون) ، وهو (مخا) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد[١] .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل نجران قريباً من عشرين ألفاً ، أفلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه (جبار بن فيض) أو غير ذلك ، ففـرّ على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة ،وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل(ذو نواس) بنصارى نجران ، وأتاه بالانجيل قد أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن[٢] .

وفي رواية أخرى ان (دوس ذو ثعلبان) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على (ذي نواس) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن . فاجتمعوا اليه على

---

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 438.

٢ الطبري (١٠٥/٢) ، المحبر (ص ٣٦٨) ، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٩) .

اختلاف وتفرق لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه ناوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرياط بجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجّه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطىء (أرياط) اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلث سباياها ، ثم أقام بها [1] .

ويظهر من دراسة هذا المروي،أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن (أصحاب الأخدود) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف[2] . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »[3] . وقال بعضهم : انهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة، أخذهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه[4] » . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم (ذو نواس اليهودي) واسمه (زرعة بن تبان أسعد الحميري) ، واسمه أيضاً (يوسف) . وجعله بعضهم (يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري)[5] . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه (عبدالله بن ثامر) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلازمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفائه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفائهم ، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران[6] .

ولم يبين رواة الخبر المتقدم الأسباب التي دعت نجاشي الحبشة الى الطلب من قائده (أرياط) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

---

١ الطبري (٢/١٠٥ وما بعدها) ، ابن قتيبة (ص ٣١١) ، الكشاف للزمخشري (٢/١٥٩٤) ، تفسير البيضاوي (٢/٣٩٥) .
٢ تفسير القرطبي (١٩/٢٨٧) .
٣ تفسير القرطبي (١٩/٢٨٧) .
٤ تفسير القرطبي (١٩/٢٨٩) .
٥ تفسير القرطبي (١٩/٢٩٠) .
٦ تفسير القرطبي (١٩/٢٨٩ وما بعدها) .

ثلث النساء وأبناءهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخذوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .

وزعم (ابن الكلبي) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المندب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب الى المقاول يدعوهم الى مظاهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الابل ، وخرج حتى لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب (ذو نواس) الى كل ناحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس ، جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة الى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به[1] .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الاسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه الى القرآن الكريم ، إذ أشار بايجاز اليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »[2] . فكانت اشارته هذه الى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التأريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة[3] .

ولم يرد الينا شيء من هذا القصص الذي رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المسند . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حمير وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين .

---

١ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف بمصر) ، المحبر (ص ٣٦٨)

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube », in ZDMG., 1881, S. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة (٦٤٠) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد[١] .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص (حصن غراب) أن (ذا نواس) كان هو البادىء بالحرب ، وأن السميفع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك ذي نواس في حملته على الحبشة ، غير انه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأسرع السميفع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن (ماوية) للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وانما أكرهوا على الذهاب معه . وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فتفاهم معهم[٢] .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريـخ الاسلامية عن ذي نواس وعن حادث تعذيب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعيد العهد عن الاسلام . فقد أشير اليه بايجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »[٣] . فجمع المفسرون والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود — وهم طرف من أطراف هذا النزاع — عن حادث نجران فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل الينا شيء مدوّن بقلم مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون — كما قلت — ما كان علق عن ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ، أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المدوّن في كتب أهل الأخبار والمنصوص على سنده هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه النصارى عنـه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فإنه أطيب جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

---

١ REP. EPIGR., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132, Mordtmann, in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

٢ Winckler, AOF., IV, 1896, « Zur Alten Geschichte Yemens und Abessiniens », S. 327.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

المواد الاسلامية واليهودية على منابع شفوية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوّقاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والمشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دوّن بعضها بعد وقوع الحادث بقليل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والعواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حماسية . ونقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوّنت لبعث حمية النصارى على انقاذ أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهدوه ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : (قزما) ، والمؤرخ (بروكوبيوس) المتوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد[١] . ومن المتأخرين: المؤرخ (ملالا) Johannes Malala[٢] . وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين المتأخرين عنه،مثل (ثيوفانس)Theophanes (٧٥٨ — ٨١٨)[٣] و (سدرينس) Georg Cedrenus ، و (نيقيفورس كالستي) Nicephorus Callisti[٤] .

وكان (قزما) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي (قزما بحار البحر الهندي)،وصاحب كتاب (الطبوغرافية النصرانية) Christian Cosmography وكتاب (البحار الهندية) (بحار البحر الهندي) Indicopleutes في مدينة (أدولس) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي ينقل كتابة (بطلميوس) Ptolemaeus اليونانية بأمر النجاشي (Elesboas) (Elesbóan) في العهد الذي كان فيه النجاشي يتهيأ لغزو أرض حمير[٥] . فكتب في جملة ما كتبه

---

١ Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

٢ Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

٣ Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

٤ Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., Lib., XVII, Cap. 32, 2, Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

٥ ED : Montfaucon, P. 141, ZDMG., 1881, S. 5.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الاول ، ١٩٤٨ ، (ص ١٨ وما بعدها) .

قصة غزو الحبشة لليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه[١] . فلروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسميين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويفهم من رواية (قزما) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر (يسطينوس) Justinus (٥١٨ — ٥٢٧ م)[٢] . أما (ثيوفانس) Theophanes و (سدرينوس) Cedrenus ومن اعتمد عليهما ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الذي حمل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حمير لنصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك[٣] .

ويحدثنا (ثيوفانس) و (سدرينوس) عن غزو ثانٍ قام به الحبش على حمير لاعتداءاتهم على تجار الروم، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوسطنيانوس) Justinianus (٥٢٧ — ٥٦٥م) ، وفي عهد النجاشي (أدد) Adad . أما ملك حمير ، فاسمه (دميانوس) Damianus . وقد ذكر (ملالا) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي (أندس) Andas بدلاً من ادد، وصيّر اسم ملك حمير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (دميانوس) Damianus، وذكر حملة (اندس) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام (اندس) . وذكر المؤرخان الآخران ان (أدد) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميريين[٤] .

وتحدثنا رواية سريانيّة ان النجاشي المسمى (ايدوك) Aidog حارب الملك (اكسينودون) Xenedon ملك الهنود . ثم حارب (دميون) Dimion ملك حمير لاعتدائه على التجار الروم واستيلائه على أموالهم . فانتصر (ايدوك) على ملك حمير ، ثم تنصر ، وعيّن على حمير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

---

١ J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323.

٢ Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 66.

٣ ZDMG., 31, 1877, 66, Theophanes, I, 260.

٤ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes, I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذّب خلقه نصارى نجران ، فغزا (ايدوك) حمير وانتصر عليها . وأقام عليها (ابرهام) (ابراهيم) Abraham [1] . ولا يشك المستشرق (فيل) Fell في أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو النجاشي (كالب)،وهو Elesbaas (كلب الا أصبحه) (كالب الا اصبحــه) . وأمــا Dimion و Dimianus و Xenodon ، فيراد بها (ذو نواس) . وقد تحدث (فل) Fell باطناب عن مختلف الروايات الواردة عن النجاشي(كالب) (كلب الا أصبحه) و (الاعاميدة) (عيلاميده) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ، فإليه يرجع من يطلب المزيد[2] .

وفي المرويات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك (ذو نواس) Dunaas ملك حمير ، وان ذلك كان في السنة الخامسة من حكم (يوسطينوس) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هــو النجاشي Ela Atzbeha Elesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حمير ، فر Dunaas الى الجبــال فتحصن فيها ، حتى إذا سنحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش النجــاشي في اليمن واحتل مدينة (نجران) فقام عندئذ Elesbas بحملة ثانية فانتصر بهـا على (Dunaas) وعين Abrames في مكانه[3] .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحميريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف (ظفــار) المسمى (كريكنتيوس) Gregentius وبين Herban اليهودي ، والظاهر أنها من القصص الذي وضع في السريانية وليست لها قيمة تأريخية بالطبع[4].

وقد دوّن (يوحنا الأفسي) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥) للميلاد في تأريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعــذيب نصارى نجران ، هي رسالة وجهها (مار شمعون) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham المعاصر لهذا الحادث الى (رئيس دير جبلة) Abt von Gabula يصف فيهــا ما سمعه وما قصّه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصــارى نجران

---

١ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I, 359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

٢ Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

٣ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graecca, Vol., V, P. I, (Boissonade Ed.).

٤ Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327.

وما لاقوه هنـــاك من أصناف العذاب[1] . ومنه أخذهـا البطريق (ديونيسيوس) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تأريخه المؤلف بالسريانية . وقـد نشرهـــا (السمعاني) في مؤلفه (المكتبة الشرقية) . وتجد هذه الرسالـة أيضاً في تأريخ (زكريا) Zacharias von Mitylene المتوفي في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسريانية أيضاً[2] . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً[3] .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهام) Abraham والد (نونوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوسطينوس) Justinus الأول الى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التأريخ السلوقي، وتقابل هذه السنة سنة(٥٢٤) للميلاد. فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به (شمعون) من كتاب وجّهه ملك حمير الى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصارى مملكته ما فعله هو بنصارى نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال الى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هـذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين[4] .

وقد وجّه شمعون في نهاية الرسالة نداءً الى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه الفاجعة التي نزلت باخوانهم في الدين ، والى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

---

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجـزء الاول السنة ١٩٤٨ (كتاب الشهداء الحميريين) ، لمار أغناطيوس أفرام ، النصرانية (٦١/١) ،

Fell, « Die Christenverfolgung, in Südarabien und Himjarish Athiopischen Kriege nach Abessinischer Uberlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364, Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية (٦١/١) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكـور (ص ١٨) ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، حمص سنة ١٩٤٣ ،

Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1831, S. 3.

٣ Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zachariae Episcopi Mitylenes Aliorumquae Scripta Historica Graeca Plerumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdata Syriaca, vol., 3, Leiden, 1890.

٤ ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmanta Histori. Greega, IV, P. 177.

نجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجّه نداءه الى أحبار (طبرية) للتأثير على ملك حمير ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب[1] .

وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها، وهي في الجملة صحيحة ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد نصارى نجران. أما ما جاء فيها على لسان ملك حمير من جمل وعبارات استخلصت على حد قول (شمعون) من الرسالة التي وجهها ملك حمير إلى المنذر،فمسألة فيها نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه قد صدر منه . وما دوّن فيها من عبارات بحق الشهيد (حارثة)(الحارث) Arethas ونصارى نجران لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك إلى المنذر لحثه على اضطهاد نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حمير اليه . ولا داعي يدعو إلى نكرانها والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دوّنه شمعون من جمل وعبارات على انها من كلام ملك حمير ، هو من انشائه وكلامه، لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة انها وثيقة مهمة ، ولها قيمة تأريخية في الجملة بغض النظر عن التفصيلات الواردة فيها وعن عواطف كاتبها وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها[2] .

ومن الوثائق التأريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى (يعقوب السروجي) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس) Paulus Bishop of Eddessa أسقف (الرها) Eddassa = Edessa ومدحه اياهم، ونشيد كنسي سرياني لـ (يوحنا بسالطس) Johannes Psaltes رئيس دير قنسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد[3] ، وميمر ليعقوب الرهاوي[4] .

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 3.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 4.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٨) ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ اكتوبر ٥٢٦ للميلاد راجع : Bury, II, P. 324, ZDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV, 1881, S. 4.

٤ النصرانية (١/٦١) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في (كتاب الشهداء الحميريين)[1] وفي رسالة (شمعون الأرشامي) أن (يعقوب السروجي) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصر (يوسطين الأول) (يسطينوس) Justin I الى الملك (المنذر) . و (الرصافة) Sergiopolis هي (متروبولية منطقة الفرات) Metropolis of Euphratensis بالنسبة الى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عمّد وهو في (حيرة النعمان) (حيرتا دى نعمانا) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه (أفعو) Af'u ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن الى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى (نجران)[2] . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير، السفارة عند ملك الحيرة. ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه[3] .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير، وقد دعاه (مسروقاً) Masruq ، الى (المنذر بن الشقيقة) (منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqiqa وهو يحرضه فيه على النصارى[4] .

ولا بد من الإشارة الى الأثر المهم المنشور باليونانية لـ (يوحنا بولند) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، والى أثر آخر نشره (بويسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات[5] . فقد دوّنت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس (الحارث) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذي نواس . ودوّنت في الأثر الثاني مضامين رسالة (مار شمعون) . وقد بين (فيننذ فل) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة (بولند) Bolland[6] .

١ Axel Moberg, The Book of the Himyarites, Lund, 1924, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٢ Shshid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 354.

٣ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٤ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٥ النصرانية (١/٦١) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الاعمال : (أعمال البولنديين) ، Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٦ ZDMG., 35, 1881, S. 5.

وللنصوص الحبشية ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حمير . لـذا وجّه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير انهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها. وما عثر عليه ليس بكثير . ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سابيتو) J. Sapeto أشير فيها باختصار إلى القديس الحارث (حيروت) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيهـا أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن، وأمر (ذو نواس) المسمى فيها بـ (فنحاس)، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس (أزقير) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حمير (شرحبيل بن ينكف) مع (٣٨) آخرين[١] .

يتبين من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حمير قبل قيـام ذي نواس بتعذيب نصارى حمير بسنين ، وانهـم انتصروا على ذي نواس ، فاضطر إلى التقهقر إلى الجبال للاحتماء بها ، وانهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الحبش فتمكن منهم ، وعـذّب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألا يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الحبش على غزو اليمن[٢] .

وورد في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الحبش بعد أن نزلوا أرض حمير ، عارضهم رجل اسمه (مسروق) وحاربهم وقاومهم ، وهاجم مدينـة

---

١ النصرانية (١/ ٦١ وما بعدها) ، Sapeto, Viaggio e Mission e Cattalica fra i Mensa i Bogos etc., Roma, 1857, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lencei, 1910, Ser., V, Vol., XIX, P. 705.

٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

(ظفار) عاصمة حمير . وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها . ولما رأى (مسروق) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة (ظفار) ، أوفد اليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يعدهم فيه أنهم إن سلّموا له (ظفار) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم الى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدّقوه ، وخرجوا اليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد (أبابوت) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم إلى اليهود فقتلوهم . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحميريين آمراً بقتل النصارى قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويتهوّدوا . وكتب الى الحارث من أشراف مدينة نجران أن يأتيه مع من عنده من حملة السلاح لحاجته الشديدة اليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع الى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، وطال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجالاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسيهم من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة[1] .

فلما تمادى مسروق في غيه وفي قتل النصارى في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها ، سار سيد من سادات القوم اسمه (أميّة) الى الحبشة فأخبر مطرانها (أوبروبيوس) و (كالب) النجاشي بما حل بنصارى اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حمير ، فغزتها وقضى على (مسروق) اليهودي ، وهو (ذو نواس) في كتب الإسلاميين[2] .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion (دميانوس) Dimianos ، ملك حمير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أساؤوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة والى المناطق القريبة من حمير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حمير عروضاً لم يوافق عليها ، فوقعت

---

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١١ وما بعدها) ، Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

الحرب . وتزعم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقيل له : إن كتب الك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر . وانتقم من حمير . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته الى القيصر يلتمس منه إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على Johannes Paramonaris من كنيسة القديس يوحنا ، فذهب مع عدد من الكهان ، فعمّد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس الى الدين الصحيح .[١]

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم Dimnus = Damian و Damnus = Dimianos و(مسروق)[٢] . ونرى تشابهاً كبيراً بين Dimnus و Damian و Damnus وكلمة (ذو نواس) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعته (فنحاس) Phin'has ، وهو اسم من أسماء يهود[٣] .

أما النجاشي الذي حارب حمير وغزا أرضها ، فقد دعاه (بروكوبيوس) باسم Hellestheaeus[٤]. ودعاه غيره بأسماء قريبة منه مثل Elisbahaz = Elesbowan و Elesboas = Elesbaas = Ela-Atzbeha . ويظهر انها أخذت من (ايلا اصباح) Ela-Asbah أو (ايلاصباح) Ela-Sebah في الحبشية[٥] . ودعي أيضاً باسم آخر، هو Aidug ،دعاه به (يوحنا الأفسي) Johannes von Ephesus[٦] و (اندس) Andas وقد دعاه (ملالا) بذلك[٧] . و Adad ودعاه به (ثيوفانس) و (سدرينوس) Cedrenus[٨] . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي (كالب)

---

١ Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322, Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

٢ Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17, 1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

٣ Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233.

٤ Procopius, History of the Wars, P. .189

٥ ZDMG., 35, 1881, S. 18.

٦ Galser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19, Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

٧ ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser, Die Abessinier, S. 176.

٨ Theophanes, I, P. 346, Cedrenus, I, P. 656.

Kaleb[1] . فهو إذن (الا أصبحة كالب) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني (الا) Elle = Ella (ذو) أو من (آل) . وأما (أصبحـــة) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن (ذا نواس) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو (يوسف) . ويكون النجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو (كالب) من (آل أصبحة) أو (الا أصبحة كالب) كما عرف بذلك[2] .

وقد تحوّل اسم النجاشي Elesbass = Ela Sebah إلى (أصحمة) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن(أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي)[3]، فـ (أصحمة) إذن هو النجاشي المذكور .

والنجاشي Elesboas = Ela Atybeba،وهو ابن النجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا النجاشيَ ، النجاشيَّ Andas الذي كان قد أقسم أنه اذا انتصر في الحرب يتنصر . فانتصر،فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بلقب (ملك اكسوم وحمير Homer وريدان وسبأ وسلحين) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن[4] .

وقد عثر في خرائب مدينة (مأرب) القديمة ، عـــلى نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدوّن بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لمينـــاء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدوّن النص ، وقد كان في سفينة تبعتها إحدى عشرة سفينة أخرى ، فنزل بذلك الميناء وتغلب عليه ونزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فأخذوا غنائم وأسرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 20.

٢ Die Araber, III, S. 28.

٣ تفسير النيسابوري (٣٠/١٦٣ ، (حاشية على تفسير الطبري) .

٤ Dillmann, in ZDMG., VII. 357. Nöldeke, Tabari, S. 188, Bury, II, P. 223.

التي هاجموها ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل الميناء على الباطل وضد الشريعة الحقة فعوقبوا بالهزيمة[1] .

والنص المذكور – وإن كان خلواً من كل إشارة الى (ذي نواس) ، أو الى اسم (نجاشي) الحبشة ، أو الى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها – يشير الى غزو الحبش لليمن في حكم (ذي نواس) ، والى تغلب الحبش عليه . ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع (ادولس) (عدولس) (عدولي) Adulis على ما يظهر وكانت بإمرة (الا اصبحة) ، فعبرت باب المندب ، حتى وصلت الى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء (مخا) موضعاً للنزول ، فنزلت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . وبذلك تم النصر للحبش . ولم يشر النص الى أسماء الموانىء التي تحرك منها الجيش ، أو الموانىء التي نزل بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aidug و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وهو (الا عاميدة) (علا عاميدة) Ela Amida ، المعاصر للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات . وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aidug بعد انتصاره على حمير ، كما أشرت الى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة قبل غزو اليمن هذا بكثير[2] .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غُلب على أمره ورأى مصيره السيء ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه[3] .

---

١ Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. af. Semit. Stud., 9, (1964), P. 56.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 20.

٣ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procoplus, I, XX, I, Malala S. 433.

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدن زعم انه قائله ، هو :

أو ما سمعت بقتل حمير يوسفاً   أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه (فون كريمر) على أن ذا نواس لم يغرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم[1] .

حكم السميفع أشوع :

وذكر (بروكوبيوس) ان الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه Esimiphaeus = Esimiphaios اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقّى من جنود الحبشة في أرض حمير ثاروا عليه وحصروه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه (ابراهام) Abraham كان مملوكاً في مدينة (أدولس) (عدول) Adulis لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم اليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالثوار ، وقتلت قائدها وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب Hellestheaeus عندئذ غضباً شديداً ، وسيّر اليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أتباع Abram فانهزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الهزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح Abraham خليفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعيّن نائباً عنه[2] .

وذكر (بروكوبيوس) أيضاً أن القيصر (يوسطنيانوس) أرسل رسولاً عنه اسمه (جوليانوس) Julianus إلى النجاشي Ela Atzbeha Hellestheaeus والى Esimiphaeus ليرجو منهما اعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم ، لأنهما والقيصر على دين واحد ، فعليهما مساعدة أبناء دينهم الروم والاشتراك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, Südarabische Sage, 92, 127.

٢ Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 457.

وطلب من ملك حمير Homeritae خاصة أن يوافق على تعين (قيس) Kaisos = Caisus (Phylarch) سيداً على قبيلة معد Maddeni، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض الفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل، وكان شجاعاً قديراً وكفوءاً جداً وحازماً، قتل بعض ذوي قرابة Esimiphaeus فانهزم الى البادية هائماً. وقد وعد الملك خيراً، غير أنه لم ينجز وعده، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب[1].

وقد وصل رسول (جستنيان) (يوسطنيان) Justinian سنة (٥٣١ م) الى ميناء (ادولس) من البحر، ثم ذهب منه الى (اكسوم) حيث وجد النجاشي Ela Atybeba واقفاً على عربة ذات أربع عجلات، وقد ربطت بها أربعة فيلة، وكان عارياً إلا من مئزر كتان مربوط بذهب، وقد ربط على بطنه وذراعيه حلياً من ذهب. وبعد أداء هذا الرسول رسالته، ثار (ابرام) Abram على Esimiphios، وقضى على حكمه[2].

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين. غير انهما لم يفعلا شيئاً، ولم ينفذا شيئاً مما تعهدا به للسفير. فلم يغزوا الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً) على قبيلة معد. وقد تحرش Abramos = Abram بالفرس، غير انه لم يستمر في تحرشه بهم، فما لبث أن كفّ قواته عنهم[3].

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة، له عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة. ولشخصيته ولمكانة أسرته، أرسل رسوله إلى (السميفع) لاقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه. وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيده في خططه السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب، ومكافحة الساسانيين.

وقد زار (ابرام) Abram والد (نونوسوس) Nonnosus الذي أرسله

---

١ Procopius, I, XX, 9-13.

٢ Bury, II, P. 325. f.

٣ Procopius, I, XX, 9-13.

(جستنيان) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kaisos (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنـــة (٥٣٠ م) ، وزاره (نونوسوس) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل (قيس) ابنه (معاوية) معه إلى القسطنطينية إلى (يوسطنيان) ، ثم استقال (قيس) ، وصار أخوه رئيساً على معـد ، وزار القسطنطنية ، فعيّن (فيلارخاً) على فلسطين[1] .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ (بروكوبيوس) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى (النجاشي) وإلى (السميفع) ، إبان حكم السميفع لليمن ، أي قبل ثورة (أبرام) (أبرهة) عليه . ولهذا كلمه الرسول في أمر (قيس) ، ولكنه أخفق في اقناعه بالعفو عنه وبالاعتراف به رئيساً على معد ، فلم يعترف به الى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية الى النجاشي والى أبرهة والى (قيس) بمهمة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان (أبرهة) على عكس (السميفـع) على علاقة طيبة بـ (قيس) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) الى خبر الرسول الذي أرسله القيصر الى النجاشي لاقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر الى بلاط (أكسوم) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حمير عيّن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين[2] . وأما (يوحنـــا الأفسي) ، فقد دعـــاه Abramios ، ودعاه (ثيوفانس) (الحارث) Arethas[3] .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حمير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

---

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣٩٤/٤) ،
Bury, II, P. 326, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, P. 435.

٢ Malala, P. 456, Fell in ZDMG., 35, 1881, S. 34, ZDMG., 7, 473, Bury, II, 324, Malala, XVIII, 457.

٣ Theophanes, I, P. 377, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser, Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو (السميفع أشوع) ، صاحب النص الموسوم بـ CIH 621 بين العلماء . وقد دوّنه مع أولاده : (شرحبيل) يكمل) و (معديكرب يعفر) ، وجماعة من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم (ملحهم) ، وكبراء (كبور) قبائل محرج سيبان ذو نف . وقد كان السميفع أشوع من (بني لحيعت يرخم)،وكان هو وأولاده سادة (الهت) على : (كلعن) (كلعان) أي الكلاع و(ذ يزن) (ذى يزان) (ذى يزأن) و (ذى جدن) و (مثلن) (مثلان) (مطلحن) (مطلحان) و (شرفن) (شرفان) (شرقان) و (حب) (حبم) ويثعن (يثعان) و (يشر) يشرم ويزر ومكرب (مكربم) و (عقهت) (عقهة) و (بزاي) (بزايان) ويلجب (يلجبم) وغيمن (غيمان) (جيمان) ويسب وجبح وجدوى (جدويان) و (كزر) (كزران) و (رخيت) وجردان (الجرد) وقبيل (قبلان) و شرجى (شرجا)[1] .

أما أبناء ملحهم ، فقد كانوا على وحظت (وحظة) و (الهان) (الهن) و (سلفن) (سلفان) (السلف) ، و (ضيفتن) (ضيفت) (الضيفة) و (ريان) (رثاج) و (رياح) و (ريحن) و (ركب) (ركبن) و (مطلن) (مطلان) و (مطلفن) (مطلفان) و (ساكلن) (ساكلان)، و (زكرد)[2] .

وقد دوّنوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم واصلاحهم أسوار ودروب ومنافذ وصهاريج حصن (مويت) (عرمويت) ، (ماويت) (ماوية) ، وتحصنهم فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حمير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين ، وذلك في شهر (ذو حجت) (ذي الحجة) من سنة (٦٤٠) من

---

١ CIH 621, CIH, IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII, I, 1929, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

٢ Glaser, Die Abessinier, 132.

التأريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد[١] .

ويظهر ان (السميفع أشوع) ، كان من أهل (نصاب) ، وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده الى الحبشة. فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرّمويت) أي في (حصن ماوية) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويفتـح أرضين جديدة ويتقدم نحو الأرضين التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبة النصرانية والحبش والروم العداء، كلفه الحبش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات الماديـة من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنفيذ مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتىانتهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) ، فعيّن (السميفع) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، الا أن ثورة وقعت فيها ، قضت على حكمـه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد[٢] .

و (شرحب ال لحمى عت يرخم) (شرحبيل لحيعت يرخم) ، هو والد (السميفع أشوع) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من (اقول) الأقيال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمـه ، وعدم نص ابنه (السميفع) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسميفـع أشوع أبنـاء آخرون، غير الولدين : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (معديكرب يعفر) المذكورين في النص[٣] .

وفي متحف استانبول نص وسم بـ Osma. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

---

١ (سطرو ذن مزندن بعرن مويت) ، السطران السادس والسابع من النص ، (عرن) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الاسلام لزيدان (١٢٥) ، وقـد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 367, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Caliphs, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

٢ Beiträge, S. 92, 120.

٣ Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 273.

البلجيكي (ريكمنس) G. Ryckmans في مجلة Le Muséon ،وردت في مطلعه جملة : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبــارة : « بسم رحمنن وبنهو كرشتش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »[1] . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميفع أشوع كان ملكاً عـلى سبأ وأنه كان على دين النصارى . وقد استعمل النص كلمــة (كرشتس) بمعنى المسيح ويستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أخذوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون (السميفع أشوع) نصرانياً ، ما ذكـره المؤرخ (بروكوبيوس) من أن الحبشة عينت رجلاً نصرانياً من حمير اسمه Esimiphaeus ملكاً على حمير ، وذلك بعد قتل الملك الحميري الذي عذّب النصارى في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن (السميفع أشوع) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة (أكسوم) . يُفهم ذلك صراحــة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه: (امراهمو نجشت اكسمن برو وهوثرن) ، أي (في أيام أمبرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسسوا) . وجاء في السطر السادس : (املكن الاحه ملك جبشت) ، أي (الملك الاحــة ملك الحبشة) ، ويقصد بـ (الاحة) نجاشي الحبشة (الا أصبحة (Elle 'Asbeha الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة (أكسوم)[2] .

وتعني كلمة (نجشت) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقــد أخذهــا العرب من الحبش ، وأطلقوهــا على ملوك الحبشة ، وهي (نجاشي) و (النجاشي) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة (قيصر) على أباطرة الروم[3] .

وقد ذكرت في النص أسماء (ذويزان) (ذو يزن) و (حسن) (حسان) و (شرحبال) (شرحبيل) قيل (ذو معفرن) ، أي قيل المعافر . و(اسودن) أي الأسود (وسميفع) قيل (دو بعدان) (ذ بعدن) ، وزرعة قيل مرحم ، أي مرحب (المراحب) و (حارث) و (مرثد) أمراء (ثعبان)و(شرحبيل

---

١ Handbuch, S. 105, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EPIG. 3904, REP. EPIG., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4. 1950, P. 272, Istanbul, 7600, Bis, Conti Rossini, Storia D'Etiopia, Milano, 1925, Vol., I, P. 180.

٢ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, P. 167.

٣ Ency., III, P. 817.

يكمل)[1] . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص (حصن غراب) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4069 ، ووردت فيه جملة أسماء ، هي : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (شرحب ال يقبل) (شرحبيل يقبل) ، و (مرثد علن احسن) (مرثد علن أحسن) (مرثد عـلان أحسن) ، و (سميفع أشوع) أبناء (شرحب ال لحى عث يرخم) (شرحبيل لحيعت يرخم) أقيال (اقول) (ذو يزان) (ذو يزن) و (جدنم) (ذو جدن) و (يلجب) و (يصبر)[2] . ويظن أن (السميفع أشوع) المذكور هنا ، هو الملك الذي نتحدث عنه[3] . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليـه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء الذوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن ربّ السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهدها في النصوص الوثنية القديمة ، تظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء[4] . غير أننا لا نستطيـع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً[5] . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هـذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : (ضيفتن) (ضيفت) (ضيفـة) و (ريحم) (ريح) (رياح) و (مهرت) (مهرة) وقبيلة (سيبن) (سيبان)[6] . وقد تكون مهرت (مهرة) ، هي مهرة التي تنسب الى (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) في اصطلاح النسابين[7].

ويقع (عرمويت) ، أي حصن (مويت) (ماوية) في جزيرة بركانيـة

---

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 167, 171.

٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.

٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.

٤ السطر الحادي عشر من النص .

٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 273, 274.

٦ السطران الرابع والخامس من النص .

٧ منتخبات (١٠٠) .

تسمى (حصن الغراب) وهو الآن خراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وسمت بـ CIH 728 دوّنها (صيد ابرد بن مشن) (صيـد ابرد بن مشان) ، أحد أقيال (بدش) (باداش) . وورد فيها اسم (قنا) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع افريقية والهند. ولهذا اهتم (السميفع أشوع) وأولاده بترميمه وبإصلاحه وتقويته[1] .

وأما ميناء (قنا) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ (بير علي) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانىء المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأ للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى (شبوة) ومواضع أخرى في شمال هذا الميناء[2] .

ومما يلاحظ أن المواضع الآثارية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأبيَن وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف (ظفـار) وحول (المكلا) و (الشحر) وساحل مهرة . مـع أن السواحـل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والمرافىء بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليهن السفن والناس . والظاهر أن وخامة الجوّ في هذه السواحل وصعوبة حمايـة لساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل[3] .

وقد اشتهرت (ظفار) بأنها المرفأ المعد لتصدير اللبان والمرّ وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أمـا المواضع الأخرى ، فلم تكن مسوّرة في الغالب . وقـد أشار (كرب ايل وتر) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينـة (تفض) في (أبين) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسوّرة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيهـا

١ Beiträge, S. 91.
٢ Beiträge, S. 93.
٣ Beiträge, S. 87.

حتى الآن . وصارت مدينة (عدن) ومدينة (قنـا) من أهم المرافىء عـلى الساحل الجنوبي[1] .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة الى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً . ويظن أنها تشير الى استيلاء (الا اصبحة) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على (ذي نواس)[2] .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن: تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي الـذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المندب ورست عند ساحل اليمن . وكانت سفينـة النجاشي أول سفينة بلغته ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ، ولعلّة (مخا) . فوقعت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخـذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طمست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً ،لا يفهم منـه إلا إشارات[3] .

أبرهة :

و Abraham و Abramios ، هما اسمان لمسمى واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها، ولقب نفسه بألقاب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه (عزلى ملكن اجعزين) ، أي (نائب ملك الأجاعزة) على اليمن[4] . وحكم اليمن أمداً ، وترك في نفوس اليمانيين اثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن (كالب ايلا أصبحة) ، كان قد أرسل حملة سنـة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها اليها سفن بيزنطية ، نزلت في البـلاد وتغلبت على (ذي نواس) فهـرب (ذو نواس) من (ظفـار) ، ثم عاد فباغت

---

١ Beiträge, S. 88.
٢ Die Araber, III, S. 24.
٣ Die Araber, III, S. 24.
٤ راجع السطر الخامس من النص .

الحبش وأنزل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعذّبهم . فحمل النجاشي على ارسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . اذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهز (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من (السميفع أشوع) ، الذي نصّبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخولهم اليها وعيّنوا رجلين من الحبش يحكمان معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم[1] .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفيــة استئثار (أبرهة) بالحكم واغتصابه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبشي (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، نازعــه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه[2] . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم[3] . فلما ركب ذو نواس فرسه واعترض البحر فاقتحمه وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه يجمعني واياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننـــا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا » . فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فاتعدا موضعاً يلتقيان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنجده ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحربته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه ، فسمي الأشرم ، ونهض أرنجده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله »[4] . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

---

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, S. 31.

٢ الطبري (١٢٥/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط (عتودة) الطبري (١٢٨/٢ ، ١٢٩) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرياط أباصحم (ضخم) في أربعة آلاف الى اليمن ، فأداخهـا وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجـل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا الى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن[1] .

وتذكر رواية أن (أرياط) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحـين وبينون وغمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعـراً إلى (ذي جدن) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة[2] . ويظهـر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت إلى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرياط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ، ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك[3] .

وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرياط ، وأنه حلف ألاّ يدع أبرهـة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته ، ويهرق دمه . . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب إلى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وثبته على عمله بأرض اليمن[4] .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث إلى (أبي مـرة بن ذي يزن) ، فنزع منه امرأته (ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) ، و (علقمة) هو ذو جدن . وكانت ولدت لأبي مرّة معديكرب بن أبي مـرّة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مـرّة مسروق بن أبرهـة ، وبسباسة ابنة أبرهة . وهرب منه أبو مرة[5] .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتأريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لنجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكـروا أنهم حكموا اليمن .

---

١ الطبري (٢/١٣٧) (دار المعارف) ، أخبار مكة ، للازرقي (١/٨١ وما بعدها) ، (١/٨٨) ، (طبعة خياط) .
٢ الطبري (٢/١٢٥) ، (دار المعارف) .
٣ أخبار مكة ، للازرقي (١/٨٧) ، (خياط) ، الطبري (٢/١٢٨) (سنتين) ، (دار المعارف) .
٤ الطبري (٢/١٢٨ وما بعدها) (دار المعارف) .
٥ الطبري (٢/١٣٠) (دار المعارف) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم (أبرهة) .

فقد ذكروا اسم (أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ). وكان يقال له (الرائد)[١] . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر يرعش[٢] . وذكروا (أبرهة) آخر ، قالوا له : (أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة) . وسمّى (الهمداني) جملة رجال (أبرهة) ، وأدخلهم في (الأصابح)[٣] . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ونعته في الحبشية أن الأخباريين أخذوها فصيّروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب (لبيد بن ربيعة العامري) المثل بـ (أبي يكسوم) وهو أبرهة في وجوب الاتعاظ بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حيٌّ في الحياة مُخلداً ... في الدهر ألقاه أبو يكسوم[٤]
والتُبّعان كلاهما ومُحَرِّق ... وأبو قبيس فارس اليحموم[٥]

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم بـ Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العربيات الجنوبية[٦] . وهي ثاني نص طويل يصل الينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة[٧] وتبحث عن ترميم سدّ مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

---

١ الطبري (٢/٥٦٦) (دار المعارف) ، (٢/١١١) .
٢ الاكليل (٢/٥٣) .
٣ الاكليل (٣/١٤٣) .
٤ ديوان لبيد (ص ١٠٨) ، (الكويت ١٩٦٢ م) .
٥ الاكليل (٢/١٥٩) .
٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften uber den Dammbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, , 1897, S. 390, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 506, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Ethiopie Antique, 1962, 71, 1961, 65.
٧ Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, Le Muséon, 66, 1953, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجديده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذو المدرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلـة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذو معان) (ذ معن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحمـيري ، أي في سنة (٥٤٣) من الميلاد[١] .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بخيل وردا ورحمت رحمنن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . ان ابره عزلى ملكن اجعزين رحـز زبيمن ملك سبأ وذ ريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت »[٢]، أي « بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزيين رمحز زبيمان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في النجـاد وفي تهامة » . ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حمير قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان (عزلى ملكن اجعزين)، أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطـة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غـير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ (ملك الجعز) حسب[٣] .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزد بن كبشت) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي (كدت) و (دا)[٤] ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، وأعلن العصيان . وانضم اليه أقيال (اقول) سبأ و (اسحرن)، وهم : (ذو سحر) و (مرة) و (ثممت) (ثمامـة) و (حنش) (حنشم) و (مرثد) و (حنف) (حنفم) (حنيف) و (ذ خلل) (ذو خليل) و (ازانن) (الأزان) والقيل (معديكرب بن سميفع) ، و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع (أبرهة) ، سيّر اليه جيشاً بقيـادة (جرح ذزبنر) (جراح ذو زبنور) ، فلم يتمكن أن يفعـل شيئاً ، وهزمه

---

١ F. Praetorius, Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom Dammbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, 5, 15.

٢ السطور الاولى من النص : CIH 541, Glaser 618.

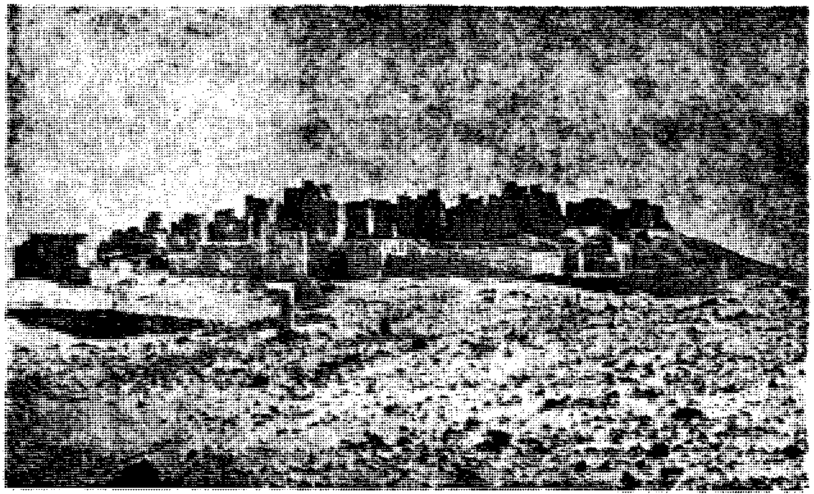
٣ Glaser, Zwei Inschriftten uber den Dammbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ (خلفتهوذ ستخلفو على كدت ردا) ، السطر الحادي عشر من النص ، Glaser, Zwei, S. 401, 413, Seper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كدر) (كدار) ، وجميع من أطاعه من (كدت) (كدة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بارسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر (ذ قيضن) (ذو القيض) (ذو قيضبان) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجباً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية (سبأ) و (صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبرن) (عبران) (العبر) . وفي (نبط) جعل أهل (الو) (الوى) و (لمد) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين: (وطح) (وطاح) و (عوده) (ذو جدن) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كبشة) إذا به يظهر مع عدد من أتباعه أمام (أبرهة) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقون،فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبو الخضوع والاستسلام.

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية الثائرين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد (مأرب) وتهدم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذ مذرن) (ذو مذران) (ذو المذرى) من سنة (٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك بشهر (ذ صربن) (ذو الصرب) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السدّ لوضع أسسه واقامته مستعيناً بحمير وبجنوده الحبش ، ولكنه اضطر بعد مدة الى السماح لهم باجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون اليه ، وليريحهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تذمر العشائر التي لم تتعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة . ورجع أبرهة في أثنائها إلى مأرب ، فعقد معاهدة مع أقيال سبأ وتحسنت الأحوال ، وأرسلت اليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت اليه جموع من الفعلة وأبناء العشائر ، فعاد إلى العمل بهمة وجد، فأنجزه على نحو ما أراد . فبلغ طوله خمسة وأربعين (أمماً) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين (أمماً) . أما عرضه . فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حمر من (البلق) . وانجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقـة به في (خبشم) (خبش) وفي (مفـلم) (مفلل) (مفلول) . وقد دوّن أبرهة في نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أموال، وما قدّمه إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بدىء فيه بالانشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر (ذو معن) (ذو معان) من سنة (٦٥٨) الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .



مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Sheba)

ويظهر من النص أن ثورة (يزيد بن كبشة) (يزد بن كبشت) كانت ثورة عنيفة قوية،وأنها شملت حضرموت و (حريب) و (ذو جدن) و (حباب) عند (صرواح) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها في النص[١] .

أما (يزيد بن كبشة) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً، وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عيّنه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة (كدت) (كدة) . وهي كندة على رأي أكثر العلماء[٢] .

١ Beiträge, S. 121.
٢ Glaser, Mitt., S. 434.

وأما الأقيال الذين انضموا اليه وساعدوه ، وهم : (ذو سحر) و (مرة) و (ثمامة) و (حنش) و (مرثد) و (حنيف) وآل ذو خليل وذو يزان (ذ يزن) (ذو يزن) ، و (معديكرب بن سميفع) و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فهم يمثلون على الجملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أرخ بأسرة (ذي خليل) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبئيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون[1] . وذكر (الهمداني) اسم جماعة يقال لهم (البحريون) ، قال : انهم من ولد ذي خليل من حمير[2] .

وليس من السهل تشخيص (مرة) و (ثمامة) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أشير إلى (ثمامة بن حجر) ملك (قصر الهدهاد) في (عمران)[3] . وذكر الهمداني (بني ثمامة) وقال : إن جبأ مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر[4] ، فهل يكون لهؤلاء صلة بـ (ثمامة) النص ؟

وذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه (مرثداً) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد (ذي نواس) ، فهل صاحب هذا الاسم هو (مرثد) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً، فقد كان من عادة الأقيال والأذواء التلقب بلقب ملك[5] .

وورد (ذو مراثد بن ذو سحر) ، في الموارد العربية[6] ، فجمعت بين (مراثد) و (سحر) ، وورد اسم (سحر) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى (كلاسر) أن (ازان) ، هم (يزن) ، ومنهم (سيف بن

---

١ Glaser, Mitt., S. 456.
٢ الصفة (١١٢) .
٣ Glaser, Mitt., S. 458.
٤ الصفة (٥٤) .
٥ Glaser, Mitt., S. 100.
٦ Glaser, Mitt., S. 100.

ذى يزن) الذي ثار على الحبش،واستعان بالفرس لانقاذ بلاده من أيدي الأحباش[1].

وأما معديكرب بن سميفع ، فيرى الباحثون أنه ابن (السميفع أشوع)[2]. وقد جاء اسمه بين أسماء الأقيال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة (يزيد ابن كبشة) . فهو من الأقيـــال الحاقدين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك من والده . ولهذا انضم الى (يزين بن كبشة) سيد (كدت) (كندة) وحارب معه الحبش[3] .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضي على عصيان الأقيال الـذين انضموا الى ثورة (يزيد) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه.وكذلك استسلمت قبيلة كدار (كيدار) (كـدر)[4] ، وتحسن موقفه بـــذلك كثيراً ، وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أمـــا الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه والتفوا حوله ، فهم : ذو معاهر[5] و (بن ملكن) ابن الملك[6] ومرجزف وذو ذرنح[7] وعدل (عادل) و ذو فيش ، وذو شولمان (ذو الشولم)[8] و (ذو شعبان)[9] (ذو الشعب) وذو رعين (ذرعن) ، و (ذو همدان)[10] و(ذو الكلاع)[11]، و (ذ مهدم) (ذو مهد) و (ذ ثت) (ذو ثت) (ذو ثات)و(علسم) و (ذو يزان) (ذ يزن) (ذو يزن) ، و (ذو ذبـين) (ذو ذبيان) و (كبر حضرموت) كبير حضرموت ، وذو فرنة (ذ فرنة) . وقـد ذكر النص انهم كانوا إلى جانب الملك ، وانهم كانوا عـــلى ود وصداقة معه . وهم بالطبع من أسر عريقة ، ومن كبراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم في النصوص المدونة قبل الميلاد .

---

١ Glaser, Mitt., S. 101.

٢ Handbuch, S. 106.

٣ Beiträge, S. 93.

٤ (كدر) في النص ، السطر ٣٤ من النص .

٥ (ذ معهر) في النص السطر ٨٢ .

٦ (بن ملكن) السطر ٨٣ .

٧ (ذ ذرنح) ، السطر ٨٣ من النص .

٨ (ذ شولمن) ، السطر ٨٤ من النص .

٩ (ذ شعبن) ، السطر ٨٤ من النص .

١٠ (ذ همدن) ، السطر ٨٥ من النص .

١١ (ذ كلعن) ، السطر ٨٥ من النص .

ولم يذكر في هذا النص اسم (كبر حضرموت) : أي كبـير حضرموت الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهـر من ذكره مع الرجال الذين حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له[1] .

وتدل جملة (بن ملكن) ، على أن المراد بها (ابن الملك) ، أي (ابن أبرهة) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض انه كان يحكم (وعلان) (ذو ردمان) ، وانه كان يلقب بـ (ذ معهر) (ذو معاهر) (ذو معهر) . وقد أشار (الهمداني) إلى (ذي المعاهر) . وذكر انه قصر (وعلان) بـ (ردمان)[2] .

وفي اثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت اليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم (ملك رمن) ومن ملك الفرس (ملك فرسن) ، ورسل من (المنذر) (رسل مذرن) ومن (الحارث بن جبلــة) (رسل حرثم بن جبلت) ومن (أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلة) (رسل ابكرب بن جبلت)ومن رؤساء القبائل[3] . ويلاحظ ان النص قد قدّم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك الفرس ، ثم ذكر من بعد ملك الفرس اسم المنذر والحارث ابن جبلة وأبـي كرب بن جبلة (ابكرب بن جبلت) . أما تقديم النجاشي على غيره فأمر لا بد منه ، وذلك لسيـادة الحبشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي ارسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في ادارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسلهم ومن بينهـم وفد من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على ملك الفرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن ، فللروم الأسبقية والأفضلية اذن على الفرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة (محشكت) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا الى أبرهـــة من النجاشي ومـن ملك الروم ، فكتب (محشكت نجشين)

---

١ Glaser, Mitt., S. 467.

٢ Beiträge, S. 39.

٣ السطر ٨٨ من النص ، وما بعده الى السطر ٩٣ .

و (محشكت ملك رمن) أي (رسل النجاشي) (سفراء النجاشي) (سفير النجاشي) و (رسل ملك الروم) . وتعني كلمة (محشكت) في اللغة السبئية (الزوجة) ، فعبّر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى (سفير) (سفراء) و (رسل حكومة صديقة مقربة) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص[1] . أما بالنسبة الى رسل (ملك الفرس) ، فقد أطلق عليهم كلمة (تنبلت) ، فكتب (تنبلت ملك فرس) ، أي (وفد ملك الفرس) وذلك يشير الى أن لهذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى (محشكت) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتهما .

ولقد أحدث مجيء مندوب النجاشي (رمحيز زبيمن) ومندوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس،ورسل المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبي كرب ابن جبلة ، أثراً كبيراً ولا شك في نفوس العربُ الجنوبيين ، وفي نفوس الأقيال وقبائلهم ، فمجيء هؤلاء الى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمر يسير، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولمكانته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وفمه عند باب المندب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أثراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول إلى عاصمة سبأ ذات الأثر الخالد في النفوس[2] .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنئة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمور أخرى أبعد من هذه وأهم ، هيَ جرّ أبرهة الى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخنق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك اما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، واما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكل طبّالون ومزمرون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبّلون ويزمرون ، ويرضون أو يغضبون ، ويثيبون أو يعاقبون إرضاء

---

١ Glaser, Mitt., S. 408, Praetorius, in ZDMG., 48, S. 650.

٢ Glaser, Mitt., S. 421.

للجبهة التي هم فيها ، وزلفى اليها وتقرباً . لقد سخر الروم كل قواهم السياسية للهيمنة على جزيرة العرب ، أو ابعادها عن الفرس وعن الميالين اليهم على الأقل. وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل المعسكران بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسعى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرضوا الحبشة على نصرها ونشرها ، وسعى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والحبشة ولتأييد اليهودية أيضاً، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغيض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض الروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه (رمحيز زبيمن) (رمحيز زبيمان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي (كالب ايلا أصبحة Kaleb Ela Asbeha) الذي بأمره كان الفتح،أم كان خلفاً لخليفته[1] . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره (بروكوبيوس) وأهل الأخبار عن التوتر الذي كان بين نجاشي الحبشة وأبرهة، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزية سنوية اليه . ويظهر ان أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسمياً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزية له ، وتحسنت العلاقات .

وأما (ملك رمن) ملك الروم ، فلم يذكر (أبرهة) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر (يوسطنيانوس) Justinian الذي حكم من سنة(٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم (يسطين) الذي ولى الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان (يوسطنيانوس) (يوسطنيان) قد وضع خطة للتحالف مع الحبش ومع حمير للإضرار بالفرس . وراسل (السميفع أشوع) Esimiphaeus للاتحاد معه ولمحاربة الفرس . فلما تولى (أبرهة) الحكم عاد القيصر فاتصل به ، وتودد اليه لتنفيذ ما عرضه على (السميفع أشوع)

---

١ Glaser, Mitt., S. 427.

من مهاجمـــة الفرس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم : غير أنه ترجع بسرعة [1] .

وأما (حرثم بن جبلت) ، فهو الحارث بن جبلـة ملك الغساسنة ، وأمـــا (ابكرب بن جبلت) ، فإنه Abochorabus المذكور في تأريخ (بروكوبيوس). وقد ذكر هـذا المؤرخ أن القيصر (يوسطنيانوس) (يوسطنيان) Justinian كان عينـــه عاملاً (فيلارخا) Phylarch عــلى عرب السرسين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحـدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عربها عرب آخرون يسمون (معديني) (معدّ) Maddeni هم أتباع لـ (حمير) Homeritae [2] .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقرّبه اليه وفي إكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخل كثير ، عرفت عنـد الروم بـ Phoinikon (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) وهي أرض بعيدة ، لا تُبلغ إلا بعـــد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً (فيلارخاً) على عرب فلسطين [3] .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسية بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) Amorkesos الذي سبق ان تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddenoi ، وكانت معد كما يظهر من أقوال المؤرخ (بروكوبيوس) خاضعة في عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى (السميفع أشوع) ليوافق

---

١ ZDMG., 35, 1881, S. 36.

٢ Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437.

٣ Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428, Musil, Hegay, P. 307.

على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) ، فسيّر اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة . أدّبها بقوة سيّرها اليها في شهر (ذو ثبتن) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرو بن مذر) عليها ، وتراجعت القوة عنها [١] .

و Maddenoi ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) John of Ephesus مع (طياية) Taiyaye في كتابه الذي وجّهه إلى أسقف (بيت أرشام) Beth Arsham ،ويظهر من هذا الكتاب أن عشائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سيل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنّات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنيتهم جنتين ذواتي أُكل خمط ٍ وأثل ٍ وشيء ٍ من سدر ٍ قليل» [٢].
ولم يحدد المفسرون الوقت الذي تهدّم فيه السد [٣] .

ولـ (أبرهة) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، لمناسبة غزوه (غزيو) (معداً) ، في شهر (ذ ثبتن) (ذى ثبت) (ذى الثبت) (ذى الثبات) من شهور سنة (٦٦٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٤٧) أو (٥٣٥) للميلاد . وهذا النص عثرت عليه بعثة (ريكمنس) مدوّناً على صخرة بالقرب من بئر (مريغان) . فوسم بـ Ryckmans 506 . وقد ترجمه (ريكمنس) G. Ryckmans الى الفرنسية ، ثم الى لغات أخرى [٤] .

---

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans. No. 506.
٢ سورة سبأ ، الآية ١٥وما بعدها .
٣ تفسير الطبري (٢٢/٥٢ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٢٢/٥٠ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) تفسير الالوسي (٢٢/١١٥) .
٤ تأريخ العرب قبل الاسلام (٤/٣٩٦ وما بعدها) ، Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol., XVI, Part, 3, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 435, A. F. L. Beeston, Notes on the Muraighan Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 389.

وفي النص مواضع طمست فيها معالم بعض الحروف ، عزّ بذهابها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عالجه فهم المعنى فهماً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيّره وكأنه برقية من برقيات (التلغراف) ، ولكنه مع كل هذا ذو خطر بالغ،لأنه يتحدث عن حوادث لم نكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير الى اتصال ملوك الحيرة بالحبش والى سلطان حكّام اليمن على القبائل العربية ، مثل معدّ ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معدّ وأن تبابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكّام على تلك القبائل .

وقد تلقب (أبرهة) في هذا النص كما تلقب في نص سدّ مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في النجـاد (طودم) وفي المنخفضات (تهمتم) ، (تهامة) ، كما افتتحه بجملة : (بخيل رحمنن ومسحهو) ، أي (بحول الرحمن ومسيحه) ، وقد سبق لـ (ابرهة) أن افتتح نصه الذي دوّنه على (سد مأرب) بجملة : (بخيل ودا ورحمت رحمنن ومسحهو ورح قدس) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس) ، والجملتان من الجمل الـتي ترد في نصوص اليمن لأول مرة،وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحبش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف (أبرهـة) في النصين بـ (ابره زيبمن) ، أي (أبرهة زيبمان) ، ولفظة (زي ب م ن) (زيبمن) من ألقاب الملك في لغة الأحباش[1] .

واليك هذا النص كما دوّنه (ريكمنس) عن النص الأصيل :

« بخيل رحمنن ومسحهو ملكن ابره زيبمن ملك سبا وذ ريـدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت سطرو ذن سطرن كغزيو معدم غزوتن ربعتن بورخن ذ ثبتن كقسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ابجر بعم كـدت وعل وبشرم بنحصنم بعم سعلم و م . خ ض . و وضرو قدمى جيشن على بنيعمرم كدت وعلى ود . ع . ز . رن . مردم وسعدم بود بمنهج ترين وهرجو وازرو ومنمو ذ عسم ومخض ملكن

---

١ Le Muséon, 1953. 3-4. P. 279.

بحلبن ودنو كظل معدم ورهنو وبعدنهو وزعهمو عمـــرم بن ملرن ورهنهمو بنهو وستخلفهو على معدم معـــدم وقفلو بن حلبن بخيل رحمـــنن ورخهو ذ لثنى وسثى /وست ماتم »[1] .

ونصه في عربيتنا :

« بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زبيان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) . سطروا هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذ ثبتن) (ذو الثبت). ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) . أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كدت) كندة وقبيلة (عل) و (بشر بن حصن) (بشرم بن حصنم) بقبيلة (سعد) لحرب (بني‌عامر) فتحركا بسرعة[2] وقدّما جيشهما نحو العدو : فحاربت (كدت) كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومراداً ، وحاربت (سعـد) بواد (عنهج) ينهج (يؤدي) إلى (تربن) (الترب) . فقتلوا من بني‌عامر وأسروا وكسبوا غنائم[3] . وأما الملك ، فحارب بـ (حلبن) (حلبان) : وهزمت معد ، فرهنت رهائن عنده .

وبعدئذ ، فاوض (عمرو بن المنذر) (عمرم بن مـذرن) ، وقدّم رهائن من أبنائه . فاستخلفه (اقره) على معد . وقفل (أبرهة) راجعاً من (حلبن) (حلبان) . بحول الرحمن . بتأريخ اثنين وستين وست مئة » .

وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنه يشير الى حملة أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار بـ (عام الفيل) وأشير اليها في القرآن الكريم[4] . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهة تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة[5] .

---

١ Le Muséon, 1953, 3-4, P. 277.

٢ (ومخضو) ، (وفي الحديث : أنه مر عليه بجنازة تمخض مخضا ، اي تحرك تحريكا سريعا) ، اللسان (٢٣١/٧) ، (صادر) ، (م/خ/ض) .

٣ (ذعسم) (العســـم : الاكتســـاب ، والاعتسام : الاكتســـاب) ، اللســـان (٤٠٢/١٢) ، (صادر) ، (ع/س/م) .

٤ سورة الفيل ، الآية ١ فما بعدها) ،

F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sasaniden, Berlin, 1954, S. 200-207, Finanzgeschichte der Spatantike, S., 145, 353, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

٥ W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً[١] .

وذهب (بيستن) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قام بها (أبرهة) في (حلبان) : ومعركة كندة وسعد — مراد بموضع (تربن) (الترب) (تربة) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل[٢] .

ويظهر من النص ان (أبرهة) غزا بنفسه معداً في شهر (ذى ثبتن) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، والتقى بها في موضع (حلبن) (حلبان) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في (حلبان) بعد اتفاقه مع معد ، جاءه (عمرو بن المنذر) (عمرم ابن مذرن) ، وكان أبوه (المنذر) عينه أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر (معد) فقابله بـ (حلبان) ، وأظهر له استعداد أبيه (المنذر) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل (وقفلو) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوّى بذلك خلافه مع معدّ . وصار (عمرو بن المنذر) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبتثبيت (أبرهة) هذا التعيين[٣] .

و (حلبان) موضع في اليمن في أرض (حضور) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من (نجران) ، وانه موضع ماء في أرض (بني قُشَير) . وقد وعت ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمخبّل السعدي يفخر بنصرة قومه (أبرهة بن الصباح) ملك اليمن[٤] . وكانت (خندف) حاشيته . ذكروا أنه قال :

---

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961, PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426, BSOAS, 1954, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمعنى للنص .

٤ البكري ، معجم (٢/٤٦١) ، (حلبان) (حلبان من أرض الأخروج بين حضور وحدان) ، الاكليل (٢/١٥٨) ، (حاشية ١) .

صرمَوا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهمـــا شركاؤنا في الصهر والأموال[1]

وأورد (الهمداني) أبياتاً فيها اسم موضع (حلبان) واسم (أبي يكسوم) ، وهي قوله :

ويوم أبي يكسوم والناس حضرٌ على حلبـــان إذْ تقضي محامله
فتحنا له باب الحضير وربّـــه عزيز يمشي بالسيوف أراجلـه

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر (المخبل المعدي) في هذا الشكل :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبـان إذ تقضي محامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله[2]

ويظهر من هذا الشعر أن (أبرهة) لما جاء بجيشه إلى موضع (حلبان) ، وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن مقفلة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب (بني عامر) ، فلم يقم به (أبرهة) بنفسه ، بل قام به قائد اسمه (اجبر) (أبو جبر) ، قاد قبيلتي (كدت) ، أي (كندة) و (عل)، وقائد آخـــر اسمه (بشرم بن حصنم) ، أي (بشر بن حصن) ، قاد قبيلة (سعدم) ، أي (سعد) (بنو سعد) . وسار القائـدان بجيشها وتقدما بهما الى (بني عامر) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت (كنـدة) و (عل) قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها،فبقي من احداهما (ود.ع) وبقي من الأخرى (زرن) (ز. رن) وقبيلة (مردم) ، أي (مراد) . وحاربت (سعد) براد يؤدي الى (تربن) (الـترب)[3] ، فقتلوا وأسروا (ازرو) وأصابوا غنائم[4] . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي الى (الترب) .

---

١ اللسان (١/٣٣٤) ، (صادر) ، تاج العروس (٢/٣١٤) ، (طبعة الكويت) ، (ضربوا) بدلا من (صرموا) ، البكري (٢/٤٦١) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ (بود بمنهج تربن) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع (تربن) الذي يؤدي اليه الوادي الذي جرت فيه المعركة، هو موضع (تربة) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف[1] . وذكر أنه واد بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السَّراة، وقيل انه واد ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفله بنجد وأعلاه بالسراة،وقيل : يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، وقيل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك[2] .

و (عمرم بن مذرن) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة ، وكان أبوه (المنذر) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابراهة) اذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد بـ (بنيعمرم) ، (بني عامر) . وهم (بنو عامر بن صعصعة) من (هوازن)[3] .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها (غطيف) . وفي أيام الرسول وفد عليه (فروة بن مسيك المرادي) مفارقاً للملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتلى في مراد . وعرفت تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق[4] .

وأما (سعدم) أي قبيلة (سعد) ، التي قادها (بشر بن حصن) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر (المُخبّل السعدي) الذي افتخر به بنصرة قومه لأبرهة في يوم (حلبان) وبانضمامهم اليه، ففي استطاعتنا أن نقول حينئذ : إن قومه هم (سعدم) أي (سعد) القبيلة المذكورة في النص .

و (ابجبر) اسم قد يقرأ (أبو جبر) ، وقد يكون (أبو جابر) وقد

---

١ البكري (١/٣٠٩) ، (مادة تربة) ،
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس (٢/٦٨ وما بعدها) (طبعة الكويت) ، اللسان (١/٢٣١) ، (صادر) .

٣ الاشتقاق (٢/١٧٧ ، ١٧٨) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الاثير (٢/١٢٣) .

يكون (أبجر) وقد يكون (أبو جبار) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب (كستر) (M. J. Kister) الى احتمال كونه (يزيد ابن شرحبيل الكندي) أو (أبو الجبر بن عمرو) ، وهو من كندة أيضاً [١] . وهو من (آل الجون) من بطون كندة [٢] .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى أمير من أمراء كندة عرف بـ(أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة (ابن دريد) [٣] . وروى أنه زار (كسرى) ليساعده على قومه ، فأعطاه جماعة من (الأساورة) أخذهم معه ليساعدوه ، فلما وصل إلى (كاظمة) سئموا منه ، وأرادوا التخلص منه فدسّوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يحملونه معهم الى (كسرى) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر الى (الطائف) ، فعالجه (الحارث بن كلدة الثقفي) ، حتى شفي ، فوهبه جارية كانت له اسمها (سميّة) أهداها له (كسرى) ، ثم ذهب الى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه اليها فمات . وقد رأى (كستر) أنه هو (أبو جبر) المذكور في النص [٤] .

وأما (بشرم بن حصنم) ، أي (بشر بن حصن) ، أو (بشر بن حصين) أو (بشار بن حصن) أو (بشار بن حصين) أو (بشير بن حصن) ، فقد ذهب (لُندن Ludin) ، الى أنه احد سادات (كندة) [٥] .

لقد أشرت الى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، والى ذهاب بعضهم الى انها كانت حملة الفيل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت الى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة الفيل ، أي حملة

---

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

مقصورة ابن دريد ، (ص ٨٢) (طبعة الجوائب) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، نزهة الجليس (١/٤٨٤) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke Palestyniski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة[١] . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، اذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد[٢] . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قريش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام الفيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً اذا أخذنا برأي (ريكمنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة(١٠٩)لا(١١٥) قبل الميلاد[٣] .

وأبرهة هذا هو (صاحب الفيل) الذي قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى (القُلَّيْس) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، انها كانت عجيبة في عظمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « إني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبنِ العرب ولا العجم مثله »[٤]. أو « إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك»[٥]. ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقي) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بحجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها العمال والفعلة والمسخرون من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأخذوا حجره وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينوا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

---

١ البدء والتأريخ (١٣١/٤ وما بعدها) ، تأريخ العرب في الاسلام (٩١/١) .
٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.
٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.
٤ الازرقي (٨٢/١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) .
٥ ابن هشام (٤٣/١) ، ابن كثير ، البداية (١٦٩/٢) ، (١٧٠/٢ وما بعدها ، (مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م) ، (القاهرة ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤ وما بعدها) ، (عيسى البابي الحلبي) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمد بالسياج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرها بالفسيفساء ، فيها صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغشي عينَ من ينظر اليها من بطن القُبَّة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندهم الآبنوس ، مفصد بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة[1] . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحوزي،والأحوزي بلسانهم الحر[2] .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل الى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بناؤها وسر من رؤيتها، فأصبحت بهجة للناظرين .

ونجد في وصف (الأزرقي) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئاً من المبالغة ، ولكنه على الاجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته ، لذلك جاء وصفاً حياً نابضاً بالحياة ، ينطبق على الكنائس الضخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطنية أو في القدس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة اليماني القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

---

١ نهاية الأرب (١/٣٨٢) .

٢ الأزرقي (١/٨٤ وما بعدها) ، (١/٩٠) ، (خياط) .

ويذكر (الأزرقي) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليــه حتّى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولي (العباس بن الربيــع بن عبيد الله الحارثي) (العباس بن الربيع بن عبد الله العامري) اليمن ، فذكــر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالاً كثيراً وكنزاً فتاقت نفسه الى هدمه . ثم استشار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه،وبيّن اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلي اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمـــه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وخـــاف الناس من لمس الخشبـــة المنقوشة الّتي كانوا يتبركون بها،ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها لدار له[1]. وخرب القليس حتّى عفى رسمه وانقطع خبره[2] .

واذا كان ما يقوله الأزرقي نقلاً عن رواة أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بلقيس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوّض أثـراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التّيأقامها السبئيون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ (غرفة القليس) ، يظن أنـه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حُفَيْر صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعــلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير[3] .

وذكر (الهمداني) اسم قصر دعاه (القليس) نسب بناءه الى (القليس بن عمرو) ، وهو في زعمه من أبناء (شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب) . وقال : انه بناه بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن (عمرو ينأر ذو غمـدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار) هو أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم[4] .

---

١ الازرقي (١/٨٦) ، نهاية الارب (١/٣٨٣) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها ، البداية ، لابن كثير (٢/١٧٠ وما بعدها) . (السعادة) .

٢ البلدان (٧/١٥٦) (القليس) .

٣ الاكليل (٢/٨٧) ، حاشية لـ (لمحمد بن علي الاكوع الحوالي) ، رحلة في بلاد العرب .

٤ الاكليل (٢/٨٦وما بعدها) .
السعيدة ، لنزيه مؤيد العظم ، (١/١٦٥) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (١/٢٨٥) .

وقد أمر (أبرهة) ببناء كنيسة في (مأرب) أشار الى بنائها في نصه الشهير ، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومعبدها الكبير ، ذلك لأن حجارتها منحوتة نحتاً جيداً ، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأخبار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .



جدار معبد (أوم) (أوام) بمأرب ، وهو معبد اله سبا
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مُني به مشروع (أوليوس غالوس) لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تمّ إذن لاتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما ، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشأم وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان[1] .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية (أبرهة) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حملته أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله[2] . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر الى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد (أبرهة) ، هو ابنه (يكسوم) . وبه كان أبرهة يكنى . فذلّت حمير وقبائل اليمن ووطئتهمُ الحبشة ، وعم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب[3] . ويذكر (المسعودي) أن (يكسوم) كان سيء السيرة في أهل اليمن فعمّ أذاه سائر الناس ، الى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم[4] .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ، أن (النجاشي) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فمكث على ذلك أربعين عاماً[5] . أما ابنه (يكسوم) ، فمكث على اليمن تسع عشرة سنة[6] . وصيّر (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل (أرياطاً) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم (يكسوم) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة، اثنتين وسبعين سنة[7] .

ويرى (كلاسر) أن أبرهة كان قد عيّن ابنه (أكسوم) (يكسوم) على أرض (معاهر) (معهرن) ، وكانت له (ذي معاهر) ، فعرف (يكسوم) بـ (ذي معاهر) . وفي معاهر (عر وعلن) ، أي حصن وعلان[8] .

---

١ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa, Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري (٢/١٣٧) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٢/١٣٩) ، مروج (٢/٨ وما بعدها) (محيي الدين) ، المعارف (٢٧٨) .

٤ مروج (٢/٨ وما بعدها) (محيي الدين) .

٥ الاخبار الطوال (ص ٦٢) .

٦ المصدر نفسه (ص ٦٣) .

٧ حمزة (ص ٨٩) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 461.

وانتقل الحكم من بعد هلاك (يكسوم) الى شقيقه (مسروق) . وهو من أم عربية هي (ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) وهو (ذو جدن). وكانت تحت (أبا مرة الفيّاض ذا يزن) فانتزعها منه أبرهة، وأولدها مسروقاً . ففرّ (ذو يزن) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، ويظن (الطبري) بأنه (عمرو بن هند) وأقام هناك[1] . وقد كان أسوأ سيرة من (يكسوم) ، ويذكر (المسعودي) أنه حكم ثلاث سنين[2] . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن[3] .

وقد ذكر المؤرخ (ثيوفانس) ملكاً من ملوك حمير قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة (٥٧٠) للميلاد ، دعاه باسم (سنطرق) (سنطرقس) Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاسر) تحريف (شناتر) ، والأصل (ذو شناتر). و (شناتر) اسم موضع ، والمراد به (مسروق بن أبرهة) ، وكان والده قد عيّنه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن (ذا شناتر) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاسر) أن Sanaturces هو (مسروق)[4] .

وبهلاك (مسروق) هلك حكم الحبش لليمن . اذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة[5] .

وجاء في شعر للشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش، اسمه (خمير) ، أتاه فكلمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن اليه ، وحمله على خيل ، (وبذرقه)[6] ، أي : أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه (طِرساً)، اي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلس اي حبشياً[7] . ولم يذكر كيف

---

١ الطبري (١٤٢/٢) .
٢ مروج (٨/٢) (محيي الدين) .
٣ الطبري (١٣٩/٢) .
٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.
٥ الطبري (١٣٩/٢) .
٦ (بذرته : فارسي معرب) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .
٧ (والاطلس : الحبشي) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .

وصل الى (خمير) ، ولا في اي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي بجزيرة العرب إن صح انه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر وصدّقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل الى الحبش لفك أسر جماعة من قومه أو من أصحابه قد يكونون ذهبوا للاتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من الأسباب واحتجزوا ، فذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون (خمير) هذا احد الحكّام أو الاقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب (الإشتقاق) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه (ابن شمر) إذ ذكر مؤلفه (ابن دريد) اسم رجل سماه (ابن شمر بن أبرهة بن الصباح) ، قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب) بصفين[1] . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة ولد اسمه (شمر) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفدة (أبرهة) .

وقد سعى الأحباش ، مدة مكثهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ، وبناء الكنائس . ويحدثنا (قزما الرحالة) Cosmas Indicopleustes في نحو سنة (٥٣٥ م) ، اي بعد اندحار (ذي نواس) ، عن كثرة الكنائس في العربية السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني جرم[2] . وقد اشتهرت كنيسة (نجران) ، وكذلك كنيسة صنعاء ، وكنيسة (ظفار) التي بناها الحبش، وقد أشرف عليها الأسقف (جرجنسيوس) صاحب (كتاب شرائع الحميريين) ، وكان مقرباً لدى النجاشي ومستشاره ومساعده في تنصير الحميريين[3] .

وورد أن القيصر (يوسطين) (جستين) كان قد أرسل (كريكنتيوس) Gregentius of Ulpana من الاسكندرية الى (ظفار) ليكون (أسقفاً) على نصاراها . وقد تناظر مع (حبر) من أحبار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون الشريعة الى (أبرام) (Abram) ملك حمير[4] .

---

١ الاشتقاق (٢/٣٦١) ، جهمرة أنساب العرب ، (لابن حزم (٤٣٥) .

٢ النصرانية (١/٦٥) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.

٣ النصرانية (١/٦٤) ، الاغاني (٢/٧٥) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., 86, col. 567-620.

٤ Bury, II, P. 327.

حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روّعت قريشاً وأفزعتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور ،حتى انه لما مات وذهب مع الذاهبين لم تمت ذكراه كما ماتت ذكرى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عميقاً في ذاكرة أهل اليمن، انتقل منهم الى أهل الأخبار ، فرووا عنه أقاصيص ، ونسجوا حوله نسيجاً من أساطير وخرافات ، على عادتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى انهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سمّوهم (أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحمير .

والرأي الغالب بين الناس ان حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف بـ (عام الفيل) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو (٥٧١ م) . وانما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا الى مكة ومعهم فيل سمّوه (محموداً) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وعبر عن الحبش في القرآن الكريم بـ (أصحاب الفيل)[١] .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك (هرمز ابن انو شروان) . ولما كان ابتداء حكم (هرمز بن أنو شروان) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لا سنة (٥٧٠) او (٥٧١) للميلاد

---

١ سورة الفيل ، الطبري (٢/ ١٣٠ وما بعدها) (دار المعارف) ، الكامل (١/ ٢٦٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٨ ومـا بعدها) ، مروج (٢/ ٧١) ، روح المعاني (٢٨/ ٢٣٣) ، الطبرسي ، مجمع (٣٠/ ١٩١) ، الازرقي (١/ ٨٢ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/ ١٧٠) ، تفسير الطبري (٣٠/ ١٦٦) ، (المطبعة الميمنية) ، دائرة المعارف الاسلامية (١/ ٦١ وما بعدها) ، ترجمة الشمنتاوي .

كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اخذنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام الفيل قد كان لاثنتين واربعين سنة من ملك (انو شروان)، فيكون هذا العام قد وقع في حوالي السنة (٥٧٣) للميلاد[1] وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره اهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »[2] ؟ وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريشاً سوف تخيب وتحل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب الفيل ، واصحاب الفيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا شيء تجاههم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحبش ، وما كان عهد الحبش عنهم ببعيد .

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجل من كنانة (القليس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة،فسار ومعه جيش كبير من الحبش واهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج اليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائباً مدحوراً[3] .

ويذكر اهل الأخبار ان الرجل الذي دنس القليس،هو من النسأة أحد بني فقيم، ثم احد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة،ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب اليها ، ومن مبالغته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل[4] .

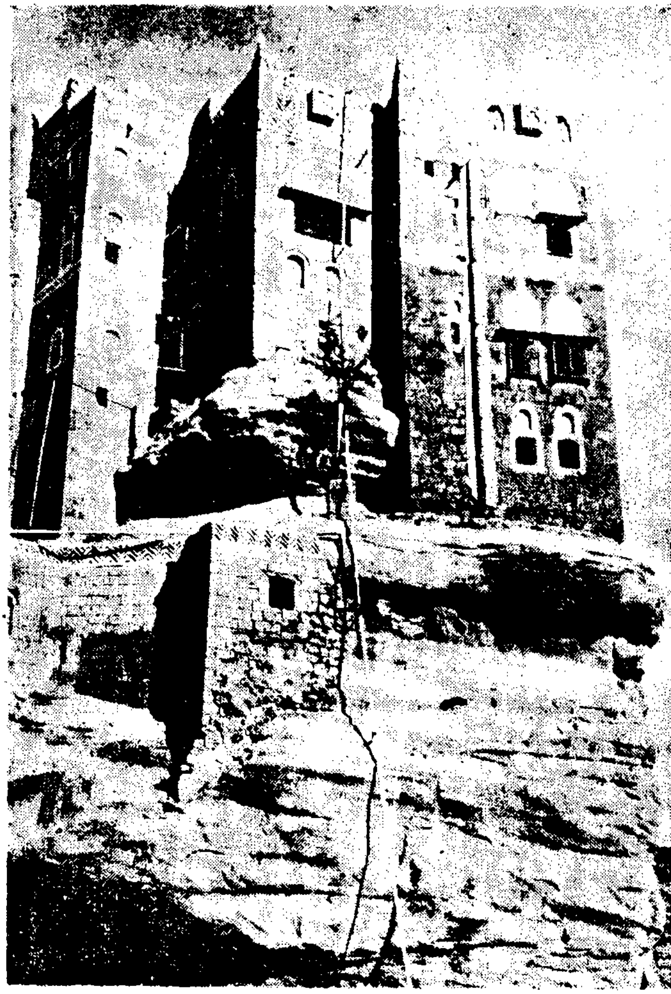
---

١ تفسير القرطبي (٢٠/١٩٤) .

٢ سورة الفيل ، الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري (٣٠/١٩٣) ، (بولاق) ، القرطبي (٢٠/١٨٧ ومابعدها) .

٣ الروض الانف (١/٤٠ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٢٠/١٨٨) ، الازرقي (١/٩٠ وما بعدها) ، (خياط) .

٤ الطبري (٢/١٣٠) ، تاج العروس (٩/١٤) ، الكشاف (٤/٢٣٣) ، تفسير الطبري (٣٠/١٦٧) ، تفسير النيسابوري (٣٠/١٩٣) ، (حاشية على تفسير الطبري) .



أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليماني في البناء
من كتاب : (Günther Pawelke) (JEMEN)

وقيل ان الرجل المذكور كـان من النساك ، من نساك بـني فقـيم ، غاظه ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج الى مكة،فأحدث في القليس للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قبلتها بحدثه ، فشاع خبره بين الناس ، وهزىء القوم من (قُلّيس) حدث به ما حدث . وغضب أبرهة من عمله المشين هذا الموجه اليه والى كل الحبش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدسه ذلك الكناني

ومن يحج اليه[1] .

وينسب أخباريون آخرون عزم (أبرهة) على دك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت الى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به[2] .

وذكر أن (أبرهة) بنى القلّيس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب الى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي ، غضب رجل من النّسأة ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة ، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضباً وحنقاً ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل[3] .

وذكر (السيوطي) سبباً آخر في قرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وان ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف الى جده مغضباً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من خولان

---

١ الكامل (١/ ٢٦٠ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٣٠/ ٢٦٩) ، روح المعاني (٣٠/ ٢٣٣ وما بعدها) ، الكشاف (٣/ ٢٨٨) (بولاق) (٣/ ٣٥٨ وما بعدها) (١٩٤٨ م) .

٢ الكشاف ٤/ ٢٣٣) ، روح المعاني (٢٨/ ٢٣٣) ، تفسير الفخر الرازي (٣١/ ٩٦) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٩) ، تفسير أبي السعود (٥/ ٢٨٥) ، تفسير النيسابوري (٣٠/ ١٦٣) ،وهو حاشية على تفسير الطبري (بولاق) ، التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه (ص ٣٠٣) ، حيدر آباد الدكن) بالهند . تفسير الطبرسي ، مجمع (١٠/ ٥٣٩) ، (طهران) ، ابن هشام السيرة (١/ ٤٤ وما بعدها) ، روح المعاني ، للالوسي (٣٠/ ٢٣٣ وما بعدها)، تفسير البيضاوي (٣٠/ ٢٦٩) .

٣ (تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٨) ، تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٣ وما بعدها) .

والأشعريين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتيمنت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنها هي قرية صغيرة ؟ ولكنا ندلك على بيت بمكة يعبد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ المغمس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مقلدة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يرد عليه ابله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك فقال عبد المطلب : افعل . فأدخله عليه ، فقال له : ان لي اليك حاجة . قال قضيت كل حاجة تطلبها ، ثم قص عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سألني كل شيء أحوزه ، أعطيته اياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لهدمها . وتوجه ألف شهر وأصحاب الفيل ، وقد اجمعوا ما اجمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق ، فشاختهم ، ونزل الهلاك بهم فانصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت اعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون اليه[1] .

ويتفق خبر (السيوطي) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت الينا عن حملة (أبرهة) ، ولا يختلف عنهما الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . اما السبب الذي اورده السيوطي ، فهو غير معقول ، لسبب بسيط واضح ، هو ان ابن ابرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني، والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها محجة الوثنيين ، وقد عزم جده ابرهة على صرف العرب من الحج اليها ، فكيف يحج اليها ابن ابنته، وهو على دين جده ؟ واما ما زعمه من ان (شهر بن معقود) (مقصود) هو الذي سار على مكة لهدمها ، وذلك بأمر من ابرهة ، فإنه يخالف اجماع اهل الأخبار والمفسرين من ان ابرهة هو نفسه

---

١ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/٣٩٤) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة (١٠٠ وما بعدها) ، الكشاف (٣/٢٨٨) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ الفيل او الفيلة معه،وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهـل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود (الملك) في الجيش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحـده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبـين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي،فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور .

وأورد (القرطبي) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب الفيل هو ما روى ان فتيـة من قريش خرجوا تجـاراً الى ارض النجاشي ، فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى ، تسميها النصارى : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها وارتحلوا ، فهبت ريح عاصفة على النار فأضرمت البيعـة ناراً واحترقت ، فأتي الصريـخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأتاه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم الفيل ، وقيل ثمانية فيلة ، ونزلوا بذي المجاز ، واستاقوا سرح مكة[1] .

وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقـة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنيسة المحترقة بيعـة في ارض النجاشي ، اي في ساحـل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الآمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المنفذون لها ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأتعرض له فيما بعد ، يذكره أهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حملت ابرهة على السير نحو مكة لتهديمها . وهو سبب ارجحـه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالسياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة عـلى

---

[1] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٨٧ ، ١٩٢ وما بعدها) .

الطرق الموصلة الى المياه الدافئة والى الأرضين المنتجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات اهل الأخبار ان أبرهة لما رتب كل شيء وجهز نفسه للسير من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : (ذو نفر) وعرض له فقاتله ، فهزم (ذو نفر) واصحابه ، واخذ له ذو نفر اسيراً . ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نُفيل أسيراً وخرج معه يدلّه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف،وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد – يعني اللات – انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلّك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجمت العرب قبره،فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس[1] .

وكان نفيل بن حبيب الخثعمي من سادات خثعم ، ولما أخذه أبرهة أسيراً واحتبسه عنده ، جعله دليله إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث تسلم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال[2] . وذكر بعضهم أن (نفيل ابن حبيب) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف بـ (ذي اليدين)[3] .

ولأهل الأخبار قصص عن (أبي رغال) ، صيّره أسطورة ، حتى صيّره بعضهم من رجاله ثمود ومن رجال (صالح) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجّهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه (ثقيف) وهو قسيّ بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خبر وضعه أناس من ثقيف ولا

---

١ الطبري (٢/١٣١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٣٠/١٦٧) ، (٣٠/١٩٤) (بولاق) ، تفسير القرطبي (٢٠/١٨٨) .
٢ الاشتقاق (٣٠٦) ، تفسير الطبري (٣٠/١٩٤) (بولاق) .
وأرجم قبره في كلّ عام كرجم الناس قبر أبي رغال
٣ نوادر المخطوطات (القاب الشعراء) (ص ٣٢٧) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن (أبا رغال) منهم ، وقد جاءوا بشعر ، زعموا أن (أمية بن أبي الصلت) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغالٍ بمكة إذ يسوق بها الوضينا [1]

فصيّروا القاتل جدّ ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار (جرير بن الخطفي) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس قبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال [2]

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي في طريق العراق الى مكة . بين الثعلبية والهبير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن سببه ، إذ أحال القارىء على مؤلفاته الأخرى [3] .

وذكر (الهمداني) ان قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و (الزيمة) موضع معروف حتى هذا اليوم [4] .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى الى مكة : فساق اليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا سيدهم (عبد المطلب) لمواجهة أبرهة والتحدث اليه ، فذهب وقابله ، وتذكر رواية أهل الأخبار ان أبرهة لما سأله عن حاجته وعما معه من أنباء ، قال له : حاجتي الى الملك أن يردّ علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الابل ، وان

---

١ مروج (٢/٥٣) .
٢ اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال
مروج (٢/٥٣) ، (دار الاندلس) ، البداية (٢/١٧٠ وما بعدها) .
٣ مروج (٢/٥٤) .
٤ الاكليل (١/٣٧٣) .

للبيت رباً سيمنعه[1] .

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبـــال والشعاب تخوفاً عليهم من معرّة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة،وتفشى الوباء فيه ، واضطر الى التراجع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث[2] .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا انهم لا طاقة لهم به . بعث ابرهة (حناطة الحميري) إلى مكة، وقال له : سل عن سيد هـــذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنمـــا جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرد حربي فائتني به ، فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهـة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله ابراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر، سأل عن (ذي نفر) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه، فكلمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق فيل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خـيراً بعبد المطلب ، وكلمه في إيصاله الى ابرهة ، وان يتكلم فيه عند ابرهة بخـير . ونفذ انيس طلب (ذو نفر) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث[3] .

وذكر الطبري : أن بعض اهـــل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حناطة الى ابرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

---

١ الطبري (١٣٢/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الاثير (٣٢١/١) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠) .

٢ الطبري (١٣٧/٢ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (١٩٤/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠ وما بعدها) .

ابن نفاثة بن عديّ بن الدُئل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال اهل تهامة على ان يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم[1] .

ويذكر أهل الأخبار ان جيوش (ابرهة) حين دنت من مكة،توسل عبد المطلب الى ربه وناجاه بأن ينصر بيته ويذل (آل الصليب) وأنه أخذ بحلقة باب الكعبه وقال :

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا ربّ فامنع منهم حماكا
إن عدوّ البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال :

لاهُمّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك[2]

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير انه لم يتمكن من دكّها ومن هدمها ، وخاب ظنه ، إذ تفشى المرض بجيشه وفتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر الى الإسراع في العودة ، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم الى اليمن. وذكرت بعض الروايات ان أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء الاّ بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله اليها[3] .

وعلى هذه الصورة أنهى اهل الأخبار أخبار حملة ابرهة ، فقالوا انها انتهت

---

١ تفسير الطبري (٣٠/١٩٥) ، الطبري (٢/١٣٤) (دار المعارف) ، تفسير القرطبي (٢٠/١٩٠) .

٢ السيرة الحلبية (١/٢٤ وما بعدها) ، يرد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي (١/٢٨٣) ، تفسير الطبري (٣٠/١٩٥ وما بعدها) (بولاق) .

٣ تفسير الطبري (٣٠/١٩٥ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير البيضاوي (١/٢٦٩) ، مروج (٢/٤٦) ، روح المعاني (٣٠/٢٣٣) ، تفسير القرطبي ، (٢٠/١٨٧) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤/٥٦٣) ، تفسير الرازي (٣١/٩٦) ، البداية والنهاية (٢/١٦٩) ، ابن هشام (١/٢٨) ، الكامل (١/٢٥٤) ، الطبرسي (٢٥/١٩١) حمزة (٨٩،٩٤) .

باخفاق ذريع ، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير ، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصـاب جلود أكثر جيشه ، فمزقها ، وأصابها بقروح وقيوح في الأيدي خاصة ، وفي الأفخاذ . أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملـة وبعد شرحهم لمعنى (طير أبابيل) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : «ان أول ما رئيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام»[1] . وتفسير ذلك بعبارة أخرى ان ما اصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيما مضى ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آلافاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش الى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم، وتعب ألمّ بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش،ثم ما لبث ابرهة ان مات بعد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش بـ (رب البيت) وبأصنامها ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوّى من معنوياتها. ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل ، وهي من السور المكّية القديمة : (ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول)[2] .

وقصة تدنيس (القليس) ، قد تكون حقيقية وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير الى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه ، خطة ترمي الى ربط اليمن ببلاد الشأم ، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية ، وبذلك يستفيد الروم والحبش

---

١ تفسير الطبري (١٩٦/٣٠) (بولاق) ، (وهو أول جدري ظهر في الارض) ، تفسير النيسابوري (١٦٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعي من مراير الشجر : الحرمل والحنظل والعشر ، ذلك العام) ، الازرقي (٩٧/١ وما بعدها) ، (خياط) .

٢ السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختلفوا مذهباً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم، إذ سترد اليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فتنخفض الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار .

وآية ذلك خبرٌ يرويه أهل الأخبار يقولون فيه إن (أبرهة) توّج (محمد ابن خزاعي بن حزابة الذكواني) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفر من قومه ، مع أخٍ له ، يقال له (قيس بن خزاعي) ، يلتمسون فضله ، وأمّره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم اليه الى حج (القليس) ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمنّ البيت[1] .

فقتل (محمد بن خزاعي) ، هو الذي هاج أبرهة وحمله على ركوب ذلك المركب الخشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القتيل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه وخالف سياسته ومراميه التوسعية القاضية بفرض ارادته وارادة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقية كنانة ومضر ، وبتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع إلى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، فتفلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ فلعلّ الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانية ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً اقناع الحبش بتنفيذ

---

١ الطبري (٢/١٣١) ، تفسير الطبري (٣٠/١٩٤) ، (بولاق) ، الازرقي (١/٨٦ وما بعدها) .

هذه الخطة والاشتراك في محاربة الفرس ، وهم الذين حرضوا الحبشة وساعدوهم بسفنهم وبمساعدات مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الذين أرسلوا رسولاً اسمه (جوليانوس) Julianus ، وذلك في أيام القيصر (يوسطنيان) Justinian لاقناع النجاشي Hellestheaeus و (السميع أشوع) Esimiphaeus بالتحالف مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشتراك مع الروم في اعلان الحرب على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين[١] . وكان في جملة ما رجاه القيصر من (السميفع أشوع) ، هو أن يوافق على تنصيب (قيس) Casius رئيساً على (Maddeni) معد[٢] .

وقد ذكر (المُسكّري) ، أن (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب ابن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي) كان في جيش ابرهة مع الفيل، أي انه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة[٣] .

وقد ورد في بعض الأخبار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائسه ، وكانا أعمين مقعدين يستطعمان . وقد رأتهما[٤] .

وقد كان من أشراف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، المطعم بن عدي . وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقد صعدوا على حِراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة[٥] .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلالاً من الحبش من جيش أبرهة وعفاء وبعض من ضمّه العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعتملون ويرعون لأهل مكة[٦] .

وليس في كتب أهل الأخبار اسماء القبائل العربية التي جاءت مع (أبرهة) للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه انه كان قد ضم الى جيشه قوات عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير الى اشتراك خولان والأشعريين فيها ، وذكر أن (خِندفاً) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة، وكذلك (حميس بن أد)[٧] .

---

١ Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437.

٢ Procopius, I, XX, 9-12, P. 193.

٣ المحبر (١٣٠) .

٤ الكشاف (٤/٢٣٣) .

٥ تفسير ابن كثير (٤/٥٤٨ وما بعدها) .

٦ الأزرقي (١/٩٧ ، وما بعدها) ، (خياط) .

٧ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 433.

وقد اشير الى أبرهـــة الأشرم والى الفيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين واسلاميين . وقد ورد في شعر (عبدالله بن الزبعرى) أنه كان مع (أمير الحبش) ستون ألف مقاتل[1] . وورد في شعر (امية بن ابي الصلت) ان الفيل ظل يحبو بـ (المغمس) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صقور[2] . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة .

وذكر (عبـــدالله بن قيس الرقيات) : ان (الأشرم) جاء بالفيل يريـد الكيد للكعبـــة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمطرتهم الطير بالجندل ، حتى صاروا وكأنهم مرجومون يمطرون بحصى الرجم[3] .

وذكر ان (عمر بن الخطاب) كان في جملة من ذكر (أبا يكسوم أبرهة) في شعره ، واتخذه مثلاً على من يحاول التطاول على بيت الله وعلى (آل الله) سكان مكة . وذكر أهل الأخبار انه قال ذلك الشعر في هجاء (زنباع بن روح ابن سلامة بن حداد بن حديدة) وكان عشاراً ، أساء الى (عمر بن الخطاب) وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه واخذ مكسه ، فهجاه عمر ، فبلغ ذلك الهجـــاء (زنباعاً) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر يتحداه فيه بأن ينفذ تهديده ان كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكـــون مصيره مصير أبرهة الأشرم،وقد كف زنباع عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به[4] .

لقد تركت حملة (الفيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم عندهم،فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل (في كتبهم وديونهم من سنة الفيل). فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفجار ، ثم أرخت ببنيان الكعبة[5] .

لقد كان لأهل مكة صلات باليمن متينة ، إذ كانت لهم تجارة معها،تقصدها قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة يساهم فيها أكثرهم ، واليها أشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

---

١ بلوغ الأرب (١/٢٥٨) ، روح المعاني (٢٨/٢٣٣) .
٢ بلوغ الأرب (١/٢٦٠) .
٣ بلوغ الأرب (١/٢٦٠) .
٤ بلوغ الأرب (١/٢٦١ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٢٥) .
٥ الأزرقي (١/١٠٢) .

قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »[1] . ولهذا فقد كان من سياستهم مداراة حكام اليمن وارضاؤهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو الحبش ممن قد يقصد مكة للاتجار أو للاستراحة بها في أثناء سيره الى بلاد الشأم، خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدهم على تجار من اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت عدة من وجوه قريش الى (أبي يكسوم) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة عنهم . وضماناً لوفائهم بما اتفقوا عليه وضعوا (الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار) وغيره رهينة ، فكان (أبرهة) يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يبضعون البضائع الى مكة لأنفسهم[2] .

وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم للحبش ولمن قد يقصد الطائف للاتجار من الحبش أو من أهل اليمن[3] .

طرد الحبشة :

لقد عجل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عنوة كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضجّ أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم الى تبديلهم بأناس أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، اذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وان كان كلاهما شراً ، ولكن اذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونهما هو الخيار ولا شك .

وهبّ اليمانون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن ثوراتهم لم تفدهم شيئاً ، اذ أخمدت ، وقتل القائمون بها . ومن أهم اسباب إخفاقها انها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

---

١ الآية الاولى وما بعدها .
٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 432.
٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد خبير أو قادة متكاتفين خبراء بأمور الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش، الانقضاض عليها واخمادها، أضف الى ذلك انها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد، يعسر على مخمدي النيران إخمادها ، او اخمادها على الأقل بسهولة .

ولتحاسد الأقيال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيهم من وراء الحدود. ، لتكره الحبش على ترك اليمن. وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه (سيف بن ذي يزن) ، من ابناء الأذواء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكتسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين اليمانيين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد الهلالي وعنترة وغيرهما ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السمر والترفيه،أو تقرأ للتسلية واللهو .

و (سيف بن ذي يزن) ، هو (معديكرب بن ابي مرة) ، وقد عرف ابوه ايضاً بـ (ابي مرة الفياض) ، وكان من أشراف حمير ، ومن الأذواء[1]. أمه (ريحانة ابنة علقمة) ، وهي من نسل (ذي جدن) على نحو ما ذكرت. يقال إن أبرهة لما انتزع ريحانة من بعلها (ابي مرة) ، فر زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة (عمرو بن هند) على ما يظن ، وبقي (معديكرب) مع امه في بيت (أبرهة) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه (مسروق) الذي ولي الملك بعد موت اخيه (يكسوم) فأثر ذلك في نفسه وحقد على (مسروق) *، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويليهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم اوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خاطره في قومه ، فأمده بثماني مئة محارب ، وبـ (وهرز) أمّره عليهم ، وبثماني سفن جعل في كل سفينة مئة

---

[1] الطبري (٢/ ١٣٠ ، ١٤٣) ، (معد يكرب بن سيف) ، مروج (٢/ ٥٥) ، (دار الاندلس) .

رجل و٠١ يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجوا في البحر غرقت من السفن سفينتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن ستمئة رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، نزلوا ارض اليمن، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى (وهرز) مسروقاً بسهم ، فقتله ، وانهزمت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل (وهرز) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزية وخرج يؤديه في كل عام[1] .

وذكر (الطبري) في رواية له اخرى عن (سيف بن ذي يزن) وعن مساعدة الفرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنّب كسرى لابطائه عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب،ووجده يحامي عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين ، فانكفأ راجعاً الى كسرى »[2] . فقابله وحيّاه وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ اليماني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فما ببابك وحضرتك ، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرقّ له كسرى ، وامر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل اليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت : قال : إني لم آتك للمال ، انما جئتك للرجال ، ولتمنعني من الذل ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له الموبذان : إن لهذا الغلام حقاً بنزوعه وموت ابيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به[3] » .

---

١ الطبري (٢/١٣٦) (دار المعارف) ابن خلدون (٢/٦٣) ، المعارف (٢٧٨) ،
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٣ وما بعدها) ، مروج (٢/٥٥) ، (دار الاندلس) .
الطبري (٢/١٤٤) ، (دار المعارف) .
٣ الطبري (٢/١٤٤) ، (دار المعارف) .

ويظهر من هذه الرواية ، ان (ابا مرّة) ، والد (معديكرب) ، كان قد فرّ من اليمن الى العراق ، وقد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري له لطرد ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسعى ويحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمدائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منها أيضاً ، ان سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابي مرّة ، كان قد أيس هو من كسرى بعد ان رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، على أمل مساعدته ومعاونته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وان أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعدوه .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، ملّك سيفاً على اليمن، ف « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويبقر النساء عما في بطونها ، حتى اذا أفناها الا بقايا ذليلة قليلة ، فاتخذهم خولاً ، واتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بحرابهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجأوه بالحراب حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، فقتل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم (وهرز) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره الا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجبيها الى كسرى حتى هلك»[1].

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أما القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد[2] . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تأريخ الطبري وفي موارد اخرى ان حكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن ابرهة ، ثم مسروق ابن ابرهة[3] . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا ان نهاية

---

١ الطبري (١٤٨/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٨) .

٢ W. Phillips, P. 223.

٣ الطبري (١٣٩/٢) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة (٥٧٥ م) . اما اخذنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان بيّنت ان حكم (أرياط) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم (يكسوم) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثنتي عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموعه (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرياط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد، والمعروف من نص (ابرهة) المدون على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رمم السد وقوّى جدرانه سنة (٥٤٢) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرّض (حمزة) لهذا البحث ، ولفت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخلّ من تأريخ الأقيال ملوك حمير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »[1] . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن، حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام .

ويذكر (ابو حنيفة الدينوري) ، ان (وهرز) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها، ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخاف السبيل ، فحبسه كسرى . ويقال له (وهرز بن الكاسجار)، فسار بأصحابه الى (الأبلة) فركب منها البحر . وذكر ان (كسرى) لما ردّه الى اليمن ، بعد وثوب الحبش بـ (سيف بن ذي يزن) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، قُبر في مكان سمّي (مقبرة وهرز) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة[2] ، ولعله قصد موضع (القليس) .

أما (المسعودي) ، فصير (وهرز) موظفاً كبيراً بدرجة (اصبهبذ) ، ودعاه بـ (وهرز اصبهبذ الديلم) . اي انه كان اصبهبذاً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

---

١ حمزة (ص ٨٩) .
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٤) .

خيولهم وعُددهم وأموالهم حتى أتوا (الأبلة) ، فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له (مَثْوب) ، فخرجوا من السفن فأمرهم (وهرز) ان يحرقوا السفن ، ليعلموا انه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا بـ (مسروق)[1] .

وذكر (المسعودي)، ان (كسرى انو شروان) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله اليه . فتوج (وهرز) معديكرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه اياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب الى (أنو شروان) بالفتح[2] .

قال (المسعودي) ولما ثبت (معديكرب) في ملك اليمن ، أتته الوفود من العرب تهنّيه بعود الملك اليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العُزى ، وابو زمعة جد اميّة بن ابي الصلت ، فدخلوا اليه ، وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهنأوه ، وارتجل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد (ابو زمعة) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للفرس (بنو الأحرار) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على (سود الكلاب)[3] .

واذا أخذنا برواية (المسعودي) عن وفد مكة ، وبما يذكره اهل الأخبار عن مدة حكم الحبش على اليمن ، وهي اثنتين وسبعين سنة ، وجب ان يكون ذهاب الوفد الى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة (عبد المطلب) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذ ذاك فتكون وفاة (عبد المطلب) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، اي في ايام وجود الحبش في اليمن ، وقبل طردهم من بلاد العرب . اما لو اخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحبش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، او قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) الى اليمن ، على نحو ما يرويه (المسعودي) .

---

١ مروج (٢/٥٥ وما بعدها) .
٢ مروج (٢/٥٦ وما بعدها) ، دار الاندلس .
٣ مروج (٢/٥٨ وما بعدها) .

لمَ يذكر اهل الأخبار السنة التي تولى فيها (سيف بن ذي يزن) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين انها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وان حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بل جزءاً منها . ويظهر ان الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، اذ نجد ان رجالاً منها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً،وكان احدهم بدرجة (ستراب) (سطراب) Satrapie[1] .

وذكر (ابن دريد) ان من ذرية (سيف بن ذي يزن) ، (عُفير بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف) . وكان سيد حمير بالشأم في ايام عبد الملك بن مروان[2] .

ورووا ان (وهرز) كان يبعث العير الى كسرى بالطيوب والأموال فتمر على طريق البحرين تارة وعلى طريق الحجاز اخرى،فعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيرة بطريق البحرين ، فكتب الى عامله بالانتقام منهم ، فسار عليهم وقتل منهم خلقاً ، وذلك يوم (الصفقة)[3] . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة[4] .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو (المزربان بن وهرز) منصب ابيه ، لما توفي والده . فكان عليها الى ان هلك[5] .

ثم امر كسرى (البينجان بن المرزبان) اي حفيد (وهرز) بتولي منصب ابيه حين داهمته منيته . فأمّر كسرى بعده (خُرُّخرة بن البينجان) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه الى عاصمته ، فذهب اليها ، فخلعه كسرى وعين باذان (باذام) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول[6] . وذكر بعض اهل الأخبار ان (خذ خسرو بن السيحان بن المرزبان) هو الذي

---

١ Beiträge, S. 121, W. Phillips, P. 223.

٢ الاشتقاق (٢/٣٦٠) .

٣ ابن خلدون (٢/٦٥) ، الاغاني (١١/١٣١) .

٤ ابن خلدون (٢/٦٥) ، اللسان (٦/٣٥٤) ، القاموس (٢/١٠٨) .

٥ الطبري (٢/١٤٨) ، صبح الأعشى (٥/٢٥) .

٦ الطبري (٢/١٤٨) .

حكم بعد (المرزبان بن وهرز) ، وهو الذي عزله كسرى ، وولى (باذان) (باذام) بعده على اليمن[1] .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها دخل (باذان) (باذام) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي[2]. ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الإسلام كان بين سنة (٦٢٨) و(٦٣٠) للميلاد[3] . ويذكر (الطبري) ، ان اسلام (باذان) ، كان بعد قتل (شيرويه) لأبيه (كسرى أبرويز) ، وتوليه الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شيرويه اليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، اعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من الفرس والأبناء[4] . وقد ولي (شيرويه) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يدم حكمه اكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف بـ (قباذ)[5] .

وقد ذكر ان (باذان) (باذام) كان من (الأبناء) ، أي من الفرس الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه (شهر بن باذان) مكانه ، أي بعد وفاة والده[6] .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا بها واختلطوا بأهلها ، عرفوا بـ (الأبناء) ، وبـ (بني الأحرار)[7] .

ولما قتل (الأسود العنسي) (شهر بن باذام) (شهر بن باذان) ، واستبد (العنسي) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل (العنسي) ورجع عمال النبي الى اليمن ، استبد بصنعاء (قيس بن عبد يغوث المرادي) ، وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة ابي بكر ، فولى على اليمن (فيروز الديلمي)[8] .

---

١ صبح الاعشى (٥/ ٢٥) .
٢ الطبري (٢/ ٦٥٥ وما بعدها) .
٣ W. Phillips, P. 223.
٤ الطبري (٢/ ٦٥٥ ، وما بعدها) ، (دار المعارف) .
٥ Ency., 4, P. 178.
٦ الاصابة (١/ ١٧٠) .
٧ الاغاني (١٦/ ٧٣) .
٨ صبح الأعشى (٥/ ٢٦ ، ٤٦) .

وقد تطرق (ابن قتيبة) الى (ملوك الحبشة في اليمن) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم) ، ثم (يكسوم بن أبرهة) ، ثم (سيف بن ذي يزن) ، فقال عنه : انه (أتى كسرى أنو شروان بن قباذ) في آخر ايام ملكه — هكذا تقول الأعاجم في سيرها ،وانا احسبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التأريخ—»[1] مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفة بلغتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أعجمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن[2] .

وكوّن الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم (وبر بن يُحَنّس) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن بُزرج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه[3] .

ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التأريخية ، اذ دوّن جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترّك لنا كتابة ما،لا بالمسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فنحن فيه معدمون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تأريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدّر بثمن لمن يريد الوقوف على التطورات التأريخية التي مرّت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

---

١ المعارف (ص ٦٣٨) ، (ثروت عكاشه) .
٢ المصدر نفسه .
٣ الطبري (٣/١٥٨) .



بئر من آبار صنعاء
من كتاب : Jemen, das Verbotene Land
لمؤلفه : Günther Pawelke

هذا ولا بد لي من الاشارة الى أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً ، فلم يكن ولاتهم يحكمون اليمن كلها ، وانما كان حكمهم حكماً اسمياً صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأقيال والأذواء . دلك أن أهل كل

ناحية ملّكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا (ملوك الطوائف)[1] فكان على حمير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك، من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقفله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وبمفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق[2] .

همدان وصنعاء ومأرب :

وكانت همدان عند معث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب[3] .

ولقد صارت (صنعاء) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم، أما (مأرب) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأفل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى (سام بن نوح) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر (غمدان) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه (الضحاك) على اسم الزُهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام (عثمان) فهدمه ، فصار موضعه تلاً عظيماً[4] .

---

١ المعارف (٢٧٨) .

٢ (قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم) ، الطبري (٣/١٢٠) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٣/١٣٢) ، (دار المعارف) .

٤ صبح الأعشى (٥/٣٩ وما بعدها) ، (وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا ــ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ــ خراب قد هدم فصار تلا عظيما ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا . ورأيت غمدان ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن) ، (وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أعلى البنيان بالليل واشتعلت الشموع ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام) ، مروج (٢/٢٢٩ وما بعدها) ، (والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون: القصر ، وفيه معمل للخرطوش) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (١/٢٨٤) .

وقد ورد اسم (صنعاء) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذي ريدان) ، ودعيت فيه بـ (صنعو)[١]. وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ (ازال) وبـ (أوال)[٢] . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل (كعب الأحبار) ووهب بن منبّه[٣] . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح)، أو قصر (الشرح يحضب) (ليشرح يحضب)[٤] . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها (عاد)[٥] . ورووا قصصاً عن (غمدان) ، فزعم بعضهم أن بانيه (سليمان) أمر الشياطين ، فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور : غمدان وسلحين وبينون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : (ليشرح يحضب) أراد اتخاذ قصر بين صنعاء و (طيوة) ، فانتخب موضع (غمدان)[٦] . وقد وصف (الهمداني) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه[٧] .

نجران :

وأما (نجران) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرافها ، ولها نظام سياسي واداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من (بني الحارث بن كعب) ، وهم من (مذحج) و (كهلان) ،

---

١ Glaser 424.

٢ (وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم) ، مختصر تاريخ اليمن المنقول عن كتاب العبر لابن خلدون ، (ص ١٢٥) ، تحقيق ((H. C. Kay)) لندن ١٨٩٢ م ، Ency., IV, P. 144, Glaser, Skimme, II, S. 310, 424.

٣ الاكليل (ص ١٨) .

٤ الاكليل (ص ٤) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٥ مختصر تأريخ اليمن (١٢٥) .

٦ البلدان (٣٠١/٦ وما بعدها) ، Ency., II, P. 166, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien, I, S. 418, 421.

٧ الاكليل (١٢/٨ وما بعدها) .

وكانوا نصارى . ومن أشرافهم (بنو عبد المدان بن الديّان) ، أصحاب كعبة نجران[1] وكان فيهـا أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً راكباً ، فيهم أربعـة عشر رجلاً من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم . العاقب أمـير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم (وهب) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مِدْراسهم[2] .

ويذكر الأخباريون، ان أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفعلة ليبنوا له الكنائس، لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوز بن علقمة). وقد أسلما مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة[3] .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا عـلى اتصال بنصارى اليمن ، وانهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويموّلونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهبات . وقد أمدّوهم بالبنّائين والفعلة وبالمواد اللازمة لبناء الكنائس في نجران وفي غيرها من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهـم . فبانتشارها يستطيعون تحقيق ما عجز عنه (أوليوس غالوس) حينما كلفه انبراطور روما اقتحام العربية السعيـدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه. وقد عرفت

---

١ الطبري (٣/١٣٢) (دار المعارف) . صبح الأعشى (٥/٣٩وما بعدها) .
٢ ابن هشام (٢/٢٢٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢/١٢٢) ، ابن خلـدون (٢/٥٧) (الوفود) ، البلدان (٨/٢٥٨ وما بعدها) ، الطبري (٣/١٣٩) ، تاج العروس (١/٣٨٩) ، Raccolta, III, P. 128.
٣ ابن هشام (٢/٢٢٢ وما بعدها) .

تلك الكتب بـ (الوضائع) . وكانوا يختمونها ، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختماً[1] . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع[2] .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن اليمانية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها (سترابون) في جغرافيته ، وسماها Negrani = Negrana في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ (بلينيوس) في جملة المدن التي أصابتها يد التخريب في هذه الحملة[3] . كما ذكرها (بطلميوس) ، فسماها Negara Metropolis = Nagera Mytropolis[4] .

وفي ذكر (بطلميوس) لها على أنها (مدينة) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

ويعد النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام (المكربين) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص: (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك(كرب ايل وتر) آخر (مكربي) سبأ، وأول من تلقب بلقب (ملك سبأ)[5] . فورود اسم (نجران) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع النابهة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

---

١ ابن هشام (٢/٢٢٢ وما بعدها) .
٢ اللسان (٨/٣٩٩) ، (و/ض/ع) .
٣ Strabo, XVI, IV, 24. vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.
٤ Ptolemy, VI, 7, 37.
٥ Beiträge, S. 9.

حملة (أوليوس غالوس) على اليمن . وذكرها نص (النمارة) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك (شمر يهرعش) إذ ذاك على رأي أكثر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت) وأضاف اليها أرضين جديدة منها أرض (نجران)[١] ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ (نبطو) ، أي النبط[٢] .

وقد ذهب (ريتر) الى أن Negara Mytropolis ، هو الموضع المسمى بـ (القابل) على الضفة الغربية لوادي نجران[٣] . أما (هاليفي) ، فذهب الى أنها الخرائب المسماة (الأخدود)[٤] . وذهب (كلاسر) الى أنهـا الأخدود أو (رجلة) ، أو موضع آخر في (وادي الدواسر)[٥] .

وقد ذكر (الهمداني) ان موضع (هجر نجران) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح خصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص CIH 363 ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواضع ذكر انها في (نجرن) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجمت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران[٦] .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) (رجمة) هي (رعمة) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيما سلف عن (رعمة) وعن اتجار أهلها وتجار (شبا) Sheba مع (صور) Tyrus[٧] .

---

١ Beiträge, S. 11.

٢ Beiträge, S. 11.

٣ Paulys-Wissowa, 32ter Halbband, 1574.

٤ Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asia., VI, XIX, 1872, 39, 90.

٥ Glaser, Skizze, II.

٦ Beiträge, S. 10.

٧ أخبار الايام ، الاول ، الاصحاح الاول : الآيـة ٩ ، التكويـن الاصحاح العـاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٢٢ ، Beiträge, S. 11.

ويذكر الأخباريون أن قوماً من (جرهم) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حمير ، وصاروا ولاة للتبابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب (الأفعى) . ومنهم (أفعى نجران) واسمه (القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب ابن زيد بن وائل بن حمير) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قولهم بين أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبلقيس ، فبعثته الى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا انه ملك البحرين والمشلل . ثم استولى (بنو مذحج) على نجران . ثم (بنو الحارث بن كعب) ، وانتهت رياسة بني الحارث فيها الى بني الديّان ، ثم صارت الى بني عبد المدان ، وكان منهم (يزيد) على عهد الرسول[1] .

ويرى بعض أهل الأخبار أن (السيد) والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران[2].

وقد سميت (نجران) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم[3] .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى (بني الحارث بن كعب) بنجران ، وأمره أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا اليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم الى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول (عمرو ابن حزم) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفى رسول الله[4] .

ولما عاد خالد بن الوليد من نجران الى المدينة ، أقبل معه وفد (بلحارث بن

---

١ (مختصر تأريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (١٣٣ وما بعدها) ، مطبوع مع كتاب تأريخ اليمن لعمارة اليمني ، سنة ١٨٩٢ ، بلندن ، بعناية : Henry Cassels Kay. صبح الأعشى (٥/ ٤٥) .

٢ المحبر (١٣٢) .

٣ صبح الأعشى (٥/ ٤٠ وما بعدها) ، الاكليل (١/ ١٤) .

٤ انطبري (٣/ ١٢٦ وما بعدها) (سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب واسلامهم) .

كعـــب) ، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المُحجّل،وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابـي . فلما رآهم الرسول ، قـــال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمَّر (قيس بن الحصين) عليهم، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر[١] .

وقد اشتهرت نجران بثيابهـــا ، ولما توفى الرسول ، كُفِّن في ثلاثة أثواب نجرانية[٢] .

وقد زار (فلبي) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها الى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع (كعبة نجران) . ووجــد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من (أم خرق) ، وكتابات مدوّنة بالمسند. وعــلى موضع يعرف بـ (قصر ابن ثامر) ، وضريح ينسب الى ذلك القـديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى (فلبي) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي (الأخدود) ، وأن الخـــرائب التي لا تزال تشاهد فيهـــا اليوم تعود الى أيام المعينيـــين[٣] . ويقع (قصر الأخدود) الأثري بين (القابل) و (رجلة) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار[٤] . وقـــد تبسط (فلبي) في وصف موضع الأخدود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآها في ذلك المكان[٥] .

ويتضح من مخطط (فلبي) لمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة، وعندها أبنية محصنة على هيأة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها،وبها مساكن وملاجيء للاحتماء بها ولتمكين المدافعين من صدّ هجمات المهاجمين لها[٦] .

---

١ الطبري (٣/١٢٨) ، سيرة ابن هشام (٢/٣٤٧ وما بعدها) .
٢ اللسان (٥/١٩٥) ، (ن/ج/ر) .
٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.
٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (١٩٠) (القاهرة ١٩٥١ م) .
٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.
٦ Beiträge, S. 11. Beiträge, S. 17.

أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثير الحبش من ساسة وادارين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنيتهم . ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ؛ لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وانما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المتنصرة ، فأدخلتها الى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهم ، ومنهم انتقلت بالفتوح وبالاتصال الى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمستشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا انها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الاسلام ، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشية ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب الى الأحباش من كلم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة الى افريقية ، واستعمل هناك ، ظن انه حبشي الأصل ، وان العرب أخذوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك[1] .

---

١ الروض (٢/٣١٥) .

الفهرس